

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ أَمَّا نَتْ هَذِهِ الطَّبْعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالْبَسْطِ وَالِاسْتِيْعَابِ بِمَعْنَى تَلَاوُثِ
فِي الشَّيْءِ جَمِيعُ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّي وَشُرُفَتْ فِيهِ الشَّوَاهِدُ وَالنُّظَارُ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مُفِيدًا عَنْ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

الجزء الثالث

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

بيروت - لبنان

وقال يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الأصبع الكاتب :

أَرْكَائِبَ الْأَحْبَابِ إِنْ الْأَذْمَاءُ تَطِسُ أَخْلُودَ كَمَا تَطِسُنَ الْيَزْمَاءُ (١)
فَاعْرِفْنِ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيْكُنَّ النَّوَى وَأَمْشِينَ هَوْنًا فِي الْأَزْمَاءِ خُضْمًا (٢)
قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنَ الْبُكَاءِ فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَاءُ أَنْ يَمْنَعًا (٣)
حَتَّى كَانَ لِكُلِّ عَظْمٍ رَنَّةٌ فِي جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عِرْقٍ مَدْمَعًا (٤)
وَكُنِّي بِمَنْ فَضَحَ الْجِدَايَةَ فَاضِحًا لِحُجْبِهِ وَبِمَصْرَعِي ذَا مَصْرَعًا (٥)

(١) أركائب . أى ياركائب ؛ والركائب : جمع الركوب ، وهى الإبل تركب ؛ وتطس : تدق ؛ والوطس : الدق ؛ واليرمع : حجارة بيض صفار رخوة . يقول : إن الدموع تفعل بالحدود فعل أخفاف الإبل بالحجارة التى تطوها : يعنى أن تأثير الدموع فى الحدود كتأثير الإبل فى الحجارة .

(٢) النوى : البعد ، فاعل حملت ، وهى مؤنثة ، والأزمة جمع زمام ما تقاد به الدابة . يقول للابل : اعرفنى قدر الحبيبة التى حملها البعد عليكى ، واعرفنى لينها ورفقتها ، وأنها لا تصبر على احتمال الأذى ، فامشين بها رويداً خضعاً حتى لا تتأذى بسيركن ومرحكن .

(٣) البكا : - يمد ويقصر - والأشهر : الد . يقول : قد كان حياى يغلب بكائى ، واليوم غلب بكائى حياى .

(٤) الرنة : فعلة من الرنين ، وهو صوت الباكي ، والضمير فى جلده : للعظم ؛ ويحتمل أن يكون للعاشق على الالتفات . والمدمع : مجرى الدمع ؛ يقول : لكثرة بكائى صار كأن كل عظم من عظامى يرن رنيناً ، وكل عرق لى يبكى : أى غلب البكاء حتى صارت حالى بهذه الصفة . قال ابن وكيع : وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :
وَمُتِّمٌ جَرَحَ الْفِرَاقُ فَوَادَهُ فَالدمع من أجفانه يترقرق
وإلى قول الآخر :

وَكُنْ لِي فِي كُلِّ عَضْوٍ وَاحِدٍ قَلْبًا يَرْنُ وَتَاطَرَأُ مَا يَطْرِفُ

(٥) الجداية : الظبية ، وفاضحا : تميز ، والمصرع : المقتل ، مصدر ميمي - من صرعه : أى طرحه على الأرض - يقول : من فضح الجداية بحسنه كنى فاضحاً لمن يحبه وكنى بمصرعى فى حبه بمصرعاً ؛ يعنى أنه غاية فى الحسن وأنا غاية فى الحب والعشق .

سَفَرَتْ وَبَرَقَمَهَا الْفِرَاقُ بِصُفْرَةٍ سَتَرَتْ حَاجِرَهَا وَلَمْ تَكُ بُرْقَمًا^(١)
فَكَأَنَّهَا وَالِدَمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ذَهَبٌ بِسِنْطَى لَوْلُؤٍ قَدْ رُصِّعًا^(٢)
كَشَفَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيْسَالِي أَرْبَعًا^(٣)
وَأَسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرْتَنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا^(٤)
رُدِّي الْوِصَالَ سَقَى طُلُوكَ عَارِضٌ لَوْ كَانَ وَصْلُكَ مِثْلَهُ مَا أَفْشَعًا^(٥)

(١) يقول : سفرت - كشفت عن وجهها للوداع ، وقد ألبسها وجل الفراق صفرة كأنها برقع يستر حاجرها - ما حول العين - ويخفي محاسنها ، ولم تكن برقعا على الحقيقة ؛ يعنى أنها جزعت للفراق حتى اصفر لونها .

(٢) السمط : خيط القلادة . والضمير من كأنها : للصفرة . يقول : كأن صفرتها والدمع فوقها ذهب مرصع بسمطين من اللؤلؤ من كل عين سمط . شبه صفرة وجهها بالذهب والدمع باللؤلؤ .

(٣) يقول : صارت الليلة بدوائبها الثلاث أربع ليال ، لأن كل ذؤابة منها كأنها ليلة لسوادها . والدوائب : جمع ذؤابة ، وهى الحصلة من الشعر ؛ والأصل ذائب ، فأبدل من المهمة الأولى واوآ تخفيفا .

(٤) قال الواحدى : يجوز أن يريد بالقمرين : القمر والشمس ، وهى وجهها ، وجعل وجهها شمساً فى الحسن والضياء ؛ ويجوز أن يشبه وجهها بالقمر ، فهما قران فى وقت واحد . وهذا كقول الآخر .

وإذا الغزالة فى السماء ترفعت وبداَ النهارُ لوقته يترحَّل
أبدتْ لَوَجْهِ الشَّمْسِ وَجْهًا مِثْلَهُ يَلْقَى السَّمَاءَ بِمِثْلِ مَا تَسْتَقِيلُ
ويقول صريع الغواني :

فَبِتْ أُسِرْ البدرَ طوراً حديثها وطوراً أناجى البدر أحسبها البdra
إلى أن رأيت الليل منكشف الدجى يودُّعُ فى ظلماتِهِ الأنجم الزُّهرا
وهذا المعنى كثير فى كلامهم .

(٥) الطلول : جمع طلل ، وهو رسم الديار ؛ والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ؛ وأفشع : أفلع وتفرق . يقول : أعيدى لنا وصالك ، ثم دعا للطلول بالسقيا وقال لو كان وصالك مثل السحاب الذى أعناه للطلول أى دائماً لا يتفرق - لكان دائماً لا ينقطع

زَجَلٌ يُرِيكَ الْجَوْ نَارًا وَالْمَلَأَ كَالْبَحْرِ وَالتَّلَمَاتِ رَوْضًا مُمَرَّعًا^(١)
 كَبَنَانِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْغَدَقِ الَّذِي أَرَوَى وَآمَنَ مَنْ يَشَاءُ وَأَفْرَعًا^(٢)
 أَلْفِ الْمُرُوءَةِ مَذُنًا فَكَأَنَّهُ سَقَى اللَّبَانَ بِهَا صَبِيًا مُرَضَعًا^(٣)

(١) زجل : يسمع له زجل ، وهو الصوت : يعنى صوت الرعد ؛ والملا : المتسع من الأرض أو الصحراء ؛ والتلمات : جمع تلمة ، التل يجرى منه الماء إلى الوادى والمرع المنصب . يصف هذا السحاب يقول : إنه يملأ الجو بيرقه حتى يرى نارا ، ويملأ المتسع من الأرض ماء حتى يرى كالبحر ، ويغصب التلال بمائه حتى تصير كالروض الحصب ؛ وقد جمع في هذا البيت مافرقه غيره وأبدع فيه ، قال أبو تمام .

أَصْ لَنَا مَاءٌ وَكَانَ بَارِقًا

[أى رجع ماء بعد البرق] وقال ابن دريد :

كَأَنَّمَا الْبَيْدَاءُ غِيبٌ صَوْبُهُ بِحَرْطٍ طَلَمَاتِيَّارُهُ ثُمَّ سَاجَا

(٢) الغدق : الكثير قال تعالى « لأسقينهم ماء غدقا » أى كثيراً . شبه ذلك السحاب الذى وصفه بينان - أصابع - المدوح الكثير الجود ، وهذا مخلص حسن ؛ ومثله للبحترى :

كَأَنَّمَا حِينَ تَجَلَّتْ فِي تَدَقُّقِهَا أَيْدَى الْخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَدَائِهَا

(٣) المروءة : الكرم ؛ واللبن : جمع اللبن ، وصيا حال . يقول : ألف الكر . ناشأ ، فكأنه غذى به مع اللبن الذى شربه رضيا . وهذا من قول أبى تمام :

لَيْسَ الشَّجَاعَةُ لَهَا كَأَنَّكَ لَهَا قَدْ مَأْنَسُوغًا فِي الصَّبَا وَلَدُودًا

« النشوغ : الوجور والسعوط يقال نشفت الصبي وجوراً فانتشفه جرعه جرعة بعد جرعة واللدود ما يصب بالمسقط من السقى والدواء فى أحد شقى الفم ولديد الفم جانباه » وإليك طرفة نحوية للعبرى النحوى الكوفى ، قال : مذ ومنذ عندنا أنهما يرتفع الاسم بعدهما بإضمار فعل مقدر محذوف . وقال البصريون : هما اسمان يرتفع ما بعدهما لأنه خبر عنهما ، ويكونان حرفين جارين فيكون ما بعدهما مجروراً بهما ، وحجبتا أنهما مركبان من « من » و « إذ » تغيرا عن حالهما فى أفراد كل واحد منهما ، فحذفت الحمزة ووصلت « من » بالذال وضمت الميم للفرق بين حالة الأفراد والتركيب . والدليل على أنها مركبة من « من » و « إذ » أن من العرب من يقول فى « منذ » منذ —

نُظِمَتْ مَوَاهِبُهُ عَلَيْهِ تَمَامًا فَاَعْتَادَهَا فَإِذَا سَقَطْنَ تَفَرَّعًا^(١)
تَرَكَ الصَّنَائِعَ كَالْقَوَاطِيعِ بَارِقًا تِ وَالْعَالِي كَالْعَوَالِي شُرْعًا^(٢)
مُتَبَسِّمًا لِعِفَاتِهِ عَن وَاضِح تَغَشَّى لَوَامِعُهُ الْبُرُوقَ اللَّمَعًا^(٣)

بكسر اليم — فدل على أنها مركبة وإذا ثبت أنها مركبة كان الرفع بعدها بتقدير فعل ، لأن الفعل يحسن بعد « إذ » والتقدير : ما رأيته مذ مضى يومان ومذ مضى شهران ؛ وإذا كان الاسم بهما مخفوضا كان الحذف بهما اعتباراً بـ « من » ، ولهذا المعنى كان الحذف بمنذ أجود لظهور نون « من » فيها ؛ والرفع بـ « مذ » أجود لحذف النون منها تغليبا لإذ ؛ وبدل على أن أصل « مذ » و « منذ » واحد : أنك لو سميت بهما قلت في تصغير مذ : منيد وفي تكسيره : أمناذ ؛ فترد النون المحذوفة ، لأن التكسير والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها : وحجة البصريين أنها معنهما الأمد ، إذا قلت ما رأيته مذ يومان : فمعناه أمد انقطاع الرؤية يومان ؛ والأمد في موضع رفع بالابتداء فكذلك ما قام مقامه وإذا ثبت أنها مرفوعان بالابتداء وجب أن يكون ما بعدها خبراً .

(١) التأمم : جمع تيممة : العوذة تعلق على الصبي للوقاية من العين ، قال الواحدي : من روى نظمت — بضم النون — فالعنى أن هباته وما يفعل من الإعطاء جعلت له بمنزلة التأمم التي تعلق على من خاف شيئاً ، فإذا سقطت عنه عاد الخوف : أى أنه ألف الإعطاء واعتاده ، حتى لو ترك ذلك كان بمنزلة من سقطت تأممه ؛ ومن روى بفتح النون : فإنما يعنى ما حصلت له المواهب من الحمد والثناء والمدح والأشعار وأدعية الفقراء ، فهو إذا لم يسمع ما تعود أنكر ذلك ، وكان كمن ألقى تيممته فيفزع ؛ وهذا من قول أبي تمام :

تَكَادَ عَطَايَاهُ يُجِنُّ جَنُونهَا إِذَا لَمْ يَعُوْذْهَا بِنَفْعَةٍ طَالِب

(٢) الصنائع : الأيادي والنعم والعروف . والقواطع : السيوف ، وبارقات مشرقات والعوالى : الرماح ؛ وشرعا : منتصبة مرتفعة . يقول : جعل نعمه وأياديه مشرقة لامعة كالسيوف ، ومعاليه مرتفعة كالرماح لاشتهارها بين الناس وقال ابن جني : يحارب أعداءه وحساده بأياديه كما يحارب بالسيوف والرماح .

(٣) متبسم : حال من فاعل ترك ؛ والعفاة : جمع عاف : السائل ؛ وعن واضح : أى عن ثغر واضح ؛ وتغشى : تغطي . ولوامعه : ثنائه . يقول : يتسم للسائلين عن عن ثغر واضح يذهب لمعانه بضوء البرق ، ويروى ، تغشى : أى تذهب نور أبصارها ؛ وهو من قول العباس بن الأحنف :

مُتَكَشِّفًا لِدُائِهِ عَن سَطْوَةٍ لَوْ حَكَ مِنْكِبُهَا السَّمَاءُ لَزَعَزَعَا^(١)
 الْحَزَمِ الْيَقِظَ الْأَغْرَ الْعَالِمَ الْفَطْنَ الْأَلَدَ الْأَرِيحَى الْأَزْوَعَا^(٢)
 الْكَاتِبَ اللَّبِقَ الْخَطِيبَ الْوَاحِبَ النَّدُسَ اللَّيْبَ الْهَبْرَزَى الْمِصْقَعَا^(٣)
 نَفْسٌ لَهَا خُلِقَ الزَّمَانُ لِأَنَّهُ مُفْنِي الثُّغُوسِ مُفْرَقٌ مَا جَمَعَا^(٤)
 وَيَدٌ لَهَا كَرَمٌ الْفَنَامُ لِأَنَّهُ يَسْقِي الْعِمَارَةَ وَالْمَكَانَ الْبَلْقَعَا^(٥)

مُنْتَسِرِبِلِينَ سَوَائِفًا مَادِيَةً تَعْنِي الْقَوَانِسُ فَوْقَهَا الْأَبْصَارَا^(١)

(١) حك : بـ روى صك ؛ والمعنى : زاحم : لأنه يظهر للأعداء سطوة لوزاحم منكبها السماء لزعرها : أى أنه يجاهر الأعداء بالقدرة عليهم ولا يكاتمهم العداوة ؛ واستعمار لسطوته منكباً لما جعلها زاحم السماء ، لأن الزحام يكون بالنكاب .
 (٢) و (٣) الحازم : ذو الحزم فى أموره ؛ واليقظ : الكثير التيقظ الذى لا يغفل عن أموره والأغر : الشريف ، و يروى الأعز ؛ والألد : الشديد الحصومة ، والاريحى : الذى يرتاح للمعروف والكرم : أى يهنز لها ويتحرك ؛ والأروع : الذى يروعك بجماله أو الحاد الذكى ؛ واللبيق : الخفيف فى الأمور ؛ والندس : الفطن . والهبزى : السيد الكريم ؛ والمصقع : الخطيب البليغ .

(٤) يقول : إن الزمان من خلقه إفناء الأشياء ، وكذلك هذا المدوح يبنى أعداءه كما يبنى ماله ، فهو جواد كثير الغارات ، وهذا قريب من قول أبي نواس : وما هو إلا الدهر تأتي صُرُوفُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَشَقُّ بِهِ وَيُعَادِي
 (٥) العماره — بكسر العين — الأرض العامرة ؛ والبلقع : المكان الخالى الذى لاعماره فيه . يقول : إنه يعطى كل أحد أ كان غنيا أم فقيراً ، كما أن الغمام يسقى كل موضع : أعامراً أم غامراً . ومثله لا بن المعتز :

وَيُصِيبُ بِالْجُودِ الْفَقِيرُ وَذَا الْفَنَى كَالْفَيْثِ يَسْقِي مُجْدِبًا وَمَرِيحًا
 وَاخِرُ يَخَاطِبُ الْفَيْثَ :

وَلَيْسَ يَخْصُ أَرْضًا دُونَ أَرْضٍ وَكَفَاءُ تَمَنَّا الْبِلَادَا
 وروى الخوارزمي : العماره — بفتح العين — وقال : يعنى القبيلة ، كأنه قال يسقى المكان الذى به الناس والخالى .

(١) القوانس : جمع قونس ، وقونس البيضة من السلاح : مقدمها أو أعلاها ، والمادية : الدرع البيضاء أو السهلة اللينة .

أَبَدًا يُصَدِّعُ شَعْبَ وَفِرٍ وَافِرٍ وَيَلْمُ شَعْبَ مَكَارِمٍ مُتَّصِدًا^(١)
يَهْتَزُّ لِلْجَدْوَى أَهْتَازَ مَهْنَدٍ يَوْمَ الرَّجَاءِ هَزَزَتْهُ يَوْمَ الْوَعَى^(٢)
يَا مُغْنِيَا أَمَلِ الْفَقِيرِ لِقَاؤُهُ وَدُعَاؤُهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِذَا دَعَا^(٣)
أَقْصَرَ وَلَسْتَ بِمَقْصِرٍ جُزْتَ اللَّدَى
وَبَلَغْتَ حَيْثُ النَّجْمُ تَحْتَكَ فَارَبَمَا^(٤)

(١) الشعب: الشمل؛ ويصدع: يفرق؛ والوفر: النقي؛ ويلم: يجمع. يقول: إنه أبداً يفرق شمل المال بالمطاء. ويجمع مفرق المكارم، وقد جمع في هذا البيت بين التطبيق والتجنيس، وقال أبو تمام:

له كل يوم شمل مجد مؤلف وشمل ندى بين العفا مُشْتَبٍ
وقال البحري:

ومعال أصارها لاجتماع شمل مال أصاره لافتراق
(٢) الجدوى: العطا؛ والمهند: السيف؛ ويوم الرجاء: متعلق بهتز؛ والوعى - بالعين والغين - جلبة الحرب وصوتها؛ والجملة قبله: صفة لمهند. يقول: يهتز للجدوى يوم الرجاء اهتزاز المهند يوم الحرب. وهذا من قول الخطيئة:

كسوبٌ ومتلافٌ إذا ما سألتَه تهللٌ واهتز اهتزاز المهند
ولتم بن نويرة:

تراه كنفضل السيف يهتز للندى إذا لم تجد عند امرئ السوء مطعماً
(٣) لقَاؤُهُ: فاعل مغنيا. يقول: إن لقاء الفقير إياك ودعاءه لك حين يدعو بعد الصلاة يغنيان أمل الفقير لما عرف عنك من فرط السخاء وإغاثة البائسين.

(٤) أقصر عن الشيء: تركه مع القدرة عليه. وقوله فاربما: أراد فاربعن، فوقف بالألف؛ ومعناه: كف حبسك. وقوله: ولست بمقصر. جملة اعتراضية. قال الواحدى: يحتمل أمرين: أحدهما: أنى أعلم أنك لا تقصر وإن أمرتك بالإقصار، والآخر: أنك وإن أقصرت لست بمقصر لتجاوزك للدى - الغاية - وهذا قريب من قول أبي تمام:

يأليت شعري من هذى مناقبه ماذا الذى يبلوغ النجوم ينتظر

وَحَلَّتْ مِنْ شَرَفِ الْفَعَالِ مَوَاضِعًا
لَمْ يَخْلُ النِّقْلَانِ مِنْهَا مَوَاضِعًا^(١)
وَحَوَيْتَ فَضْلَهُمَا وَمَا طَمِعَ امْرُؤٌ فِيهِ وَلَا طَمِعَ امْرُؤٌ أَنْ يَطْمَعًا^(٢)
نَفَذَ الْقَضَاءَ بِمَا أَرَدْتَ كَأَنَّهُ لَكَ كُلَّمَا أَرْمَعْتَ شَيْئًا أَرْمَعًا^(٣)
وَأَطَاعَكَ الدَّهْرُ الْعَصِي كَأَنَّهُ عَبْدٌ إِذَا نَادَيْتَ لَبَّى مُسْرِعًا^(٤)
أَكَلْتَ مَفَاخِرَكَ الْمَفَاخِرَ وَانْتَفَتَ عَنْ شَأْوِهِنَّ مَطِيٌّ وَضَفِي ظُلْمًا^(٥)

(١) لك أن تقرأ الفاعل بفتح الفاء : اسم للفعل الحسن ؛ وبكسرهما : جمع فعل ؛
والنقلان : الجن والإنس :

(٢) يقول : حويت فضل الثقلين - الجن والإنس - وهذا الفضل لم يطمع في نيته
أحد ولا حدثته به نفسه بعد مناله .

(٣) أزمع الشيء عزم عليه . يقول : كأن القضاء لك ، فكلماً أردت شيئاً وأزمعته
أنفذه ، فقله : لك ، خبر كأن : أى كأنه موافق لك ولك أن تجعل لك : صلة أزمع : أى أن
القضاء منفذ لما تريد ، فكلماً أزمعت أمراً أزمع هو ذلك الأمر لأجلك . هذا : وقد
قال الخليل : أزمعت على الأمر فأنا مزمع عليه : إذا مضيت فيه وثبت عزمك عليه .
وقال الكسائي : يقال أزمعت الأمر ، ولا يقال أزمعت عليه ؛ قال الأعشى :

أَزْمَعْتُ مِنْ آلِ لَيْلٍ ابْتِكَارًا وَشَطَطْتُ عَلَى هَوًى أَنْ تَزَارَا
وقال الفراء : أزمعته وأزمعت عليه بمعنى ، مثل أجمعته وأجمعت عليه :

(٤) العصى : العاصي ، فاعل بمعنى فاعل . يقول : والدهر الذى لا يطيع أحداً
قد أطاعك فيما أردت منه طاعة العبد السريع الإجابة .

(٥) انتفت ؛ رجعت ؛ والشأو : الغاية ؛ والمطى : جمع مطية : الركوبة ؛ والظلم
جمع الظالم ، الذى يغمز من يد أو رجل . يقول : غلبت مفاخرك مفاخر الناس حق
أنتها فليس لأحد منهم غر ، وانصرف مطايا وصفى قلمرة عن غايتها - أى لم يبلغ
قولى وصف مفاخرك ، وفى هذا يقول أبو تمام :

هَدَمْتُ مَسَاعِيهِ الْمَسَاعَى وَانْتَفَتَ خُطَطُ الْمَكَارِمِ فِي عِرَاصِ الْفَرَقْدِ

وَجَرَيْنِ تَجْرَى الشَّمْسُ فِي أَفْلَاكِهَا فَقَطَعْنَ مَغْرِبَهَا وَجُزْنَ الْمَطْلَعَا^(١)
لَوْ نِطَلَّتِ الدُّنْيَا بِأُخْرَى مِثْلَهَا لَعَمَّمَهَا وَخَشِينَ أَنْ لَا تَقْنَعَا^(٢)
فَمَتَى يُكَذِّبُ مُدَّعِي لَكَ فَوْقَ ذَا وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ حَقًّا مَا أَدْعَى^(٣)
وَمَتَى يُؤَدِّي شَرْحَ حَالِكَ نَاطِقٍ حَفِظَ الْقَلِيلَ النَّزَرَ مِمَّا ضَيَّعَا^(٤)

(١) يقول : وجرت مفاخرك في الأرض مجرى الشمس في الفلك حتى قطعت المشرق والمغرب . قال ابن وكيع : هذا مأخوذ من قول حبيب :

أَمْلَعِ الشَّمْسُ تَبْقَى أَنْ تَوْمَ بِنَا فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ
وهذا تعسف من ابن وكيع ، وقد كان من المولعين بنقد المتنبي وإصفاء إنائه ، وإلا فأى تناسب بين البيتين ؟ وإنما بيت أبي تمام فيه حسن التخلص وكان الأقرب أن يقول : إنه من قول علي بن الجهم :

وسارت مسير الشمس في كل بلدة وهبت هبوب الريح في البر والبحر
أو من قول أبي قيس بن أبي رفاعه - شاعر جاهلي - يصف قصيدة :
تسير مسير الشمس شرقاً ومغرباً ويحلو بأفواه الرجال نشيدها
(٢) يقول : لو قرنت الدنيا بدنيا أخرى مثلها وضمت إليها لعمتها مفاخرك أيضاً وخافت أن لاتقنع منها بذلك . وروى لعمتها - والضمير للممدوح - وخشيت - بضم التاء - والضمير للمتنبي : أى لعمتها بهمتك وسعة صدرك وخفت أنا أن لاتقنع بها لأن همتك تقتضى فوقها .

(٣) يقول : لا يكذب من ادعى لك فوق هذا ، لأن الله يشهد بتصديقه ، وذلك ما خلقه الله فيك من علو الهمة والفرائض المتوافرة ، وكان الوجه أن يقول : إن ما ادعى حق ، فجعل الخبر الذى هوى نكرة - وهو حق - في موضع الاسم ونصبه بأن ، وجعل الاسم الموصول - ما ادعى - في محل الخبر ، وذلك جائز في ضرورة الشعر .

(٤) النزر . هو القليل ، فهو تأكيد معنوي : يعنى نفسه . يقول : إنما يحفظ القليل من أحوال مفاخره ، لأنها أكثر من أن يمكنه حفظها - على حد قول أبي نواس :

* حَفِظْتُ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ *

إِنْ كَانَ لَا يُدْعَى الْفَتَى إِلَّا كَذَا رَجُلًا قَسَمَ النَّاسَ طُرًا إَصْبَعًا^(١)
 إِنْ كَانَ لَا يَسْتَعَى الْجُودَ مَا جِدَ إِلَّا كَذَا فَالْفَيْثُ أَبْجَلُ مَنْ سَعَى^(٢)
 قَدْ خَلَفَ الْعَبَّاسُ غُرَّتَكَ أَبْنَهُ مَرَأَى لَنَا وَإِلَى الْقِيَامَةِ مَسْمَعًا^(٣)

* * *

وحفظ القليل مما ضيعا : أى من جنس ماضيه ، لأن المحفوظ لا يكون من المضيع ،
 ولكن يكون من جنسه .

(١) رجلا : مفعول ثانٍ لدعى ؛ وطرا : أى جميعاً ، حال . يقول : إن كان
 لا يدعى الفتى رجلاً إلا إذا كان كذا : أى كهذا المدوح قسم الناس جميعاً إصبعا ،
 لأنهم لو وزنوا بإصبعك ماوفوا ؛ أو لأنهم بالقياس إليك كالإصبع من الرجل ، قال .
 الواحدى : وكان هذا المدوح يلقب بذى الإصبع ، وكان له إصبع زائدة : وروى
 الحوارزمى إصبعا - جمع الضبع - يريد . كلهم بالإضافة إليك ضباع لأنك حزت شرفا
 وقدرآ لم ينله إلا أنت . قال ابن وكيع : وهو من قول أبى النعم :

لو كان خلق الله جنبا واحداً وكنت فى جنبٍ لكنت زائداً
 ومن قول عمر بن أبى ربيعة :

ولو سلك الناس فى جانب من الأرض واعتزلت جانباً

ليمت جانبها إننى أرى قربها العجب العاجبا

(٢) يقول : إن كان لا يصح سعى ما جد لجود حتى يفعل مثل فعلك ، فالغيث أبجل
 الساعين بعد ما بينه وبينك ووقوعه دونك ؛ وجعل الغيث أبجل الساعين مبالغة ،
 قال ابن وكيع :

سقيت فكان الغيث أدنى مسافة وأضيق باعا من نذاك وأتصرا

(٣) ابنه - بحذف حرف النداء - أى يا ابنه ؛ وغرة الشخص : طلعه : ومرأى
 ومسمعا : حالان . يقول : قد خلف أبوك العباس لنا طلعتك لنشاهد فضلك وكرمك
 وليبقى ذكرها إلى يوم القيامة .

وقال يرثي أبا شجاع فاتكا ، وقد توفي بمصر سنة خمسين وثلاثمائة ، وكانت هذه
المرثية بعد خروجه من مصر :

الْحُزْنُ يُقْلِقُ وَالتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ وَالْدَمْعُ بَيْنَهُمَا عَصَى طَيْعٌ^(١)
يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّدٍ هَذَا يَجِيءُ بِهَا وَهَذَا يَرْجِعُ^(٢)
النُّومُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ وَاللَّيْلُ مُعَى وَالْكَوَاكِبُ ظُلْمٌ^(٣)
إِنِّي لِأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَتُحْسِنُ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجَعُ^(٤)
وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الْأَعَادِي قَسْوَةً وَيُؤَلِّمُنِي فِي عَتَبِ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ^(٥)

(١) يقول : الحزن لأجل المصيبة يقلقني ، والتجمل - تكلف الصبر - يمنعني عن
التهاك والجزع ، والدمع بين الحالين عاص لدى التجمل فيحتبس مطيع للقلق فينسكب ،
وبذاك يعصى صاحبه تارة ويطيعه أخرى .

(٢) عني بالمسهّد - أي الكثير السهاد ، الممنوع عنه النوم - نفسه . يقول : الحزن
والصبر يتنازعان دموع عيني فالحزن يجيء بها - أي يجرئها والتجمل يردّها .

(٣) يقول : النوم بعد أبي شجاع لا يألّف العين : أي لا تنام العيون بعده حزنا
عليه ، والليل يطول فلا ينقضي ، كأنه قد أعيّا عن المشي - كل من التعب - فانقطع ؛
والكواكب ظلمت - كالمرجى - لا تقدر أن تقطع الفلك فتغرب . يريد طول الليل
لاستيلاء الحزن عليه والهم على قلبه . وعبارة ابن جني : لو كان الليل والكواكب مما
يؤثر فيهما حزن لأثر فيهما موته . وقال الخطيب : إنما أراد أن الليل طويل لفقده
فالليل معي والكواكب ظلمت ما تسر . يريد طول الليل للحزن .

(٤) الحمام : الموت . يقول : أنا جبان عند فراق الأحبة أخافه خوف الجبناء وأشجع
عند الموت في ميدان الوغى فلا أهابه : يعني أن الفراق أعظم خطبا عنده من الموت ،
كما قال أبو تمام .

جليد على عتب الخطوب إذا عرت ولست على عتب الاخلاء بالتجلد
(٥) يقول : إنه صعب على أعدائه لا يلين لهم ، بل يزداد عليهم قسوة إذا غضبوا ،
ويجزع عند عتب الصديق فلا يطيق احتماله ، كما قال أشجع السلمي :

يُعْطِي زَمَامَ الطَّوْعِ إِخْوَانَهُ وَيَلْتَوِي بِالْمَلِكِ الْقَادِرِ

تَصِفُوا الْحَيَاةَ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى فِيهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ^(١)
وَلَيْنَ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ وَيَسُومُهَا طَلَبَ الْمَحَالِ فَتَطْمَعُ^(٢)
أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرَعُ^(٣)
تَتَخَلَّفُ الْآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا حِينًا وَيُذَرِّكُهَا الْفَنَاءُ فَتَنْتَبِعُ^(٤)

وبعد : فإن المتنبي يريد بهذين البيتين عطفه ورقة قلبه عند المودة والملاينة ، وشدته عند المباشطة والمقاومة .

(١) قوله عما مضى : متعلق بغافل ؛ ويتوقع : ينتظر . يقول : إنما تصفوا الحياة لجاهل لا يدرك أحوالها ومصايرها ، أو غافل عما مضى فيها من العبر وما ينتظر في العواقب من انتقضاتها أو أحداثها التي لا يطيق لها احتمالا ، أما العاقل الفطن الذي ينظر إلى الدنيا بعين المعرفة ويتأملها تأمل الدراية ويمثل صوارفها وتصاريضها فانها لاتصفوله .
(٢) يسومها : يكافئها ؛ ويعني بالحقائق : ما لا شك فيه للعاقل ، وهو أن الدنيا على الحقيقة دار غرور وأخطار ، والإنسان فيها على خطر عظيم ، وأن الحياة ، فانية فمن غالط في هذا نفسه ومناها السلامة والبقاء صفا له العيش حين ألقي عن نفسه الفكر في العواقب وسام نفسه طلب المحال من البقاء في السلامة مع نيل المراد فطمعت في ذلك .

(٣) الهرمان : هما الهرم الأكبر والهرم الأوسط - وهما معروفان ، وكل مايتعلق بهما ، وبمن بناهما ، والغاية التي بناها لها : معروف ، فراجعه إن شئت : يقول أين من بناهما ؟ وأين قومه ؟ ومتى كان يوم موته ؟ وكيف كان مصرعه ؟ يعني أنهما بقيا بعد من بناهما واندرس ذكره وذكر قومه ، فما يعرفون ولا يعرف بأى ميتة هلك ، ولا في أى وقت لطول عمر الدهر عليه . يريد أن الدنيا مغبية لأهلها منكرة على من اغتر بها ، وأن الفناء حتم في رقاب العباد ، وأن الجميع صائرون إلى الفناء . وعبرة العكبرى : قوله أين الذي الهرمان من بنيانه : استدلل بينائهما على تمكنه وأقامهما شاهدين على قوته وقدرته : أى أين هو وقوته ؟ وأين قومه وكثرتهم ؟ وأين عددهم وعددهم ؟ أما عفت الدنيا آثار ملكه وأفته ؟ أما فرقته شمله وشتته ؟ أما في بطن الأرض غيبته ؟ وكأنه في هذا ينظر إلى قول عدى بن زيد :

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشَرُ وَإِنْ أَمَّ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ

يريد أن الفناء حتم في رقاب العباد ، وأن الجميع صائرون إلى الفناء .

(٤) يقول : إن الآثار تبقى بعد أصحابها حيناً من الدهر تدل على تمكنهم وقوتهم

لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أَبِي شُجَاعٍ مَبْلَغٌ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ يَسَعَهُ مَوْضِعٌ^(١)
كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا فَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلَقَعَ^(٢)
وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَبَنَاتُ أُعُوجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ^(٣)
الْمَجْدُ أَخْسَرُ وَالْمَكَارِمُ صَافِقَةٌ

مِنْ أَنْ يَعْيشَ لَهَا الْكَرِيمُ الْأَرْوَعُ^(٤)

وسطوتهم ثم ينالها بعدهم ما نالهم من الفناء فتذهب كما ذهب أصحابها وهذه شنشنة الدنيا مع أهلها ، والمعهود من تصاريقها .

(١) يقول : إنه - بعد مرتقى همته - لم يكن يرضى بمبلغ يبلغه في الملا حتى يطلب ما فوقه ، ولم يكن ليسعه موضع من الأرض لأنه لا يشبع طموحه .

(٢) البلقع : الخالي . يقول : كنا نظنه صاحب ذخائر من الأموال فلما مات لم يخلف مالا لأنه كان جواداً معطاء .

(٣) وإذا : عطف على وكل دار بلقع - في البيت السابق - وكل روى بالرفع وبالنصب والتقدير على الرفع . كل شيء يجمعه وعلى النصب يجمع كل شيء من هذه الأشياء . يقول : وإنما كل ما كان يجمعه في حياته المكارم والأسلحة والخيول ، أما الذهب فلا ، لأنه كان يفرقه بالعطاء ، فبنات أعوج : يعنى الخيل ؛ وأعوج : خيل مشهور من خيل العرب ، تنسب إليه الخيل الأعوجية ؛ قيل سمي بذلك لأن غارة وقعت على أمحابه ليلا وكان مهرا ، ولضنهم به حملوه في وعاء على الإبل حين هربوا من الغارة ، فاعوج ظهره وبقي فيه العوج ، فلعب بالأعوج ؛ وقد جاء في معنى بيت المتن شعر كثير للجاهليين ومن بعدهم ، وقد قائلهم :

إِذَا خَزَنَ الْمَالَ الْبَخِيلُ فَإِنَّمَا خَزَائِنُهُ خَطِيئَةٌ وَدَرُوعٌ

وقال مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة يرثيه :

وَلَمْ يَكْ كَنْزُهُ ذَهَبًا وَلَكِنْ حَدِيدَ الْهِنْدِ وَالْحَلَقَ الْمَذَلَّالَ

(٤) الأروع : الذكي الفؤاد . يقول : إن المجد والمكارم أخسر صفقة وأتقص حظا من أن يعيش لها هذا المرثى ؛ يعنى أنها شقيت لذهاب من كان يحفظها ويجمع ثمرها وقال العكبري - عند إعراب قوله المجد أخسر والمكارم صفقة : إذا جعلت التقدير المجد والمكارم أخسر صفقة اختل ، لأنك تفصل بالمكارم بين أخسر وبين صفقة ،

وهي منصوبة بأخسر - التي هي عطف على المجد - وهذا غير جائز ، لأن صفقة تحمل من أخسر محل الصلة من الموصول ؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول زيد أحسن وعمرو وجها ، ولكن لك أن تصرفه إلى وجه آخر ، وهو أن تجعل المكارم عطفاً على الضمير في أخسر ؟ فإن عطفه على الضمير الذي فيه لم يكن أجنياً منه ، فلا يعد فصلاً بينهما وبين صفقة ، فيصير نحو قولك : مررت برجل أكل وعمرو خبزاً ، بعطف عمرو على الضمير في أكل ونصب خبزاً بأكل ، وفي نوادر أبي زيد :

نخیر نحنُ عند البأسِ منكم إذا الدّاعی الثّوبُ قال يالاً^(١)

فلا يجوز أن يكون نحن : مرفوعاً بالابتداء ، ومنكم : متعلق بنخیر - على أن يكون «خير» خبر المبتدأ - لثلاث فصلات «نحن» بين «خير» ومنكم ، ولكن يجوز أن يكون «نحن» توكيداً للضمير في «خير» ويكون «خير» خبر مبتدأ محذوف ، فكأنه قال : فنحن خير عند الناس منكم ؛ وحسن حذف «نحن» الأولى التي هي مبتدأ للمجئ الثانية توكيداً للضمير في «خير» ، ويجوز وجه آخر وهو أن تنصب « صفقة » بفعل مضمّر يدل عليه «أخسر» ، وتجعل «المكارم» عطفاً على «المجد» - لا على الضمير في «أخسر» فلا تكون على هذا قد فصلت بين ما يجري مجرى الصلة والموصول ، فيصير التقدير : المجد أخسر والمكارم أيضاً كذلك ، ثم قال صفقة وكأنه قال خسرت صفقة فدل أخسر على خسرت كما دل أعلم في قوله تعالى «إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله» على يعلم

(١) بعده :

ولم تثقِ العواتقُ من غيورٍ بغيرتهِ وخَلينِ الحُجْبالا

وقد نسب أبو زيد في نوادره هذين البيتين لزهير بن مسعود الضبي ولأئمة النحاة في إعراب «نخیر نحن» كلام كثير لا متسع لإيراده هنا والبأس : الشدة والقوة : والثوب : الذي يدعو الناس يستنصرهم ؛ والأصل فيه أن المستغث إذا كان بعيداً يتعري ويلوح بثوبه رافعاً صوته ليري فيغاث ؛ ويالا : أراد يالفلان ، أو يالبنی فلان . وجملة لم تثق : عطف على مدخول إذا ؛ والعواتق : جمع عاتق ، وهي التي خرجت عن خدمة لأبيها وعن أن يملكها الزوج ، والحجال : جمع حجلة ، وهو بيت كالقبة . يريدأنهن في يوم فزع أو غارة لا يثقن بأن يحمهن الأزواج والآباء والإخوة ، فنحن عندهن أوثق منكم

وَالنَّاسُ أُنْزِلُ فِي زَمَانِكَ مَزْلًا
بَرْدٌ حَشَايَ إِنْ أَسْتَطَعْتَ بِلَفْظَةٍ
مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا
وَلَقَدْ أَرَاكَ وَمَا تُنِمْ مُلِيَّةٌ
وَيَدٌ كَأَنَّ قِتَالَهَا وَنَوَالَهَا
فَرَضٌ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهُوَ تَبَرُّعٌ^(٥)
مِنْ تَعَايَشِهِمْ وَقَدْرُكَ أَرْفَعُ^(١)
فَلَقَدْ تَضَرُّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ^(٢)
مَا يُسْتَرَابُ بِهِ وَلَا مَا يُوجِعُ^(٣)
إِلَّا نَقَاهَا عَنْكَ قَلْبٌ أَصْغَعُ^(٤)

أو علم ، فيكون «من يضل» : منصوبا بالفعل الذى دل عليه «أعلم» ، وإنما حملناه على ذلك هربا من أن يكون «من يضل» فى موضع جر بالإضافة إلى «أعلم» ، لأن الأعم أفضل ، وأفضل إذا أضيف إلى شيء كان بعضا له ؛ نحو قولك زيد أكرم الناس ، فلا بد أن يكون من الناس ؛ ولا تقل زيد أفضل النعم لأنه ليس من النعماء فكذلك لا يجوز أن تضيف «أعلم» إلى «من يضل» لأن الله تعالى لا يكون بعض الضالين .
(١) يقول : إن الناس فى زمانك أقل قدرا من أن تكون بينهم مخالطهم وتعاشرهم ، وقدرك أجل من أن تعيش أهل هذا الزمان .

(٢) يقول : كلنى كلمة وأسمعنى منك لفظة إن قدرت عليها ليسكن ما فى قلبى من لوعة الحزن ، فلقد كنت فى حياتك تضر — إذا تشاء — أعداءك ، وتنفع أوليائك : أى فانتفعى بكلامك

(٣) يقال استراب به : أى رأى منه ما يريه ؛ أى يقلقه . يقول : لم يكن منك إلى أخلائك قبل هذه المرة : أى قبل أن تلجمهم بنفسك : ما يريهم منك أو يوجعهم ، فلما فقدت أو جعت قلوبهم وأبكيت عيونهم .

(٤) الأصمغ : الذكى الحاد ؛ وقوله وماتلم : حال . يقول : كنت أراك فى حال حياتك وما تنزل بك نازلة من نوازل الدهر إلا دفعها عنك قلب ذكى .

(٥) يقول : ونقاها عنك بد غششتها إعطاء الأولياء وقتال الأعداء حتى لكان النوال والقتال واجبان عليها ، وهما تبرع لا وجوب ، وفى هذا يقول أبو تمام :

ثَوَى مَالَهُ نَهَبُ الْمَعَالَى فَأَوْجِبَتْ عَلَيْهِ زَكَاةُ الْجُودِ مَا لَيْسَ وَاجِبًا
ويقول ابن الرومى :

مَلِكٌ لَا يَرَى اللَّهَ تَسْتَحِقُّ الْوَسَائِلَا

يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لَا تُنَزَعُ^(١)
مَا زِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا حَتَّى لَبِستَ الْيَوْمَ مَا لَا تَخْلَعُ
مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرِ فَادِجٍ حَتَّى أَنَّى الْأَمْرُ الَّذِي لَا يَدْفَعُ^(٢)
فَطَلَلْتَ تَنْظُرُ لَا رِمَاحُكَ شُرْعٌ فِيمَا عَرَكَ وَلَا سِيُوفُكَ قُطْعٌ^(٣)
بِأَبِي الْوَحِيدِ وَجَيْشُهُ مُتَكَائِرٌ يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ السَّلَاحِ الْأَذْمُعُ^(٤)
وَإِذَا احْصَلْتَ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ فَحَشَاكَ رُغْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ^(٥)

وَيَرَاهَا فَرَانِضًا وَتُسَمَّى نَوَافِلًا

ويقول آخر :

أَغْرُهُ مَتَى تَسْأَلُهُ جَادَ فَرِيضَةً وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْأَلْهُ جَادَ تَبْرَعَا
(١) يريد : يا من كان في حياته يلبس كل يوم لباساً جديداً . . إذ يخلع اللبوس على من يقصده — كيف ترضى أن تلبس الآن حلة لا تخلع ؟ يعني الكفن — والحلة : اللباس من ثوبين — إزار ورداء — ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين .
(٢) الفادح : الذي يشغل حمله ، وفي هذا المعنى يقول الحماسي :
دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تُرِيدُكَ لَمْ نَسْطِيعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعَا
(٣) عراك : أصابك ونزل بك ؛ وشرع الرمح : بسط اليد به وسدده . يقول : ظلمت — أقت — تنظر إلى الموت نظر العاجز لم تعمل رماحك ولا سيوفك في دفع ما نزل بك ؛ إذ لا مدفع للموت .
(٤) بأبي : تغذية . وقوله وجيشه متكائر : حال من ضمير الوحيد ؛ ومتكائر : خبر أول لجيشه ؛ ويبكي : خبر ثان . يقول : إنه — مع كثرة جيوشه — كان وحيداً من الأنصار ، فلم يكن لجيوشه غناء فيما نزل به غير البكاء ، ولا عدة غير الدموع ، مع أن الدموع من شر الأسلحة ، لأنها تضر صاحبها ولا تغني شيئاً عند المصيبة . وقد فسر هذا في البيت التالي .
(٥) رعت : أفزعت وأخفت ؛ وتقرع : تضرب . يقول : إذا لم يكن لك سلاح غير البكاء فلا غناء في البكاء ؛ إنما تروع به القلب وتقرع به الحد : أى أنه لا يجدي ولا يدفع شيئاً .

(٢ — المعنى ٣)

وَصَلَتْ إِلَيْكَ يَدٌ سَوَاءٌ عِنْدَهَا الْبَارِزُ الْأَشْهَبُ وَالْغَرَابُ الْمُلْبَقُ (١)
 مَنِ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ وَالشَّرَى فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَبْرًا لَا يَطْلُعُ (٢)
 وَمَنِ اتَّخَذَتْ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً ضَاعُوا وَمِثْلَكَ لَا يَكَادُ يَضِيعُ (٣)
 قُبْحًا لَوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بَرْقِعٌ (٤)

(١) الأشهب - تصغير الأشهب - وهو الذي غلب عليه البياض ؛ والأبقع : الذي في صدره بياض ، وهو في الطير والسكلاب ، كالأبلق في الدواب . يقول : وصلت إليك - مخاطب المرتضى - يد - يريد يد النية - سواء لديها الصغير والكبير والشريف والوضيع فالبارزى مثل للشريف ، والغراب مثل للوضيع . ويروى ألباز الأشهب - بقطع همزة آل : من الباز - ووصل همزة أشهب بناء على أن همزة آل قد وقعت في أول الشطر الثاني ، فكأنه أخذ في بيت ثان ، كما قال حسان :

لَتَسْمَعُنَّ وَشَيْكََا فِي دِيَارِكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عِمَانَا
 وقال الآخر :

حَتَّى أَتَيْنَ فَتًى تَأْبَطُ خَائِفًا السَّيْفَ فَهُوَ أَخُو لِقَاءِ أَرْوَعُ

(٢) المحافل : جمع محفل ، وهو المجتمع ؛ والجحافل : جمع جحفل ، العسكر العظيم . والسرى : يريد سير الجيوش ليلاً للغارة ، والنير : الكوكب الكثير النور ؛ والنيران : الشمس والقمر . يقول - متفجعاً عليه - : من للمحافل في إرشاد جماعتها ، والجحافل في تصريف كتابتها ، والسرى عند انتهاز فرص الحرب ، وطلب الغرة من الأعداء في الغزو ، ولقد فقدت بفقدك المرشد الذي كانت تستمد برأيه ، والنير الذي كانت تهتدى بضوئه ، فعدمت ما كانت تعهده عنده ، وغرب غروباً لا يطلع بعده ، قاله العكبرى .

(٣) يقول : ومن الذي اتخذته خليفة لك على ضيوفك الذين كنت تسر بقراهم ؟ لقد ضاع قصائدك بعدك ومثلك من لا يضيع في حياته قاصده .

(٤) يقول : قبح الله وجهك يا زمان فإن وجهك وجه توافرت فيه القبايح ؛ فكأنه اتخذ القبايح برقعا . فقله : قبحاً ، مفعول مطلق نائب عن عامله - من قولهم قبحه الله : أى أقصاه ونحاه عن الخير ؛ واللام من قوله . لوجهك : لبيان المفعول . كما يقال سقياه ؛ والقبح - في المصراع الثاني - الحسن .

أَيَمُوتُ مِثْلُ أَبِي شُجَاعٍ فَاتِكَ وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخُلْعِيُّ الْأَوْكِعُ^(١)
 أَيْدٍ مُقَطَّعَةً حَوَالِي رَأْسِهِ وَقَفَا يَصِيحُ بِهَا أَلَا مَنْ يَصْنَعُ^(٢)
 أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبَ أَبْقَيْتَهُ
 وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ^(٣)
 وَتَرَكَتَ أَنتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ^(٤)
 فَالْيَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَخْشٍ نَافِرٍ دُمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَلَّعُ^(٥)

(١) الأوكع في الأصل : الذي أقبلت إبهام رجله على السبابة حتى يرى أصلها خارجا كالعقدة ، وأكثر ما يكون ذلك للاماء اللواتي يكددن في العمل ، ويقولون أمة وكعاء : أى حمقاء ، وعبد أوكع : أى أحمق أو لثيم . والاستفهام هنا : للتعجب ، يتعجب من موت أبي شجاع فاتك في جوده وفضله مع بقاء حاسده - يعنى كافورا - الأحمق أو اللثيم . وفاتك : يروى بالرفع . وبالجبر ؛ فالرفع على أنه بدل من مثل ، والجبر بدل من أبي شجاع .

(٢) يقول : إن كافورا لسقوطه أهل للاذلال ، فكأن قفاه يصيح ألا من يصنع ؛ ولكن للأيدى التى حوله مقطعة لا تقدر على صفعه : أى ليس عنده من فيه خير . إذ رضوا بأن يملك عليهم مثله . يهجو من حوله من أصحابه لرضاهم بمثله وتأخرهم عن الإيقاع به . وهذا استطراد من التنبي ، إذ خرج إلى هجم كافور وأصحابه من رثاء فاتك .

(٣) يخاطب الزمان . يقول أبقيت أكذب الكاذبين الذين أبقيتهم ؛ أى هو - كافور - أكذب من بقى من الكاذبين ؛ وأخذت أصدق القائلين والسامعين - أى أصدق الناس - يعنى الرثى . فقولاه أبقيته : صفة لكاذب ، و«من» : نكرة موصوفة بالجملة بعدها .

(٤) الريحه والريح : واحد ، وتضوع : تفوح .

(٥) يقول : بعد موتك قرت دماء الوحوش ، وكانت كأنها تتطلع للخروج من أبدانها خوفا منك وجزعا . يعنى أنه كان صاحب طرد وصيد بمواصلته الغزوات وتبديه في الغلوات ، فبعموته قرت دماء الوحوش . قدمه : فاعل قر . وقوله وكان : الضمير للدم . والواو : واو الحال . ويقال دابة نافر ، ولا يقال ... والتطلع : الاستشراف

وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السَّيَاطِ وَخَيْلُهُ وَأَوْتُ إِلَيْهَا سُوقَهَا وَالْأَذْرُعُ (١)
وَعَفَا الطَّرَادُ فَلَا سِنَانٌ رَاعِفٌ فَوْقَ الْقَنَاةِ وَلَا حَسَامٌ يَلْمَعُ (٢)
وَلَى وَكُلُّ مُخَالِمٍ وَمُنَادِمٍ بَعْدَ اللُّزُومِ مُشِيعٌ وَمُودِعٌ (٣)
مَنْ كَانَ فِيهِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَلْجَأٌ وَلِسَيْفِهِ فِي كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعٌ (٤)
إِنْ حَلَّ فِي فُرْسٍ فِيهَا رَبِّهَا كِسْرَى تَذِلُّهُ الرِّقَابُ وَتَخْفَعُ (٥)
أَوْ حَلَّ فِي رُومٍ فِيهَا قَيْصَرٌ أَوْ حَلَّ فِي عُرْبٍ فِيهَا تَبَعٌ (٦)

(١) ثمر السياط : العقد التي تكون في عذباتها . وأوت : عادت إليها ورجعت . والسوق : جمع ساق . يقول : حصل بموته الصلح بين الخيل والسياط لأنه أبدا كان يضربها بسياطه لتركض في قصد عدو أو طرد أو إغاثة مستصرخ، وهي - في شدة جريها أو كثرتة - كأن سوقها وأذرعها ليست منها ، كأنها كانت ترميها عن أنفسها . والآن لما ترك ركضها صارت أيديها وأرجلها كأنها عادت إليها .

(٢) يعنى بالطراد : مطاردة الفرسان في الحرب ؛ وعفا : درس وذهب ؛ والراعف الذي يسيل منه الدم - من رعا ف الأنف - والقناة : الرمح . والحسام : السيف القاطع يقول : ذهب ذلك واندرس بموته ؛ قال ابن وكيع : ومعنى البيتين من قول التيمي :

تَرَكْتُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِيَّ مُحَلَّاةٍ وَقَدْ حَانَ الْوَرُودُ

وَعَادَرْتُ الْجِيَادَ بِكُلِّ مَرَجٍ عَوَاطِلَ بَعْدَ زَيْنَتِهَا تَرُودُ

(٣) و (٤) المخالم : الصديق ؛ وأصل الخلم : مريض الظبية أو كناسها تتخذه مألفا وتأوى إليه ، فهو من هذا ؛ والنادم : النديم ؛ وشيع الرجل : خرج معه عند الوداع ؛ و « من » - في البيت الثاني - فاعل ولي ؛ والمرتع : المرعى . يقول : ولي وذهب من كان ملجأ أوليائه ، وكان لسيفه مرتع في كل قوم من أعدائه وكل من كان يؤمه ويعول عليه وينادمه مشيعون غير مؤانسين ومودعون غير ملازمين . وذلك عند تشييعه إلى القبر .

(٥) و (٦) يقول ؛ إنه كان عظيما أينما كان حتى لو حل في العجم لكان ملكهم كسرى ، وكذلك في كل قوم ؛ فقوله ففيها : أى فهو فيها ؛ ومثله في البيت الثاني ؛ وكسرى : بيان لرب ؛ والجملة بعده : حال .

قَدْ كَانَ أَسْرَعَ فَارِسٍ فِي طَفْنَةٍ فَرَسًا وَلَكِنَّ النَّيْبَةَ أَسْرَعَ^(١)
لَا قَلْبَتِ أَيْدِي الْفَوَارِسِ بَعْدَهُ رُمْحًا وَلَا حَمَلَتْ جَوَادًا أَرْبَعَ^(٢)

وقال في صباه :

بِأَبِي مَنْ وَدِدْتُهُ فَأَفْتَرَقْنَا وَقَضَى اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَجْتِمَاعًا^(٣)
فَأَفْتَرَقْنَا حَوْلًا فَلَمَّا التَقَيْنَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعًا^(٤)

* * *

-
- (١) فرساً : نصب على التمييز . يقول : كان أسرع الفرسان في الطعان ؛ أى كان إذا طعن لم يدرك ، ولكن النية كانت أسرع منه فأدركته .
(٢) يقول : إن الفرسان لا يحسنون الركض ولا الطعان بعده ؛ فهو يقول - على طريق الدعاء - : لا حمل الفرسان بعده رمحاً ولا حملت الحيل قوائمها .
(٣) بأبى : هذه الباء باء التفدية ؛ أى أفدى بأبى من وددته : أى جعل فداء له .
(٤) يقول : كان تسليمه على عند اللقاء توديعاً للفراق ثان . وفى هذا يقول على ابن جبة العكوك :

رَكِبَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ ثُمَّ مَا سَلِمَ حَتَّى وَدَّعَا
ويقول الآخر :

بِأَبِي وَأُمِّي زَائِرٌ مُتَقَنِّعٌ لَمْ يَخْفِ ضَوْءُ الْبِدْرِ تَحْتَ قِنَاعِهِ
لَمْ أَسْتَمِ عِناقَهُ لِلْقَائِهِ حَتَّى ابْتَدَأَتْ عِناقَهُ لِوَدَاعِهِ

قافية الفاء

وقال وقد سأله سيف الدولة عن وصف فرس يهديه إليه :

مَوْقِعُ أَنْخِيلٍ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفُ
وَلَوْ أَنَّ الْجِيَادَ فِيهَا أُلُوفُ^(١)
وَمِنَ اللَّفْظِ لَفِظَةُ تَجَمُّعِ الْوُصْفِ وَذَاكَ الْمَطْهَمُ الْمَعْرُوفُ^(٢)
مَالَنَا فِي النَّدَى عَلَيْكَ اخْتِيَارُ
كُلُّ مَا يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ^(٣)

(١) الطفيف : القليل الحقير - من قولهم : طف له الشيء ، وأطف ، واستطف : إذا أمكن ؛ فالطفيف : الممكن غير المتعذر . يقول : إن عطايك من الكثرة بحيث يعد ما أهديته من الخيل بالقياس إليها نذرا قليلا ، ولو كان في الخيل التي تهبها ألوف من الجياد .

(٢) المظم : التام الجمال . يقول : إن من الألفاظ التي توصف بها الخيل لفظة واحدة تجمع أوصافها ، وتلك اللفظة هي لفظة المظم ؛ يعنى أنك أمرتني أن أختار وصف فرس تهب إلى ، والذي أختاره هو المظم ، وهو المعروف عند أهله : أى أنه متى أطلق عند أرباب الخيل عرف أن ما يوصف به هو التام المحاسن الخالي من العيوب والإشارة بقوله وذلك ، إلى الوصف ، لأن المظم وصف .

(٣) يقول : إنك سألتني الوصف ، فذكرت وصفا واحداً امتثالاً لأمرك ، فأما الذي عندي فهو أنه لا اختيار لنا عليك فيما تهب ، لأن ما تمنحه جليل شريف ، لأنك جليل شريف .

وأهدى إليه رجل يعرف بأبي دلف بن كنداج هدية وهو معتقل بمحص ، وكان قد بلغه أنه ثلبه عند الوالى الذى اعتقله ؛ فكتب إليه من السجن (*) :

أَهْوَنُ بِطُولِ الثَّوَاءِ وَالتَّلَفِ وَالسَّجْنِ وَالْقَيْدِ يَا أَبَا دُلْفٍ (١)
غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبْلْتُ بَرَكَ بِي
وَالْجُوعُ يُرْضِي الْأُسُودَ بِالْجَيْفِ (٢)

(*) كان أبو دلف هذا سجان الوالى الذى اعتقله وكار سديقاله من قبل . قال صاحب المصباح النبى : لما اشتهر أمر المتنبي ، وشاع ذكره ، وخرج بأرض سليه - من عمل حمص فى بنى عدى - قبض عليه ابن على الهاشمى فى قرية يقال لها « كوتكين » وجعل فى رجله وعنته خشبتين من خشب الصنصاف ، فقال المتنبي .

زَعَمَ الْمُقِيمُ بِكُوتَكَيْنَ بِأَنَّهُ مِنْ آلِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ
فَأَجَبْتُهُ مَذْصِرْتٍ مِنْ أَبْنَائِهِمْ صَارَتْ قِيُودُهُمْ مِنَ الصَّنِصَافِ
ولما طال اعتقاله فى الحبس كتب إلى الوالى .

يَبْدَى أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْأَرِيبُ لَالشَّيْءُ إِلَّا لِأَنَّى غَرِيبُ
أَوْ لَأَمْ لَمْ لَمَّا إِذَا ذَكَّرْتَنِي دَمَ قَلْبٍ بِدَمْعِ عَيْنٍ يَذُوبُ
إِنْ أَكُنْ قَبْلَ أَنْ رَأَيْتَكَ أَخْطَا تَفَانِي عَلَى يَدَيْكَ أَتُوبُ
عَائِبٌ عَائِبِي لَدَيْكَ وَمِنْهُ خُلِقْتُ فِي ذَوِي الْعُيُوبِ الْعُيُوبُ
وهاتان القطعتان ليستا فى الديوان ونجدهما فى التذييل .

(١) أهون بكذا . أى ما أهونه - صيغة تعجب - والثواء . الإقامة . يريد مقامه فى السجن . يقول . ما أهون على هذه الأشياء ! أى أنى وطنت نفسى عليها ، ومن وطن نفسه على شيء هان عليه - وإن اختلف - كما قال كثير .

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطنت يوماً لها النفس دلت
ولأنه شجاع قوى القلب صبور لا يهوله ذلك .

(٢) غير اختيار : حال ؛ والمصدر : فى تأويل اسم الفاعل ؛ والبر . الإحسان . يعنى به الهدية . وكان أبو دلف هذا قد بر المتنبي وهو فى السجن وأهدى إليه هدية .

كُنْ أَيُّهَا السَّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ فَقَدْ وَطَنْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُفْتَرِفٍ (١)
لَوْ كَانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنَقَصَةً لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدْفِ (٢)

يقول : قبلت برك بي اضطرارا - لا اختيارا - لاحتياجي إليه ، كالأسد يرضى بأكل
الجيف إذا لم يجد غيرها لحما . وفي مثل هذا يقول المهلبى الوزير .

مَا كُنْتُ إِلَّا كُلْخِمٍ مَيِّتٍ دَعَا إِلَى أَكْلِهِ اضْطِرَّارُ
ومثله لأبى على البصير :

لَعَمْرُ أَيْكَ مَا انْتَسَبَ الْمَلَى إِلَى كَرَمٍ وَفَى الدُّنْيَا كَرِيمُ
وَلَكِنْ الْبِلَادُ إِذَا اقْشَعَرَّتْ وَصَوَّحَ نَبْتَهَا رُحَى الْمَهْشِمِ
ومثله قول الآخر :

فَلَا تَحْمَدُونِي فِي الزَّيَارَةِ لِمَنْقَى أَزُورُكُمْ إِذْ لَا أَرَى مُتَعَلِّلًا
ومثله :

خُذْ مَا أَتَاكَ مِنَ اللَّثَا حِينَ إِذَا نَأَى أَهْلُ الْكَرَمِ
فَالْأُسْدُ تَفْتَرِسُ الْكَلَا بَ إِذَا تَعَذَّرَتْ الْغَنَمُ

(١) المعترف : الصابر على ما يصيبه ، ووطن نفسه : مهدها وذلكها . يقول
- للسجين - : كن كيف شئت من الشدة ، فإنى صابر عليك .

(٢) السكى . اسم بمعنى السكون . يقول : لو كان نزولى فيك يلحق بى قصا
لما كان الدر على شرف قدره ساكنا فى الصدف الذى لا قدر له . شبه نفسه فى السجن
بالدر فى الصدف . قالوا : وهو من قول أبى هسان .

تَمَجَّبَتْ دُرٌّ مِنْ شَيْبَى فَقَلَّتْ لَهَا لَا تَعْجِبِ فَطُلُوعَ الْبَدْرِ فِي الشَّدْفِ
وَزَادَهَا عَجَبًا أَنْ رُحْتُ فِي سَمَلٍ وَمَا دَرَّتْ دُرٌّ أَنْ الدَّرَّ فِي الصَّدْفِ

وقال يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي :

لِحَنِتِّهِ أَمْ غَادَهُ رُفِيعَ السَّجْفِ لَوْحَشِيَّةٍ لَا مَا لَوْحَشِيَّةٍ شَنْفٌ ^(١)
نُفُورٌ عَرَّتْهَا نَفْرَةٌ فَتَجَادَبَتْ سَوَالِفُهَا وَالْحَلَى وَالْخَصْرُ وَالرَّدْفُ ^(٢)

(١) لحنية : أراد اللحية ؛ لحذف همزة الاستفهام ؛ وقد جاء مثله في الشعر ، أنشد
سيبويه للأسود بن ينفّر :

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا شُعَيْثُ بْنُ سُهَيْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مُنْقَرٍ ^(١)
ولعمري بن ربيعة .

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا بِسَمِيعِ رَمَيْنِ الْجَمْرِ أَمْ بِنَانٍ ^(٢)
والعادة والفيداء : المرأة الناعمة ؛ والسجف : جانب السر إذا كان بصفيين ، وقوله
لوحشية : يجوز أن يكون استفهاما - كالأول - ويجوز أن يكون جوابا لنفسه ، كأنه
قال : ليس لحنية ولا لفادة ، بل هو لوحشية - أى لظبية وحشية - ثم رجع منكرا
على نفسه فقال : ما لوحشية شنف - والشنف : ما يعلق في أعلى الأذن - يعنى أن
السجف الذى رفع إنما رفع لإنسية لأن عليها شنفا ، واللوحشية لا شنف لها . يتعجب
من محاسن المحبوبة يقول : هذه التى رفع لها السجف جنية أم امرأة حسناء ؟ والعرب
إذا بالغت فى مدح شيء جعلته من الجن ، كما قال قائلهم :

جَنِيَّةٌ أَوْ لَهَا جِنٌّ يُعَلِّمُهَا رَمَى الْقُلُوبَ بِقُوسٍ مَالِهَا وَتَرُّ

(٢) السوالف : جمع السالفة ، صفحة العنق . وعمرتها : أصابتها ؛ والمراد بالحلى
هنا : عقدها . يقول : هى نفور طبعها وأصابتها نفرة حادثة فاجتمعت نفرتان : نفرة
أصلية ، ونفرة من رؤية الرجال فتجادبت سواففها والحلى : يعنى أن العقد الذى كانت
تحلى به جذب عنقها بشقه ، والعنق أمسكه ، فحصل التجاذب ، وردفها يجذب خصرها
لعظم الردف ودقة الخصر . هذا : والحلى مفرد حلى وحلى .

(١) يقول : ما أدرى أشعث من بنى سهم أم هم من بنى منقر ؟ وشعث حتى من تميم
ثم من بنى منقر ، فجعلهم أدياء ، وشك فى كونهم منهم أو من بنى سهم ، وسهم هنا
حتى من قيس . قال الشنتمرى : ويروى شعيب - بالباء - وهو تصحيف :

(٢) يقول : ألهانى النظر إلهم واشتغال البال بهم عن تحصيل ريمهن الجمار «منى»
وعلم عدد المرات : أهى سبع أم ثمان ؟

وَحَيْلٌ مِنْهَا مِرْطُهَا فَكَأَنَّمَا تَنْثَى لَنَا خُوطٌ وَلَا حَظَنًا خِشْفٌ^(٢)
 زِيَادَةُ شَيْبٍ وَهِيَ نَقْصُ زِيَادَتِي وَقُوَّةُ عِشْقِي وَهِيَ مِنْ قُوَّتِي صَفْ^(٣)
 هَرَاقَتِ دَمِي مَنْ بِي مِنَ الْوَجْدِ مَا بَهَا
 مِنْ الْوَجْدِ الشَّوْقُ لِي وَلَهَا حِلْفٌ^(١)

(١) المرط : كساء من صوف أو خز ؛ وخيل منها مرطها : أى مثلها - من قوله تعالى : « ويخيل إليه من سخرهم أنها تسعى » ، أى يرون ذلك كالحيال . فالجار من قوله منها : زائد ، كما فى قولهم : جاء يهز من عطفيه ؛ والخطوط : الفصن ؛ والحشف : ولد الظبية . يقول . إن مرطها - ثوبها - أرانا ومثل لنا صورتها لدى تلك النفرة ، فإذا هى كفنن بأن يتثنى ، وظبي يرنو - ينظر - وخص القامة واللحظ لأن المرط ستر محاسنها ولم يستر القد ولا اللحظ . وروى ابن جنى : وخبل - بالباء الواحدة - والخبل : الذى قطعت يده ، هذا أصله ؛ والمراد أن مرطها ستر محاسنها ، فكأن ذلك خبل منه لها . قالوا : وهو ينظر إلى قول ابن الرومى :

إِنْ أَقْبَلْتُ فَالْبَدْرُ لَاحَ وَإِنْ مَشَتْ فَالْفِصْنُ مَالٌ وَإِنْ رَنْتَ فَالرَّيْمُ

(٣) يقول : حالى - أو شأنى - زيادة شيب ، وهذه الزيادة على الحقيقة نقص زياتى أى نقص ما ازددت من الشباب ، وقوة عشق ، وهذه القوة ضعف : أى كلما قوى العشق ضعفت قوة البدن ، كما قال القائل :

وَأَسْرُهُ فِي الدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ زِيَادَتِي فِيهَا هُوَ النِّقْصُ

وكما قال المتنبي - وقد تقدم - :

مَتَى مَا أَزْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهَى فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِي فِي أَزْدِيَادِي

(٢) هراقت : أراقت ، والهاء : بدل من الهزمة ؛ والحلف : اللزام . يقول :

أراقت دمي بمحبتها تلك التى أجدها من الحب ما تجذبني والشوق لي ولها ملازم ، أى أنى أحبها كما تحبني ، وأشتاق إليها كما تشتاق لي . قال ابن جنى : لو أمكنه أن يقول : بى من الوجد بها ما بها من الوجد بى لكان أشد اعتدالا ، لكنه - للوزن - حذف بعضه للعلم . كما قال أبو تمام :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْبِلَادَ رَأَيْتَهَا تُثْرِي كَمَا تُثْرِي الرِّجَالَ وَتَعْدِمُ

أَرَادَ كَمَا يَعدِمُونَ ، حَذَفَ

وَمَنْ كَلَّمَا جَرَدَتْهَا مِنْ ثِيَابِهَا كَسَاهَا ثِيَابًا غَيْرَهَا الشَّعْرُ الْوَحْفُ^(١)
وَقَابَلَنِي رُمَاتَنَا غَضْنَ بَانَةً يَمِينُ بِهِ بَذَرٌ وَيُمَسِّكُهُ حِقْفُ^(٢)
أَكِيدُ لَنَا يَا بَيْنُ وَاصَلْتَ وَصَلْنَا فَلَا دَارُنَا تَدْنُو وَلَا عَيْشُنَا يَصْفُو^(٣)
أَرَدَدُ وَبِلِي لَوْ قَضَى الْوَيْلُ حَاجَةً وَأَكْثَرُ لَهْفِي لَوْ شَفَى غَلَّةٌ لَهْفُ^(٤)
ضَنَى فِي الْهَوَى كَالشَّمِّ فِي الشَّهْدِ كَامِنًا لَذَذْتُ بِهِ جَهْلًا وَفِي اللَّذَّةِ الْحَتْفُ^(٥)
فَأَفَنِي وَمَا أَفْتَنَهُ نَفْسِي كَأَنَّمَا أَبُو الْفَرَجِ الْقَاضِي لَهُ دُونَهَا كَهْفُ^(٦)

(١) الوحف : الكثير الملتف . يقول : إن لها من الشعر الكثيف الملتف ما يقوم لها في سترها إذا عريت من الثوب مقام الثوب ، وهذا ينظر إلى قول القائل : رأت عين الرقيب على تدان فأسبلت الظلام على الضياء

(٢) الحقف : ما اعوج من الرمل ؛ وأراد بالرماتين : ثديها ؛ وبالغصن : قدها وبالبدر : وجهها ؛ وبالحقف : ردفها ، يعني : أنها قامت عند الوداع بحذاءي فقابلني من ثديها رماتان على قد كالغصن يميله وجه كالبدر ؛ والمعنى أنها إذا قصدت شيئا بوجهها مالت إليه نحو الوجه ، فكان وجهها يميل قامتها ، ثم يمسك الردف بثقله قامتها الخفيفة ، فلا تقدر على سرعة الحركة .

(٣) أكيداً : أى أتأكد كيداً ؟ فهو منصوب على المصدر . يقول : أتأكد لنا أيها البين - البد - فتواصل وصلنا - أى تلازمه ؟ - أى كلما تواصلنا تعرض لنا ففترقنا فلا تدنو لنا دار ولا يصفو لنا عيش ؟ ومثله للبحترى :

فوا أسنى لو قاتل الأسفُ الجوى ولَهْفِي لَوَأْنِ اللَّهْفِ مِنْ ظَلَمِي يُجْدِي

(٤) ويل : كلمة يقولها كل واقع في هلكة ؛ واللَهْف : التحسر على ما فات ؛ والغلة : العطش وحرارة الجوف . يقول : إنى أكرس القول بهاتين الكلمتين لو نفع القول بهما وترديدي إياها ، وهذا على حكاية ما كان يقول .

(٥) ضنى : مبتدأ محذوف الخبر : أى بى ضنى ، وهو شبه الهزال من المرض ؛ وكامنا : حال من السم ؛ وجهلا : مفعول له ؛ والحنف : الموت . يقول : بى ضنى مستر كما يكن السم فى الشهد - العسل - إذا مزج به ، وقد استلذت الهوى جهلا بذلك لضنى وحنفى فى تلك اللذة .

(٦) فأفنى : أى الضنى . والكهف - هنا - الملجأ ، ففاعل أفنى : ضمير الضنا ؛ وفى

قَلِيلُ الْكُرَى لَوْ كَانَتْ الْبَيْضُ وَالْقَنَا كَارَأَيْهِمَا أَغْنَتْ الْبَيْضُ وَالزَّغْفُ^(١)
يَقُومُ مَقَامَ الْجَيْشِ تَقْطِيبُ وَجْهِهِ
وَيَسْتَفْرِقُ الْأَلْفَاظَ مِنْ لَفْظِهِ حَرْفُ^(٢)
وَلَا قَدْ الْإِعْطَاءُ حَنْتَ يَمِينُهُ إِلَيْهِ حَنِينَ الْإِلْفِ فَارَقَهُ الْإِلْفُ^(٣)

الكلام تنازع : لك أن تجعل نفسى فاعل أفنت ، فيكون مفعول أفنى ضميرها محذوفا
لتأخر مرجعه لفظاوية : أى فأفناها ، وما أفنته نفسى ؛ ولك أن تجعلها مفعول أفنى ،
فيكون فاعل أفنت ضميرها مستترا . وكهف : خبر عن أبو الفرج . وله : حال مقدمة
عن كهف . والضمير : للضئى ، ودونها : صلة كهف . يقول : فأفنى الضئى نفسى وما أفنته ،
كأن للمدوح كهف له دون نفسى فليست تقدر على إفنائه . وهذا من حسن التخلص .

(١) الكرى : النوم . والبيض الأولى - بكسر الباء - السيوف . والثانية - بفتح
الباء - جمع ريضة : الخوذة من حديد . والقنا : الرماح . والزغف : جمع زغفة ، الدرع
الينة . يقول : هو قليل النوم لاشتغاله بتدبير الحكم وسياسة الدولة وبما يعمل على حصوله
من المجد والعلاء ، وهو نافذ الآراء حتى لو كانت السيوف والرماح كآرائه فى النفاذ لما
أغنت المدح والحوذ عن أصحابها شيئا ؛ وفى مثل هذا المعنى يقول أبو تمام :

يَقْظَانُ أَحْصَدَتِ التَّجَارِبُ عَقْدَهُ شَزْرًا وَتَقَفَ عَزْمُهُ ثَقِيْفَا

وَاسْتَلَّ مِنْ آرَائِهِ الشُّعْلَ الَّتِي لَوْ أَنَّهُنَّ طُبِعْنَ كَنَّ سِيَوْفَا

(٢) يقال : قطب وجهه : إذا جمع ما بين عينيه عبوساً . يقول : هو مهيب إذا
عبس روع الناس غضبه فلجأوا إلى الطاعة فقام ذلك مقام الجيش ، وإذا قال قام القليل
من كلامه مقام الخطب الطوال ، فهو لبلاغته يجمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة .
وفى مثل هذا يقول البحتري :

وَإِذَا خِطَابُ الْقَوْمِ فِي الْخُطْبِ اعْتَلَى فَصَلَ الْقِصَّةَ فِي ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ

(٣) يقول : ألفت يده الإعطاء حتى لو لم يعط لاشتقت يده إلى الإعطاء كما يحسن
الإلف إلى الإلف إذا فارقته . وفى مثله يقول أبو تمام .

وَاجِدٌ بِالْعَطَاءِ مِنْ بَرَاءِ الشُّوْ قِ وَجِدَانٍ غَيْرِهِ بِالْحَبِيبِ

وَيَقُولُ غَيْرُهُ :

يَحْنُ إِلَى الْمَعْرُوفِ حَتَّى يُنِيلَهُ كَمَا حَنَّ الْإِلْفُ مُسْتَهَامٌ إِلَى الْإِلْفِ

أَدِيبٌ رَسَتْ لِعِلْمٍ فِي أَرْضِ صَدْرِهِ جِبَالُ جِبَالِ الْأَرْضِ فِي جَنْبِهَا قَفٌ^(١)
 جَوَادٌ سَمَتْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَفَهُ سُمُوا أَوْدَ الدَّهْرِ أَنْ أَسْمَهُ كَفٌ^(٢)
 وَأَضْحَى وَبَيْنَ النَّاسِ فِي كُلِّ سَيِّدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي سَيَادَتِهِ خَلْفٌ^(٣)
 يُفَدُّونَهُ حَتَّى كَانَتْ دِمَاءُهُمْ لَجَارِي هَوَاهُ فِي عُرُوقِهِمْ تَقْفُو^(٤)
 وَقُوفِينَ فِي وَقَفَيْنِ شُكْرٍ وَنَائِلٍ فَنَائِلُهُ وَقَفٌ وَشُكْرُهُمْ وَقَفٌ^(٥)

(١) رست : ثبتت ؛ والقف : الغليظ من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلا ، واستعار لعله اسم الجبال لكثرة علمه وزيادته على علم الناس وعدة رسوخه ومئاته ، ولما استعار له اسم الجبال استعار لصدره الأرض ، لأن الجبال تكون على الأرض ثم فضلها على جبال الأرض فضل الجبال على القفاف ، يعنى أن جبال الأرض تصغر في جنب جبال العلم التي في صدره .

(٢) الجواد : الكريم المعطاء . وسمت : علت وارتفعت . وأود الدهر حمله على أن يود ويتمنى . والدهر : وعاء الخير والشر ، والعرب تعزو إليه ما يوجد فيه . يقول : إن لكفه الذكر العالى في كل خير لاوليائه وشر لأعدائه - لأنهما يصدران منه - حتى إن الدهر يتمنى أن يسمى كفا ليشارك كفه - الذى هو مجمع الخير والشر - في الاسم ، فيسمى الكف ولا يسمى الدهر ، لأن كفه أغلب فيهما من الدهر .

(٣) أضحى هنا : تامة ؛ والخلف : الاختلاف ؛ وخلف : مبتدأ ؛ خبره : بين الناس ؛ والجملة : حال . يقول : أضحى والناس مجمعون على سيادته لا يدافع في ذلك اثنان ، أما سيادة غيره ففيها اختلاف .

(٤) تقفو : تتبع . يقول : من حب النفس إياه يقولون له : نقديك بأنفسنا ، فكان هواه جرى أولا في عروقهم قبل الدم ثم تبعه الدم : أى أن حب الناس إياه أشد من حبهم أنفسهم ، قالوا : إنه ينظر إلى قول أبي تمام :

لَوْ أَنَّ إِجْمَاعَنَا فِي فَضْلِ سُودِدِهِ فِي الدِّينِ لَمْ يَخْتَلَفْ فِي الْمَلَةِ اِثْنَانِ
 وقول البحتري :

وَأَرَى النَّاسَ جَمْعِينَ عَلَى فَضْلِكَ مَا بَيْنَ سَيِّدٍ وَمُسَوِّدٍ

(٥) وقوفين : نصب على الحال منه ومن الناس ، والعامل فيه يقدونه ، كما تقول دأيتك راكبين : أى أنا راكب وأنت راكب ؛ وأراد بالوقوف : الواقف . مصدر يوصف به الواحد والجمع ، والوقف : ما حبس على جهة مخصوصة ؛ وشكر : بدل تفصيل من

وَلَمَّا قَدَدْنَا مِثْلَهُ دَامَ كَشَفْنَا

عَلَيْهِ فَدَامَ الْفَقْدُ وَانْكَشَفَ الْكَشْفُ^(١)

وَمَا حَارَتْ الْأَوْهَامُ فِي عَظَمِ شَأْنِهِ بِأَكْثَرِ مِمَّا حَارَّ فِي حُسْنِهِ الْظَرْفُ^(٢)

وَلَا نَالَ مِنْ حَسَادِهِ الْغَيْظُ وَالْأَذَى بِأَعْظَمَ مِمَّا نَالَ مِنْ وَفَرِهِ الْعُرْفُ^(٣)

تَفَكَّرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ وَبَاطِنُهُ دِينٌ وَظَاهِرُهُ ظَرْفُ^(٤)

وقفين ؛ وبمثل : عطف عليه ؛ والنائل : العطاء . يقول : إن الناس والمدوح فريقان وانفان في شيئين وقفين - محبوسين - أحدهما على الناس منه وهو العطاء ، والثاني على المدوح من الناس وهو الثناء ؛ يعنى أنه أبدأ يعطى والناس أبدأ يشكرونه ، وفي مثل هذا يقول البحرى .

أعيال لهم بنو الأرض أم ما لهم راتب على الناس وقف

ويقول : ابن الرومى :

أمواله وقف على تنقيلتنا وثناؤنا وقف على تحقيقه

[تنقيلتنا : إصلاحنا - من نقل الحف أو النعل : رقعته وأصلحه] .

(١) كَشَفْنَا : بحثنا ؛ والضمير في عليه للمثل . يقول : لما لم نجد مثله في الجهد والسخاء جعلنا نبحث عن أحد يشاكله ، وحاولنا ذلك واستفردنا الجهد فدام الفقد : أى لم نجد أحداً وانكشف : افتضح أو زال وبطل ، الكشف أى البحث - لأننا ينسنا من وجود مثله فهو منقطع النظر .

(٢) يقول : حارت الأوهام في عظم شأنه ، والظرف - النظر - في حسنه وجماله ، وليست حيرة الأوهام بأكثر من حيرة الطرف : أى أنه بلغ الغاية في العظمة والحسن (٣) الوفر : المال ؛ والعرف : الجود واسطناع المروف . يقول : إن الحسد قد نال من حساده وأثر فيه نقصاً وهزالاً كما نال عطاؤه من ماله ونقصه ، وليس ذلك النقصان بأكثر من هذا . ومثله لديك الجن :

فقلت مقتلناك بالصَّبِّ ما تَقَلُّ جَدوى الأمير بالأموال

(٤) يقول : إذا فكر فإنما يفكر في العلم ، وإذا نطق بنطق بالحكمة . وباطنه ينطوى

على الدين ويظهر للناس الظرف والكياسة ومحاسن الأخلاق . قال الحريرى :

أَمَاتَ رِيَّاحَ اللُّؤْمِ وَفَى عَوَاصِفُ
وَمَغْنَى الْعَلَى يُودَى وَرَسْمُ النَّدَى يَغْفُو^(١)
فَلَمْ نَرَ قَبْلَ ابْنِ الْحُسَيْنِ أَصَابَا
إِذَا مَا هَطَلْنَ اسْتَحْيَتِ الدِّيمُ الْوُطْفُ^(٢)
وَلَا سَاعِيَا فِي قُلَّةِ الْمَجْدِ مُدْرِكَا^(٣) بِأَفْعَالِهِمَا لَيْسَ يَذَرُكُهُ الْوُصْفُ^(٤)
وَلَمْ نَرَ شَيْئًا يَحْمِلُ الْعَبَّ حَمْلَهُ وَيَسْتَصْفِرُ الدُّنْيَا وَيَحْمِلُهُ طَرْفُ^(٥)
فَتَى جَهْرُهُ طَرْفٌ وَبَاطِنُهُ تَقَى تَزَيْنَ مَا يُحْفَى بِصَالِحِ مَا يُبْدَى

قال ابن جني : هذه القصيدة من الضرب الأول من الطويل ، وعروض الطويل أبداً تبنى مقبوضة على مفاعلن ، إلا أن يصرع البيت ويكون ضربه مفاعيلن أو مفعولن فيتبع العروض الضرب ، وليس هذا البيت مصرعاً ، وقد جاء عروضه على مفاعيلن ، وهو تخطيط منه . وأقرب ما يصرف إليه أن يقال إنه رد مفاعل إلى أصلها وهي مفاعيلن لضرورة الشعر ، كما أن للشاعر إظهار التضعيف وصرف مالا ينصرف وإجراء المعتل مجرى الصحيح وقصر المدود ونحو ذلك مما ترد فيه الأشياء إلى أصولها . قال الواحدى : ولو هو قال ومنطقه هدى أوتقى : لصح الوزن .

(١) اللؤم : ضد الكرم أى الحسة - والمغنى : المنزل ؛ ويودى : يهلك ، والرسم : أثر الديار ؛ ويعفو : ينجى ؛ والواو - فى قوله ومغنى العلا - واو الحال . ولما استعار اللؤم ريحاً استعار للعلى مغنى وللندى رسماً ؛ إذ أن الرياح تغفو الرسوم وتمحو المغانى . يقول سكن المدوح ريار اللؤم بعد شدة هبوبها عن مغنى العلى ورسم الندى وقد كادت تغفوها وتذهب بهما أى أن اللؤم كاد يغلب العلى والجود فأذهب بكرمه قوة اللؤم .
(٢) هطلت السماء . اشتد انصباب مائها ؛ والوطف . جمع الوطفاء ، وهى السحابة المسترخية الجوانب لكثرة مائها ؛ والديم . جمع الديمة ، وهى المطر يدوم أياماً .
يقول : لم ير قبل هذا المدوح أحد إذا أعطى استحييت السحب وخجلت من عطائه . وفى هذا يقول أبو نواس :

إِن السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِي إِذَا نَظَرْتُ إِلَى نَدَاكَ فَقَاسَتْهُ بِمَا فِيهَا
(٣) قلة المجد : أعلاه يقول : إن المدوح أدرك بمساعيه الجسام وأفعاله الضخام فى قلة المجد مالا يدركه الوصف ، وقد انفرد بذلك دون غيره .
(٤) العبء : الحمل الثقيل ، وحمله : مفعول مطلق ؛ والطرقت : انقرضت النكريم .

وَلَا جَلَسَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ لِقَاصِدٍ وَمِنْ تَحْتِهِ فَرْشٌ وَمِنْ فَوْقِهِ سَقْفٌ^(١)
 فَوَاعَجَبًا مِنِّي أَحَاوِلُ نَفْتَهُ وَقَدْ فَنَيْتَ فِيهِ الْقَرَّاطِيسُ وَالصُّحُفُ^(٢)
 وَمِنْ كَثْرَةِ الْأَخْبَارِ عَنْ مَكْرُمَاتِهِ يَمُرُّ لَهُ صِنْفٌ وَيَأْتِي لَهُ صِنْفٌ^(٣)
 وَتَفْتَرُ مِنْهُ عَنْ خِصَالِ كَأَنِّهَا ثَنَائًا حَبِيبٍ لَا يُبَلِّغُ لَهَا رَشْفٌ^(٤)
 قَصَدْتُكَ وَالرَّاجُونَ قَصْدِي إِيْلَيْهِمْ
 كَثِيرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ كَالذَّنْبِ الْأَنْفِ^(٥)

يقول : إنه يحمل من أفعال المهمات مالا يستطيع غيره حمله ويرى الدنيا صغيرة ، وهو مع ذلك يحمله طرف ، وذلك لعظمة نفسه . وبعد مرتقى همته وقوة نبعده ؛ إذ العبرة بذلك لا ببسطة الجسم .

(١) جعله كالبحر المحيط بالدنيا في كثرة عطاياه وغزارة نداءه . يقول : لم يجلس قبله البحر لمن يقصده ومن تحته فرش يجله ومن فوقه سقف يظله .

(٢) الضمير من «فيه» للنعت والقراطيس : جمع قرطاس ، الورق ، والصحف جمع الصحيفة : الكتاب . يقول : أعجب من نفسي كيف أحاول أن أبلغ وصفه وقد وصفه غيري حتى فنيت القراطيس والصحف ولم يستوف حقه ؟ وفي مثل هذا المعنى يقول أبو تمام :

تَرَكْتَهُمْ سَيْرًا لَوْ أَنَّهَا كَتَبَتْ لَمْ تُبْقِ فِي الْأَرْضِ قَرطَاسًا وَلَا قَلَمًا

(٣) يقول : إن أخبار مكرماته كثيرة متوافرة لا حد لها ، ولذلك تتجدد ، يمر صنف منها ويأتي غيره . وهكذا حتى لا آخر لها ؛ ويجوز أن يكون الصنف من القصاد الذين يقصدونه : أي لكثرة ما يسمعون من تلك الأخبار يمر صنف قد صدروا عنه ويأتي صنف يقصدونه ، وقوله : له أي لأجله .

(٤) وتفتَر : أي الأخبار ؛ أي تسفر وتتجلى ؛ وأصله الابتسام إذا بدت له الأسنان والثنايا : الأسنان في مقدم الفم ؛ والرشف : اللص ؛ شبه خصاله في حسناتها وحلاوتها . بثنايا حبيب لا يمل مص ريقها .

(٥) يقول : إني قصدتك والحال أن الذين يرجون أن أقصدهم وأمدحهم كثير ، ولكني آثرتك عليهم لأنك تفضلهم كما يفضل الأنف الذنب ، وفيه نظر إلى قول الخطيئة .

وَلَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ وَالتَّبَرُّ وَاحِدٌ نَفُوعَانِ لِلْمَكْدِيِّ وَبَيْنَهُمَا صَرْفٌ^(١)
وَلَسْتُ بِدُونِ يُرْتَجَى الْفَيْثُ دُونَهُ وَلَا مُنْتَهَى الْجُودِ الَّذِي خَلْفَهُ خَلْفٌ^(٢)
وَلَا وَاحِدًا فِي ذَا الْوَرَى مِنْ جَمَاعَةٍ وَلَا الْبَهْضُ مِنْ كُلِّ وَلَكِنَّكَ الضَّعْفُ^(٣)

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوَّى بِأَنْفِ النَّاقَةِ الدَّنْيَا
وقد كان الخطيئة مدح بهذا قوما كانوا ينزون بأنف الناقة وكانوا يكرهونه ، فلما
قال فيهم هذا غفروا بلقبهم .

(١) نفوعان : أى هما نفوعان ؛ والبيضاء من النعت المراد به التأكيد كما فى أمس
الدار ؛ والتبر : الذهب . والمكدي : الفقير الذى لا خير عنده والصرف : الفضل ؛
تقول له على صرف : أى فضل ؛ والمراد بينهما تفاوت . يقول : ليس الذهب والفضة
سواء وإن اجتماعا فى النعمة ، وكذلك الفرق بينك وبينهم ؛ ومثل هذا لابن الرومى :

وجدتكم مثل الدنانير فيهم وسائر هذا الخلق مثل الدرام

(٢) الدون : الخسيس ؛ وقوله خلفه خلف ؛ خلفه : خبر مقدم ، منصوب على
الظرفية ؛ وخلف : مرفوع بالابتداء . يقول : لست خسيسا فيرتجى الفيث دونك ولا
ترجى أنت : أى أنت والفيث سواء فى رجاء الخير . وليس وراءك للجدود منتهى ، يعنى
أن الجود مقصور عليك لا يرتجى الجود دونك ولا يتجاوز عنك ، أى أنك الغاية
القصى للجدود التى من بلغ إليها لم يبق له مذهب وراءها ، كما قال بعضهم :

ما قصر الجود عنكم يا بنى مطر ولا تجاوزكم يا آل مسعود
يحل حيث حلتم لا يفارقكم ما عاقب الدهرين البيض والسود
وقال أشجع السلى :

فما خلفه لأمرى مطمع ولا دونه لأمرى مقنع

وقال أبو تمام :

إليك تنهى المجد من كل وجهة يصير فما يعدوك حيث تصير
وقد زاد أبو الطيب على هذا المعنى فأساء العبارة ، ورفع خلف لأنه جعله
اسما لا ظرفا .

(٣) ولا واحداً : عطف على خبر ليس - فى البيت السابق - . يقول : ولست
واحداً من جماعة الناس ولا بعضاً من كلهم ، ولكنك ضعف جميعهم ، أى أنت تنفى
غناهم وتزيد عليهم زيادة ضعف الشيء على الشيء .

وَلَا الضُّعْفَ حَتَّى يَنْبَغِ الضُّعْفُ ضِعْفُهُ وَلَا ضِعْفَ ضِعْفِ الضُّعْفِ بَلْ مِثْلُهُ^(١)
 أَقَاضِينَا هَذَا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ غَلِطْتُ وَلَا الثَّلَاثَانِ هَذَا وَلَا النِّصْفَ^(٢)
 وَذَنْبِي تَقْصِيرِي وَمَا جِئْتُ مَادِحًا بِذَنْبِي وَلَكِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَعْفُو^(٣)

(١) يقول : ولست أيضا ضعف الورى حتى يكون ذلك الضعف ضعفين ، فتكون أنت ضعف ضعف الضعف . ثم تزيد على ذلك بأضعاف كثيرة حتى تبلغ ألفا: أى تكون ألف ضعف من هذا الضعف . والمعنى أنك فوق الورى بكثير ، ونصب مثله لأنه نعت نكرة - وهو ألف - قدم عليها ، ونعت النكرة إذا قدم عليها انتصب على الحال ، كما قال القائل :

* لَمِيَّةٌ مُوَحِّشًا طَلَّلَ^(١) *

وَألف : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى بل أنت ألف مثله . وفى هذا البيت من الغثاء والتكلف والغلو ما ترى .

(٢) يقول : أنت أهل لما أثبتت به عليك ، ثم قال : غلطت - ليس هذا ثلثى ما أنت أهله ولا نصفه ؛ ولا الثلثان : عطف على محذوف ، دل عليه ما تقدم : أى لا الذى أنت أهله هذا ولا الثلثان منه . والهمزة فى أقاضينا : للنداء .

(٣) يقول : إن تقصيرى فى مدحك ذنب لى والذنب لا يمدح به ، فأنا لم أجيء مادحا ولكن جئت سائلا العفو عن هذا الذنب ، قال :

وَعِنْدِي أَيَادٍ جَمَّةٌ لَمْ أَجِدْ لَهَا يَخْصُصُهَا عِنْدِي لِسَانًا مَعْبَرًا
 وَلَكِنْ جُهْدِي أَنْ أَقُولَ وَمَا عَسَى لَدَى الْجَهْدِ إِلَّا أَنْ يَقُولَ فَيَعْذِرَا
 ولأبى تمام :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مَذْنِبًا يَوْمَ أَتَيْتُكَ سِوَاكَ بِأَمَالِي لِفَتْحِكَ تَائِبًا

(١) عجزه :

* يَلُوحُ كَأَنَّهُ خَلَّلَ *

وهو لذى الرمة . والخلل - بالكسر - جمع خلة . قال الجوهري : الخلة واحدة خلل السيف ، وهي بطائن ينشئ بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب .

وأخرج له أبو العشائر جوشناً حسناً* فقال كيف تراه فقال مرتجلاً :
 بِهِ وَبِمِثْلِهِ شُقَّ الصُّفُوفُ وَزَلَّتْ عَنْهُ مُبَاشِرُهُ الْخُتُوفُ^(١)
 فَدَغَّهُ لَقَى فَإِنَّكَ مِنْ كِرَامِ جَوَاشِنَهَا الْأَسِنَّةُ وَالسُّيُوفُ^(٢)

وكان أبو العشائر قد غضب على أبي الطيب فأرسل غلاماً له ليقوموا به فلاحقوه بظاهر حلب ليلاً فرماه أحدهم بسهم وقال خذه وأنا غلام أبي العشائر ، فقال أبو الطيب* :

وَمُنْتَسِبٌ عِنْدِي إِلَى مَنْ أَحْبَبُهُ وَلِلنَّبْلِ حَوْلِي مِنْ يَدَيْهِ حَافِيفُ^(٣)

* الجوشن : الدرع .

(١) يقول : إن لابس هذا الجوشن - الدرع - يشق صفوف الأعداء يوم القتال آمناً على نفسه لحصاته ، ولا تعمل الختوف - الناي - في من لبسه .

(٢) لقي : أى ملقياً . يقول : ألقه ولا تلبسه فإن مثلك يدفع عن نفسه بالرمح والسيوف لمكانه من الشعاعة ولا يحتلج إلى الدروع ، وفي مثله يقول الآخر :

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا حُصُونَ بَارِضِينَ نَلُودُ بِهَا إِلَّا الْقَنَا وَالْقَوَاضِبُ

* وكان ذلك بعد أن فارق أبو الطيب أبا العشائر واتصل بسيف الدولة ، وكان سيف الدولة قد رفع منزلته وأغدق عليه عطاياه ، فأوغر ذلك صدور قوم من حساده ، فسعوا به عند سيف الدولة حتى غيروه عليه ، فأنشده أبو الطيب القصيدة الميمية التي مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شيم ومن بحسمى وحالى عنده سقم

وفيها يعرض بينى حمدان أبناء عم سيف الدولة ، وكان ذلك بحضور من أبي العشائر فلما خرج أبو الطيب ألحق به أبو العشائر بعض غلمانه ليقوموا به ، وقد تقدم ذلك في موضعه .

(٣) إلى من أحبه : يعنى أبا العشائر - يقول : هو منتسب إلى من أحبه ، ولكنه مع ذلك أراد قتلى ، فللنبل حوالى من يديه صوت يحف بى .

فَهَيَّجَ مِنْ شَوْقِي وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ حَنَنْتُ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ أَلُوفٌ^(١)
وَكُلُّهُ وَدَادٍ لَا مَدَاهُ عَلَى الْأَذَى دَوَامٌ وَدَادِي لِلْحُسَيْنِ ضَعِيفٌ^(٢)
فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَزَنَ أَلُوفٌ^(٣)
وَنَفْسِي لَهُ نَفْسِي الْفِدَاءَ لِنَفْسِهِ وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَنيفٌ^(٤)

وقال في عبده إذ أخذ فرسه وأراد قتله :

أَعَدَدْتُ لِلنَّاعِدِينَ أَسْيَافًا أَجْدَعُ مِنْهُمْ بَيْنَ آنَافًا^(٥)

(١) «من» الأولى : زائدة ؛ والثانية : للتعليل ، متعلقة بحننت . يقول : لما ذكر اسم أبي العشائر هاج شوقي وحنيني إليه ، وما كان شوقي إليه في هذه الحال ذلة ومهانة ولكن كرم طبع ، لأن الكريم طبعه الألفة .
(٢) على . بمعنى مع ؛ ودوام : نصب على المصدر ؛ وللحسين . متعلق بودادي ؛ وضعيف . خبر كل . يقول : إن كل وداد لا يدوم مع معاناة الأذى كما دام ودادي للحسين - أبي العشائر - هو وداد ضعيف .
(٣) واحداً : خبر يكن . يريد أن إحسانه أكثر من إساءته والقليل لا يعني الكثير ولا يغلبه . يقول : إن ساءني بفعل واحد فقد سرني بأفعال كثيرة ؛ وفيه نظر إلى قول الآخر .
(٤) أيذهب يوم واحد أن أسأته بصلح أيامي وحسن بلائيا

(٤) نفسى له : أى أنا مملوك له إذ أسرنى بإحسانه ، لكنه مالك عنيف لا يرفق بى ، كما قال الآخر :

* أريد حباهُ ويريد قتلى *

وقوله : نفسى الفداء لنفسه : دعاء ؛ أى أفديه بنفسى .

(٥) يعنى بالناعدين عبيده الذين أرادوا أن يسرقوا خيله . يقول : أعددت لهم سيروفا أجدة - أقطع - بها أنوفهم ، يعنى أذلهم بها وأنكل .

لَا يَرْحَمُ اللَّهُ أَرْوَسًا لَّهُمْ أَطْرَنَ عَنْ هَامِيْنٍ أَتَقَافَا^(١)
 مَا يَنْقِمُ السَّيْفُ غَيْرَ قَلْتِهِمْ وَأَنْ تَكُونَ الْمَثُوبَ آلاَفَا^(٢)
 يَاشِرًا لَّحْمٍ فَجَعَلْتَهُ بِدِيمٍ وَزَارَ لِلْخَامِعَاتِ أَجْوَاَفَا^(٣)
 قَدْ كُنْتَ أَغْنَيْتَ عَنْ سُؤَالِكِ بِي مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ لِي وَمَنْ عَافَا^(٤)
 وَعَدْتُ ذَا النَّصْلَ مَنْ تَمَرَّضَهُ
 وَخِفْتُ لَمَّا اعْتَرَضْتَ إِخْلَافَا^(٥)

(١) الهام : جمع هامة ، أعلى الرأس ؛ والأقفاف : جمع قحف - بكسر القاف - العظم الذى فوق الدماغ . يقول : لارحم الله رءوسهم التى أطارت السيوف قحوفها عن هامها ، فضمير « أطرن » للسيوف .

(٢) يقول : ما ينقم السيف - أى ما ينكر ويبكره - إلا قلة عددهم أى أن السيف يريد أن يكونوا أكثر حتى يأتى عليهم ويقتلهم جميعاً ؛ وأن تكون المَثُوبُ منهم آلافا حتى يقتل كل غادر وكل عبد سوء فى الدنيا . فقوله : وأن تكون أى وأن لا تكون ، لحذف « لا » وهو يريد بها .

(٣) جمعه : أوجمه بشيء يكرم عليه ؛ والخامعات : الضباع ، لأنها تجمع فى مشيها - أى تمشى مشى الأعرج . يقول - لمن قتل من عبيده - : ياشر لحم أسلت دمه فجعته بذهاب دمه وتركته ملقى للضباع حتى أكلته فدخل أجوافها .

(٤) كأن هذا العبد سأل عافئاً عن حال للتنبى فذكر له من حاله ما زين له القدر به . وقوله : سؤالك بى أى عنى ، كما قال تعالى « فاسأل به خيراً » وزجر الطير وعياقتها ضرب من التسكهن كانت العرب تذهب إليه ، فكانت تنفر الطير ؛ فإن نفر عن يمين تفاءلت ، أو عن شمال تشاءمت . يقول - للعبد الذى قتله - لقد كنت فى غنى عن أعمال الزجر والعيافة فى إقدامك على وتمرضك للقدر بى .

(٥) يقول : وعدت هذا السيف - يعنى سيفه - أن أضرب به من تعرض له وأحوج إلى ضربه ، ولما اعترضت لسيفى بالقدر بى وأخذ خيلى خفت إن تركت قتلك إخلاف ما وعدت السيف : أى أن لا أفى بوعدى إياه . فذا اسم إشارة ؛ ومن : مفعول ثان لوعدت ؛ وتمرضه : أى تعرض له ؛ والإخلاف : ترك الوفاء بالوعد ، وهو مفعول خفت .

لَا يُذَكِّرُ الْخَيْرُ إِنْ ذُكِرْتَ وَلَا تَتَّبِعُكَ الْمَقَتَّلَانِ تَوَكَّافاً^(١)
إِذَا امْرُؤٌ رَاعَى بِفَدْرَتِهِ أَوْزَدَتْهُ الْفَيَاءُ الَّتِي خَافَ^(٢)

* * *

-
- (١) التوكاف : تفعال من الوكف ، وهو قطران الماء - جريانه - يقول : لم يكن
فيك خير تذكر به ولا تبكي عليك العين .
- (٢) يقول : إذا راعى - خوفى - امرؤ بفدريته كافأته بالقتل وهو غاية ما يخافه المرء

قافية القاف

وقال يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس دهاء وجارية :

أَيَذْرَى الرَّبْعُ أَى دَمِ أَرَاقَا وَأَى قُلُوبٍ هَذَا الرِّكْبِ شَاقَا^(١)
لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ تَلَاَقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَاَقَى^(٢)
وَمَا عَفَّتِ الرِّيَّاحُ لَهُ مَحَلًّا عَفَاهُ مِنْ حَدَائِبِهِمْ وَسَاقَا^(٣)

(١) أراق : سفك ؛ والركب : جماعة الركبان ، وهذا استفهام إنكار واستعظام لما فعله الربع من قتله بشوقه إلى أحبه . يقول : هل يدرى هذا الربع - ربع الأجنة - ما فعل من إراقة دمي وما هاج في قلبي من الشوق ، وذلك أن وقوفه بالربع هيئ شوقه وجدد له ذكر الأجنة ، فكان البكاء والنحيب ، وكانت اللوعة والأسى . وكان حق الكلام أن يقدم « شاق » على « أراق » ، لأن الربع إذا لم يشق لم يرق الدم ، لكن الواو لا توجب الترتيب ؛ أو تقول إنه ابتداء باللام ثم عاد إلى ذكر سببه ، وهو الشوق ، وشاقه يشوقه : حمله على الشوق .

(٢) تلاقى : أى تتلاقى ، فحذف إحدى التاءين . يقول : لنا وللذين كانوا أهل هذا الربع - يعنى الأجنة - قلوب تتلاقى فى جُسُومٍ ما تتلاقى ، يعنى نحن نذكرهم وهم يذكروننا ، فكأننا تتلاقى بالقلوب وإن لم تتلاقى بالأشخاص كما قال ابن المعتز :

إِنَّا عَلَى الْبُعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقَى بِالذِّكْرِ إِن لَّمْ نَلْتَقِ

(٣) عفته الريح : درسته . يقول : لم تدرس الرياح لهذا الربع منزلا ، فلا ذنب للريح فى دروس منازلها ، إنما عفاه الحادى الذى ساق الإبل بأهله فلو لم يخرجوا منه لما درس الربع . وهذا كما قال أبو الشيص :

مَا فَرَّقَ الْأَلْفَ بَنَ دَ اللَّهُ إِلَّا الْإِبِلُ
وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرَا بِ الْبَيْنِ لِمَا جَهِلُوا
وَمَا إِذَا صَاحَ غُرَا بُِ فِي الدِّيَارِ احْتَمَلُوا
وَلَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا بِ الْبَيْنِ تَطْوَى الرَّحْلُ

فَلَيْتَ هَوَى الْأَحْبَةِ كَانَ عَذْلًا فَحَمَلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقَ^(١)
 نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ وَالْمَيْنُ شَكَرَى فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقًا^(٢)
 وَقَدْ أَخَذَ التَّمَامَ الْبَذْرُ فِيهِمْ وَأَعْطَانِي مِنَ السَّقَمِ الْمُحَاقًا^(٣)
 وَبَيْنَ الْفَرْعِ وَالْقَدَمَيْنِ نُورٌ يَقُودُ بِلاَ أَرْمَتِهَا النِّيَاقًا^(٤)

وَمَا غَرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا نَاقَةٌ أَوْ جَمَلٌ

(١) يريد أن العشق بلغ منه الغاية ، وأن الهوى حمله مالا يطيق لجار عليه يشير إلى أنه أعشق العشاق ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

فِيَارَبِّ قَدْ تَحَمَلْتَنِي فَوْقَ طَاقَتِي مِنَ الْحُبِّ خَمَلًا قَاتَلِي فَوْقَ مَا بَيَا
 وَإِلَّا فَسَاوِ الْحَبَّ يَا رَبَّ بَيْنَنَا يَكُونُ سِوَاءَ لَا عُلَى وَلَا لِيَا

(٢) عين شكرى : ملأى بالدمع ؛ وللاق : طرف العين مما يلي الأنف وهو مخرج الدمع من العين . يقول : نظرت إلى الأحبة لدى ارتحالهم والعين ممتلئة بالدموع فسال الدمع من جميع جوانبها لامتلائها به حتى كان جميع الجوانب ماق يسيل الدمع منه ، يشير إلى غلبة السكاء من لوعة الفراق .

(٣) المحاق - بضم الميم ، وكسر ها - نقصان القمر آخر الشهر ؛ والتمام : السكال ، وقد طابق بين التمام والمحاق . يقول : لما ارتحلوا أخذ الحبيب الذى هو كالبدر فيهم السكال في الحسن والإشراق ، وأنا لسقمى كأنه أعطانى المحاق يعنى : أن الحبيب كان في الحسن كالبدر كله نور وبهاء وكنت أنا في الدقة والنحول كالقمر في المحاق ، وقد أخذ هذا القائل :

يَأْمَنُ بِمَحَاكِ الْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ إِزْحَمَ فَنَى بِحَكِيهِ عِنْدَ مُحَاقِهِ

(٤) الفرع : الشعر ؛ والأزمة : جمع زمام ، ما تقاد به الدابة ، والنياق : جمع ناقة . وقوله : بين الفرعين والقدمين ظرف لنور وما يليه في البيتين التاليين ، والضمير في أزمته : للنياق ، وجاز تقديمه لأنه مؤخر في الرتبة . لما جعله بدرًا والبدر لا يخص النور بصفه بأنه من فرقه إلى قدمه نور ، وأن نياق الركب تهتدى بنوره فكأنه يقودها بلا أزمة ؛ ويجوز أن يريد بالنور وجهه ، وذلك أنه أراد أن يذكر تفاصيل المحاسن التي بين شعره وقدميه ، فبدأ بالوجه ثم نى بالطرف ثم ثلث بالخصر ، وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي الصنابغة :

وَطَرَفُ إِن سَقَى الْمُشَاقَ كَأْسًا بِهَا نَقَصُ سَقَانِهَا دِهَاقًا^(١)
وَحَصْرُ تَنْبُتُ الْأَنْصَارُ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقِ نِطَاقًا^(٢)
سَلَى عَنْ سِيرَتِي فَرَسِي وَسَنَى وَرُغْنِي وَالْهَمَلَمَةَ الدَّفَاقًا^(٣)
تَرَكَنَا مِنْ وَرَاءِ الْعَيْسِ نَجْدًا وَنَكَبْنَا السَّهَاةَ وَالْعِرَاقًا^(٤)
فَمَا زَالَتْ تَرَى وَاللَّيْلُ دَاجٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ اثْنَلَاقًا^(٥)

وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمْشُوكَ لَقَادَمَ نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرِّكْبُ
(١) دِهَاقًا: مَلَأَى. يَقُولُ: وَلَهُ طَرَفٌ سَاحِرٌ إِذَا سَقَى عَشَاقَهُ كَأْسًا نَاقِصَةً سَقَانِهَا
مُتْرَعَةً، بِمَعْنَى أَنَّهُ أَعْشَقَ الْمُشَاقَ لَهُ، وَفِيهِ نَظَرٌ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ:

وَمَا لَيْسَ الْمُشَاقُ مِنْ حُلَلِ الْهَوَى وَلَا أَخْلَقُوا إِلَّا الثِّيَابَ الَّتِي أُبْلِيَ
وَلَا شِيرَبُوا كَأْسًا مِنَ الْحُبِّ حُلُوةً وَلَا مُرَّةً إِلَّا شَرَابَهُمْ فَضْلِي
(٢) يَقُولُ: إِنَّ الْأَبْصَارَ تَنْبُتُ فِي خَصْرِهِ اسْتِحْسَانًا لَهُ وَتَكْتَرُ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوَانِبِ
حَتَّى تُصْبِرَ كَالنِّطَاقِ عَلَيْهِ. وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ بَشَّارُ:

وَمُكَلَّلَاتٍ بِالْعُيُودِ نِ طَرَفْنِي وَرَجَعَنْ مَلَسْنَا
[يُرِيدُ بَشَّارُ أَنَّهُنَّ - لِحُسْنِهِنَّ - تَمْلُؤُ الْأَبْصَارَ إِلَى وَجْهِهِنَّ وَرَدَّ وَهْنَهُنَّ حَتَّى كَأَنَّ لِهِنَّ
إِكْلِيلًا مِنَ الْعُيُودِ. وَمَلَسْنَا: أَيْ لَمْ يَمْلُقْ بَيْنَهُنَّ أَذًى وَلَا رِيَّةً] وَيَقُولُ أَبُو الصَّاهِبَةِ:
أَحَاطَتْ عُيُونُ الْعَاشِقِينَ بِخَصْرِهِ فَهِنَّ لَهُ دُونَ النِّطَاقِ نِطَاقُ

(٣) الْمَهْلَمَةُ: الْبَاقَةُ السَّرِيعَةُ؛ وَالْهَمَلَمَةُ: التَّدْفِيقَةُ فِي السَّيْرِ. يُخَاطَبُ مَحْبُوبَتَهُ يَقُولُ:
سَلَى عَنْ حَالِ سِيرَتِي هَذِهِ الْأَشْيَاءَ تُخْبِرُكَ بِإِقْدَامِي وَتَجْلِدِي لِلْأَهْوَالِ؛ بِمَعْنَى أَنَّهُ كَانَ وَحْدَهُ
لَمْ يَصْغَبْ غَيْرَ مَا ذَكَرَ فَلَا يَسْتَخْبِرُ عَنْ سِيرَةِ غَيْرِ الْفَرَسِ وَالرَّمَحِ وَالسَّيْفِ وَالنَّاقَةِ.

(٤) الْعَيْسُ: الْإِبِلُ الْبَيْضُ؛ وَنَكَبُهُ: عَدَلَهُ عَنْهُ؛ وَالسَّهَاةُ: فَلَاحَةُ بَيْنَ الشَّامِ
وَالْعِرَاقِ. يَقُولُ: خَلَفْنَا - فِي قَصْدِنَا إِلَى الْمَدُوحِ - نَجْدًا وَرَاءَنَا وَمَلْنَا عَنْ طَرِيقِ
السَّهَاةِ وَطَرِيقِ الْعِرَاقِ وَمَتَوَانَا حَلَبَ.

(٥) تَرَى: أَيْ الْعَيْسَ؛ وَدَجَى اللَّيْلِ: أَظْلَمَ؛ وَالْإِثْلَاقُ: الْبَرِيقُ وَالْإِلْتِمَاعُ؛ يَقَالُ:
إِثْلَقَ الْبَرِيقَ وَتَأَلَّقَى: إِذَا لَمَعَ. يَقُولُ: لَمْ تَزَلْ الْعَيْسَ تَرَى نُورَ وَجْهِهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فِي ظِلْمَةِ
اللَّيْلِ يَسْطَعُ لَهَا فَتَسْتَبْصِحُ بِهِ وَيَقْتَادُهَا، وَهَذَا مِنْ قَوْلِ سَجِيمَ:

أَدْلَتْهَا رِيَّاحُ الْمِسْكِ مِنْهُ إِذَا فَتَحَتْ مَنَاخِرَهَا أَنْتَشَاقًا^(١)
أَبَاحَكَ أَيُّهَا الْوَحْشُ الْأَعَادَى فَلَمْ تَتَعَرَّضِينَ لَهُ الرِّفَاقًا^(٢)

إذا نحنُ أدْلَجْنَا وَأَنْتَ أَمَامَنَا كَفَى لِمَطَايِنَا بِوَجْهِكَ هَادِيَا
ومثله قول أبي الطمحان القيني :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجِرْعَ ثَاقِبُهُ^(١)
(١) انتشاقًا : حال ، أو مفعول له . يقول : أدلة العيس في طريقها إلى سيف
الدولة انتشاقها رياح المسك منه إذا فتحت مناخرها ، وفي مثل هذا المعنى يقول ابن
الرومي :

فَهَدَّتْ عُيُونُهُمْ لَهُ أَضْوَاؤُهُ وَهَدَّتْ أَنْوْفُهُمْ لَهُ أُرُوحُهُ
ويقول أيضاً :

إِنْ جَاءَ مَنْ يَبْنِي لَنَا مَنَزِلًا فَقُلْ لَهُ يَمْشِي وَيَسْتَفْشِقُ
ولعلمهم يريدون المعنى المجازي فيريدون بريحه طيب ثنائه ويريدون باتلاقه مجده
ومكافئه ؛ فعبروا عن المعنوى بالحسى مبالغة في ظهوره حتى أدركته النياق فاهتدت
به إليه .

(٢) التعرض : القصد ؛ والرفاق : جمع رقة ، وهى الجماعة فى السفر . يقول : -
للوحش - إن سيف الدولة أباحك أعداءه بأن قتلهم وجعلهم طعمة لك ، فلم تقصدين
الرفاق التى تسير إليه ؟ وهو يشير بذلك إلى كثرة إيقاعه بمن يخالفه وشدة استظهاره على
من يعارضه ويخفر ذمته ، قال الواحدى قوله : فلم تتعرضين الرفاقا ، تقديره فلم تعرضين
الرفاق له : أى رفاقه .

(١) الجزع - بفتح الجيم ، وكسرهما - ضرب من الخرز الجماني فيه يياض وسواد
تشبه به العيون . وقبل البيت :

وَبَانِي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هَمُّهُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيْدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
نَجْمٌ سَمَاءَ كُلِّ غَارٍ كَوَكَبٌ بَدَا كَوَكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
وبعده :

وما زال منهم حيث كانوا مُسَوِّدٌ تسير المنايا حيث سارت ركائبه
إلى أبيات يمدح بها أبو الطمحان ببحر بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي .

وَلَوْ تَبَعْتَ مَا طَرَحْتَ قَنَاهُ لَكَفَكَ عَنْ رَذَائِنَا وَعَاقًا^(١)
 وَلَوْ سِرْنَا إِلَيْهِ فِي طَرِيقٍ مِنَ النَّيِّرَانِ لَمْ نَخَفْ احْتِرَاقًا^(٢)
 إِمَامٌ لِلْأُمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى مَنْ يَتَّقُونَ لَهُ شِقَاقًا^(٣)
 يَكُونُ لَهُمْ إِذَا غَضِبُوا حُسَامًا وَلِلْهَبِجَاءِ حِينَ تَقُومُ سَاقًا^(٤)
 فَلَا تَسْتَنْكِرَنَّ لَهُ ابْنِسَامًا إِذَا فَهَقَ الْمَكْرُ دِمَا وَضَاقًا^(٥)

(١) تبع : بمعنى اتبع ، والقنا : الرماح . والرذايا : المهازيل من الإبل ، واحدها رذية : ما هزل من الإبل وانقطع عن السير فلا يستطيع براحا ، يقول : لو تبعت أيها الوحش ما طرحت رماحه من القتلى لكفك ذلك عن مطايانا ولكن لك فيه غناء عن التمرض لنا - لكثرة .

(٢) يقول : نحن آمنون في طريقنا إليه حتى لو سرنا في النيران ما قدرت على إحراقنا ، يريد أن الخوف من سطوته شامل فالسالكون إليه في أمن وطمأنينة . ومثله لأبي تمام :

قَمَضَى لَوَانَ النَّارِ دُونَكَ خَاضَهَا بِالسَّيْفِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ النَّارَا
 « يريد جهنم » ولأبي حية النخري :

لَوْ أَنَّ جَرَّ النَّارِ دُونَ بِلَادِهِ لَعَلَّتْ أُنَى جَرَّهَا مُنْخَوَضُ

(٣) من قریش : حال من الأئمة . يقول : هو إمام للخلفاء - يعني خلفاء بني العباس - إذا شاقهم عدو - أي تمرد عليهم - يحذرون شقائه - خلافه وعصيانه - تقدمهم إليه وكفاهم ذلك العدو ، وذلك لعلو قدره وارتفاع أمره وشدة سطوته . فقوله إلى من يتقون : متعلق بما في إمام من معنى التقدم ، وقد بين هذه الإمامة في البيت التالي .

(٤) يقول : فهو سيفهم الذي يبطشون به عند غضبهم ، وإذا قامت حرب فهو ساقها الذي تعتمد عليه .

(٥) الفهق : الامتلاء ، ومنه التفهيق الذي يفهق فيه بالكلام . والمكر : مجال الحرب . يقول : لا تنسرك تبسمه في أهوال ساعة الحر . وهو عند ضيق المكر بازدهام الأبطال وامتلائه بالدم ، يعني أنه ملك عظيم إذا رام مطلباً أدركه بالأسلحة والحيل ، ثم بين علة ترك الإنكار لتبسمه في البيت التالي وفيه مثل هذا يقول البحري :

فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ الْمُهْجَ الْعَوَالِي وَحَمَلَتْ هُمُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ^(١)
 إِذَا أُتْمِنَ فِي آثَارِ قَوْمٍ وَإِنْ بَعْدُوا جَمَلَتُهُمْ طِرَاقًا^(٢)
 وَإِنْ نَقَعَ الصَّرِيحُ إِلَى مَكَانٍ نَصَبْنَ لَهُ مُؤَلَّلَةً دَقَاقًا^(٣)
 فَكَانَ الطَّمَنُ بَيْنَهُمَا جَوَابًا وَكَانَ اللَّبْتُ بَيْنَهُمَا فَوَاقًا^(٤)

ضَحُوكُ إِلَى الْأَبْطَالِ وَهَـ بَرُّوْعُهُمْ وَالسَّيْفُ حَدَّ حِينَ يَسْطُورُ وَرَوْنُ

(١) المهج : الأرواح ، والعوالي : الرماح ؛ وهمه : همته ؛ والعناق : الخيل الكرام يقول : لا تنكر ابتسامه في هذه الحالة لأنه لا كلفة عليه في الحرب إذ أن الرماح قد ضمنت له أرواح أعدائه ، وإذا هم بأمر أدركه على ظهور خيله ، فقد حملت همته ، وقد كشف عن هذا المعنى في البيت التالي .

(٢) إنعال الخيل : تصفيح أيديها بالحديد ، والطراق : نعل تحت نعل . يقول : إذا أُنعلت خيله لقصد قوم أدركتهم فداستهم بجوافرها حتى تصير جلودهم ولحومهم طرَاقاً لنعالها وإن بعد المطلوبون ، ومثل هذا لأبي الأخرز الحماني :

لَمْ تَشْكُ خَيْلُهُمُ الْوَجَى مِنْ رَوْحَةٍ إِلَّا انْتَعَلْنَ مِنَ الدَّمَاءِ قَتِيلًا
 (٣) نَقَعَ : ارتفع صوته وبعد . والصريح : المستغيث . وضيم نصبن للخيل والمؤلة المحددة ، يريد آذانها وآذان الخيل توصف بالدقة . قال الشاعر :

يَخْرُجْنَ مِنْ مُسْبِطِ النَّفْعِ دَامِيَةً كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ

يقول : إذا سمعت الخيل صوت المستغيث نصبت آذانها الرهفة لاستماعه لأنها تعودت إجابة المستغيث وإن كان يدعو غيرها ، وهذا معنى قوله إلى مكان : أى إلى مكان سوى مكانهن .

(٤) الضمير في بينهما للصريح والخيل : والفواق - ضم الفاء ، وفتحها - مقدار ما بين الحلبتين ، ويضرب مثلاً في السرعة . والفواق أيضاً : الشهقة الغالبة للإنسان يقول : إن خيله متى دعاها المستغيث كان جوابها الطعام من غير بطء في إجابته فتجعل الطعن جواباً ، ومقدار اللبث بين الإجابة وبين دعاء المستغيث مقدار فواق ناقة ، أو فواق إنسان : أى لا لبث بينهما . والله سلامة بن جندل حين يقول :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَرِيعٌ كَأَنَّ الصَّرَاخَ لَهُ قَرْعَ الظَّنَائِبِ^(١)

(١) يقول : إذا استغاث بنا مستغيث ، كان جوابه الجدى في نصرته ، ويقال قرع

مَلَايِقَةٌ نَوَاصِيهَا النَّايَا مَعْوَدَةٌ فَوَارِسُهَا الْعِنَاقَا^(١)
 تَبَيَّتْ رِمَاحُهُ فَوْقَ الْهَوَادِي وَقَدْ ضَرَبَ الْعَجَاجُ لَهَا رَوَاقَا^(٢)
 تَعْمِلُ كَأَنَّ فِي الْأَبْطَالِ خَرًّا عُلِينَ بِهَا أَصْطَبَاحًا وَاعْتَبَاقَا^(٣)
 تَعَجَّبَتِ الْمَدَامُ وَقَدْ حَسَاهَا فَلَمْ يَسْكُرْ وَجَادَ فَمَا أَفَاقَا^(٤)

(١) النواصي : جمع ناصية : شعر مقدم الرأس ؛ وملاية ومعاودة : حالان من الخيل ؛ والعامل فيهما : المصدر - من قوله وكان الطعن يقول : إن خيله تلقى نواصيها النايَا مقدمة عليها بوجهها مسرعة وقد اعتادت فواسيها معاينة الأبطال في الحرب ، قالوا : والمعانة آخر حالة في الحرب ؛ وأولها الملاقة من بعيد ، ثم المراماة بالسهم ، ثم المنازلة بالرمح ، ثم المنازلة إلى الاقتران ، ثم للمعانة .

(٢) أراد - - بالهوادي : أعنق الخيل ؛ والعجاج : الغبار . يقول : تبئت رماحه معروضة فوق أعناق خيله في سراه إلى عدوه فلا ينزل بالليل أخذا بالحزم ، وكأنها من الغبار الذي تثيره تحت رواق ، وهو من قول ابن الرومي :

وإعمالي إليك بها المطايا وقد ضرب العجاجُ بها رواقا

(٣) الملل : الشرب مرة بعد أخرى ؛ والاصطباح : الشرب في الصباح ؛ والاعتباق : الشرب في العشي . يقول : تميل هذه الرماح كأن دم الأبطال خمر علت بها أصباحاً وغبوقاً فهي لسكرها تميل ، وميلانها إنما هو لينها وفيه إشارة إلى أنه كثير الغارات لا تفتر خيله جائلة غدواً وعشيا وفي مثل هذا يقول البحري :

يتعثرون في النحور وفي الأو جُه سكرًا لما شربنَ الدماء

(٤) حساها : شربها . يقول : شرب سيف الدولة الخمر فلم تغلبه الخمر على عقله حتى تعجبت حين لم تقدر عليه ، وذلك لقوته ومئاته ، ولما جاد بالمال لم يبق من سكر الجود ولم يصح من أريجته ، وقد أحسن البحري في هذا المعنى إذ يقول :

تسكرمت من قبل الكئوس عليهم فما استطعن أن يُحْدِثن فيك تسكرما

لهذا الأمر ظنبوبه : إذا جد فيه ؛ والظنبوب : طرف العظم اليابس من الساق فجعل قرع الصوت على ساق الخف قرعا للظنبوب .

أَقَامَ الشَّعْرُ يَنْتَظِرُ الْمَطَايَا فَلَمَّا فَاقَتْ الْأُمُطَارَ فَاقَا^(١)
 وَزَنَا قِيَمَةَ الدَّهْمَاءِ مِنْهُ وَوَفَيْنَا الْقِيَانَ بِهِ الصَّدَاقَا^(٢)
 وَحَاشَا لِارْتِيَاكِ أَنْ يُبَارَى وَلِلْكَرَمِ الَّذِي لَكَ أَنْ يُبَاقَى^(٣)
 وَلَكِنَّا نَدَاعِبُ مِنْكَ قَرَمًا تَرَاجَعَتِ الْقُرُومُ لَهُ حِقَاقَا^(٤)
 فَتَى لَا تَسْلُبُ الْقَتْلَى يَدَاهُ وَيَسْلُبُ عَفْوُهُ الْأَسْرَى الْوُثَاقَا^(٥)

(١) يقول : أقام الشعر يبابه ينتظر عطاياه ، فلما فاقت عطاياه الأمطار في كثرتها فاق الشعر الامطار كذلك ؛ يعنى كثرت عطاياه وكثرت الأشعار في مدحه .

(٢) الدهماء : يريد الفرس الدهماء ؛ أى السوداء ؛ والقيان : جمع قينة ، الجارية للعبية وغير المغنية . والصداق مهر المرأة . وكان سيف الدولة أعطاء فرساً وجارية يقول : وزنا قيمة الفرس من الشعر وبذلنا مهر الجارية منه : أى ملكنا الفرس والجارية بالشعر . يريد أنه كافأ هبته بمدحه . قال العكبرى : وسمى قيمة الجارية صداقا لأن القيمة للأمة ، كالصداق للحررة ؛ لأنها تستحل بالثمن كما تستحل الحررة بالمهر .

(٣) حاشا : كلمة للاستثناء والتبديد للشيء ؛ والارتياح : الاهتزاز للبذل ويبارى : يجارى . ويباقى : يغالب من البقاء . وقد استدرك في هذا البيت ما ذكره في البيت السابق من أنه كافأه بالشعر . يقول : حاشا لارتياحك للعطاء أى لجودك ، أن يبارى بشيء ، فهو أكثر من أن يعارضه شيء . وحاشا لكرمك أن يباهى بالبقاء فهو أبقي من كرم غيرك ، يعنى أن جوده وكرمه أكثر وأبقى من شعرنا الذى نجازيها به .

(٤) منك تجريد ؛ والقرم : الفحل الكريم من الإبل ، ثم أطلق على السيد الشريف ؛ والحقاق : جمع حقة ، وهى التى دخلت فى السنة الرابعة من النوق فاستحقت الركوب والحمل . يقول : بيد أنى قلت ذلك - أى أنا وزنا قيمة الفرس والجارية من الشعر - ممازحة ، فنحن نداعب منك سيداً كل سيد ، فى جنبه يتصاغر حتى يصير كالحقة فى جنب الفحل الكريم .

(٥) يقول : إذا قتل قتيلا لم يأخذ سلبه ترفعاً عن ذلك ولكن عفوه يسلب أسراه أغلاهم وقيودهم : أى يعفو عنهم ويطلقهم ؛ والأصل فى هذا المعنى قول عنزة :

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيمَةَ أَنَّنِي

أَغْنَى الْوَعَى وَأَعِثْ عِنْدَ الْمُنَمِّ

وَلَمْ تَأْتِ الْجَمِيلَ إِلَى سَهْوٍ وَلَمْ أَظْفَرْ بِكَ مِنْكَ أُسْتَرَاقًا^(١)
 فَأَبْلَغَ حَاسِدِيَّ عَلَيْكَ أَنِّي كَبَا بَرْقٌ يُجَاوِلُ بِي لَحَاقًا^(٢)
 وَهَلْ تُغْنِي الرِّسَالَةُ فِي عَدُوٍّ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ ظَلِي رِقَاقًا^(٣)
 إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَيْبٌ فَلَانِي قَدْ أَكْثَرَهُمْ وَذَاقًا^(٤)
 قَلَمَ أَرَوْدُهُمْ إِلَّا خِدَاعًا وَلَمْ أَرِ دِينَهُمْ إِلَّا نِفَاقًا
 يُقَصِّرُ عَنْ يَمِينِكَ كُلُّ بَحْرِ وَعَمَّا لَمْ تُلْقَهُ مَا الْآفَا^(٥)
 وَلَوْلَا قُدْرَةُ الْخَلْقِ قُلْنَا أَعْمَدًا كَانَ خَلْقُكَ أَمْ وَفَاقًا^(٦)

(١) يقول : إنك لم تحسن إلى غفلة منك وإنما عن علم وتجربة أحسنت إلى ، ولم أظفر بإحسانك من غير استحقاق كمن يسرق شيئاً ، ولكنني كنت أهلاً لما أسديت وكنت أنت مصيباً فيما أوليت .

(٢) يقول : أبلغ هؤلاء الذين يحسدوني عليك أنهم لا يلحقونني ولا يلغون شأوي لأن البرق إذا حاول اللحاق بي كبا على وجهه - عثر وسقط - وإذا لم يلحقني البرق فكيف يلحقونني هم ؟ قال الواحدى : وتحمله المدوح الرسالة إلى أعدائه قبيح لولا قوله - حاسدى عليك .

(٣) الظبي : جمع ظبة ، وهى حد السيف . وهذا استهزام إنكار . يقول : إن حاسدى لا تكفى أمرهم الرسائل إنما يكفى أمرهم السيوف ، يعنى ليس يشفىني منهم الرسالة ، إنما يشفىني منهم القتل بالسيف .

(٤) يقول إنى أعرف الجربين الألباء بأحوال الناس ، لأن غيرى إذا كان قد ذاقهم فإنى قد ذقت وذقت حتى صرت كالآكل والأكلى أعرف بالما كوال من الذائق .

(٥) ألاق الشيء : أمسكه ، قال الشاعر :

كفأك كَفُّ مَا تُلْقِي دِرْهَا جُوداً وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسِّيفِ الدِّمَا
 يقول : كل بحر لا يبلغ شأوك فى الجود ، وما يمسكه من مائه على كثرته أقل مما لم يمسكه وجدت به .

(٦) يقول : لولا أن الله سبحانه قادر على أن يخلق ما يشاء لساورنا الشك هل أنت خلقت وفاقاً - اتفاقاً - أو عن عمد ، لاستبعاد الوم أن يكون مثلك فى جوده وتناهى محاسنه قد خلق .

فَلَا حَظَّ لَكَ الْهَيْجَاهُ سَرَجًا وَلَا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقًا^(١)

وقال يمدحه ويذكر الغداء الذي طلبه رسول ملك الروم وكتابه إليه :

لَعَيْنَتِكَ مَا يَنْقَى الْفَوَادُ وَمَا لَقِيَ وَالْحُبُّ مَالَمْ يَنْبَقِ مِنِّي وَمَا بَقِيَ^(٢)
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ وَلَكِنْ مَنْ يُبْصِرُ جُفُونَكَ يَمْشِقُ^(٣)
وَيَبِينُ الرِّضَا وَالسُّخْطَ وَالْقُرْبَ وَالنَّوَى بَحَالٍ لِلدَّمْعِ الْمُقَلَّةِ الْمُتَرَفِّقِ^(٤)

(١) يدعو له . والهيجاء : الحرب : قالوا : وهذا منقول من قول البحرى :

حُطَّتْ سُرُوجُ أَبِي سَعِيدٍ وَاعْتَدَّتْ أَسْيَافُهُ دُونَ الْعَدُوِّ تَشَامُ

(٢) يقول . إن عينيك ما دأى فكل ما لقيه قلبى من برح الهوى وما سيلقاه إنما هو لأجل عينيك وما تضمنته من السحر . وإن الحب هو الذى أذاب جسمى وأكل لحمى فالذى لم يبق منى - وهو الذاهب - وما بقى ، كلاهما له يفنيه ويذهبه : فاللام - فى قوله لعينيك - للتعليل : ومن قوله للحب : للملك وروى بدل للحب : للشوق .

(٣) يذكر أنه عزهاته يعزف عن النساء ولا يعيل إلى الغزل والعشق ولكن جفون عيني حبيبه فتانة لمن يراها فتضطر من لم يعشق إلى العشق ، وفى هذا نظر إلى قول صريع الفوانى :

وَقَدْ كَانَ لَا يَنْصُبُو وَلَكِنْ عَيْنُهُ رَأَتْ مَنْظَرًا يُضْنِي الْقُلُوبَ فَرَأَتْهَا

وقوله ولكن من يصير : أراد ولكنه - بضمير الشأن - فحذفه وجزم بعده

على الشرط .

(٤) يقول : إنه يبكى فى كل حال رضى عنه الم محبوب أو سخط عليه ، قرب منه أو

بعد عنه . لأنه فى حالة الرضا يخاف السخط وعند قربه يخاف البعد ؛ فالنوى : البعد .

والمترقق الذى يحول فى العين ولا ينحدر . وعبرة العكبرى : ما بين ما أرجوه من رضا من أحبه وأحذره من سخطه وما آتمناه من اقترابه وأخافه من بعده بحال للدموع التى تترقق فى القل كلفا بالحبيب وحذارا من الرقيب ، وقد شرح هذا المعنى الحماسى حين يقول :

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقُّ مِنْ مُحِبٍّ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُولَ الْمَذَاقِ

وَأَحْلَى الْهَوَى مَا شَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ وَفِي الْهَجْرِ فَهَوَ الدَّهْرِ يَرْجُو وَيَتَّقِي ^(١)
وَعُضْبِي مِنَ الْإِذْلَالِ سَكْرَى مِنَ الصَّبَا شَفَعْتُ إِلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بِرَبِّي ^(٢)

تَرَاهُ بَاكِيًا فِي كُلِّ وَقْتٍ خَافَةً مُرَقَّةً أَوْ لَاشْتِيَاقٍ
فَيَبْكِي ابْنُ نَاوَا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ
فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ
(١) ربه : صاحبه ؛ والدهر : ظرف . يقول : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه
شاكاً بين الوصل والهجر ، لأنه إذا كان كذلك كان للوصل أشد اغتناماً ، أما إذا
تيقن الوصل فإنه لا يلتذ به عند حصوله وإذا كان يائساً منه فقد لذة الرجاء ، فالهوى
عليه بلاء كله ، كما قال الآخر :

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ بِذِي الْهَوَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ مَعَ يَأْسٍ
وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ قَيْسُ بْنُ الرِّقَاتِ :
تَرَكْتَنِي وَاقِفًا عَلَى الشَّكِّ لَمْ أَصْدُرْ يَأْسَ مِنْكُمْ وَلَمْ أُرِدْ
وَيَقُولُ ابْنُ أَبِي زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيُّ :

فَكَأَنِّي بَيْنَ الْوَصَالِ وَبَيْنَ الْهَجْرِ تَمَنُّ مَقَامُهُ الْأَعْرَافُ
فِي مَحَلِّ بَيْنَ الْجَنَانِ وَبَيْنَ النَّارِ أَرْجُو طَوْرًا وَطَوْرًا أَخَافُ
قَالَ الْمَكْبَرِيُّ : وَأَصْلُ الْبَيْتِ مِنْ قَوْلِ الْحَكِيمِ : الرَّجَاءُ تَمَنُّ وَالشَّكُّ تَوْقُفٌ ،
وَمَا أَصْلُ الْأَمَلِ . وَقَالَ الْآخَرُ : أَحْلَى الْهَوَى وَأَعَذَبُهُ مَا كَانَ صَاحِبَهُ بَيْنَ يَأْسٍ وَطَمَعٍ
وَخَافَةٍ وَأَمَلٍ ، فَهُوَ يَحْذَرُ الْهَجْرَ وَيَتَّقِيهِ وَيُؤْمِلُ الْوَصْلَ وَيَرْجِيهِ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو حَفْصٍ
الشَّطْرَنَجِيُّ فِي قَوْلِهِ :

وَأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمُكَ الَّذِي تُهَدِّدُ بِالتَّخْرِيشِ فِيهِ وَبِالْمَقْتَبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًى فَأَيْنَ حَلَاوَاتِ الرِّسَائِلِ وَالْكُتُبِ
(٢) وغضبي : أى ورب غضبي . وربى الشباب : أوله ، ومنه ريق المطر : أوله .
جعلها غضبي لفرط دلالها ، فهي ترى من نفسها الغضب دلالة على عاشقها ، وجعلها
سكراً من الصبا والحدادة فهي مزهوة غثالة . ثم جعل شبابه شفيعاً إليها كما قال
محمود الوراق :

وَأَشْنَبَ مَفْسُولِ الثَّنِيَّاتِ وَاضِحٌ
سَتَرْتُ فَمِي عَنْهُ فَقَبَّلَ مَقَرِّي^(١)
وَأَجْيَادِ غَزْلَانِ كَجَيْدِكَ زُرْنِي
فَلَمْ أَتَّبِعْ عَاطِلًا مِنْ مُطَوَّقِ^(٢)
وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَغْفُ إِذَا خَلَا
عَفَافِي وَيَرْضَى الْحَبَّ وَالْحِلْلُ تَلْتَقِي^(٣)

كَفَاكَ بِالشَّيْبِ ذَنْبًا عِنْدَ غَانِيَةٍ
وَقَالَ الْبَحْرِيُّ :
أَخِيبُ عِنْدَكَ وَالصَّبَّالِي شَافِعُ
وَأَرَدَ دُونَكَ وَالشَّبَابُ رَسُولُ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَإِذَا تَوَسَّلَ بِالشَّبَابِ أَخُو الْهَوَى
أَلْفَاهُ نِعَمَ وَسِيلَةَ التَّوَسُّلِ
(١) وَأَشْنَبَ : عَطَفَ عَلَى غَضَبِي ؛ وَالْأَشْنَبُ : الْأَبْيَضُ الْأَسْنَانُ الْحَسَنُهَا
وَالْمَفْسُولُ : الْحُلُو الَّذِي كَانَتْ فِيهِ عَسَلًا . وَالثَّنِيَّاتُ الْأَسْنَانُ الَّتِي فِي مَقْدَمِ
الْفَمِ ، وَالْمُفَرَّقُ مَوْضِعُ افْتِرَاقِ الشَّعْرِ مِنَ الرَّأْسِ . يَقُولُ : وَرَبُّ حَبِيبٍ حَسَنِ الْأَسْنَانِ
حُلُو رَضَابِ الثَّنَائِيَا وَاضِحُ الْوَجْهِ - مَشْرِقُهُ - تَعَفَّفْتُ عَنْهُ وَتَصَوَّنْتُ بِسِتْرِ الْفَمِ مِنْهُ عَفَا
وَتَوَرَّعًا كَيْلَا يَقْبَلَنِي قَبْلَ رَأْسِي إِجْلَالًا لِي وَمِيلًا إِلَيَّ . يَرِيدُ أَنَّهُ أَحَبُّ وَصْلِهِ وَتَعَفَّفَ
هُوَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ .

(٢) الْأَجْيَادُ : جَمْعُ جَيْدٍ ، الْعُنُقُ . وَالْعَاطِلُ : الَّذِي لَا حُلَى عَلَيْهِ ، وَالْمَطَوَّقُ الَّذِي
قَدْ تَطَوَّقَ بِالْحُلَى . يَصِفُ نَفْسَهُ بِالْعَفَةِ وَالزَّاهَةِ ، وَأَنَّهُ قَدْ زَارَهُ مِنَ الْحَسَنِ عَاطِلَاتٍ
وَحَالِيَّاتٍ ، فَلَمْ يَعْرِفْ ذَاتَ الْحُلَى مِمَّنْ لَا حُلَى عَلَيْهَا .

(٣) الْحَبُّ - بِكَسْرِ الْحَاءِ - الْمَهْجُوبُ ؛ وَعَفَافِي مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ . وَقَوْلُهُ : وَالْحِلُّ تَلْتَقِي
حَالَهُ . يَقُولُ : لَيْسَ كُلُّ عَاشِقٍ عَفِيفًا مِثْلِي وَقَدْ خَلَوْتُ بِالْمَهْجُوبِ وَمَعَ أَنِّي عَفِيفٌ أَرْضَى
الْمَهْجُوبَ فِي الْوَغَى - الْحَرْبِ - بِشَجَاعَتِي ؛ قَالَ ابْنُ جَنِّي : سَأَلْتُهُ - الْمَتْنِي - عَنْ مَعْنَاهُ
وَقَدْ الْقَرَأَةُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : الْمَرْأَةُ مِنَ الْعَرَبِ تَرِيدُ مِنْ صَاحِبِهَا أَنْ يَكُونَ مُقْدَمًا فِي الْحَرْبِ
فَتَرْضَى حِينَئِذٍ عَنْهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ كَثُومٍ :

يَقْتَنُ حِيَادَنَا وَيَقْلَنُ لَسْتُمْ
بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَمُونَا^(١)
وَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الْقَائِلُ

(١) مِنْ مَحَلَّتِهِ . يَقُولُ : يَعْطِفُ خَيْلَنَا وَيَقْلَنُ لَنَا : لَسْتُمْ أَزْوَاجَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَمُوا مِنْ
سَبِي الْأَعْدَاءِ إِيَّانَا .

سَقَى اللَّهُ أَيَّامَ الصَّبَا مَا يَسُرُّهَا وَيَفْعَلُ فِعْلَ الْبَابِلِيِّ الْمُعْتَقِ (١)
إِذَا مَا لَيْسَتْ الدَّهْرَ مُسْتَفْتَعًا بِهِ تَخَرَّقَتْ وَاللَّبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ (٢)
وَلَمْ أَرَ كَالْأَلْحَاطِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ بَعَثَنَ بِكُلِّ الْقَتْلِ مِنْ كُلِّ مُشْفِقٍ (٣)

أَخَذْتُ لَطَرْفَ الْعَيْنِ مَا تَصِيْبُهُ وَأَخْلَيْتُ مِنْ كَفِّي مَكَانَ الْمُخْلَخَلِ
ويقول الآخر .

لِي مَا حَوَاهُ قِنَاعُهَا مِنْ فَوْقِ مَا حَوَتْ الْجُيُوبُ وَلِي مَكَانُ ثَرَاهَا
لَمْ تَلَفْ مُفْتَنِّقِينَ لَيْسَ عَلَيْهِمَا حَرَجٌ سِوَايَ مَعَ الْهَوَى وَسِوَاهَا
وقال العكبري : هذا البيت من الحكمة ، قال الحكيم : لسنا نمنع حجة ائتلاف
الأرواح إنما نمنع حجة اجتماع الأجسام فإنما ذلك من طباع البهائم .

(١) ما يسرها : مفعول ثان لسقى ؛ والبابلي : الحمر نسبة إلى بابل . يدعو لأيام
الصبا . يقول : سقاها الله ما يورثها السرور والطرب ويفعل فعل النحر المعتقة ؛ وهذا
على عادة العرب من الدعاء بالسقيا . وهو مجاز ، لأن الأيام ليست مما يسقى :

(٢) يقول : إن الدهر مشتمل على ناسه احتمال الثوب على لابسه ، بيد أن هذا
الثوب - الدهر - باق لا يبلى - أما لابس - وهو الإنسان - فإنه يبلى ويفنى . ومن
ثم يسمى الدهر الأزلم الجذع - أي أنه باق على حاله لا يتغير على طول إناه ، فهو أبداً
جذع لا يسن . قال الأخطل :

يَا بَشْرُ لَوْلَمْ أَكُنْ مِنْكُمْ بِمَنْزِلَةٍ أَلْقَى عَلَى يَدَيْهِ الْأَزْلَمُ الْجَذْعُ
وفي مثل هذا المعنى يقول ابن دريد في مقصورته :

إِن الْجَدِيدِينَ إِذَا مَا اسْتَوْلِيَا عَلَى جَدِيدِ أَدْنِيَاهِ لِلْبِلَى

(٣) الكاف - في قوله كالألحاط - اسم بمنزلة مثل ، مفعول به . وجملة بعثن حال ؛
وبكل القتل : أي بقتل فظيع . يقول : لم أر مثل الألحاط ولا مثل فعلها يوم رحيل
الذين أحبهم ! بعثت لنا القتل ؛ أي قتلنا بسحرها دون أن يقصد ذلك من أدارها ،
والأصل في هذا قول النابغة :

فِي إِثْرَ غَايَةِ رَمْتِكَ سِيَّهَا مَهَا فَأَصَابَ قَلْبَكَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تُقْصِدِ
[رماه فأقصده . قتله في المكان]

أُدرنَ عيوننا حارباتٍ كأنها مَرَكَبَةٌ أُحدقها فوقَ زُبقي^(١)
عشيّةً يَعدونا عن النّظرِ البكا وعن لَذّةِ التّوديعِ خوفُ التّفريقِ^(٢)
نودّعهم والبينُ فينا كأنه قنا ابنُ أبي الهيثماء في قلبه فيلقَى^(٣)

(١) الضمير - في أدرن - للحبيبات ، لدلالة المقام . والأحداق : جمع حدقة - سواد العين . يقول : أكثرن من إدارة عيونهن وتقليبها لصعوبة الموقف وترقب ما يكون من الفراق فلم تستقر الأعين حتى كأن أحدقها مركبة على زبقي . وهو معروف أن الزبقي يوصف بقلة الثبات وبالترجرج ، وقال بعضهم يصف عققا - طائر على شكل الغراب أو هو الغراب :

يُقلبُ عَيْنَيْنِ في رأسِهِ كأنهما قَطَرَتَا زُبقي
(٢) يعدونا : يمنعنا ويصرفنا ، والبكاء يمنع من النظر ، لأن الدمع إذا امتلأت به العين غاض البصر ؛ كما قال القائل :

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
وخوف الفراق كذلك يمنع من لذة الوداع ، ألا ترى إلى قول البحري :
لَا تَمْذُلْنِي فِي مَسِيرِي يَوْمَ سِرْتِ وَلَمْ أَلَاقِكَ
إِنِّي خَشِيتُ مَوَاقِفًا لِلْبَيْنِ تَسْفَعُ غَرْبَ مَا قُكْ
وَذَكَّرْتُ مَا يَجِدُ الْمَوَدَّ دَعِ عِنْدَ ضُبُكٍ وَاعْتِنَاقُكْ
فَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا وَخَرَجْتُ أَهْرَبُ مِنْ فِرَاقِكَ

ومن هذا قول الآخر :

يَوْمَ الْفِرَاقِ شَكَرْتُ تَرَكَ وَدَاعَكُمْ وَالْمَذْرُ فِيهِ مَوْسَعٌ تَوَسَّيَمَا
أَوَهْلَ رَأَيْتَ وَهَلْ تَمِغْتَ بِوَاحِدٍ يَمْشِي يُودِّعُ رُوحَهُ تَوَدَّيَمَا
وقول الآخر :

صَدَّنِي عَنْ حَلَاوَةِ النِّشِيعِ حَذَرِي مِنْ مَرَارَةِ التَّوَدِّيعِ
لَمْ يَقُمْ أَنْسُ ذَا بَوَاحِشَةٍ هَذَا فَرَأَيْتُ الصَّوَابَ تَرَكَ الْجَمِيعِ
(٣) القنا : الرماح . وأبو الهيثماء : هو والد سيف الدولة ؛ والفيلق : الكتيبة

قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسَجُ دَاوُدَ حِنْدَهَا إِذَا وَقَمَتْ فِيهِ كَنَسَجِ الْخَدَرْقِ^(١)
 هَوَادٍ لِأَمْلَاكِ الْجِيُوشِ كَانَهَا تَخَيَّرُ أَرْوَاحَ الْكَمَاةِ وَتَنْتَقِي^(٢)
 قَدُّ عَلَيْهِمْ كُلِّ دِزِجٍ وَجَوْشِنٍ وَتَفَرِّي إِلَيْهِمْ كُلِّ سُورٍ وَخَنْدَقِ^(٣)

من الجيوش . يقول : إن البين - البعد - يفتك بنا فتك رماح سيف الدولة بجيوش أعدائه . وهذا من حسن التخلص وهو بدیع .

(١) قواض : قوائل ، يعنى الرماح ، وهو خبر عن محذوف ضمير القنا ، ومواض : نوافذ ؛ ونسج داود : الدروع ؛ والخدرق - بالذال والذال - النكبتون وإذا جمعت حذف آخره قلت خدارن ؛ ولى الصحاح : بالذال المهملة ؛ وأنشد أبو عبيدة لزيفان السدي :

وَتَهْلُ طَائِمٌ عَلَيْهِ الْفَلَقُ يُبِيرُ أَوْ يُسَدِّي بِهِ الْخَدَرْقِ^(١)

يقول : هي - أي رماح سيف الدولة - قوائل من يقصدها نوافذ في دروع الأبطال تخرقها إليهم ، كأنها تخرق نسج النكبتون .

(٢) هواد - من الهداية - يقال هداه فهدى ، والأملاك الملوك : وتغير بحذف إحدى التاءين أي تنغير ، والسكاة جمع كى : البطل المستتر في سلاحه . يقول : إن هذه الرماح تهدى أربابها أو تهتدى هي بنسها إلى الملوك فتقتلهم كأنها تنخير الأبطال فتأبى إلا خيارهم وسادتهم ، ولى مثل هذا يقول أبو تمام :

قَفَا سِنْدَابَايَا وَالنَّسَايَا كَانَهَا تَهْدَى إِلَى الرُّوحِ الْخَفِيِّ فَتَهْتَدَى^(٢)

(٣) الجوشن : الدرع . يقول : لا تحصنهم منها الدروع فلأنها تقدها - تقطعها - ولا الأسوار والخنادر فلأنها تفرها - تقطعها - وتأتى عليها وذلك لشدة طعن فرسان للمدوح وشجاعتهم .

(١) الفلق الطلعب : الحضرة على رأس الماء ، يقال : ينبت في الماء ذو ورق عريض

(٢) قال ياقوت : سندابايا : موضع بأذربيجان بالبذ ، من نواحي بابك الحرمي .

قال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف :

رَمَى اللَّهُ مِنْهُ بَابَكَاً وَوَلَاتَهُ بِقَاصِمَةِ الْأَصْلَابِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ

فَتَى يَوْمَ بَذِ الْخَرْمِيَةِ لَمْ يَكُنْ بِهَيَّابَةٍ نَكْسٍ وَلَا بِمِعْرَدٍ

قَفَا سِنْدَابَايَا وَالرَّمَاحِ مُشِيحَةً تَهْدَى إِلَى الرُّوحِ الْخَفِيِّ فَتَهْتَدَى

يُغِيرُ بِهَا بَيْنَ اللَّقَافِ وَوَاسِطٍ وَيُرُ كِرْهَا بَيْنَ الْفِرَاتِ وَجَلَّتْ^(١)
وَيُرْجُمَهَا مُخْرًا كَانَ صَحِيحَهَا يُبْكِي دَمًا مِنْ رَحْمَةِ الْمُتَدَقِّ^(٢)
فَلَا تَبْلُغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ شُجَاعٌ مَتَى يَذْ كُرْ لَهُ الطَّعْنُ يُشْتَقُّ^(٣)
ضُرُوبٌ بِأَطْرَافِ الشُّيُوفِ بَنَانُهُ لَعُوبٌ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ الْمُشَقُّ^(٤)
كَسَائِلُهُ مَنْ يَسْأَلُ الْغَيْثَ قَطْرَةً كَعَاذِلِهِ مَنْ قَالَ لِلْفَلَكَ أَرْفُقْ^(٥)

(١) اللقاف: بلد من بلاد الروم. وواسط: بلد بالعراق بناها الحجاج وخلق: دمشق أو غوطتها. قال الواحدي: وكان أوقع بيني البريدي بواسط، يريد كثرة غاراته وفشوها في البلاد من العراق إلى أقصى الروم، وانتشار عساكره إذا عادوا إلى ديارهم ما بين الفرات إلى أقصى الشام.

(٢) المتدقق: المتكسر. يقول: برد الرماح من القتال متلطفة بالدماء تقطر منها، كان محاسنها تبكي على ما تكسر منها من شدة الطعن رثاء لها ورحمة ويكي كيكي. والتشديد للبالغة.

(٣) فلا تبلغاه أي المدوح، يقول — مخاطباً صاحبه على عادة العرب — لا تبلغاه ما أقول فإنه لحبه الحرب وشجاعته متى ذكر له وصف الحرب والطمان اشتاق إليها وحن والبيت منقول من قول كثير:

فَلَا تُذْ كِرَاهُ الْحَاجِبِيَّةُ إِنَّهُ مَتَى تُذْ كِرَاهُ الْحَاجِبِيَّةُ يَحْزَنُ

(٤) بنانه: فاعل ضروب؛ والكلام المشقق: الذي شق بعضه من بعض ويقال شقق الكلام: إذا أخرجه أحسن مخرج. يقول: إنه شجاع في الحرب بليغ لدى القول قادر عليه حسن التصرف فيه مبدع، قال العكبري: وقد نقل هذا المعنى في الهجاء إلى المدح من قول الأول:

فَبَاعِذْ يَزِيدًا مِنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ وَأُذِنْ يَزِيدًا مِنْ كَلَامِ مُشَقِّ

(٥) يقول: إن من يسأل الغيث قطرة يتكلف ما هو في غنى عنه، إذ أن قطر الغيث مبذول لمن أراده، كذلك من يسأل للمدوح يتكلف ما لا حاجة به إليه، إذ أنه يعطى بلا سؤال، ولما كان المدوح مطبوعاً على الجود لم يكن في استطاعته العدول عنه، وإذن يكون عاذه عليه، كمن يقول للفلك ارفق في حركتك؛ فقول كسائله: خبر مقدم ومن يسأل: مبتدأ مؤخر ومثله كماذه من قال. وذهب ابن جني إلى أن المعنى: كما أن

لَقَدْ جُذِتَ حَتَّى جُذِتَ فِي كُلِّ مِلَّةٍ وَحَتَّى أَتَاكَ الْحَمْدُ مِنْ كُلِّ مَنْطِقٍ ^(١)
 رَأَى مَلِكُ الرُّومِ أَرْزَاحَكَ لِلنَّدَى فَقَامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِي التَّمَنَّى ^(٢)
 وَخَلَّى الرَّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِرًا لَا دَرْبَ مِنْهُ بِالطَّعَانِ وَأَحْذَقِ ^(٣)
 وَكَاتَبَ مِنْ أَرْضِ بَعِيدٍ مَرَامَهَا قَرِيبٍ عَلَى خَيْلٍ حَوَالَيْكَ سُبْقِ ^(٤)
 وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكِ مِنْهَا رَسُولُهُ فَمَا سَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفَلَّقِ ^(٥)

الغيث لا تؤثر فيه القطرة ؛ كذلك سائله لا يؤثر في ماله وجوده ، قال العروضي - ناقدًا - :
 وهذا على خلاف العادة في المدح لأن العرب تمدح بالعطاء على القلة والمواساة مع الحاجة
 إليه ، قال تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وقال الشاعر :

ولم يك أكره الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

والذي فسر - أي ابن جني - مدح بكثرة المال لا الجود . . . وإنما أراد
 - أي التنبئ - : من عادته وطبعه الجود كمادة الغيث أن يقطر - أي يمطر - فسائله
 مستغن عن تكليفه ما هو في طبعه .

(١) يقول : لقد عم جودك أهل كل ملة وأهل كل لغة حتى حدودك جميعاً لما نالوا من
 برك وإحسانك .

(٢) الارتياح : الانبساط ؛ والندى : الجود ؛ والمجتدى : طالب العطاء ؛ والمتعلق :
 للتودد ، أو الذي يخضع ويلين كلامه - مأخوذ من الصخرة الملقاة ، وهي الملساء -
 يقول : لما علم ملك الروم انبساطك للعبود وأريحيتك له تملق إليك تملق السائل ؛ وفي
 هذا نظر إلى قول القائل :

ولولم تُناهضه وأبصرَ عظمَ ما تُنيلُ من الجُدوى لجاءك سائلاً

(٣) الرماح السمهريّة : نسبة إلى سمهر ، زوج ردينة ، كانا يقومان الرماح ؛
 وأدرب : من الدربة ، وهي العادة ؛ يقال درب بالشيء : اعتاده وضرى به . والحاذق :

الحير بالشيء . يقول : وترك ملك الروم الرماح صفاراً لا اختياراً لمن هو أحذق بالطعان
 وأجرى عادة به منه - يعني سيف الدولة - يعني ترك الحرب صاغراً واستأمن بالكتاب .

(٤) يقول : استأمن إليك من أرضه البعيدة لعله أنها لا يبعد على خيلك سبق
 فإنك تدركه بهامتي أردت . وقوله بعيد : يروى بالجر ، على أنه نعت سببي لأرض . ومرامها -

أي مطلبها . . . فاعل له ؛ ويروى بالرفع على أنه خبر مقدم ، والجملة : نعت أرض .
 (٥) المسرى : الموضع الذي يسار فيه ليلاً : والهام : الرؤوس . يذكر كثرة قتلاه

فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيْهِ مَكَانَهُ شُعَاعُ الْحَدِيدِ الْبَارِقِ الْمُنَائِقِ^(١)
وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبَسَاطِ فَمَا دَرَى إِلَى الْبَحْرِ يَمْشِي أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي^(٢)
وَلَمْ يَتَنَبَّكْ الْأَعْدَاءُ عَنْ مُهْجَاتِهِمْ يَمْتَلِ خُضُوعٍ فِي كَلَامِ مُنَقِّ^(٣)
وَكُنْتُ إِذَا كَاتَبْتُهُ قَبْلَ هَذِهِ كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي قَذَالِ الدُّسْتَقِ^(٤)

في أرض الروم ، وأن رسوله سار إليك عند قصده إياك في طريقك فما سار إلا فوق رموس القتلى . وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

بِكُلِّ مُنْعَرَجٍ مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ جَنَاحِينَ فَاتَّقَ فِيهَا قَنَّا قِصْدَ^(١)
وقول الأول :

بِكُلِّ قَرَارَةٍ وَبِكُلِّ نَجْدٍ بَنَانُ فَتَى وَجُحْمَةٌ فَلْيَقُ

(١) يقول : لما قرب الرسول أعنى بصره لمان الحديد والسلاح حتى لم ير مكان سيف الدولة ولم يصر موضعه لشدة لمان الأسلحة حوايه . وقال العكبري : الضمير في « مكانه » للرسول : أي حتى لم يصر طريق نفسه لشدة لمان الحديد في عسكر سيف الدولة .

(٢) في البساط : يروى في السباط ؛ والسباط : صف يقومون بين يدي الملك . وقوله إلى البحر : أي إلى البحر ، خذف همزة الاستفهام . ويرتقى : يصعد ، يقول : وأقبل الرسول يمشي إليك بين السباطين فغشه من هيبتك ما لا يعرض مثله إلا لمن قصد إلى البحر أو ارتفع إلى البدر ، لعظم ما عاين .

(٣) لم يتنبك : لم يصر فك ؛ والمهجة : الروح ؛ ونقى الكلام : زينه : يقول : لم يجد الأعداء شيئاً يصفونك به عن العبث بأرواحهم وإراقة دمائهم مثل أن يخضعوا لك في كتاب يكتبونه إليك لأنك لا تدفع بالمقاومة . ولعله من قول أبي تمام :

خَاطَ لَهُ الْأَقْرَارُ بِالذَّبِّ رُوحَهُ وَجُثَامَهُ إِذْ لَمْ تَحْطَهُ قِبَالُهُ
وقوله أيضاً :

عَدَا خَائِفًا يَهْتَجِدُ الْكُتُبَ مَذْعَنًا عَلَيْكَ فَلَا رُسُلَ تَمَنَّتْكَ وَلَا كُتُبَ

(٤) الإشارة بهذه : إلى المرة ؛ والقذال : مؤخر الرأس : والدستق : القائد من قواد الروم . يقول : كنت قبل استخائته بك إذا أردت مكاتبته كتبت إليه بما تحمده

(١) الجناحين : عظام الصدر : ويروى جهاجم .

فَإِنْ تُعْطِ مِنْكَ الْأَمَانَ فَسَائِلٌ وَإِنْ تُعْطِ حَدَّ الْحَسَامِ فَأَخْلِقِ^(١)
وَهَلْ تَرَكَ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ مِنْهُمْ أُسِيرًا لِفَادٍ أَوْ رَقِيقًا لِمُعْتِقِ^(٢)
لَقَدْ وَرَدُوا وَرَدَ الْقَطَا شَفَرَاتِهَا وَمَرُّوا عَلَيْهَا زَرْدَقًا بَعْدَ زَرْدَقِ^(٣)
بَلَقْتُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُتْبَةً أَثَرْتُ بِهَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ^(٤)
إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهَوْ بِلُحْيَةٍ أَحْمَقِ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْخَلْقِ^(٥)

صيوفاك في قذال الدمستق من الجراحات : أى إن هذه الجراحات التى تصيبه وهو منهزم كالكتاب إليه ، لانه يبين بها كيفية الامر كما تبيين بالكتاب - وكان الدمستق قد جرح في بعض وقائع سيف الدولة ، فأشار المتنبي إلى ذلك ودل به على ضرورة ملك الروم إلى ما ظهره من الخضوع ، وقد فصل ذلك أبو تمام وما أبدعه :

كُتِبَتْ أَوْجُهُهُمْ مَشَقًا وَنَمْنَةً ضَرَبَ أَوْطَانًا يُقَاتُ الْهَامَ وَالصُّلْفَا
كِتَابَةً لَا تَنِي مَقْرُوءَةً أَبَدًا وَمَا خَطَطَتْ بِهَا لَامًا وَلَا أَلِفَا
فَإِنْ أَلْطَوْا يَنْكَارٍ قَدْ تَرَكْتُ وَجُوهَهُمْ بِالَّذِى أَوْلَيْتَهُمْ صُحُفَا

[الشق : مد الحروف ؛ والنخمة : النقش ؛ والصلف : جمع صليف ، صفحة العنق والظوا يانكار - بالطاء والظاء - لازموه ولم يفارقوه] :

(١) أخلق صيغة تعجب من قولهم فلان خالق بهذا أى جدير به . يقول : فإن أعطيته ما يطلب من الأمان فهو سائل يسألك ؛ وأنت لا تحيب سائلا ، وإن قتلته فهو جدير بذلك لأنه حرى مباح الدم .

(٢) البيض : السيوف ؛ والصوارم : القواطع ؛ والرقيق : العبد . يقول : إنك عممتهم بالقتل فلم تترك أسيرا يفدى أو رقيقا يعتق .

(٣) الضمير فى شفراتها : للبيض الصوارم ؛ وشفرة السيف : حده ؛ والزردق : الصف من الناس - تعرب رسته . يقول : إنهم وردوا شفرات السيوف كما ترد القطا مناهل الماء ومروا عليها صفا بعد صف حق أفنتهم . وفيه نظر إلى قول بعضهم :

لَقَدْ وَرَدُوا وَرَدَ الْقَطَا بِنَفْسِهِمْ رِضًا اللَّهُ مَصْفُوفٍ الْقَنَا الْمُتَشَاجِرِ

(٤) وصفه بالنور لبعده صيته وشهرة اسمه فى الناس كشهرة النور المستضاء به . يقول : هو نور وقد بلغت بخدمته رتبة ارتفع بها ذكرى واشتهر صيقى اشتهار النور فى المشرق والمغرب .

(٥) الأحق : الجاهل الذى لا عقل له . يقول : إذا أراد سيف الدولة أن يسخر من

وَمَا كَمَدُ الْخَنَادِ شَيْئًا قَصَدْتُهُ وَلَكِنَّهُ مِنْ يَزْحَمِ الْبَحْرَ يَغْرِقُ ^(١)
وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ وَيُغْضِي عَلَى عِلْمِهِ بِكُلِّ مُمَخْرِقٍ ^(٢)
وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقٍ ^(٣)

أحق من الشعراء أمره باللاحق بي ؛ فهو بحمته يظن أنه يقدر على إدراك شأوى وليس يقدر ، والغباء واللاحق استعارة من سباق الخيل .

وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

يَا طَالِبًا مَسْـَـمَاتَهُمْ لِيُنَافِلَهَا هِيَهَاتَ مِنْكَ غُبَارُ ذَاكَ الْمَوَكِبِ

قيل إن الخالدين - أبا بكر وأخاه عثمان - قالوا لسيف الدولة : إنك لتغالي في شعر التنبي ، اقترح علينا ماشئت من قصائده حتى نعمل أجود منها ، فدافعهم زمانا ، ثم كررا عليه ، فأعطاهما هذه القصيدة : فلما أخذها قال عثمان لأخيه أبي بكر : ماهذه من قصائده الطنانات فلائى شئ ، أعطانا ؟ ثم فكرا ، فقال أحدهما لصاحبه : والله ما أراد إلا هذا البيت ، فتركا القصيدة ولم يعاوداه ولم يعملأ شيئا .

(١) يقول : لست أقصد أن أكمد حادى لأنى لا آبه لهم ولا أحفل إلا أنهم لما تعرضوا لى لم يطبقوا مزاحمى فكمدوا وحزنوا لذلك ، فكانوا كمن زاحم البحر فغرق فى تياره . وقال الخطيب التبريزى المعنى : وما الإزراء على أهل الحسد أردت بما أبدعته ولا العجيز لهم قصدت فيما خلده ، ولكنى كالبحر الذى يغرق من يزاحمه غير قاصد ويهلك من اعترضه غير عامد ، وهو منقول من قول زياد الأعجم :

وَلَمَّا نَا وَبَا يُهْدَى بِهِ مِنْ هِجَائِنَا لِكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُرْمَى فِي الْبَحْرِ يَغْرِقُ
(٢) الممخرق : لغة عراقية مولدة يراد بها صاحب العبث والأباطيل : مأخوذة من الخرق ، وهو شئ يلبس به : إما منديل يلف أو خشب . ومنه قول عمرو ابن كلثوم :

كَأَنَّ سَيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ تَخَارِيقُ بَأْيْدِي لَاعِبِينَا

يقول : يمتحن الناس بقله ليعرف ما عندهم ثم يغضى مع علمه بذى العبث منهم فلا يفضحه لكرمه .

(٣) الإطراق : أن ترمى إلى الأرض ؛ وطرف العين : نظرها . يقول : إن إغضاه عن هؤلاء العاشرين لا ينفعهم إذا كان يعرفهم بقله فلا يخفى عليه حالهم ؛ وعبرة العكبرى : يريد هو يغضى للممخرق إغضاء تجاوز وحلم لا إغضاء غيظ وسوء ، وغض العين

فَيَا أَيُّهَا الْمَطْلُوبُ جَاوِزُهُ تَمْتَنِّعْ ، وَيَا أَيُّهَا الْخَرُومُ يَمِّمَهُ تُرْزَقِ (١)
 وَيَا أَجْبَنَ الْفَرَسَانَ صَاحِبَهُ تَجْتَرِيْ وَيَا أَشْجَعَ الشُّجْعَانَ فَارِقَهُ تَفَرِّقِ (٢)
 إِذَا سَعَتِ الْأَعْدَاءُ فِي كَيْدِ مَجْدِهِ سَعَى جَدُّهُ فِي كَيْدِهِمْ سَعَى مُحَقِّقِ (٣)
 وَمَا يَنْصُرُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعِدَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلُ السَّعِيدِ الْمُوَفِّقِ (٤)

لطرفها وكفها للحظها لا ينفع الموهو المغالط والمقصر المخرق ، إذا كان طرف القلب يلحظه وينظر إليه . وفي هذا نظر إلى قول ابن الرومي :

والنَّوَادِ الذِّكْرُ لِلنَّاطِرِ الْمَطْرُقِ عَيْنٌ يَرَى بِهَا مِنْ وَرَاءِ

ولابن دريد :

وَلَمْ يَرَ قَبْلِي مُنْضِيًّا وَهُوَ نَاطِرٌ وَلَمْ يَرَ قَبْلِي سَاكِنًا يَتَكَلَّمُ

(١) يقول : يا من يطلب فيخاف طالبه كن جارا له حتى تصير منيعا لا يصل إليك سوء ، ويا من حرم حظه من الرزق اقصد سائلا تصر مرزوقا ، فهو ذو نجدة يحمي الدمار معطاء .

(٢) يقول : إن من صاحبه صار جريئا إما لأنه يعديه بشجاعته وإما ثقة بنصرته . ومن فارقه - وإن كان شجاعا - فرق - خاف وفزع - وصار جبانا ؛ قال علي بن جبلة :

بِهِ عِلْمُ الْإِعْطَاءِ كُلُّ مُبْخَلٍّ وَأَقْدَمَ يَوْمَ الرُّوْعِ كُلُّ جَبَانٍ

وقال البحتري :

يَسْخُو الْبَخِيلُ - إِذْ رَأَى كُفْرَهُ بِنَفْسِهِ وَالنَّكْسُ يَمْلَأُ مَضْرِبَ الصَّمَامِ

(٣) المحقق : الغضب . يقول : إذا سعت أعداؤه ليكيدوا مجده ويطلوه سعى جده - سعده - في إبطال كيدهم سعى محقق ، ويروى سعى جده في مجده : أي في تشييد مجده أي أن جده يرفع مجده إذا قصد الأعداء وضعه .

(٤) المبين : الظاهر البين ، يقال أبنت الشيء ، وأبان هو ؛ واسم يكن : ضمير الفضل الأول : أي إذا لم يكن ذلك الفضل فضل السعيد . يقول : لا عينيك فضلك الظاهر إذا لم يعنك جدك القاهر ، أي أنه إذا لم يكن مع الفضل سعادة وتوفيق لم يغن ذلك الفضل صاحبه شيئا ، قال حسان :

وقال يمدحه ويذكر إيقاعه بين عقيل وقشير وبني العجلان وكلاب لما عاتوا
في نواحي أعماله ، وقصده إمام ، وإهلاك من أهلكه منهم ، وعفوه عن عفا بعد
تضافرهم وتضامهم عن لقائه سنة ٣٤٤ .

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْمَذِيبِ وَبَارِقِ

هَجْرَةٍ عَوَالِيَا وَهَجْرَى السَّوَابِقِ^(١)

وَصُحْبَةِ قَوْمٍ يَذْهَبُونَ قَنِيصَهُمْ بِفَضْلَةٍ مَا قَدْ كَسَرُوا فِي الْمَارِقِ^(٢)

وَلَيْلًا تَوَسَّدْنَا الثَّوْبَةَ تَحْتَهُ كَانَ ثَرَاهَا عَنَبَرٌ فِي الْمَرَاقِ^(٣)

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لِي وَجَهْلٍ غَطَى عَلَيْهِ النِّيمُ

[الحلم : العقل ؛ والجهل : الحق وعدم العقل] وقال ابن دريد :

لَا يَرْفَعُ الْجَدُّ بِلَالٍ وَلَا يَحْطُكُ الْجَهْلُ إِذَا الْجَدُّ عَلَا

(١) المذيب وبارق : موضعان بظاهر الكوفة ؛ والعوالى : الرماح ؛ والسوابق :
الحيل ؛ وما بين : لك أن تجعله ظرفاً لتذكرت ، وهجر عوالينا بدل منه بدل اشتغال ؛
كأنه قال هجر عوالينا فيه . ولك أن تجعل « ما » زائدة وبين المذيب : ظرفاً للهجر ،
وهجرى - بفتح الليم وضمتها - وهو وهجر : مصدران ميميان . يقول تذكرت نزولنا
بين هذين الوضعين حين كنا نجر رماحنا عند مطاردة الفرسان وتتسابق على الحيل .
يعنى أنه تذكر أرضه ومنشأه ومطاردة الفرسان وإجراء الحيل .

(٢) القنيس : الصيد ؛ والممارق : جمع مفرق ، موضع افتراق الشعر من الرأس .
يقول : وتذكرت صحبة قوم صمالك كانوا من البطولة والشجاعة بحيث كانوا
لا يكسرون سيوفهم إلا في جماجم الأبطال ، وكانوا من الأيد وشدة السواعد وإجادة
الضرب بحيث يذبحون ما يصيدون بفضول ما بقي من سيوفهم التي كسرت في
رؤوس الأعداء .

(٣) الثوبه : موضع بقرب الكوفة ؛ وتوسد الشيء : جعله كالوسادة تحت رأسه ؛
والمراقق : جمع مرفق ، مرفق اليد ؛ وثرأها : ثراها . يقول : وتذكرت ليلاً اتخذنا
فيه هذا المكان مخدات لنا : أى نمنا عليه وكان طيب التراب ، فكان ثرابه الذي
ارتفعنا به حين اتكأنا عليه غير في المرافق ، وقال ابن جنى : المرافق جمع مرفقة وهي
الوسادة . وهذا غير موافق لل مقام ، لأنه يصف تصعلكه وتصعلك أصحابه وجلدهم على

بِلَادٍ إِذَا زَارَ الْحَسَانَ بِغَيْرِهَا خَصَا تُرْبَهَا ثَقْبَنَهُ لِلْمَخَانِقِ (١)
سَقَتْنِي بِهَا الْقَطْرِ بُلْبُلِي مَلِيحَةً

عَلَى كَاذِبٍ مِنْ وَعْدِهَا ضَوْءُ صَادِقٍ (٢)
سُهَادٌ لِأَجْفَانٍ وَشَمْسٌ لِنَاطِرٍ وَسُقْمٌ لِأَبْدَانٍ وَمِسْكٌ لِنَاشِقٍ (٣)

مشقة السر وأن الفضلات المكسرة من السيوف مداوم والأرض وسائدهم ، ولا يفترق الصلوك بوضع الرأس على الوسادة والبيت من قول البحري :

فِي رَأْسٍ مُشْرِفَةٍ حَصَاهَا لَوْلُو وَتُرَابُهَا مِنْكَ يَشَابُ بِمَنْعَرٍ

(١) بغيرها : حال من الحسان ؛ وحصى : فاعل زار ؛ والمخانيق : جمع مخنقة ، وهي القلادة . يقول : هذه البلاد بلاد إذا حمل حصاها إلى النساء الحسان بأرض غيرها ثقبته كما يشب اللؤلؤ وجعلته قلادة لمن لحسنه ونفاسته ؛ وقال الخطيب التبريزي : إنما أراد ما يوجد حول الكوفة من الحصا الفروحي أي أن تراب تلك الأرض ينوب عن الغبر ، وحصاها ينوب عن الدر والياقوت ، كأن النساء يتحلين به وينظمنه في عقودهن . وفيه نظر إلى قول دعبل :

فَسَكَاتُهَا حَصْبًا وَهِيَ فِي أَرْضِهَا خَرَزُ الْعَقِيقِ نُظْمُنَ فِي سِلَاحٍ

(٢) قطربل : ضيعة من أعمال بغداد ، تنسب إليها الحمر القطربلية ، وعلى كاذب خبر مقدم على ضوء ؛ ومن وعدّها ؛ نعت لكاذب يقول : سقتني الشراب القطربلي امرأة مليحة على وعدّها الكاذب ضوء الوعد الصادق : أي يستحسن كلامها فيقبل كذبتها قبول الصدق ؛ ويجوز أن يريد أنها تقرب الأمر وتعد كأنها تريد الوفاء بذلك ، فهو ضوء الصدق ؛ ويجوز أن يريد ، أن الوعد الكاذب منها محبوب مطلوب ، وفي مثله يقول منصور النمرى :

تَعَلَّلَهُ مِنْهَا غَدَاةَ يَرَى لَهَا ظَوَاهِرَ صِدْقٍ وَالبَوَاطِنَ زُورٍ

(٣) قال ابن جني : أي قد اجتمعت فيها — أي المليحة — الأضداد ، فعاشقها لاينام شوقاً إليها ، وإذا رآها فكأنه يرى بها الشمس ، وهي سقام لبدنه ، ومسك عند الشم ، فذهب ابن جني — كما ترى — إلى أن البيت صفة للمليحة ؛ وقال العروضي : إنما يصف القطربلي — الحمر — والحمر تجمع هذه الأوصاف ، فإن من اشتغل بشربها لها عن النوم ، وهي — بشعاعها — كالشمس للناطر ، وهي ترخي الأعضاء فيصير شاربها كالسقيم لعجزه عن النهوض ، وهي طيبة الرائحة فتنبئ مسك لمن شمها ، والأظهر ما ذهب إليه ابن جني . وقد عاب ابن وكيع على المتنبي هذا ، وقال ينفى : أن يقول :

وَأَغْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ
عَفِيفٍ وَيَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقٍ^(١)
أَدِيبٌ إِذَا مَا جَسَّ أَوْتَارَ مِزْهَرٍ
بَلَا كُلَّ تَمَعٍ عَنْ سِوَاهَا بِعَاقٍ^(٢)
يُحَدِّثُ عَمَّا بَيْنَ عَادٍ وَبَيْنَهُ وَصُدَّغَاهُ فِي خَدَى غُلَامٍ مُرَاهِقٍ^(٣)
وَمَا الْخُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفًا لَهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَأَخْلَاقِهِ^(٤)

سُهاد لأجفان ونوم لساهرٍ وسقم لأبدان وبره سقام
حتى يصح التقسيم والطباق .

(١) وأغيد : عطف على مليحة ؛ ويروى بالجر — على إضمار رب — والأغيد :
الناعم المثني لنا . يقول : وسقاني أغيد جمع بين خفة الروح وحسن الجسم ، فالفاسق
يميل إليه جبا لجسمه ، والعاقل العفيف — الذي لا يفسق — يصبو إلى روحه لحفته
وظرفه . وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

فَتَتَنَنِي وَصِيفَةً كَالْفِلاَمِ الْمَرَاهِقِ

هَمَّةُ النَّاسِكِ الْعَفِيفِ وَسُؤْلُ الْمَنَاقِ

(٢) المزهر : العود ؛ والعائق : المانع . يقول : إذا تناول العود جس الأوتار أتى
بما يشغل كل سمع عما سوى الأوتار لحذقه وجودة ضربه ، كما قال الآخر :

إِذَا مَا حَنَّ مِزْهَرُهَا إِلَيْهَا وَحَنَّتْ نَحْوَهُ أَذِنَ الْكِرَامُ

وَأَصَفَوْا نَحْوَهَا الْأَسْمَاعَ حَتَّى كَانَهُمْ — وَمَا نَامُوا — نِيَام

ووصفه بالأدب : إما لأن ضرب العود من آداب اليد ، وإما لأنه يحفظ الأبيات
الحلوة والأشعار النادرة ؛ ويؤكد هذا البيت التالي .

(٣) عاد : هي تلك القبيلة العربية القديمة ؛ والمراهق : الذي قد راهق الحلم — أى
دافاه وقاربه — يقول : إنه يأتي بالألحان القديمة والأشعار التي قلت في الدهور الماضية ،
فهو بغنائها يحدث عما بين زمان عاد وبين زمانه مع أنه غلام لم يبلغ الحلم ؛ وعبرة ابن
جنى : هو أديب حافظ لأيام الناس وسيرهم .

(٤) صمير يكن : للحسن . والخلائق : كالثمائل — الحصال — أى الأخلاق .

وَمَا بَلَدُ الْإِنْسَانِ غَيْرُ الْمَوَافِقِ وَلَا أَهْلُهُ الْأَذْنُونُ غَيْرُ الْأَصَادِقِ ^(١)
وَجَايزَةُ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى كَلَامُ الْمُنَافِقِ ^(٢)

يقول : إذا لم تكن أفعال الفتي وأخلاقه حسنة جميلة فليس حسن وجهه شرفاً له ، قال
العباس بن مرداس :

وَمَا عِظَمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرِ وَلَكِنْ نَحْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرٌ
وقال الفرزدق :

وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجِسْمِ وَطَوْلِهَا إِذَا لَمْ يَزِنْ حَسْنَ الْجِسْمِ عُقُولُ
وقال دعلج :

وَمَا حُسْنُ الْجِسْمِ لَهُمْ بِزَيْنٍ إِذَا كَانَتْ خَلَاتِقُهُمْ قَبَاحًا
(١) الأذنون : الأقربون - جمع أدنى - والأصادق : جمع أصدقاء ، جمع صديق
قال الواحدى : هذا حث على السفر والتغرب . يقول : ليس بلد الإنسان إلا ما يوافقه ،
ولا أقاربه إلا أصدقاؤه ، يعنى أن كل مكان واقعه وطاب به عيشه فهو بلده ، وكل قوم
صادقوه وأصفوا له المحبة فهم رهطه الأذنون . قال العكبرى : وأخذ صدره
من قول القائل :

يُسْرُ الْفَتَى وَطَنُ لَهُ وَالْفَقْرُ فِي الْأَوْطَانِ غُرْبَةٌ
وأخذ محمزه من قول الآخر :

دَعَوْتُ وَقَدْ دَهَنَتِي دَاهِيَاتٌ وَلِلْأَيَّامِ دَاهِيَةٌ طَرُوقُ
صَدِيقًا لَا شَقِيقًا فِيهِ غِلٌّ أَلَا إِنَّ الصَّدِيقَ هُوَ الشَّقِيقُ

(٢) يقول : يجوز أن يدعى المحبة من لا يعتقدها ويتظاهر بها من لا يلزمها ،
ولكن المنافق لا يخفى اضطراب لفظه . قال العكبرى : وهذا إشارة إلى أن شكره
لسيف الدولة ليس كشكر من يتصنع له ولا بخلص له حقيقة وده ؛ وقال الواحدى :
يعرض فى هذا بمشيخة من بنى كلاب إذ طرحوا أنفسهم على سيف الدولة لما قصدهم
بيدون له المحبة غير صادقين . وفى مثل هذا يقول الآخر :

وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنِي مَحْدَثُهَا مَنْ كَانَ مِنْ حَزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا
ويقول القائل :

خَلَيْتُ لِلْبُغْضَاءِ حَالٌ مُبِينَةٌ وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تَرَى وَمَعَارِفُ

بَرَأَى مِنْ أَفْقَادَتِ عُقَيْلٍ إِلَى الرَّدَى وَإِشْمَاتِ مَخْلُوقٍ وَإِسْخَاطِ خَالِقِ^(١)
أَرَادُوا عَلِيًّا بِالَّذِي يُعْجِزُ الْوَرَى وَيُوسِعُ قَتْلَ الْجَحْفَلِ الْمُتَضَاقِ^(٢)
فَمَا بَسَطُوا كَفًّا إِلَى غَيْرِ قَاطِعٍ وَلَا حَمَلُوا رَأْسًا إِلَى غَيْرِ فَالِقِ^(٣)
لَقَدْ أَقْدَمُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ آخِذٍ وَقَدْ هَرَبُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ لَا حَقِ^(٤)
وَلَمَّا كَسَا كَعْبًا نِيَابًا طَفَعُوا بِهَا رَمَى كُلَّ ثَوْبٍ مِنْ سِنَانٍ بِخَارِقِ^(٥)
وَلَمَّا سَقَى الْغَيْثَ الَّذِي كَفَرُوا بِهِ سَقَى غَيْرَهُ فِي غَيْرِ تِلْكَ الْبَوَارِقِ^(٦)

(١) عقيل بن كعب : قبيلة من قبائل قيس عيلان ، ومنهم كان رؤساء الجيش الذى أوقع بهم سيف الدولة . يقول : من الذى أشار على عقيل هذه أن يعصوك ويتمردوا عليك حتى ألقوا بأيديهم إلى التهلكة وأثمتوا أعداءهم وأسخطوا الله سبحانه ؟
يعنى أنهم أساءوا فى هذا التدبير .

(٢) على : هو سيف الدولة ؛ ويوسع : يكثر ؛ والجحفل : الجيش العظيم ؛ والذى يعجز الورى : هو عصيان سيف الدولة . يقول : أرادوا عصيانك الذى يعجز الناس — لأنه لا يقدر أحد على أن يعصيك — والذى يكثر به قتل الجيش العظيم المتضايق لكثرة وازدحامه ؛ يعنى أنه لا يقدر أحد على عصيانه ولا يقدر جيش على ملاقاته .

(٣) يقول حين عصوه وقتلوه بسطوا أكتفهم إلى من قطعها وحملوا رءوسهم إلى من فلقها — يريد بنى عقيل — وأنهم كانوا فى تلك الحرب جزر السيوف وغرض الحتوف .

(٤) يقول : لقد أقدموا على الحرب ، ولكنهم وجدوا منك من أخذهم عند الإقدام ولحقهم عند الهرب ، فلم ينفعهم الإقدام ولا الهرب ؛ يعنى أنهم لم يؤثروا من ضعف فى حربهم ولا من تقصير فى هربهم ، ولكنهم رأوا من لا يوافق فى حرب ولا يمتنع منه بهرب .

(٥) كعب : قبيلة منهم ؛ وطفوا تمردوا ؛ والسنان : الرمح . يقول : لما أنعم عليهم فألبسهم ثياب نعمته طفوا وتمردوا ولم يشكروا نعمته فسلبهم النعمة بالإغارة عليهم وقتيلهم ، فكأنه خرق بأسنته ما ألبسهم من ثياب نعمته .

(٦) أراد بالغيث : إنعامه عليهم . والبوارق : جمع بارق ، وهو السحاب فيه برق . وقوله : سقى غيره : أى سقام كآس الموت فى غيره بوارق الغيث ؛ يعنى فى بوارق السيوف .

وَمَا يُوجِعُ الْحَرَمَانُ مِنْ كَفٍّ حَارِمٍ
 كَمَا يُوجِعُ الْحَرَمَانُ مِنْ كَفٍّ رَازِقٍ (١)
 أَنَاهُمْ بِهَا حَشَوَ الْعَجَاجَةَ وَالْقَنَا سَنَابِكَهَا تَحْشَوْنَ بَطُونَ الْحَمَالِقِ (٢)
 عَوَابِسَ حَتَّى يَأْبِسُ الْمَاءُ حَزْمَهَا فَهِنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كَالْمَنَاطِقِ (٣)

والعنى لما أمطر عليهم الخير والجود وكفروا به أمطر عليهم العذاب لأنه أتاها من عسكره في مثل السحاب البارقة ، فكانت ضد السحاب التى أحسن إليهم بها فكفروها . وفى مثل هذا يقول البحرى :

لَقَدْ نَشَأْتُ بِالشَّامِ مِنْكَ سَحَابَةٌ تَوَلَّى جَدَّوَاهَا وَبُحْشَى دِمَارُهَا
 فَإِنْ سَأَلُوا كَأَنْتَ غَمَامَةً وَابِلٍ وَغَيْثًا وَإِلَّا فَالْمَمَارُ قِطَارُهَا

(١) يقول : إن إساءته إليهم أوجع من إساءة غيره لأنه كان محسنا إليهم وهم تعودوا إحسانه ، فإذا تنكر لهم كان أشد عليهم . فهو يقول — موبخا لبني كعب لما حرمت أنفسهم فضل سيف الدولة ، الذى كان عندهم عادة دائمة ونعمة ساجدة — : وما يوجع الحرمان ممن لا يرتقب فضله ، ولا يؤلم المنع ممن لا يؤمل بذله ، كما يوجع ذلك ممن قد أنست النفوس إلى كريم عوائده وسكنت القلوب إلى جميل عواطفه . يريد أنهم كانوا أصدقاء خرموا فضله ورفده .

(٢) بها : أى بالخيول — وإن لم يجر لها ذكر — ؛ وحشو : حال ، كأنه قال : محشوة ، والعجاجة : واحدة العجاج : القبار . والقنا : الرماح ؛ والسنايك : أطراف الحوافر ؛ والحمالق — بحذف الياء ، لأنها الحمالق — جمع حمالق : بطن جفن العين . يقول : أتاها بالخيول وقد أحاطت بها الرماح والقبار فهى حشو هذين ، وحوافرها تحشو العينون بما تثير من القبار . وقال العروصى : أبلغ من هذا أن الخيل تطأ رؤوس القتلى فتحشو حمالقها بسنايكها ، كما قال :

* وَمَوَاطِنُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهُ *

فأما أن يرتفع القبار فيدخل فى العينون فلا كثير افتخار فى هذا .

(٣) عوابس : حال — أى كالحلة لما أصابها من الجهد — ؛ وحلى : من الحلية . وأراد يابس الماء : ما جف من العرق ، وعرق الخيل إذا جف أبيض ؛ والحزم : جمع حزام ؛ والمناطق : جمع منطقة ، ما يشد به الوسط . يقول : أتهم الخيل كالحلة وقد جف العرق على حزمها فايبس ، فصارت الحزم كأنها المناطق المحلاة بالفضة .

فَلَيْتَ أَبَا الْهَيْجَا يَرَى خَلْفَ تَدْمُرِ طَوَالَ الْعَوَالِي فِي طَوَالِ السَّمَائِقِ ^(١)
 وَسَوْقَ عَلَيَّ مِنْ مَعْدَةٍ وَغَيْرِهَا قِبَائِلَ لَا تُعْطِي الْقَفَى لِسَائِقِ ^(٢)
 قُشَيْرٌ وَبَلْعَجَانٌ لَانَ فِيهَا خَفِيَّةٌ كَرَاءَيْنِ فِي أَلْفَاطِ أَلْتَنَغِ نَاطِقِ ^(٣)
 تُخْلِبُهُمُ النَّسْوَانُ غَيْرَ فَوَارِكِ وَهُمْ خَلَوْا النَّسْوَانَ غَيْرَ طَوَالِقِ ^(٤)
 يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْكُمَاةِ وَبَيْنَهَا يَضْرِبُ يُسَلِّي حَرَّهُ كُلَّ عَاشِقِ ^(٥)
 أَتَى الظُّنَنَ حَتَّى مَا تَطِيرُ رَشَاشَةٌ مِنْ أَلْخِيلٍ إِلَّا فِي نُحُورِ الْعَوَاتِقِ ^(٦)

(١) أبو الهيجا : كنية والد سيف الدولة ؛ وتدمر : البلد القديم المعروف ؛ والعوالى : الرماح ؛ والسماقي : جمع سملق ، للفازة المستوية الأرض للترامية الأطراف . يقول : ليت أباك حي فيراك وقد خلفت تدمر تطارد قبائل العرب برماحك الطويلة في المفاوز الطوال .
 (٢) القفى : جمع قفا ؛ وعلى : اسم سيف الدولة . يقول : ويراك تسوق أمامك من بنى معد وغيرهم قبائل لا تنهزم من أحد ولا تولى أقيمتها من يسوقها ، يعنى ؛ إنك أذلت من العرب من لم يذلل غرك . واللام فى لسائق : زيادة فى التوكيد .

(٣) بلعجلان : يريد بنى العجلان ، خذف النون لمشابهتها اللام ، كما قالوا فى بنى الحارث : بلحارث . وقوله فيها : أى القبائل . يقول : إن هاتين القبيلتين قد تبدد شملهما بين ما تبدد من القبائل التى هربت بين يديك ، فقلنا وخفيتا فيها خفاء راءين فى لفظ ألتغ إذا كرهما ؛ وفيه إشارة الى كثرة الجموع التى ظهر عليها سيف الدولة من العرب ، ومع هذا إنما اعتصموا منه بالحرب .

(٤) فركت المرأة : اذا أبغضت الزوج ، فعى فارك ؛ والطوالق : جمع طالق . يقول : لشدة مالحقهم من الخوف وتشقتهم فى كل وجه تركت النساء أزاجهن من غير بغضة ، والرجال النساء من غير طلاق ؛ وهذا ينظر إلى قول النابغة :

دَعَانَا النِّسَاءُ إِذْ عَرَفْنَ وُجُوهَنَا دُعَاءَ نِسَاءٍ لَمْ يُفَارِقَنَّ عَنْ قَلِيٍّ

(٥) الضمير فى يفرق : لسيف الدولة : والكمأة : الأبطال عليهم السلاح - جمع كمى - والضمير فى بينها للنسوان . يقول : يفرق سيف الدولة بين الأبطال وبين نسائهم بضرب شديد ينسى العاشق معشوقه : أى أن شدة ذلك الضرب أنستهم حياطة أحبتهم وحملهم على إسلام ذريتهم ، وكل هذا مما يقيم لهم العذر فى هربهم منه .

(٦) الظنن : جمع ظعينة ، وهى النساء فى الهودج ؛ والرشاشة : واحدة الرشاش ،

بِكُلِّ فَلَاةٍ تُفَكِّرُ الْإِنْسَ أَرْضُهَا
 ظَعَانٌ حُمْرُ الْحُلِيِّ حُمْرُ الْإِيَانِقِ^(١)
 وَمَلُومَةٌ سَنِيفِيَّةٌ رَبِيعَةٌ يَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيَاخَ اللَّقَالِقِ^(٢)
 بَعِيدَةٌ أَطْرَافِ الْقَنَا مِنْ أُصُولِهِ قَرِيبَةٌ بَيْنَ الْبَيْضِ غُبْرُ الْيَلَامِقِ^(٣)

مارشرش من الدم ونحوه ؛ والعواتق : جمع عاتق ، وهى الجارية التى قد أدركت وشبت فى بيت أبيها . يقول : إن خيل سيف الدولة لحقت بنساء هؤلاء القوم فكان فرسانه إذا طعنوا تناضح الدم فى نحور النساء ، وإذا لحقوا بالعواتق فهو أعظم من لحاقهم بغيرهن لأنهن أحق بالصون والحماية . هذه رواية ابن جنى وتفسيره . وروى ابن فورجه : آتى الطعن حتى ما يطير رشاشه : الطعن - بالطاء المهملة ؛ ورشاشه : بالماء ضمير الطعن أى طاعن الأعداء وهم فى بيوتهم حتى يطير رشاشه فى نحور النساء : أى أنه غزا العدو فى عقر داره .

(١) بكل : خبر مقدم ، وظعان : مبتدأ مؤخر . والظعان : جمع طعينة ، وهى النساء المحمولات فى الهوداج ، وحر الحلى : أى أن حلين الذهب ، والأيانق : جمع أينق ، جمع ناقة : أى أنهن من الأشراف . ذوى اليسار حلين الذهب ومركوبهن النياق الحمر - وهى أكرم النياق عند العرب - يقول : إنهم أبدووا فى الحرب حتى انتشرت نساؤهم فى كل فلاة منقطعة لاعددها بالأنس ، ومع ذلك أدركهم ، فما ينفعهم هربهم ؛ أو تقول : حمر الحلى وحر الايانق من الرشاش الذى أصاب نحور العواتق فحمر حلين ونوقهن ؛ فيكون الكلام متصلا بما قبله .

(٢) وملومة : عطف على ظعان ؛ والكنتية : الملومة المجتمعة ؛ وسيفية نسبة إلى سيف الدولة : ورعية : لأنه من ربيعة ، واللقالق : جمع لقلق ، طائر كبير كثير فى العراق . ويصيح الحصى فيها : أى عند وقع حوافر الخيل عليه . شبه صوت الحصى بصوت اللقاليق . يقول : إن جيش سيف الدولة بلغ تلك الفلاة البعيدة .

(٣) بعيدة : صفة للملومة ؛ والقنا : الرماح ؛ والبيض : جمع بيضة : الخوذة تكون على الرأس ؛ واليلامق : الأقبية ، جمع يلقى : وغبر : جمع أغبر ، وكان الوجه أن يقول غبراء اليلامق ، لأنها صفة للكنتية ، لكنه جمع ذهابا إلى المعنى ، لأن الكنتية جماعة ، وهذا كما تقول : مررت بكنتية صفر الأعلام طوال الرماح : يقول : إن رماحهم طويلة قد تباعدت أطرافها من أصولها وهم متضايقون متسكافون مجتمعون ، لازدحامهم ،

نَهَاها وَأَغْنَاهَا عَنِ النَّهْبِ جُودُهُ فَمَا تَبَتَّنِي إِلَّا حُمَاةَ الْحَقَائِقِ ^(١)
تَوَهَّمَا الْأَعْرَابُ سُورَةَ مُتَرَفٍ تَذَكَّرُهُ الْبَيْدَاءُ ظِلَّ السَّرَادِقِ ^(٢)
فَذَكَّرْتَهُمْ بِالمَاءِ سَاعَةً غَبَرَتْ سَمَاوَةٌ كَلْبٍ فِي أَنْوْفِ الْخَزَائِقِ ^(٣)

فتقارب ما بين رءوسهم وقد اغبرت ثيابهم لما تثير خيلهم من الغبار . وفي هذا إشارة إلى أن الفلوات التي لجأ إليها هؤلاء القوم ظانين أنها تعصمهم من خيل سيف الدولة لم تجد لهم فقد أقحمها عليهم ولم يتيب اختراقها .

(١) جوده : يروى سيبه ؛ والحقائق : جمع الحقيقة ، ما تحقق حمايته من أهل ومال ونحوهما . يقول : إن جود سيف الدولة يفضيهم عن نهب الأموال فهم لا يطلبون إلا قتل الشجعان الذين يحمون ما يحق عليهم حمايته كما قال أبو تمام :

إِنَّ الْأَسُودَ أَسُودَ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكُفْرِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ
(٢) السورة : الوثبة ؛ والهاء في توهما : للسورة ؛ أي تومم الأعراب هذه السورة منك سورة مترف . ويجوز أن تكون ضمير الشأن فسرّه بمفرد ؛ والأعراب : سكان البادية ؛ والمترف : التمتع ؛ والبيداء : الفلاة المهلكة ؛ والسرايق : ما يدار حول الحيمة من خشق بلا سقف . يقول : تومم الأعراب أن حربك سورة متمم إذا صار في البيداء تذكر ما كان فيه من الظل والنعم كمادة للولك فانصرف عنهم وتركهم هرباً من العطش والحر ؛ وفي هذا نظر إلى قول البحري :

أَلُوفُ الدِّيَارِ فَإِنَّ أَزْمَعَ التَّرَحُّلِ حَرَّمَ لِيْطَانَهَا
إِذَا هُمْ لَمْ يَهْتَدِمْ عَزَمَهُ مَقَاصِيرُ يَعْتَادُ أَكْفَانَهَا
وإلى قول منصور الغمرى :

كَذَبَ الْعِدَا لَوْ كُنْتَ صَاحِبَ نِعْمَةٍ صَرَعَتْكَ بَيْنَ إِقَامَةٍ وَكَلَالِ
(٣) غبرت : أثارت الغبار ؛ وسماوة كلب : أي سماوة بني كلب ، وهي بركة معروفة بناحية العواصم ؛ والخزائق : جمع خزقة ، وهي الجماعة . يقول : في هذا الوقت ذكرتهم أنت بالماء ، أي حملتهم على تذكر الماء حين اشتد عطشهم في بركة السماوة وقد ملأ غبارها أنوفهم وهم هاربون بين يديك ، يعني عرفتهم صبرك عن الماء وأن الأمر لم يكن على ما ظنوا من أنك لا تصبر عن الماء وأنت تبغهم .

وَكَانُوا يَرْوَعُونَ الْمُلُوكَ بَأْنَ بَدَوْا وَأَنْ نَبَتَتْ فِي الْمَاءِ نَبَتَ الْفَلَاقِ^(١)
فَهَا جُوكَ أَهْدَى فِي الْفَلَا مِنْ نُجُومِهِ
وَأَبْدَى بِيُوتَا مِنْ أَدَاخِ النَّفَاقِ^(٢)
وَأَصْبَرَ عَن أُمَوَاهِهِ مِنْ ضِيَابِهِ وَأَلَفَ مِنْهَا مُقَلَّةً لِلْوَدَائِقِ^(٣)

(١) يروعون : يخيفون ؛ وبأن بدوا : أى بأنهم أقاموا بالبادية ؛ وأن : مخففة من التثنية ؛ والضمير في نبتت : للملوك . والفلاق : جمع غلفق ، وهو الطحلب . يقول : إن هؤلاء القبائل كانوا يخيفون الملوك بأنهم نشأوا في البادية فلا يكثرثون للحر والعطش ويصبرون على عدم الماء : وأن الملوك لا صبر لهم عن الماء لأنهم نشأوا فيه - أى في جواره - كما ينشأ الطحلب في الماء ، فظنوا أن سيف الدولة مثل أولئك الملوك .
(٢) أهدي : أفضل تفضيل - من الهداية - وهو حال من ضمير المخاطب ؛ والفلا : جمع فلاة . والضمير من نجومه يرجع إلى الفلا : لأن كل جمع بينه وبين واحد التاء يجوز فيه التأنيث والتذكير ؛ وأضاف النجوم إلى ضمير الفلا مجازاً على تشبيه النجوم بالقوم المسافرين ؛ وأبدى : أظهر . وأداحى : جمع أدحى - ككرسى - موضع يبيض النعام من الرمل ؛ والنفاق : جمع النفق ، ذكر النعام . يقول : فهجوك وأثاروك عليهم بمصائبهم فكنت أهدي إليهم في الفلوات من النجم وأظهر بيوتاً فيها من مبيض النعام ، وذلك أن النعامة لاعش لها ولكنها تدحو الرمل برجلها ، أى تبسطه ثم تبيض فيه . يريد أنه لم يتلمس مواضع الشجر والظل ولكن ينزل على وجه الصحراء معرضاً لحر الشمس .

(٣) الضباب . جمع ضب ، الدوية البرية المعروفة ؛ والودائق : جمع وديقة ؛ شدة الحر عند دنو الشمس من الرؤوس ؛ قال بعضهم : سميت وديقة لأنها ودقت إلى كل شئ . أى وصلت إليه . قال أبو المثلم الهذلي يرثى صخرأ :

حامى الحقيقة نسالُ الوديقة مفِئَاق الوسيقة لا نِكْسُ ولا وانى^(١)

(١) قبله :

أبى الهضيمة نأبٍ بالعظيمة متلاف الكريمة جَلَدَ غير ثُفَيَّانٍ

قال ابن الأعرابي : يقال فلان يحمى الحقيقة وينسل الوديقة يقال للرجل المشمر القوى : أى ينسل نسلانا في وقت الحر نصف النهار والوسيقة الطريدة من الإبل وفرس معتاق الوسيقة وهو الذى إذا طرد عليه طريدة أنجاهها وسبق بها .

وَكَانَ هَدِيرًا مِنْ فُحُولٍ تَرَكَتَهَا مُهْلَبَةً الْأَذْنَابِ خُرْسَ الشَّقَاشِقِ^(١)
فَمَا حَرَمُوا بِالرَّكْضِ خَيْلَكَ رَاحَةً

وَلَكِنْ كَفَّاهَا الْبَرُّ قَطَعَ الشَّوَاهِقِ^(٢)

وَلَا شَفَلُوا صُمَّ الْقَنَا بِقُلُوبِهِمْ

عَنِ الرَّكْزِ لَكِنْ عَنْ قُلُوبِ الدَّمَاسِقِ^(٣)

وأصبر : عطف على أهدى - في البيت السابق - . يقول : وكنت أصبر على الماء من الضب - والضب لا يرد الماء قط - وكنت آلف مقلة للهجير - شدة الحر - من الضب مع أنها تسكن الفلوات . وكل هذا إشارة إلى أنهم أخطأوا في تقديرهم سيف الدولة وخبرته باختراق القفار ، وأنهم عجزوا عما بدانه من الأيد والجلد .

(١) اسم كان : ضمير فيها ؛ وهديرًا : خبرها ؛ والتقدير : وكان فعلهم أو كيدهم . والهدير : صوت البعير إذا رددته في حنجرتة ؛ والمهلبة : اللقطة الهلب ، وهو شعر الذنب ؛ والشقاشق : جمع الشقشقة ، وهي لهة البعير إذا هدر أخرجها من فمه يقول : كان طينانهم وغيرهم مثل هدير فحول تهادرت فانتدب لها قرم - فحل كريم - هو سيف الدولة - مصعب فضعمها - عضها بملء فمه - أى نال منها - وسار عليها فتركها - صيرها مهلبة الأذنان ساكنة الهدير ، يعنى أذهم وصغر أمرهم ، لأن الفحل إذا أخذ هلبه ذل ، لأن الفحول إنما تتخاطر بأذنانها . وإذا أخذ شعر ذنبها ذلت ، قال الشاعر :

أَبَى صِفَرُ الْأَذْنَابِ أَنْ تَحْطُرُوا بِهَا

والعنى : تركت فحول تلك القبائل كفحول إبل تستدل بقطع الأذنان ، وسكنتها بعلبتك عليها فانتقطعت أصوات شقاشقها . يريد أنه أذل أعزاء الأعراب وذهب بقوتهم وظفر بهم .

(٢) الشواهيق : جمع شاقق ، الجبل الشامخ العالى . يقول : إنهم بفرارهم منك وإحواجهم إياك إلى الركض خلفهم لم يحرموا خيلك راحة لأنك لو لم تذهب إليهم لقصدت الروم ، فلما قصدت هؤلاء الأعراب أغنى خيلك السير في البرارى عن تحشم قطع الجبال بأرض الروم .

(٣) الصم : الصلاب ؛ والقنا : الرماح ؛ وبقلوبهم : متعلق بشغلوا ؛ وركز الرمح : غرزه في الأرض قائمًا لا يسطع به ؛ والدماشق : جمع دمهشق - على حذف التاء - والدمهشق : قائد الروم . يقول : إنك لو لم تحاربهم ما كنت تركز رماحك

أَلَمْ يَحْذَرُوا مَسْخَ الَّذِي يَمْسَخُ الْعِدَا وَيَجْعَلُ أَيْدِيَ الْأَسَدِ أَيْدِيَ الْخِرَاقِ (١)
 وَقَدْ عَايَنُوهُ فِي سِوَاهُمْ وَرُبَّمَا أَرَى مَارِقًا فِي الْحَرْبِ مَصْرَعٌ مَارِقٌ (٢)
 تَعَوَّدَ أَنْ لَا تَقْضَمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلَّاقِ (٣)
 وَلَا تَرِدَ الْفُذْرَانِ إِلَّا وَمَاؤُهَا مِنْ الدَّمِ كَالرَّيْحَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ (٤)

تاركا للحرب بل كنت تغزو الروم ، فهم إنما شغلوا رماحك بحربهم عن دمار قلوب قواد الروم : أى فلا راحة لحملك ولا لسلاحك .

(١) المسخ : قلب الحلقة ؛ والخرانق : جمع خرنق - بكسر الخاء - وهن الإناث من أولاد الأرانب أو الصغار منها . يريد بمسخه الأعداء أن يجعل الشجعان منهم جناء والأقوياء ضعفاء ، فتصير الأيدي القوية التي كأنها أيدى الأسد أيديا ضعيفة كأنها أيدى الأرانب . وعبارة العكبرى : ألم يحذر الأعداء سطوته التي هي على عدوه كالسوخ الذي يقبض الخلق ويقبض الصور ويبعد بها عزيزهم ذليلا وكثيرهم بالقتل قليلا ويجعل أيدى الأسد من أعدائه وقد تناهت في القوة كأيدى الخرانق قصيرة مما يكسبهم من الذلة والصغار ؟ وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

لو أن أيدىكم طِوالٌ قَصَّرتْ عنه فكيف تكونُ وَهْيَ قِصَارُ

(٢) وقد عاينوه : حال من ضمير يحذروا - في البيت السابق - والمارق في الأصل : الذى يمرق من الدين ؛ والمراد : الخارج عن الطاعة - من مروق السهم - والمصرع : مصدر صرعه ، إذا طرحه على الأرض ؛ ويراد به القتل . يقول : قد عاينوا بطشه بغيرهم فما اعتبروا بتلك المصارع وكان جديراً بهم أن يعتبروا بها وقد أراهم سيف الدولة مصرع العاصي المتمرد عليه حتى يعتبر الثانى بالأول ، كما قال أشجع :

شَدَّ الْخَطَامَ بِأَنْفِ كُلِّ مُخَالِفٍ حَتَّى اسْتَقَامَ لَهُ الَّذِي لَمْ يَخْطَمْ

(٣) القضم : أكل الشيء اليابس ؛ والهام : الرءوس ؛ والعلائق : جمع عليقة ، وهى الخلالة تعلق من رأس الدابة لتعتلف ؛ وجنوبها : نواحيها . قال ابن جني : سألته - المتنبي - عن معنى هذا البيت فقال : الفرس إذا علفت عليه الخلالة طلب لها موضعاً مرتفعاً يجعلها عليه ثم ياكل ؛ فخيله أبداً إذا أعطيت عليقتها رفقه على هام الرجال الذين قتلهم لكثرتهم حولها ، فقد تعودت خيله ذلك في غزواتها .

(٤) ولا ترد : عطف على لا تقضم ؛ والفدران : جمع غدير ، وهو ما غدره السيل - تركه - والشقائق : نور أحمر ؛ يقال له شقائق النعمان ، قال ابن جني : أى

لَوْفَدُ نَمِيرٌ كَانَ أَرْشَدَ مِنْهُمْ وَقَدْ طَرَدُوا الْأَطْمَانَ طَرَدَ الْوَسَائِقِ^(١)
أَعَدُّ رِمَاحًا مِنْ خُضُوعٍ فَطَاعَنُوا بِهَا الْجَيْشَ حَتَّى رَدَّ غَرْبَ الْفَيَالِقِ^(٢)

لكثرة ما قتله من أعدائه جرت دماؤهم إلى الغدران فغلبت على خضرة الماء حمرة الدم،
والسوء يلوح من خلال الدم كالريحان تحت الشقائق، وماء الغدير أخضر من الطحلب
فشبه خضرة الماء وحمرة الدم بالريحان تحت الشقائق. وقال ابن فورجه: إنما يعني أنه
لا يروم الهولنا ولا تشرب خيله الماء إلا وقد حاربت عليه واحمر الماء من دم الأعداء،
كما قال بشار:

فَتَى لَا يَبِيْتُ كُلِّي دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءُ إِلَّا بِدَمٍ

وقال العكبري: ويجوز أن يكون أراد أن خيله لا تقرب الغدران واردة، ولا
تقتحم مياهها شاربة إلا وتلك المياه تحت ما يسفكه من دماء أعدائه كالريحان في خضرته
إذا استبان تحت الشقائق، واستولت بحمرتها على جلته؛ وأشار بخضرة الماء إلى
صفاته وكثرته، ونبه بذلك على جمومه، وأن هذه الخيل إنما تأنس من الماء ما هذه
صفته، وترد منه ما هذه حقيقة؛ وفيه نظر إلى قول جرير:

وَمَا زَالَتْ الْقَتْلَى تَمُورُ دِمَاؤُهَا بِدِجْلَةٍ حَتَّى مَاءِ دِجْلَةٍ أَشْكَلُ^(١)

(١) لوفد: اللام للابتداء؛ والوفد: القوم الوافدون؛ ونمير: قبيلة منهم استسلمت
لسيف الدولة - كما سيذكر في البيت التالي - والأطمان: جمع ظعن، جمع ظعينة،
للرأة مادامت في المودج. والوسائق: جمع وسيقة: الطريدة من الغنم أو الإبل.
يقول: إن هؤلاء الذين وفدوا إليك من بني نمير كانوا أرشد من الذين هربوا عاصين
وطردوا نساءهم كما تطرد الوسائق.

(٢) ضمير رد: للخضوع؛ وغرب كل شيء: حده. والفياق: جمع فيلق،
القطعة من الجيش. يقول: إن هؤلاء الوافدين عليك من نمير أنوك خاشعين
فقام خضوعهم مقام رماح طاعنوا بها جيشك مدافعين عن أنفسهم، وهذا كما يقول
أبو تمام:

فَاطَ لَهُ الْإِقْرَارُ بِالذَّنْبِ رُوحَهُ وَجُبَانَهُ إِذْ لَمْ تَحْطُهُ قَنَابِلُهُ

(١) تمور: تجري؛ وأشكل: فيه بياض وحمرة، قد اختلطا.

فَلَمْ أَرَ أَرْمَى مِنْهُ غَيْرَ مُحَاثِلٍ وَأَمْرَى إِلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرَ مُسَارِقٍ^(١)
تَصِيبُ الْجَانِيقِ الْعِظَامُ بِكَفِّهِ دَقَائِقَ قَدْ أُعِيتَ قِيسُ الْبِنَادِقِ^(٢)

وقال في صباه يمدح أبا المتصر شجاع بن محمد بن أرس بن معن بن الرضى
الأزدى :

أَرْقٌ عَلَى أَرْقٍ وَمِثْلِي يَأْرَقُ وَجَوَى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقُّ^(٣)
جُهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ^(٤)

(١) المحاذل : المخاضع ؛ والمسارق : الذى يتربص غفلة . يقول : لم أر أحداً يرمى
أعداءه جهاراً ويسرى إلى أعدائه معالنا غير مسركا يرمى هو ويسرى ، فهو لا يحتاج
إلى المخاتلة والمسارقة فى الظفر بعدوه ، وفى هذا يقول البحرى :

فَنَذْرُكُ بِالْإِقْدَامِ بُغْيَيْنَا الَّتِي نَطَالِبُهَا لَا بِالْخَدِيعَةِ وَالْمَكْرِ
وهو معنى قديم .

(٢) الجانيق : جمع منجنيق ، آلة ترمى بها الحجارة ونحوها على الحصون فى الحصار ؛
والدقائق : الأشياء الدقيقة ؛ وأعيت : أعجزت ؛ والقسى : جمع قوس ، وهو من القلب
المسكن . والبنادق : جمع بندقة ، ما يعمل من الطين ويرمى به الطير . يقول : إنه
يقدر على ما لا يقدر عليه غيره حتى يصيب بالمنجنيق مع اختلاف رمية وتمذر ضبطه من
الأشياء الدقيقة ما يعجز غيره عن أن يصيبه بالقسى التى ترمى بها البنادق ، يعنى أنه
معان موفق مؤيد .

(٣) الأرق : فقد النوم ؛ والجوى : الحرقه - من حزن أو عشق - . والعبرة :
الدعة تتردد فى العين ؛ وتقول : رقرقت الماء فترقرق : مثل أسلته فسال . يقول :
لى سهاد بعد سهاد على أثر سهاد ، ومثلى بمن كان عاشقا يسهد لامتناع النوم عليه ،
وحرقة تزداد كل يوم ودমেه يسيل .

(٤) جهد الصبابة : مبتدأ ؛ خبره : أن تكون ؛ والجهد - بالفتح - الشقة ، والمضام
الطاقة والوسع ؛ وقيل هما لفتان بمعنى . والصبابة : رقة الشوق . وعين : خبر مبتدأ
محذوف ، تقديره لى عين ؛ ويجوز أن تكون عين : خبرا عن جهد الصبابة ، وأن
تكون فى موضع الحال . يقول : غاية الشوق أن تكون بهذه الحال التى أنا فيها ،
وقال البحرى :

مَا لَاحَ بَرَقُ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ إِلَّا أُنْذِنْتُ وَلِي فُؤَادٌ شَيْقُ^(١)
 جَرَبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِئُ نَارُ الْغَضَى وَتَكِلُ عَمَّا تَحْرِقُ^(٢)
 وَعَدَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى دُقْتُهُ
 فَمَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَفْشَقُ^(٣)

هل غاية الشوق المبرح غير أن يغلو نشيج أو تفيض مدايح

(١) انثنت : رجعت ؛ ولي فؤاد : جملة حالية ؛ والشيق : المشتاق ؛ وهو معلوم أن لمعان البرق يهيج العاشق ويحرك شوقه إلى أحبته لأنه يتذكر به ارتحالهم للنجعة وفراقهم ، ولأن البرق ربما لمع من الجانب الذي هم به ، وكذلك ترنم الطائر . وهذا كثير في أشعارهم ومنه قول بعضهم :

مَا تَغَيَّ الْقُمْرِيُّ إِلَّا شَجَانِي وَغَنَاءُ الْقُمْرِيِّ لِلصَّبِّ شَاجِي

(٢) الغضى : شجر معروف يستوقد به ، فتكون ناره أبقي . يقول : جربت من نار الهوى نارا تكمل نار الغضى عما تحرقه تلك النار وتنطفئ عنه ولا تحرقه ، يريد أن نار الهوى أشد إحراقا من نار الغضى ؛ وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لَوْ كَانَ قَلْبِي فِي نَارٍ لِأَحْرِقَهَا لِأَنَّ إِحْرَاقَهُ أَذْكَى مِنَ النَّارِ

فما - من قوله ماتنطفئ - : مصدرية ؛ والضمير في تحرق : لنار الهوى ؛ وعما تحرق : متعلق بتكل ؛ ومعمول تنطفئ - كما يقول العكبري - محذوف على رأى البصريين في إعمال ثانی الفعلين ؛ كقولك : رضيت وصفحت عن زيد ، لحذفت معمول الأول لدلالة الثاني عليه ؛ وحببتهم أن الثاني أقرب إلى المعمول واختار الكوفيون إعمال الأول . لأنه أسبق في الذكر ، وقد جاء في الكتاب العزيز إعمال الثاني . فهو دليل « للبصري » ، وجاء في أشعار العرب إعمال الأول ففي القرآن « آتوني أفرغ عليه قطرا . هاؤم اقرءوا كتابيه » وفي البيت محذوفان هذا الذي ذكرناه ؛ والثاني حذف العائد إلى « ما » الثانية من صلتها ؛ وفيه حذفان آخران تقديرهما جربت من قوة نار الهوى انطفاء نار الغضى وكلولها عن إحراق ما تحرقه نار الهوى .

(٣) يريد أن يعظم أمر العشق ويجعله غاية في الشدة . يقول : كيف يكون موت من غير عشق ؟ أي من لم يعشق يجب أن لا يموت لأنه لم يقاس ما يوجب الموت ، وإنما الذي يوجهه هو العشق . وقال بعض الشراح : لما كان المتقرر في النفوس أن الموت في أعلى مراتب الشدة قال : لما دقت العشق وعرفت شدته عجب كيف يكون هذا الأمر المتفق على شدة غير العشق !

وَعَذَرْتُهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنِّي عَزَّيْتُهُمْ فَلَقِيتُ فِيهِ مَا لَقُوا^(١)
 ابْنِي أَبِينَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ أَبْدَا غَرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعَقُ^(٢)
 نَبِيكَ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ جَمَعْتُهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا^(٣)
 أَيْنَ الْأَكْمِيرَةُ الْجِسَابِرَةُ الْآلِي
 كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا يَبْقِينَ وَلَا يَبْقُوا^(٤)
 مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِحَيْثِهِ حَتَّى تَوَى فَحَوَاهُ لَحْدٌ ضَيِّقٌ^(٥)

(١) يقول: لما ذقت مرارة العشق وما فيه من ضروب البلاء عذرت العشاق في وقوعهم في العشق وفي جزعهم وعرفت أني أذنبت بتصيرهم بالعشق فابتليت بما ابتلوا به ولقيت في العشق من الشدائد ما لقوا ، وفي مثل هذا يقول علي بن الجهم :
 وقد كنتُ بالعُشَّاقُ أَهْزَأَ مَرَّةً وها أنا بالعُشَّاقُ أَصْبَحْتُ بَاكِياً
 ويقول أبو الشَّيْخ :

وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ فَتًى يُبَسِّكِي عَلَى شَجْنٍ هَزَأْتُ إِذَا خَلَوْتُ
 وَأَحْسَبُنِي أَدَالَ اللَّهُ مِنِّي فَصِرْتُ إِذَا بَصُرْتُ بِهِ بِكَيْتُ

(٢) نَقَّ الْغَرَابُ وَنَقَّ : صَاح . انْتَقَلَ أَبُو الطَّيِّبِ مِنَ النَّسِيبِ إِلَى الْوَعْظِ وَذَكَرَ الْمَوْتَ ، وَمِثْلُ هَذَا — كَمَا قَالَ الْوَاحِدِيُّ — يَسْتَحْسِنُ فِي الْمَرَأَى لَا فِي الْمَدْحِ . وَقَوْلُهُ : ابْنِي أَبِينَا : أَيُّ يَا إِخْوَانَنَا . يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نِدَاءً لِجَمِيعِ النَّاسِ — لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمُ بَنُو آدَمَ — وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ قَوْمًا مَخْصُوصِينَ : إِمَّا الْعَرَبَ ، وَإِمَّا رَهْطَهُ وَقَبِيلَتَهُ . يَقُولُ : نَحْنُ نَازِلُونَ فِي مَنَازِلٍ يَتَفَرَّقُ عَنْهَا أَهْلُهَا بِالْمَوْتِ . وَإِنَّمَا ذَكَرَ غَرَابَ الْبَيْنِ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَتَشَامَمُ بِصِيَاحِ الْغَرَابِ ، يَقُولُونَ : إِذَا صَاحَ الْغَرَابُ فِي دَارٍ تَفَرَّقَ أَهْلُهَا ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي أَشْغَارِهِمْ .
 (٣) مِثْلُهُ :

لَا يُلْبِثُ الْقَرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكْرَهُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ

(٤) الْآلِي : أَيُّ الدِّينِ ، وَبَقِينَ : أَيُّ الْكُنُوزِ ؛ وَبَقُوا : أَيُّ الْأَكْسَرَةِ .

(٥) مَنْ — فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ — لِلتَّفْسِيرِ ؛ وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الْأَكْسَرَةِ ؛ وَمَنْ — الْمُضَافَةُ إِلَيْهَا كُلُّ — نَكْرَةٌ مَوْصُوقَةٌ . وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهَا : صَفَتُهَا . وَتَوَى : أَيُّ أَقَامَ فِي قَبْرِهِ ؛ وَيُرْوَى : تَوَى ، أَيُّ هَلَكَ . يَقُولُ : أَوَّلُكَ الَّذِينَ ذَكَرْتَنِي مِنْ كُلِّ

خُرُسٌ إِذَا نُودُوا كَانَ لَمْ يَفْلَحُوا أَنْ الْكَلَامَ لَمْ حَلَالٌ مُطْلَقٌ^(١)
وَالْمَوْتُ آتٍ وَالنَّفْسُ تَفَائِسُ وَالْمُسْتَعْرِ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحَقُّ^(٢)
وَالْمَرْءُ يَأْمَلُ وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ وَالشَّيْبُ أَوْ قَرُّ وَالشَّيْبَةُ أَنْزَقُ^(٣)
وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلَقِيَ مُسَوَّدَةٌ وَلِمَاءَ وَجْهِ رَوْنَقُ^(٤)
حَذَرًا عَلَيْهِ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهِ حَتَّى لَكِدْتُ بِمَاءِ جَفْنِي أَشْرَقُ^(٥)

ملك كثر جنوده حتى ضاق بهم الفضاء فجمعه لحد - شق في جانب قبر - ضيق بعد أن كان الفضاء الواسع يضيق عنه ، قال أشجع :

وأصبح في لحدٍ مِنَ الأرض ضَيْقٌ وكانت به حياً تضيقُ الصَّحاصحُ

« الصحاصح : جمع صحصح : الأرض الجرداء ليس بها شجر ولا ماء »

(١) يقول : إنهم موتى لا يحييون من ناداهم كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم لا يحل لهم أن يتكلموا . ولو وصفهم بالمعجز عن الكلام وعدم القدرة على النطق لكان أولى وأحسن ، لأن الميت لا يوصف بما ذكره . . . قاله الواحدى .

(٢) النفيس : الشيء الذى ينفس به ؛ أى يرضى به : والمستعر : المغرور . يقول : الموت يأتى على الناس فيودى بهم وإن كانت نفوسهم عزيزة ؛ والكيس لا يفتخر بما جمعه من الدنيا لعله أنه لا يبقى ولا يدفع عنه شيئاً ، ومن لم يعلم هذا فهو أحمق . وروى المستعر : أى الذى يطلب العز بماله هو أحمق ، وفى معنى البيت :

وإن امرأً أَمِنَ الزَّما نَ الْمُسْتَعْرِ أَهْجُ

(٣) شهية : مشتهة طيبة ؛ وأوقر : من الوقار ؛ والشبيبة : اسم بمعنى الشباب ؛ وأنزق : أخف وأطيب . يقول : إن المرء يرجو الحياة لطيبها عنده ، ويكره الشيب وهو خير له لأنه يبيده الحلم والوقار ، ويحب الشباب وهو شر له لأنه يجعله على الطيش والخفة .

(٤) اللمة من الشعر : ما جاوز شحمة الأذن ؛ والواو قبلها : للحال . والرونق : الحسن والنضارة .

(٥) حذراً : مفعول لأجله ؛ والعامل فيه : بكيت ، واللام من قوله لكدت : للتوكيد ؛ والتقدير : لقد كدت فحذف « قد » ويقال شرق بالماء . كما يقال غص بالطعام يقول : لكثرة دموعى كاد يشرق بها جفنى : أى يضيق عنها ، وإذا شرق جفنه فقد شرق هو ، ويجوز أن يغلبه البكاء فلا يلبق ريقه ويكون التقدير : بسبب ماء جفنى أشرق بريقى ، وفى هذين البيتين نظر إلى قول الآخر - وهو من باب غير هذا الباب - :

أَمَّا بَنُو أَوْسٍ بْنِ مَعْنٍ بْنِ الرِّضَا فَأَعَزُّ مَنْ تَحْدَى إِلَيْهِ الْأَيْتُ (١)
كَبُرَتْ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشَّمْسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ (٢)
وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَحَابٌ أَكْفُهُمْ
مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ (٣)

مَا كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتُ رَاضِيَةً عَنِّي بِذَلِكَ الرِّضَا بِمَغْتَبِطِ
عِلْمًا بِأَنَّ الرِّضَا سَيَتَّبِعُهُ مِنْكَ التَّجَنُّ وَكَثْرَةُ السَّخَطِ

(١) الأيتى : النياق ، جمع ناقة - على غير قياس - والقياس : الأتوق يقول :
إن قوم هذا للمدوح أعز الناس لنعتهم وشرفهم ، فهم أعز من يقصد ويرى إليه الطلاب
والقصاد ويحدون جمالهم . قال الواحدى : روى الأستاذ أبو بكر الخوارزمي الرضا -
بضم الراء - وهو اسم صنم ؛ وأراد ابن عبد الرضا : كما قالوا ابن مناف . ويريدون
ابن عبد مناف .

(٢) جلهم كالشموس في علو ذكركم واشتبارهم أوفى حسن وجوههم . يقول :
كبرت لله - أى قلت الله أكبر - تعجباً من قدرته حين أطلع شمساً لا من المشرق ،
وكانت منازل المدوحين في جهة المغرب : قال العكبرى : وإنما جمع الشموس ليجعل
كل واحد منهم شمساً ، فقابل جماعة بجماعة ، واستجاز ذلك ، لأن الشمس يختلف طلوعها
وغروبها وازدياد حرها وانتقامه وتغير لونها في الأصائل وغيرها ، فيقال : شمس
الضحى ، وشمس الأصائل ، وشمس الصيف ، وشمس الشتاء . كقوله تعالى « رب المشرقين
ورب المغربين » و « رب المشرق والمغرب » وقال الله تعالى « والله المشرق والمغرب »
وقال النخعي :

حَمَى الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَانَهُ لِمَعَانُ بَرَقَ أَوْ شَاعَ شَمْسُ

(٣) يقول : إذا كانوا يسقونها بندى أيديهم فلم لا تورق صخورها لفضل ندى
أيديهم على ندى السحاب : أى كان من حقها أن تلين حتى تثبت الورق وهذا من قول
البحترى يصف أيام للتوكل :

أَشْرَقْنَ حَتَّى كَادَ يَحْتَبِسُ الدُّجَى وَرَطْبُنَ حَتَّى كَادَ يَجْرَى الْجَنْدَلُ

ويقول أبو الشمقمق - وكان مع طاهر بن الحسين في حراقة في دجلة - :

وَتَفُوحٌ مِنْ طِيبِ الثَّنَاءِ رَوَّاحٌ^(١) لَّهُمْ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ^(٢)
مِنْ سَكِينَةِ النَّفَحَاتِ إِلَّا أَنَّهَا وَخْشِيَّةٌ بِسَوَاهِمُ لَا تَغْبِقُ^(٣)
أَمْرِيْدَ مِثْلِ مُحَمَّدٍ فِي عَصْرِنَا لَا تَبْلُنَا بِطَلَابٍ مَالًا يُلْحَقُ^(٤)

عَجِبْتُ لِحِرَافَةِ ابْنِ الْحَسَنِ كَيْفَ نَعَمُ وَلَا تَفْرَقُ
وَبَحْرَانِ مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ وَآخِرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ عِيدَانِهَا وَقَدْ مَسَهَا كَيْفَ لَا تَوْرَقُ
ويقول مسلم :

لَوْ أَنَّ كَفًّا أَغْشَبَتْ لِسَاحَةَ لَبَدَا بِرَاحَتِهِ النَّبَاتُ الْأَخْضَرُ

(١) مكانة : أى مكان ؛ ومثله منزلة ومنزل ، قال تعالى « على مكاتكم » والثناء
يوصف بطيب الرائحة ، لأن طيب أخبار الثناء فى الآذان مسموعة كطيب الروائح فى
الأنوف مشمومة . يقول : إن أخبار الثناء عليهم تسمع بكل مكان لكثرة اللتين عليهم ،
ولله ابن الرومى حين يقول :

أَعْبَقْتَهُ مِنْ طِيبِ رَيْحِكَ عِبْقَةً كَادَتْ تَكُونُ ثَنَاءُكَ الْمَسْمُوعَا
ولآخر :

لَوْ كَانَ يُوْجَدُ رَيْحُ مُجْدٍ فَاحِمًا لَوْجَدْتُهُ مِنْهُ عَلَى أُمِّيَالٍ
ولابن الرومى أيضاً :

إِنْ جَاءَ مَنْ يَبْنِى لَنَا مَنْزِلًا فَقُلْ لَهُ يَمْشِى وَيَسْتَنْشِقُ
ومثله :

لَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمْوُكُ لَقَادَهُمْ شَمِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرَّكْبُ

(٢) النفحات : الروائح ؛ وتغبق : تفوح . يقول : روائح ما يسمع من الثناء
عليهم مسكية — لها طيب المسك — إلا أنها نافرة لا تعلق بغيرهم ولا تفوح إلا منهم ،
يعنى لا يثنى على غيرهم كما يثنى عليهم .

(٣) أمريد : نداء . يقول : يا من يريد أن يوجد له نظير لا تمتحننا بطلاب مالا
بدرك ، أى أنه لا يوجد له نظير ، وفى مثل هذا يقول ابحترى :

وَلِئِنْ طَلَبْتُ نَظِيرَهُ لَأَنِ إِذَنْ لَمْ كَلِّفْ مُطْلَبَ الْمَحَالِ رِكَابِي

لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ أَبَدًا وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ^(١)
يَا ذَا الَّذِي يَهَبُ الْكَزْبِيلَ وَعِنْدَهُ أُنَى عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ أَنْتَصِدُقُ^(٢)
أَمْطِرْ عَلَى سَحَابِ جُودِكَ ثَرَّةً وَأَنْظُرْ إِلَى بَرِيحَةٍ لَا أَغْرَقُ^(٣)

(١) يقول : إذا كان الله سبحانه لم يخلق له مثلاً كان طلب مثله محالاً ، وعبرة العكبري : لا تطلب مثله ، فظني أنه لا يخلق الله مثل محمد ، وصدق إن أراد الاسم لا الصورة — لأن الله تعالى لم يخلق في الأول ولا في الآخر مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، ومثله لأبي الشيبان :

ما كان مثلك في الورى فيمن مضى أَحَدٌ وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ
ولابن الرومي :

فهل من سبيل إلى مثله أبا الله ذاك على من خلق
وللحصني :

لم يكن في خليفة الله نِدٌّ لك فيما مضى وليس يكونُ
(٢) وعنده : أي وفي اعتقاده أي إذا أخذت هبته فقد تصدقت عليه وأعطيته ، فهو متقلد المنة بذلك وموجب لى الشكر ؛ والأصل في هذا قول زهير :
تراه — إذا ماجئته — متهللاً كأنك تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
فقوله : أنتصدق ، أي أعطيه الصدقة وأهبها له : وقد جاء تصدق . بمعنى سأل ، وأنشدوا :

ولو أنهم رُزِقُوا على أقدارهم لَلْقَيْتُ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ
(٣) ثرة : غزيرة كثيرة الماء . يقول : اجعل سحاب جودك ماطرأً على مطراً غزيراً ثم ارحمني بأن تحفظني من الفرق كيلا أغرق في كثرة مطرك وهذا ينظر إلى قول ابن أبي السمط في وصف سحابة :

حتى ظَلَلْتُ أَقُولُ فِي إلْحَاحِهَا بالوبل : هل أنا سالم لا أغرقُ
هذا : وقد قال ابن الشجري في أماليه تمليقاً على قوله لا أغرق : تقديره فإن تنظر إلى لا أغرق ، ويحتمل رفعه وجهين : أحدهما أراد لئلا أغرق ، لحذف لام العلة ثم حذف أن ، فارتفع ، كقوله :

أَوْجَدُ مَيْتًا قُبَيْلَ أَفْقَدُهَا

كما جاء في قول طرفه :

ألا أيهذا الزاجري أحضرُ الوغى^(١) *

أراد أن أحضر ، لحذفها ؛ بذلك طى حذفها قوله : وأن أشهد الذات . والثاني : أن يكون بالفاء مقدرة ، وإذا كانت في الجواب مقدرة ارتفع الفعل بتقديرها ، كما يرتفع بإثباتها ، وإذا كانوا يحذفونها من جواب الشرط الصريح فيرفعون لحذفها من جواب الأمر أسهل كقوله :

مَنْ يَفْعَلِ الحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا^(٢)

وأما قوله تعالى « لا يضرركم » في قراءة الكوفيين وابن عامر ، ففيه ثلاثة أقوال : أحدها بتقدير الفاء ، والثاني على التقديم والتأخير ، كأنه قال : « لا يضرركم كيدهم » « وإن تصبروا وتتقوا » وبهذا التقدير ارتفع قول الشاعر — وهو بيت الكتاب — :

* إنك إن يُصرَع أخوك تُصرَع^(٣) *

والثالث : أن يكون الضم للاتباع .

(١) من معلقة طرفه ، وقد تقدم شرحه في غير موضع من هذا الشرح

(٢) لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، وقوله :

إِن بَسَلْ المرء من قتل ومن هرم
للذة العيش أفناه الجـديـدان
فإنما هذه الدنيا وزينتها
كالزاد لا بد يوماً أنه فاني
من يفعل الحسنة الله يشكرها
والشر بالشر عند الله مـيـان

(٣) من رجز لمعرو بن خنارم البجلي وهو :

يا أقرعُ بنَ حابسِ يا أقرعُ
إني أخوك فانظُرْنِ ما تصنعُ
إنك إن يُصرَع أخوك تُصرَعُ
إني أنا الداعي نزاراً فاسمعوا
في باذخ من عز مجد يفرعُ
به يضرُ قادرٌ وينفعُ
وأدفع الضيم غداً وأمنعُ
يتبعهُ الناسُ ولا يُستنقعُ
هل هو إلا ذنبٌ وأكرعُ
وزمَعُ مؤنَّسٌ مجَمَعُ
وحَسْبُ غلٍّ وأنفٌ أجَدعُ

كَذَبَ ابْنُ فَاعِلَةٍ يَقُولُ بِجَهَنَّمِ مَا تَكْرَهُ وَأَنْتَ حَتَّى تُرْزَقَ^(١)

وقال في صباه ارتجالا :

أَيَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِي أَيَّ عَظِيمٍ أَتَقِي^(٢)
وَكُلُّهُ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ^(٣)
مُحْتَقَرٌّ فِي هِمَّتِي كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِي^(٤)

(١) كذب ابن فاعلة : أى كذب ابن زانية . كفى بالفاعلة عن الزانية يقول : كذب من قال إن الكرام قد ماتوا مادت في الأحياء مرزوقا ؛ ويروى ترزق — بفتح التاء — أى ترزق الناس . أى تعطيم أرزاقهم ، والأولى أجود .
(٢) أى : استفهام معناه الإنكار . يقول : لم يبق محل ولا درجة في العلو إلا وقد بلغها ، وليس يخاف عظيما .

(٣ و ٤) للفرق : وسط الرأس حيث يفرق الشعر وقوله وما لم يخلق : قال الواحدى : ليس معناه ما لا يجوز أن يكون مخلوقا كذات الباري عز وجل وصفاته ، لأنه لو أراد هذا للزمه الكفر بهذا القول ، وإنما أراد : وما لم يخلقه مما سيخلقه بعد ، وإن كان قد لزمه الكفر باحتقاره خلق الله ، وفيهم الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون .

وأقرع بن حابس صحابى ، وكانت هذه المنافرة في الجاهلية قبل إسلامه ؛ والصريح الهلاك ؛ وزار : هو أبو القبيلة . والباذخ : العالى . ويفرع : يعلو . والألد : الأشد ، والشامخ : للارتفاع . ويقمع : يقهر ويذل وقوله هل هو : الضمير لرجل اسمه خالد ابن أوطاة . والأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق ، استعاره لأسفل الناس كالذئب . والزمع : رذال الناس . والمؤتشب : أى غير الصريح في نسبه . والوغل : النذل من الرجال . والأجدع : المقطوع الأنف .

(٦ — التلي ٣)

وقال يمدح الحسين بن إسحق التنوخي :

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأْتِي الْحَزَانُ وَيَا قَلْبٍ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أَفَارِقُ^(١)
وَقَفْنَا وَمِمَّا زَادَ بِنَا وَوَقُفْنَا فَرِيقَيَّ هَوَى مِمَّا مَشُوقٌ وَشَاقِقُ^(٢)
وَقَدْ صَارَتْ الْأَجْفَانُ قَرَحَى مِنَ الْبُكَاءِ
وَصَارَ بَهَاراً فِي الْخُدُودِ الشَّقَائِقُ^(٣)

(١) هو : كناية عن البين ، والنحويون يسمون ما كان مثل هذا : الإضمار على شرطية التفسير ، كقوله تعالى « قل هو الله أحد » يوحى : ابتدائية . وتأني - بحذف إحدى التاءين - أى تتمهل وتترقب ، والحزائق : الجماعات ، جمع حزيقة . يقول : هو البين يفرق كل شيء حتى لا تتمهل الجماعات ولا تلبث أن تتفرق إذا جرى فيها حكم البين ؛ ثم خاطب قلبه فقال : وأنت أيضاً - على مالك من علائق القرب - ممن أفارقه ! يعنى أن الأجنة إذا فارقوني ذهب القلب معهم ففارقني وفارقتهم . ومثله للعباس ابن أحنف .

تَفَرَّقَ قَلْبِي مِنْ مُقِيمٍ وَظَاعِنٍ فَلَهُ دَرَى أَىَّ قَلْبٍ أَشِيعُ
ولآخر :

كَانَ أَرْوَاحَنَا لَمْ تَرْتَحِلْ مَعَنَا أَوْ سِرْنَا فِي أَمْرِ الْحَيِّ الَّذِي سَارَا
(٢) البث : الحزن . وفريق هوى : نصب على الحال من الضمير في وقوفنا . يقول : وقفنا للوداع ومما زادنا حزناً أنا وقفنا فريقين يجمعهما الهوى ، منا مشوق - وهو العاشق يشوقه الحبيب بعد فراقه - وشائق - وهو الممشوق يشوق عاشقه - وجعل هذه الحالة تزيد حزناً ؛ لأن فراق الأجنة أشق على القلب من فراق الجيران والمعارف ومن لف لفهم ممن لا علاقة بينك وبينهم .

(٣) قرحى : كجرحى ومرضى ، جمع قرح : أى جريح ، فهو بدون تنوين ؛ وقال ابن جني : قلت له - للنتني - عند القراءة عليه قرحى : أتريده بالتنوين ؟ فقال : نعم ، جمع قرحة ، وهى اسم لا وصف ، والبهار : زهراً غراً ، والشقائق جمع شقيقة ، زهر أحمر يقال له شقائق النعمان . يقول : صارت الجفون قرحى من كثرة البكاء ، وحمرة الحدود صفرة لأجل البين ، كما قال عبد الصمد بن العذل :

عَلَى ذَا مَفَى النَّاسُ اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ وَمَيِّتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالَ وَوَامِقُ^(١)
تَفَيَّرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِحَالِهَا وَشَبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْفُرَاتِيقُ^(٢)
سَلِ الْبَيْدَ : أَيْنَ الْجَنُّ مِنَّا يَجُوزُهَا وَعَنْ ذِي الْمَهَارِي : أَيْنَ مِنْهَا التَّفَاتِقُ^(٣)

بَاكَرَتُهُ الْخُمَى وَرَاحَتْ عَلَيْهِ فَكَسَتْهُ حُمَى الرِّوَاكِ بِهَارَا
لَمْ تَشْنُ لَمَّا أَحْتَّ وَلَكِنْ بَدَّلَتْهُ بِالْأَحْمَرِ اصْفَرَارَا
وقال أبو تمام :

لَمْ تَشْنُ وَجْهَهُ الْمَلِيحَ وَلَكِنْ حَوَلْتُ وَزَدَ وَجْنَتِي بِهَارَا
وقال أيضاً :

لَهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ احْتِرَاقٌ يُعَيِّدُ بِنَفْسِجَا وَزَدَ الْخُدُودِ
(١) اجتماع : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لهم اجتماع ؛ والجملة : حال . وقوله
وميت : أى ومنهم ميت . يذكر أحوال الناس واختلاف الدهر بهم ، يقول : على هذا
مضى الناس قبلنا ، لهم اجتماع مرة وفرقة مرة ، ومنهم ميت يموت ومولود يولد ، ومنهم
قال - مبغض - ووامق - محب - كما قال الأعشى :

شَبَابٌ وَشَيْبٌ وَافْتِقَارٌ وَثَرَوَةٌ فَلَهُ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا
وقال الآخر :

وَمَا النَّاسُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى رَزِيَّةٌ مَالٍ أَوْ فِرَاقٌ حَبِيبِ
هذا : وقد عاب أبا الطيب بعض المتحذلقين ، فقال كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ : عَلَى ذَا
عَهْدِنَا النَّاسُ : رَاضٍ وَسَاخِطٌ ، وَمَيِّتٌ وَمَوْلُودٌ ؛ أَوْ يَقُولَ : اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ ، وَمَوْتٌ
وَوَلَادَةٌ ، وَقُلَى وَمَقَّة .

(٢) الفرائق الشباب الناعم الجليل ، وجمعه غرائق - بفتح الغين - ويقال الفرائيق ،
وهو فى الأصل طائر مائى يشبه السكركى . يقول : تمر الليالى وتجىء وهى على حالها
وبمرها تغير حالى وشيتتى وهى لا تشيب . يعنى أن الزمان يبلى ولا يبلى .

(٣) جوز كل شئ : وسطه : والمهاري : جمع مهريه ، وهى الإبل المنسوبة إلى
قبيلة من اليمن يقال لها مهرة بن حيدان . ويجوز فى المهاري فتح الراء وكسرهما : -
كصحارى وصحارى - بتشديد الياء وتخفيفها - قال رؤبة :

وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ كَأَنَّ جَلَّتْ لَنَا
مُحْيَاكَ فِيهِ - فَاهْتَدَيْنَا السَّمَاقُ^(١)

بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلِّ مِيلَةٍ بِنَا حَرَّاجِيحُ الْمَهَارِي النَّفَةِ^(١)
والتفائق : جمع تفق ، وهو ذكر النعام . يقول - لصاحبه - : سل البيد تخبرك
أين تقع الجن منا بهذه المفازة : أى أننا كنا أسرع فيها من الجن - وعن إبلنا أين تقع
منا الظلمان في السرعة : أى أن إبلنا كانت أسرع من النعام .
(١) وليل : أى ورب ليل ؛ وليل : فى . وضع رفع مبتدأ ؛ خبره : جملة كأننا الخ .
ودجوجى : مظلم ؛ وجلت : كشفت وأظهرت . ولنا : متعلق بجلت ؛ والهيأ : الوجه .
والسماق : فاعل جلت ، جمع سملق ، وهى الأرض البعيدة الطويلة ؛ والضمير من فيه :
ليل ، وهى متعلقة باهتدينا . يقول : رب ليل مظلم كأن السماق الذى كنا نقطعها أظهرت
لنا وجهك فاهتدينا للطريق بنوره ، وهذا من قول مزاحم العقيلي :

وَجُجُوهُ لَوْ أَنَّ اللَّذِينَ اغْتَشَوْا بِهَا
صَدَّغْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي

(١) قبله :

وَحَفِيقٍ مِنْ لُئْلُهِ وَلُئْلُهِ فِي مَهْمِهِ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمِهِ
أَعْمَى الْمُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعَمَةِ بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلِّ مِيلَةٍ
بِنَا حَرَّاجِيحُ الْمَهَارِي النَّفَةِ يَجْذِبْنَهُ بِالْبُوعِ وَالتَّأَوُّهِ

المخفق : الموضوع الذى يخفق فيه السحاب ، واللهل : المكان المستوى الذى ليس به
علم ؛ وغول كل ميله : أى بعد يريد مكانا بعيدا يقتال المشى فلا يستبين فيه ، ولا يكاد
يقطع من بعده ، ويعبر ناهه : كالمدى ، والجمع نفه ويجذبته : يريد يجذب أنفسه فيه ،
والتأوه مثل قول المثقب العبدى :

إِذَا مَا قَتَّ أَرْحَلَهَا بِلِيلٍ تَأَوُّهُ آهَةً الرَّجُلِ الْحَزِينِ

فَا زَالَ لَوْلَا نُورُ وَجْهِكَ جُنْحُهُ وَلَا جَابِهَا الرُّكْبَانُ لَوْلَا الْإِيَانِقُ^(١)
وَهَزُّ أَطَارِ النَّوْمِ حَتَّى كَأَنَّي مِنَ الشُّكْرِ فِي الْفَرْزَيْنِ ثَوْبَ شَبَارِقِ^(٢)

ويقول أشجع السلي :

مَلِكٌ بِنْدُورٍ جَبِينُهُ نَسْرِي وَنَحْرُ اللَّيْلِ طَائِي وَلَصْرِيعِ الْغَوَانِي :

أَجِدْكَ هَلْ تَدْرِينَ أَنَّ بَتُّ لَيْلَةٍ كَانَ دَجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ
صَبْرَتْ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِفِرَّةٍ كَفِرَةٍ يَحْيَى حِينَ يُذَكَّرُ جَفْفَرُ

(١) زال — من الزوال — أى ذهب ؛ وجنحه : فاعل ، وجنح الليل : إقباله بظلامه يمنح على النهار ، أى يميل عليه فيذهب ضوءه . وجابها : قطعها — أى السالمق — والأيانق : النياق ، جمع ناقة . يقول : لولا نور وجهك لما زال الظلام ، ولولا النياق لما قطعنا السالمق .

(٢) وهز : عطف على الأيانق ؛ والمراد بالسكر : النعاس ؛ والفروز : ركاب للابل من جلد محروز ، ويقال ثوب شبارق : خلق ممزق . ويقال شبرق شبرقة وشبراقا : مزقة قال امرؤ القيس :

فَاذْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا كَمَا شَبْرَقِ الْوَلَدَانِ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِيِّ^(١)

والهز : التحريك ، يعنى تحريك الإبل ركبائها فى سرعة سيرها ، وذلك بمنع النوم حتى يصير الإنسان من غلبة النوم مأثدا بين الفرزين كالثوب الخلق لكثرة تمسايه . يقول : لولا هذا الهز الذى وصفه والذى سببه الإسراع لما قطعنا السالمق إليه .

(١) المقدسى : الراهب يترى من صومعته إلى بيت المقدس فيمزق الصبيان ثيابه تبركا ، والنسا قال الأصمى : بوزن المصارع يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمعت الدابة انقلقت فغذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان ، وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان وخفى النسا ، ولا يقال عرق النسا .

شَدُّوا بِابْنِ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ ذَفَارِيهَا كِيرَانُهَا ، وَالنَّمَارِقُ ^(١)
 بَيْنَ تَقْشِيرِ الْأَرْضِ خَوْفًا إِذَا مَشَى عَلَيْهَا وَتَرْتِجُ الْجِبَالُ الشَّوَاهِقُ ^(٢)
 فَتَّى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُنْخَشِ وَيُرْتَجَى يُرْجَى الْحَيَا مِنْهَا وَتُنْخَشِ الصَّوَاغِقُ ^(٣)

(١) شدوا بابن إسحاق : أى غنوا بمدح ابن إسحاق ؛ وصاغت : أى ماست مأخوذ من مصاغة الأكف . والذفارى : جمع الذفرى ، للوضع الذى يعرق من البعير خلف الأذنين ؛ والكيران : جمع السكور ، وهو الرجل ؛ والنمارق : جمع نمرة ، وهى الوسادة تحت الركب ؛ والمراد هنا : التى تكون قدام الرجل يجعل الركب عليها ساقه للاستراحة إذا أخرجها من الفرز . يقول : غنوا بمدح ابن إسحاق فنشطت الإبل ورفعت رءوسها حتى صاغت أقفاؤها الرجال والوسائد التى عليها - وذلك لطيب مدحه وأن الإبل طربت مع حداتها لمدحه ،
 وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى :

لَا تَضْرِبُ الرِّكْبُ الطَّلَامُحُ نَحْوَهُ بَلْ بِأَسْمِهِ يَزْجُرُنَ كُلَّ طَلِيحٍ
 ويقول إسحاق بن خلف :

إِذَا مَا حُدِثَ بِمَدْحِ الْأَمِيرِ سَبَقْنَ لِحَاظِ الْحَيْثِ الْعَجَلِ

(٢) بمن ؛ بدل من ابن إسحاق ، إلا أنه أعاد العامل ؛ والاقشعرار : أن ينتفش شعر الرجل على بدنه إذا أصابه خوف ؛ وترتج : تضطرب وتتحرك ؛ والشواهق : جمع شاق ، وهو العالى . يقول : تهابه الأرض إذا مشى عليها ، وتتحرك الجبال خوفا منه .

(٣) الجون : جمع جون - بفتح الجيم - وهو الأسود ؛ والسحاب ؛ من الجموع التى بينها وبين مفرداتها الهاء ، ولذلك وصفها بالجون الذى هو جمع ؛ والحيا : المطر . يقول : إنه مرجو مهيب يرجى نفعه ويهاب ضرره كالسحاب يرجى مطرها وتخشى صواعقها . وفى مثل هذا يقول أبو تمام :

تَمَامًا وَبَأْسًا كَالصَّوَاغِقِ وَالْحَيَا

إِذَا اجْتَمَعَ فِي الْعَارِضِ الْمُتَأَلَّقِ

وَلَكِنَّهَا تَمْتَصِي وَهَذَا مُخَيَّمٌ
تَحَلَّى مِنَ الدُّنْيَا لِيُنْسَى فَمَا خَلَتْ
غَدَا الْهِنْدُ وَأَنْبِيَاتِ بِالْهَامِ وَالطُّلَى
تَشَقُّ مِنْهُمْ الْجُيُوبُ إِذَا غَزَا
وَتَكْذِبُ أَحْيَانًا وَذَا الدَّهْرُ صَادِقٌ^(١)
مَقَارِبُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَاللَّشَارِقُ^(٢)
فَهَنْ مَدَارِبُهَا وَهَنْ الْخَانِقُ^(٣)
وَتُخْضَبُ مِنْهُمْ اللَّحَى وَالْمَفَارِقُ^(٤)

ويقول الآخر :

هَوَ عَارِضٌ زَجَلٌ فَمَنْ شَاءَ الْحَيَا
أَرْضَى وَمَنْ شَاءَ الصَّوَاعِقُ أَغْضَبَا
(١) شبهه بالسحاب ثم فضله عليها بأن السحاب تمتص ، وهذا مقيم في كل وقت ،
والسحاب قد تكذب في الرعد والبرق — بأن لا يكون فيها مطر — والمدوح صادق
فيما يعد ويقول . وهذا من قول ابن الرومي :

فَضَّلْتَ أَخَاكَ الْفَيْثَ بِالْعِلْمِ وَالْحُجَى
عَلَى أَنَّهُ يَمِضِي وَأَنْتَ مُخَيَّمٌ
وحاصصته في الجود أي حصاص
سماؤك مذرار وروضك واصل^(١)
ومثله للبحري :

أَنَّى يَكُونُ لَهُ احْتِفَالُكَ فِي النَّدَى
وَوُقُوعُهُ فِي الْحَيْنِ بَعْدَ الْحَيْنِ
(٢) يقول : زهد في الدنيا واتقطع عن أهلها لينسى إغراضاً عن الخلق فلم يزد
ذلك إلا جلالة قدر وبعد صيت ، إذ لم تخل الدنيا من ذكره ، لأن صنائعه عامة ومعروفة
شامل . ولعله ينظر إلى قول البحري :

وَشُهْرَتْ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا
فَكَأَنَّيَ فِي كُلِّ نَادٍ جَالِسٌ
(٣) الهندوانيات : السيوف الهندية ؛ أي التي عملت ببلاد الهند ؛ والهام : الرؤس ،
والطلى : الأعناق ؛ والدارى جمع مدرى ، وهو ما يفرق به الشعر ؛ والخانق جمع
مخنقة ، وهي القلادة . يقول : غذى سيوفه بلحوم رؤوس الأعداء وأعناقهم فقد طالت
محبته للرؤوس والأعناق كما تصاحبها الدارى والخانق ؛ يعنى إذا علت سيوفه الرؤوس
صارت بمنزلة الدارى ، وإذا علت الأعناق صارت بمنزلة الخانق .

(٤) تشقق — بحذف إحدى التاءين — أى تتشقق ؛ وبروى تشقق — بضم التاء

(١) حصاص : يقال حاصه محاصة وحصاصا : قاصمه فأخذ كل واحد منهما حصته
وروض واصل متصل النبات .

يُجَنَّبُهَا مَنْ هَتَفَهُ عَنْهُ غَافِلٌ وَيَصِلُ بِهَا مَنْ نَفَسُهُ مِنْهُ طَالِقٌ^(١)
يُحَاجِي بِهِ مَا نَاطِقٌ وَهُوَ سَاكِتٌ يُرَى سَاكِتًا وَالسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقٌ^(٢)
نَكِرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَعَجُّبِي وَلَا حَجَبَ مِنْ حُسْنِ مَا اللَّهُ خَالِقٌ^(٣)
كَأَنَّكَ فِي الإِغْطَاءِ لِلْعَالِ مُبْفِضٌ وَفِي كُلِّ حَرْبٍ لِلْمَنِيَّةِ عَاشِقٌ^(٤)

على البناء للمجهول - والجيوب : نائب فاعل ؛ وضير منهن للسيوف والجيوب : جمع جيب ، ما يفتح على النحر من أعلى الثوب ؛ والمفارق : جمع مفرق ، وسط الرأس . يقول : إذا غزا شقت الثالكات جيوبهن من جراء ما يفعله سيوفه من القتل ، وخضبت لحي الفرسان ومفارقهن بما يسيل من الدماء .

(١) جنبته الشيء : إذا باعدته عنه ؛ وصلى بالأمر يصل : إذا قاسى حره وشدته ؛ وأصله من صلى بالنار : إذا قاسى حرها . يقول : من غفل عنه حتفه - موته وهلاكه ولم ينقص أجله يبعد من سيوفه فلا يصير مقتولا بها ، وإنما الذي يقاسى بلاءها هو من نفسه طالق منه : أى مفارقه : كالمرأة الطالق من زوجها تفارقه . إذ هى لا محالة قاتلته (٢) يحاجى به : أى يخالط - من الأجابة ، وهى الكلمة المخالفة للفظ المعنى ، كالشيء لللفظ به يلقي على الإنسان ليستنبط معناه ، كما قال أبو ثروان : ماذو ثلاث آذان ، يسبق الخيل بالرديان ؟ يعنى السهم وآذانه قذذه ، وأصل الكلمة من قولهم : حجاج يحجو إذا أقام وثبت ، ف قيل لها أجابة ، لأن الملقى عليه يحتاج إلى الثبوت والتفكير . يقول : إن الناس يحاجى بعضهم بعضاً بهذا المدوح يقولون : ما ناطق وهو ساكت ، ثم فسر هذا المصراع الثانى فقال يرى ساكتاً - يعنى المدوح - لا يفتخروا لا يذكر شجاعته والسيوف عن فيه ناطق بما يبدو من آثاره ، يعنى أن الناس إذا سأل بعضهم بعضاً عن هذه الصفة فالجواب : الحسين بن إسحاق .

(٣) نكرت الشيء وأنكرته : إذا لم تعرفه ، ولم يستعمل من نكر إلا هذا اللفظ لفظ - الماضى - ومنه قول الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذى نكرت - من الحوادث إلا الشيب والصلع
يقول : أنكرت أن يكون أحد مثلك فى فضلك ؛ واستغربتك لكثرة ما رأيت
فيك من الحسن فأتى لا أراها فى غيرك حتى طال تعجبي ثم علمت أن الله قادر على أن
يخلق ما يريد ؛ وإذن لا عجب .

(٤) من قول البحتري .

أَلَا قَلَمًا تَنْبَقِي عَلَى مَا بَدَأَ لَهَا ، وَحَلَّ بِهَا مِنْكَ الْقَنَاءُ وَالسَّوَابِقُ^(١) ،
 سَيَحْيِي بِكَ الشَّمَارُ مَا لَاحَ كَوْكَبُ^(٢) وَيَحْدُو بِكَ الشَّفَارُ مَا ذَرَّ شَارِقُ^(٣) ،
 خَفِ اللَّهُ وَأَسْرَ ذَا الْجَمَالِ يَبْرِقُ^(٤) فَإِنْ لَحْتَ ذَابَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ^(٥) ،
 فَمَا تَرْزُقُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمُ^(٦) وَلَا تَحْرِمُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقُ^(٧) ،
 وَلَا تَفْتَقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقُ^(٨) وَلَا تَرْثُقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقُ^(٩) .

تَسْرِعُ حَتَّى قَالَ مَنْ لِنِي الْوَحْيُ لِقَاءَهُ أُعَادِ أَمْ لِقَاءَهُ حَبَائِبُ
 (١) ألا أداة : استفتاح ؛ وحل : بمعنى مع ؛ وبدا ظهر وعرض ، والقنا أى الرماح -
 فاعل تنبقي - والسوابق : الخيل . يقول : إن الرماح والخيل لا تبقى على ما نزل بهامتك
 من كثرة استعمالها في الحروب والغارات .

(٢) السمار : جمع سامر ، الذين يسمرون ليلاً ؛ والسفار : جمع سفر وسافر وهم
 الذين يلازمون الأسفار . وذر : طلع ؛ والشارق : الكوكب . وقوله ملاح وماذر :
 لما مصدرية زمانية ؛ أى مدة ظهور الكواكب ، وهذا كناية عن الدوام والتأييد ؛
 يعنى : أنت أبدأ يحيي السمار الليل بذكرك وحديثك ، ويغنى السافرون بمدائحك
 فيحذون الإبل بها .

(٣) العواتق : جمع عاتق ، الشابة من النساء ؛ والحدور : جمع خدر . يقول :
 استر جمالك يبرقع ترسله على وجهك ، فإنك إن ظهرت ذابت الشواب في خدورهن
 شوقاً إليك وهياماً بك ، ويروى حاض ؛ وذلك أن المرأة إذا اشتدت شهوتها وأفرطت
 سال - زعموا - دم حيضها ؛ والمعنى : استر جمالك عنهن وإلا ذبن وهلكن عشقاً
 وهياماً .

(٤) و (٥) الرتق : ضد الفتق . يقول : إن الأقدار والأيام لا تخالفه فيما يصنع من
 حرمان ورزق ورتق وفتق ، بل هى موافقة له مؤاتية ، كما قال أشجع :
 فلا يرفعُ الناسُ مَنْ حَطَهُ ولا يضعُ الناسُ ما يرفعُ
 وقال آخر :

كُنَّا مُلُوكًا وَكَانَ أَوْلُنَا لِلْحِلْمِ وَالْبَأْسِ وَالنَّدَى خُلُقُوا
 لَا يَرْتَقِ الرَّاتِقُونَ مَا فَتَقُوا يَوْمًا وَلَا يَفْتَقُونَ مَا رَتَقُوا
 والأصل في هذا كله قول العباس بن مرداس للنبي صلوات الله وسلامه عليه :

لَكَ الْخَيْرُ غَيْرِي رَامٍ مِنْ غَيْرِكَ الْغَفَى وَغَيْرِي بِغَيْرِ اللَّاذِقِيَّةِ لَاحِقُ^(١)
 هِيَ الْفَرَضُ الْأَقْصَى وَرُوَيْتُكَ الْمَنَى وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ أَتْلُحْلَاقُ^(٢)

وعرض عليه بدر بن عمار الصلبة للشرب في غد فقال ارتجالا :

وَجَدْتُ الْمُدَامَةَ غَلَابَةً نُهَيْجُ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ^(٣)
 نَسِيَهُ مِنَ الْمَرْءِ تَأْدِيبَهُ وَلَسِكِنْ تَحَسَّنُ أَخْلَاقَهُ^(٤)
 وَأَنْفَسُ مَا لِلْفَتَى لُبُهُ وَذَوُ اللَّبِّ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ^(٥)
 وَقَدُمْتُ أَمْسٍ بِهَا مَوْتَهُ وَلَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَهُ^(٦)

وما كنتُ دونَ امرئٍ منهما ومن تَضَعُ اليومَ لا يَرْفَعُ

(١) لك الخير : دعاء للمدح بأن يرزق الخير . فهو يقول : الخير لك لا لغيرك ؛
 ورام : قصد ؛ واللاذقية : بلد المدح يقول : غيري يطلب الغنى من غيرك أى أنا
 لا أطلبه إلا منك ، وغيري يلحق بغير بلدك ؛ أى أنا لا أقصد إلا البلد الذى أنت فيه .
 (٢) يقول : إن بلدك — اللاذقية — هى المطلوب الأبعد : أى هى غاية ما يطلبه
 الإنسان ، فإذا بلغها لم يطلب بعدها شيئا ، والدنيا كلها منزلك أى فى منزلك ؛ وأت
 جميع الناس .

(٣) الدامة : الخمر ؛ وغلابة : تطلب العقل فلا يستطيع مقاومتها ؛ ثم قال وتحرك
 الشوق ، كما قال البحرى :

مِنْ قَهْوَةٍ تُنْسِيُ الْمَهْمومَ وَتُبْعَثُ الشَّوْقَ الَّذِي قَدْ ضَلَّ فِي الْأَحْشَاءِ
 (٤) أراد بسوء الأدب : ما يكون من الشارب — من قول الحنا ، والعريدة
 والحركات المفرطة — وتحسين الأخلاق ما تحدثه فيه من السباحة والبذل ؛ وفى الخمر
 يقول القائل :

رَأَيْتُ أَقْلَ النَّاسِ عَقْلًا إِذَا انْتَشَى أَقْلَهُمْ عَقْلًا إِذَا كَانَ صَاحِيَا

تَزِيدُ حَيَاةَا السَّفِيَةَ سَفَاهَةً وَتَتْرُكُ أَخْلَاقَ الْكَرِيمِ كَمَا هِيَا

(٥) يقول : أعزوا عمن ما للانسان : عقله ، والعاقل يكره ضياع عقله .

(٦) جعل غلبة السكر على عقله كاللوت ، ثم قال : ومن مات مرة لا يشتهي العود

وقال في وصف لعبة عند بدر بن عمار :

وَذَاتِ غَدَائِرٍ لَا عَيْبَ فِيهَا سِوَى أَنْ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْعِنَاقِ ^(١)
أَمَرْتُ بِأَنْ تُشَالَ فَفَارَقْتَنَا وَمَا أَلِمْتُ لِخَادِنَةِ الْفِرَاقِ ^(٢)
إِذَا هَجَرْتَ فَعَنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ وَإِنْ زَارَتْ فَعَنْ غَيْرِ اُشْتِيَاقٍ

وعرض عليه محمد بن طنج الشرب فامتنع فأقسم عليه بحقه فشرب وقال :

سَقَانِي أَنْظِرَ قَوْلُكَ لِي بِحَقِّي وَوَدُّ لَمْ تُشْبِهْ لِي بِمَذْقِ ^(٣)
يَمِينَا لَوْ حَلَفْتَ وَأَنْتَ نَاهٍ عَلَى قَتْلِي بِهَا لَصَرَبْتُ عَنْقِي ^(٤)

إليه ، وقد تجنى ابن وكيع - شفتيته مع النبي - فزعم أن هذا مأخوذ من قول بعضهم في معنى السكر :

يُسَى وَيَعْذِرُهُ حُسْنُهُ لَدَى عَاشِقِيهِ بِغَيْرِ اعْتِذَارٍ
تَحَاسِنُ تَغْفِرُ ذَنْبَ الصَّدُودِ كَمَا غَفَرَ السُّكْرُ ذَنْبَ الْخُمَارِ

وأي هذين من بيت النبي ؟ على أن قوله كما غفر السكر ذنب الخمار : غير صحيح .

(١) الغدائر ؛ جمع غديرة ، الدؤابة من الشعر . يقول : هذه لعبة ذات شعر ولكنها

لا تصلح للعناق لأنها غير آدمية . هذا : وقوله أن ليس : قال العكبري « أن » هي

مخففة من الثقيلة ؛ والتقدير أنها ؛ ولا يدخل عليها الفعل إلا بفواصل يفصل بينها : نحو

سوف والسين ولا نحو أن سيقوم ، وإنما دخلت على ليس لضعفها عن الفعلية ، فإنها فعل

لا تصرف فيه ، ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى »

(٢) تشال : ترفع .

(٣) المذق . الزج ؛ وشابه : خلطه . يقول : إنما شربت الخمر لأنك أقسمت

بحياتك فشربتها ، ولأني أحبك حبا خالصا غير مشوب .

(٤) يقول : سقاني إقسامك على فذلك قسم لو أقسمته فريد له قتل لفعلت ذلك .

وكان لأبي الطيب حِجْرَةٌ (*) تسمى الجهماء ، ولها مهر يسمى الطخرور ، فأقام الثلج على الأرض بأنطاكية وتعذر المرعى على المهر ، فقال :

مَا لِلْمَرْوَجِ الْخَضِرِ وَالْحَدَائِقِ يَشْكُو خَلَاهَا كَثْرَةُ الْعَوَائِقِ ^(١)
أَقَامَ فِيهَا الثَّلَجُ كَالْمُرَافِقِ يَفْقِدُ فَوْقَ السَّنَنِ رَيْقَ الْبَاصِقِ ^(٢)
ثُمَّ مَضَى لَا عَادَ مِنْ مُفَارِقِ بِقَائِدٍ مِنْ ذَوْبِهِ وَسَاقِ ^(٣)
كَأَنَّمَا الطُّخْرُورُ بَاغِي آبِقِ يَا كُلُّ مَنْ نَبَتْ قَصِيرَ لَاصِقِ ^(٤)
كَقَشْرِكَ الْخَبَرِ عَنِ الْمَهَارِقِ أَرُوْدُهُ مِنْهُ بِكَالشُّوْذَائِقِ ^(٥)

* أى فرس أنثى ، والذي فى كتب اللغة أنها الحجرة ، قالوا : والحجر الفرس الأنثى ، لم يدخلوا فيه الماء لأنه اسم لا يشركها فيه الذكر ، والجمع أحجار وحجورة وحجور ، قالوا : وأحجار الحبل ما يتخذ منها للنسل ، وصميت كذلك لأنهم جعلوها كالحمرمة الرحم إلا على حصان كريم .

(١) المروج : جمع مرج ، الموضع تخرج فيه الدواب : أى ترسل لترعى والحدائق جمع حديقة ، وهى البستان المسور ؛ وتطلق على كل روضة ذات شجر والحلا : الكلاء الرطب ؛ والعوائق : جمع عائق ، ما يعوق عن النفاذ فى الشيء . يقول : نبتها يشكو كثرة الموانع من الطلوع . وأراد بالعوائق : البرد والثلج التى تمنع من الظهور .

(٢) يقول . أقام الثلج فى هذه المروج كالمرافق لها فلا يفارقها ، ومن شدته أن الرجل إذا جنى حمد ريقه فوق أسنانه ، وهذا من قول عبد الصمد بن العذل :

ونسج الثلج على الطيور وأجد الريق على الثغور

(٣) ثم مضى : أى الثلج بإذابة الحر إياه ، وجعل أوائل ما ذاب من الثلج قائداً له وأواخره سائقاً ؛ يعنى أن الثلج قد انحسر بذوبه ، فكان الدوب قاده وساقه حتى ذهب ويروى من دونه : أى من قدامه ، وذلك أن قائداً الشيء يكون أمامه ، وسائقه يكون خلفه .

(٤) الطخرور : اسم المهر ؛ وهو فى اللغة القطع القليلة من السحاب ، جمعها طخارير . وباغى : طالب ؛ والآبق : المارب ؛ ولاصق : أى بالأرض لا يرتفع عنها . يقول : إنه - لإعواز المرعى - كان يلتمس العشب من ههنا وههنا فلا يشبث فى مكان واحد كأنه يطلب آبقا لتردده فى طلب المرعى .

(٥) المهارق : جمع المهرق ، وهو الصحيفة يكتب فيها : معرب ؛ وذلك أنهم كانوا

بِمُطْلَقِ الْيَمْنَى طَوِيلِ الْفَاتِقِ عَبْلِ الشَّوَى مُقَارِبِ الْمَرَّافِقِ ^(١)
 رَحْبِ اللَّبَانِ نَائِهِ الطَّرَائِقِ ذِي مَنْخَرٍ رَحْبٍ وَإِطْلٍ لَاحِقِ ^(٢)
 مُحَجَّلٍ نَهْدٍ كَمَيْتٍ زَاهِقِ شَادِخَةٍ غُرَّتُهُ كَالشَّارِقِ ^(٣)
 * كَأَنَّهَا مِنْ لَوْنِهِ فِي بَارِقِ ^(٤) *

يأخذون الحرق ويطلونها بشيء ثم يصفقونها ويكتبون عليها ، شبه رعى مهره النبات اللاسق بالأرض بقر الكاتب الخبر عن الصحيفة ، وأروده : أى أطلبه ؛ والضمير : للنبت ؛ وضمير منه : للنهر ؛ والظرف : حال مقدمة من الشوذانق . وقوله بكالشوذانق الباء متعلقة بأروده ، والكاف : اسم بمنزلة مثل : أى بهر مثل الشوذانق ، والشوذانق الشاهين — الصقر -- معرب منه دانك : أى نصف درهم ؛ يراد أنه كنصف البازي يقول : أطلب الكلاً والنبات من هذا المهر بهر كالشوذانق لحفته ، يريد مهره على سبيل التجريد .

(١) بمطلق اليمنى : بدل من بكالشوذانق ؛ والمراد بكونه مطلق اليمنى : أنه لا تحجيل فيها ، بناء على تشبيه التحجيل في القوائم الثلاث بالقيد . والفائق : مغرز الرأس في العنق ، وإذا طال الفائق طال العنق فهو محمود ؛ وعبل الشوى : ضخم الأطراف ، والمرافق : جمع مرفق ، موصل الذراع في العضد ؛ وإذا تدانت مراققه كان أمدح له .
 (٢) رحب اللبان : واسع الصدر ؛ ويستحب من الفرس أن يكون جلد صدره واسعا يحمي ويذهب ليكون خطوه أبعد ، فإنه إنما يقدر على توسيع الخطو بسعة جلد صدره . وقوله نائه الطرائق : فالطرائق طرائق اللحم ؛ ونائه من ناه الشيء ينوء : إذا علا ونهت به ونوهته : إذا أشدت به ؛ والمعنى أن طرائق اللحم على كفله ومتنه عالية . وقال ابن جنى : الطرائق الأخلاق : أى مرتفع الأخلاق شريفها لعتقه وكرمه . وقال ابن جنى : الرواية نابه ، يقال امرؤ نابه إذا كان عظيماً جليلاً . وقوله ذى منخر رحب : فإنه يستحب سعة المنخر ، لئلا يخبس نفسه والإطل : الحاصرة ولحوقها : ضمورها .

(٣) التحجيل : بياض القوائم . والنهد : الجسم العالى المشرف . والكسيت : الأحمر إلى السواد ؛ والزاهق : الذى بين السمين والمزول ؛ والفره : البياض فى وجه الفرس ، والفره : الشادخة التى تملأ الوجه ، وتمتد سفلاً ، والشارق : الشمس عند شروقها . شبه بياض وجهه بالشمس لانتشار أشعتها فى نواحى الأفق .

(٤) البارق : السحاب ذو البرق . شبه لونه بالسحاب الذى انتشر عليه ضوء البرق لما فيه من الحمرة المشوبة بالسواد .

بَاقٍ عَلَى الْبُوعَاءِ وَالشَّقَاتِي (١) وَالْأَبْرَدَيْنِ وَالْمُحْجِرِ الْمَاحِقِ (٢)
 لِلْفَارِسِ الرَّأْيَ كَيْفَ مِنْهُ الْوَائِقِ خَوْفُ الْجَبَانِ فِي فُؤَادِ الْعَاشِقِ (٣)
 كَأَنَّهُ فِي رَيْدٍ طَوْدٍ شَاهِقِ (٤) يَشْأَى إِلَى الْمِسْمَعِ صَوْتَ النَّاطِقِ (٥)
 لَوْ سَابَقَ الشَّمْسَ مِنَ الْمَشَارِقِ جَاءَ إِلَى الْغَرْبِ نَجْمٌ السَّابِقِ
 يَتْرُكُ فِي حِجَارَةِ الْأَبَارِقِ آثَارَ قَلْعِ الْخَلِي فِي النَّاطِقِ (٦)
 * مَشْيًا وَإِنْ يَعْدُ فَكَأَنَّهُ خَدَقِ (٧) *
 لَوْ أُورِدَتْ غِبَّ سَحَابٍ صَادِقِ لِأَحْسَبَتْ خَوَامِسَ الْأَيَّاقِ (٨)

(١ و ٢) باق : أى ثابت ، خبر عن محذوف يعود إلى المهر ؛ والكلام مستأنف والبوبعاء التربة الرخوة . والشقائق جمع الشقيقة ، وهى أرض يكون فيها رمل وحصى والأبردان : الغداة والعشى . والمحجير : شدة الحر وقت الهاجرة - نصف النهار - والماحق الذى يمحق كل شيء بحرارته يقول : إن مهره ثابت على السير فى السهل والحزن والحر والبرد : أى صبور على الشدة ،

(٣) للفارس : خبر مقدم ؛ وخوف : مبتدأ مؤخر . وركض الفرس : ضربه برجله ليعدو ؛ ومنه : صلة الخوف . يقول : لنشاطه وشدة قوته إذا عدا بالفارس الواثق بفروسيته أخذه منه خوف شديد كأنه خوف الجبان إذا حل فى فؤاد ضعيف كفؤاد العاشق .

(٤) فى ريد : أى على ريد ؛ والريد : الحرف الشاخص من الجبل ؛ والطود : الجبل والشاهق : العالى . يقول : لعظم هذا المهر كأن فارسه منه على جبل عال .

(٥) يشأى : يسبق . يقول : لسرعته وحدته فى جريانه يسبق إلى الأذن صوت الصارخ فيصل إليها قبل وصول الصوت ؛ يعنى أنه يسبق مسير الصوت .

(٦) الأبارق : جمع الأبرق ، وهو آكام فيها حجارة وطين . وآثار : مفعول يترك والناطق : جمع منطقة ، ما يشد بها الوسط . يقول : لشدة عدوه وقوة وطئه إذا وطئ الأبرق بمخوافه ترك فيه آثاراً كأن آثار الخلى إذا قلع من الناطق .

(٧) مشياً : حال على تأويله بالوصف . يقول : إن هذا التأثير الذى ذكره إنما يكون إذا مشى فإن عدا - جرى - ترك آثاراً كالحنادق .

(٨) الضمير فى أوردت : للآثار المشبهة بالحنادق وغب سحاب : أى بعده . وأحسبت :

إِذَا اللَّجَامُ جَاءَهُ لِيَطَّارِقَ شَحَا لَهُ شَحْوُ الْغُرَابِ النَّاقِ (١)
كَأَنَّمَا الْجَنْدُ لِعُرْيِ النَّاهِقِ مُنَحْدِرٌ عَنْ سَيْتِي جُلَاهِقِ (٢)

كفت ، ومنه : حسبنا الله ؛ أى كفانا . والخوامس : الإبل التى ترد الخمس — بكسر
الحاء — وهو أن ترى ثلاثة أيام وترد فى اليوم الرابع ؛ والأيتانق : جمع أيتق ، جمع
ناقة . يقول : لو أوردت هذه الآثار التى هى كالحنادق بعد إقلاع سحب صادق المطر
لكان فيها من الماء ما يكتفى نياقا عطاشا ترد الخمس : يعنى إذا أطلع السحاب وامتلأت
آثار حوافره كفت الإبل العطاش . يريد المبالغة فى وصف عظم آثاره فى الأرض
إذا عدا .

(١) شحا : فتح فاه . والناغق — بالغين والعين — الصائح . يقول : إذا ألجم
لحادث طرق ليلا فتح فاه كما يفتح الغراب فاه للنعيق ، يريد أنه — مع شدته وعنفه —
لا يمنع من اللجام ؛ ولعله يريد أيضاً أنه واسع الفم .

(٢) الناهق : عظم نأق فى مجرى الدمع من الفرس ، وهما ناهقان ، ويستحب
عريهما من اللحم ؛ قال أهل اللغة : الناهقان عظام شاخصان يندران — يبرزان — من
ذى الحافر فى مجرى الدمع يخرج منهما التهاق — أى الصوت — ويقال لهما أيضاً النواحق .
قال النابغة الجعدي يصف فرسا :

بِعَارِي النَّوَاهِقِ صَلَّتِ الْحَبِيبِينَ يَسْتَنُّ كَالْتَيْسِ ذِي الْحَلْبِ (١)
وفى التهذيب : النواحق من الحبل والجر حيث يخرج التهاق من حلقة ؛ وأنشد
للنمر بن تولب :

فَأَرْسَلَ سَهْمًا لَهُ أَهْرَعًا فَشَكَ نَوَاهِقَهُ وَالْفَهْمَا (٢)

(١) الحلب : نبات ينبت فى الميظ بالقيعان وشطآن الأودية ويلقى بالأرض حتى
يكاد يسوخ ، ولا تأكله الإبل ، وإنما تأكله الشاء والظباء ، وهى مغزرة مسمنة وتختبل
عليها الظباء ، قال الأصمى : أسرع الظباء تيس الحلب أو ذو الحلب لأنه قد رعى
هذا النبات .

(٢) الأهرع : قيل هو خير السهام ، وأفضلها ، تدخره لشديدة ، وقيل هو آخر
ما يبقى من السهام فى الكنانة : جيداً كان أو رديئاً .

بَزَّ الْمَذَاكِي وَهُوَ فِي الْمَقَاتِلِ وَزَادَ فِي السَّاقِ عَلَى النَّقَاتِ^(١)
 وَزَادَ فِي الْوَقْعِ عَلَى الصَّوَاعِقِ وَزَادَ فِي الْأُذُنِ عَلَى الْخِرَاتِ^(٢)
 وَزَادَ فِي الْحِذْرِ عَلَى الْعَقَائِقِ يُبَيِّزُ الْهَزْلَ مِنَ الْحَقَاتِ^(٣)
 وَيُنْذِرُ الرَّكْبَ بِكُلِّ سَارِقٍ يُرِيكَ خُرْقًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ^(٤)

وسيتا القوس : جانباه . والجلاهو : البندق الذي يرمى به . يقول : إن هذين العظمين منه عاريان من اللحم باديان تحت الجلد كأن جلدهما مشدود على سيق قوس البندق .

(١) بز : غلب وفاق ؛ والمذاكي : جمع مذك : الفرس أتى عليه بعد قروحه سنة . قال أهل اللغة : للمذاكي الحيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ؛ والذكاء السن . قال الحجاج : فررت عن ذكاء ، وبلغت الدابة الذكاء : أي السن ، قالوا والمذاكي أيضاً من الحيل الذي يذهب حضره - جريه - وينقطع ؛ وفي المثل : جرى المذكيات غلاب : أي جرى المسان القرح من الحيل أن تغالب الجري غلابا ؛ قالوا : وتأويل تمام السن النهاية في الشباب ، فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال له الذكاء . والعقائيق : جمع عقيقة ، وهي الشعر الذي يولد للولود وهو عليه ؛ والنقائيق : جمع نقق ، وهو ذكر النعام . يقول : إنه سبق الحيل السنة وهو بعد فلو - أي مهر - صغير لا يزال شعر الولادة عليه ، وزاد على النعام في طول الساق وصلابته ، وذلك محمود في الحيل كما قال امرؤ القيس :

* لَهُ أَيُّطَلَا ظَنِّي وَسَاقَا نَعَامَةٍ *

(٢) الخرائق : جمع الخرنق ، وهو ولد الأرنب . يقول : إن صوت وقع حوافره أشد من صوت الصواعق . قال الواحدي : ويجوز أن يريد أن نار وطء حوافره تزيد على صواعق السحاب ، ثم قال المتنبي : وإن أذنه تزيد في الدقة والانتصاب على آذان الأرانب .

(٣) العقائيق : جمع عقق ، ضرب من الغربان يضرب به المثل في الحذر فيقال : أحذر من عقق . وقوله يميز الهزل من الحقائق : يريد أنه إذا أحضره صاحبه - أي ركضه - فطن إلى غرضه وعرف هل يريد صاحبه اللعب أو الجد ؟ وبعبارة أخرى : هل يريد الميدان أو الغارة ؟ فلعب أوجد حسب مراد صاحبه .

(٤) الخرق في الأعمال : خلاف الرفق أو هو الحمق ؛ والحاذق : الماهر . يقول

يَحْكُ أَنْى شَاءَ حَكَّ الْبَاشِقِ قَوْلَ مَنْ آفَقَ وَأَفَقِ^(١)
 بَيْنَ عَتَاقِ لَطْفِ لِّ وَالْعَتَاقِ فَمَنْقَهُ يُرْبِي عَلَى الْبَوَاسِقِ^(٢)
 وَحَلَقَهُ يُمَكِّنُ فِترَ الْخَانِقِ أَعِدُّهُ لِلطَّعْنِ فِي الْفِيَالِقِ^(٣)
 وَالضَّرْبِ فِي الْأَوْجِهِ وَالْمَفَارِقِ وَالسَّيْرِ فِي ظِلِّ اللَّوَاءِ الْخَلْفِقِ^(٤)

إنه لد كانه وحذقه إذا أحس سارقا بليل سهل ليعلم مكانه ، وكذلك خيل الأعراب ،
 أى لشدة جريه وتناهيه فى العدو - الجرى - تظن به خرقا وهو مع ذلك حاذق ،
 وحذقه أنه لا يخرج ما عنده من الجرى مرة واحدة ، وإنما يعرف ما يراد منه فيستبقي
 جريه ، كما قال القائل :

وَالْقَارِحُ الْيَعْبُوبُ خَيْرُ عُلَاةٍ مِنَ الْجَذَعِ الْمُرْخَى وَأَبْعَدُ مَنَزَها
 وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

ذُو أَوَّلَقٍ عِنْدَ الْجُورَاءِ وَإِنَّمَا مِنْ صَحَّةِ إِفْرَاطٍ ذَاكَ الْأَوَّلَقِ
 [الأولق : الخفة من النشاط كالجنون]

(١) أنى : كيف . يصفه بلين المعاطف وأنه يحك بدنه كيف شاء وأين
 شاء كالباشق — طائر من أصغر الجوارح — الذى ينتهى رأسه ومتقاره إلى أى موضع
 أراد من جسده ، ثم قال : إن العتق — الكرم — يكتنفه من قبل أبيه وأمه ؛ فكرم الأم
 يقابل فيه كرم الأب . فالآفق من الحيل : الكرم الطرفين ، وهى آفقه ، ومن آفقه :
 حال ، أى مولودا من آفقه وآفق : أى إنه كرم الام والأب وكل من أمه وأبيه كذلك
 (٢) البيت تمة لما فى المصراع الأخير من البيت السابق ؛ والعتاق من الحيل :
 الكرام ؛ والإناث عتائق ؛ والبواسق : جمع باسقة : النخلة العالية . يقول : إن أبويه
 آفقان بين كرام الحيل وكرائهما : أى إنه وسيط فى العتق ، ثم قال : وعنقه يزيد على النخل
 الطوال طولا والحيل توصف بطول الأعناق ، كما قال القائل :

* وَهَادِيهَا كَانَ جَذَعٌ سَحُوقُ *

(٣) يقول : إن أعلى حلقة دقيق حتى لو أراد الخائق أن يطوقه بفترة — ما بين
 الإبهام والسبابة — لاستطاع وأمكنه ذلك ، والفيالق : الكتاب من الجيش .

(٤) والضرب : عطف على الطعن والمفارق : أوساط الرؤوس حيث يفرق الشعر
 واللواء : الراية ؛ وخفقه : اضطرابه فى الهواء .

يَحْمِلُنِي وَالنَّصْلُ ذُو السَّاقِ يَقْطُرُ فِي كُمِّي عَلَى الْبَنَائِقِ ^(١)
 لَا أَلْخُظُ الدُّنْيَا بِعَيْنِي وَآمِقُ ، وَلَا أَبَالِي قِسَاةَ الْمُرَافِقِ ^(٢)
 أَيْ كَبْتُ كُلَّ حَاسِدٍ مُنَافِقٍ أَنْتَ لَنَا وَكُلُّنَا لِلْخَالِقِ ^(٣)

وقال يهجو إسحاق بن كیفلغ وقد بلغه أن غلامه قتله :

قَالُوا لَنَا : مَاتَ إِسْحَاقُ فَقُلْتُ لَهُمْ :

هَذَا الدَّوَاءُ الَّذِي يَشْنِي مِنَ الْخُلُقِ ^(٤)
 إِنْ مَاتَ مَاتَ بِلَا قَدَرٍ وَلَا أَشْفٍ ، أَوْ عَاشَ عَاشَ بِلَا خَلْقٍ وَلَا خُلُقٍ ^(٥)

(١) النصل : حديدة السيف ؛ وسفاسقه : طرائقه ؛ والبنائق : جمع بنيقة ، لبنة التميمي . يقول : يحملني في الحرب وسيفي يقطر دما — دم القتلى — في كمي على بنائقي . أي يحملني والسيف هذه حاله ؛ قال المعكبري : الرواية التي قرأت بها الديوان على شيخني أبي الحزم وعبد النعم : والنصل ذو ، بالرفع ، ورفعته على الابتداء ، والواو للحال ، أي في هذه الحالة ، ورواه الواحدى وغيره بنصب النصل وما بعده عطفا على الضمير المنسوب في يحملني ؛ ويجوز أن يكون على أنه مفعول معه : أي مع النصل .

(٢) لحظه : نظر إليه مؤخر عينه . والوامق : الحب . يقول : لا أنظر إلى الدنيا بعين عاشق يحب لها فيذل طلبها ولا أبالي أن لا أجد فيها من يوافقني على طلب معالي الأمور ، بل أعمل على طلبها وحدي .

(٣) أي : جرف نداء ؛ وكبت عدوه : أذله وردده بغضه ، وكبته الله لوجهه : صرعه . قال ابن جني يخاطب ممدوحا له ، قال الواحدى : ليس في هذه القصيدة ذكر ممدوح ولم يمدح بها أحد ، فكيف يخاطب ممدوحا ؛ إنما يخاطب المهر الذي وصفه ، يقول : أنت تكبت حسادى لأنهم يحسدوننى عليك ثم قال : أنت لنا ونحن وأنت لله .

(٤) يقول : لادواء للأحق إلا الموت ، كما قال البحرى :

مَا قَضَى اللَّهُ لِلْجَهْلِ بَسْتَرٍ يَتَلَفَاهُ مِثْلُ حَتَفٍ قَاضِي

(٥) يقول : إن موته وحياته سواء ، فهو إن مات مات وليس من يأسف على موته ولا يتبين بموته خلل فيكون مفقودا كما قال :

فَإِذَا مِتَّ مِتَّ غَيْرَ فَقِيدٍ

مِنْهُ تَعَلَّمَ عَبْدٌ شَقَّ هَامَتُهُ خَوْنَ الصَّدِيقِ وَدَسَّ الْغَدْرَ فِي الْمَلَقِ ^(١)
وَحَلَفَ أَلْفَ يَمِينٍ غَيْرَ صَادِقَةٍ
مَطْرُودَةٍ كَكُؤُوبِ الرُّمَحِ فِي نَسَقِ ^(٢)
مَا زِلْتُ أُعْرِفُهُ قَرْدًا بِلَا ذَنْبٍ صِفْرًا مِنَ الْبَأْسِ تَمْلُؤُهُ مِنَ النَّزَقِ ^(٣)
كَرِيْشَةٍ بِمَهَبِّ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَقِ ^(٤)

وإن عاش عاش وليس من يحمل به أو يبالى ؛ إذ ليس له خلق كريم أو خلقة جميلة
كما قال الحزب أرزى :

فَأَنْتَ فِي الْخَلْقِ لَا وَجْهَ وَلَا بَدَنَ وَأَنْتَ فِي الْخَلْقِ لَا عَقْلَ وَلَا أَدَبَ
(١) هامته : رأسه ؛ والحون : الحياة ؛ والملق : إظهار المحبة . يقول : إن العبد
الذى قتله وغدر به منه تعلم خيانة الصديق والغدر به وإظهار الحب وفي قلبه دغل .
فلا جناح عليه إذا سقاه بكأسه .

(٢) وحلف : عطف على خون . يقول : وتعلم منه أن يحلف ألف يمين كاذبة مطرودة
— مطردة متتابعة — كأنابيب الرمح ، وفيه نظر إلى قول البحترى من جهة التشبيه :
شَرَفٌ تَتَابَعُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ كَالرُّمَحِ أَنْبُوبًا عَلَى أَنْبُوبٍ
وقوله أيضاً :

نَسَبٌ كَمَا اطْرَدَتْ كُؤُوبٌ مُثَقَفٌ لَدُنْ يَزِيدُكَ بَسْطَةً فِي الطُّوْلِ
(٣) يقول : مازلت أعرفه قرداً إلا أنه لا ذنب له ، وأعرفه فارغاً من الشجاعة
إلا أنه قد امتلأ حماقة وطيشاً ، والله ابن الرومي حين يقول :

مَعَشَرٌ أَشْبَهُوا الْقُرُودَ وَلَكِنْ خَالَفُوهَا فِي خِفَةِ الْأَرْوَاحِ
(٤) يقول : هو من القلق ككريشة بمهب — مجرى — الريح ساقطة لا تستقر
من القلق على حال ، يصفه بالطيش وأنه لا يثبت على حال ، كما قال ابن الرومي :
فَلِمَكَ أَطْيَشُ مِنْ رِيْشَةٍ وَرُوحُكَ مِنْ هَضْبَةٍ أَرْجَحُ
ولبعضهم :

يَارِيْشَةً فَوْقَ مَهَبِّ الصَّبَا يَهْفُوبُهَا الرِّيحُ عَلَى مَرَصَدٍ
أَطْيَشَ مِنْ قَلْبِ فَتَى عَاشِقٍ مَتَمِّمٌ بَاتَ عَلَى مَوْعِدٍ

تَسْتَفْرِقُ الْكَفَّ فَوَدَّيْهِ وَمَنْكِبَيْهِ وَتَكْتَسِي مِنْ رِيحِ الْجُورِبِ الْعَرِقِ ^(١)
 فَسَائِلُوا قَاتِلَيْهِ كَيْفَ مَاتَ لَهُمْ مَوْتًا مِنَ الضَّرْبِ أَوْ مَوْتًا مِنَ الْفَرَقِ ^(٢)
 وَأَيْنَ مَوْقِعِ حَدِّ السِّيفِ مِنْ شَبَحِ بَغَيْرِ رَأْسٍ وَلَا جَنْمٍ وَلَا عُنُقِ ^(٣)
 لَوْلَا اللَّثَامُ وَشَيْءٌ مِنْ مُشَابَهَةِ لَكَانَ الْأُمُّ طِفْلٍ لَفَّ فِي خِرْقِ ^(٤)
 كَلَامٍ أَكْثَرَ مِنْ تَلْقَى وَمَنْظَرُهُ مِمَّا يَشُقُّ عَلَى الْأَذَانِ وَالْحَدَقِ ^(٥)

* * *

(١) الفودان : جانبا الرأس ؛ والجورب : هو « الشراب » الذى توضع فيه الرجل من صوف أو قطن أو حرير . والعرق : الذى به العرق . يقول هو صغير الرأس قصير العنق ، وهو أيضاً قبيح ، فإذا صفع استغرقت أكف الصافعين هذه الموضع من بدنه فتكتسى أكفهم تتنا من لثام رائحته ، ولعل هذا ينظر إلى قول بعضهم :

قل ما بدالك أن تقول فإننى أنفى عليك بمنثل ريح الجورب
 (٢) موتا : مفعول مطلق ؛ أى أمات لهم موتا ؛ والفرق : الخوف والفرع . يقول :
 هو جبان فسائلوا قاتليه هل مات خوفاً أو مات بالضرب ؟ والله أبو تمام حين يقول :
 وإلا فأعلمه بأنك ساخط عليه فإن الخوف لاشك قاتله
 (٣) الشبح : الشخص ؛ يصفه بأنه غير شيء لدمامته وصغر قدره فكانه
 لا أعضاء له .

(٤) يريد باللثام آباءه . يقول : لولا أنهم سبقوه فى اللؤم وجاء مشابهاً لهم فيه
 لكان الأم طفل ولكنهم شركاؤه فى ذلك فليس هو الأم ، وبهذا قد سوى بينه
 وبينهم ؛ وفى هذا نظر إلى قول بعضهم :

إذا ولدت حليمةً باهلي غلاماً زيد فى عدد اللثام
 (٥) ومنظره : أى وجهه ، أو النظر إليه ، ويشق : يشغل . يقول : إن أكثر من
 تلقاه من الناس يشق كلامه على الآذان لما فيه من السقط والمهذر ، ومنظره على الأحداق
 — العيون — لما ينطوى عليه من الغل والحجب وإضمار غير الجليل وإن كان
 يلقاك بالبشر .

يلقاك والمصل المصنى يجتنى من قوله ومن الفعّال العلقم

وقال يمدح أبا العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان العدوي :
 أترأها لِكثَرَةِ العُشَّاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِ (١)
 كَيْفَ تَرَى الَّتِي تَرَى كُلَّ جَفْنٍ رَأَاهَا غَيْرَ جَفْنَهَا غَيْرَ رَاقٍ (٢)
 أَنْتِ مِنَّا فَتَنْتِ نَفْسَكَ لِكِنَّكَ عُوْفِيَتْ مِنْ ضَنْيٍ وَاشْتِيَاقٍ (٣)

يُبدى الهوى ويثور - إن عرضت له فرص - عليك كما يثور الأرقمُ
 « الايوردى »
 فلا تفرّك السنّة رطاب بطائهن أ كباد صَوَادِي
 « الديلمى »
 فيأرب وجه كصافي النير تشابه حامله والنير
 « شوقى »

إن شئت أن يسود ظنك كله فأجله في هذا السواد الأعظم
 ليس الصديق بمن يُعيرك ظاهراً مُتبسماً عن باطن متجهم
 « أبو تمام »

(١) حسب يحسب - بفتح السين في المضارع وكسرهما لفتان - وأترأها :
 أنظنها : والمآق : جمع مؤق ، مؤخر العين مما يلي الأنف . يقول - لصاحبه :
 أنظنها لكثرة ما ترى الدمع في مآق عشاقها تتوهم أنه خلقة فيها فلا ترحم من يسكى
 ولا ترى ، كما قال في البيت التالي .

(٢) رأها : أصله رأها ؛ قدم الألف وآخر الهمزة ضرورة وغير الأولى : منصوبة
 على الاستثناء ، والثانية على الحال . وراق : أى منقطع الدمع ، وأصله راقى : تقول
 رقا الدمع والدلم رقا إذا انقطع ، فلينه . يقول : إن هذه المعشوقة لا ترحم با كياً ،
 وكيف ترحمه وهي ترى كل جفن من الناس إلا جفنها سائل الدمع لهجرها فهي
 لا ترحم أحداً لأنها تظن الدموع في أجفان العشاق خلقة ؟ .

(٣) منا خبر أنت ، والجملة بعده خبر ثان ، أو جمال من الضمير المستتر في الخبر يقول
 أنت أيضاً من معشر عشاقك : أى أنت عاشقة لنفسك حين منعها منا إلا أنك عوفية
 من الضنى - النحول - والاشتياق . لأنك واصلت محبوبك وهو نفسك ؛ ومعه

حُلَّتْ دُونَ الزَّارِ فَالْيَوْمَ لَوْ زُرْتُ لَحَالَ التَّحُولُ دُونَ الْعِنَاقِ^(١)
 إِنَّ لِحَظًا أَدَمَّتِهِ وَأَدَمَّنَا كَانَ عَمْدًا لَنَا وَحَتَفَ انْتِفَاقِ^(٢)
 لَوْ هَذَا عِنْدَكَ غَيْرَ هَجْرِكَ بَعْدُ لَأَرَارَ الرَّسِيمُ مَخَّ الْمَنَاقِ^(٣)
 وَلَسِرْنَا وَلَوْ وَصَلْنَا عَلَيْهَا مِثْلَ أَنْفَاسِنَا عَلَى الْأَرْمَاقِ^(٤)

فنتت نفسك : أى بالحب ؛ أى فأنت مفتونة بعشق نفسك ؛ والأصل فى هذا المعنى قول جعظة :

لو ترى ما أراه منك إذا ما جال ماء الشباب فى وجنتيك

لتميت أن تُقبِّلَ خديك وإن لم تصل إلى خديك

(١) يقال حال دونه حائل ، كما يقال عاق دونه عائق ؛ والزار ههنا : مصدر بمعنى الزيارة يقول : منعتنى عن زيارتك حتى نعلت شوقا إليك ، فلو زرتنى اليوم لم تقدرى على معانقتى لشدة نهولى ودقة جسمى . فليس فى بقية لعناقك .

(٢) يقول : إن النظر الذى كررته إلينا وكرره إليك كان عن تعمد منا فاتفق لنا فيه الحنف - الهلاك - من غير قصد منا إليه لأنه أوقعنا فى جبال الهوى .

(٣) عدا عنك . صرف عنك ومنع من لقائك . وغير : استثناء مقدم ؛ وبعد : فاعل عدا ، وقال المكبرى : نصب غير على الحال ، والتقدير : بعد غير هجرك ، فلما قدم وصف التكرة نصبه على الحال . وأرار : بمعنى أذاب ، والرسيم : ضرب من سير الإبل ، والناقى : جمع منقبة ، وهى الناقة السمينة التى فى عظامها نقى - أى مخ - يقول : لو كان الحائل بيننا وبينك هو بعدك لاهجرك لو اصلنا السير إليك حتى تنضى الإبل ويسيل مخها : أى لأنتمناها فى طى البعد بيننا ، ولكن الذى يحول بيننا هو الهجر ، وهو ما لا سبيل إلى قطع مسافته بالسير ، كما قال أيضاً :

أبعدُ نأى المليحة البخلُ فى البعدِ مالا تُكلفُ الإبلُ

(٤) الضمير فى عليها : للمناقى ، والأرماق : جمع رmq ، بفيه الروح : يقول : ولسرنا ولو وصلنا وقد نلحنا وهزلنا من هذه الشوق حتى نصير من الحفة كأننا أنفاس على أرماق : أى على إبلنا التى نال منها الجهد حتى هزلت ولم يبق منها إلا الذماء فكأنها أرماق ، كما قال الآخر .

• أنضاء شوق على أنضاء أسفار •

مَا بِنَا مِنْ هَوَى الْمُيُونِ اللَّوَاتِي لَوْنُ أَشْفَارِهِنَّ لَوْنُ الْحِدَاقِ^(١)
 قَصَّرَتْ مُدَّةَ اللَّيَالِي الْمَوَاضِي فَأَطَالَتْ بِهَا اللَّيَالِي الْبَسَوَاتِي^(٢)
 كَاثَرَتْ نَائِلَ الْأَمِيرِ مِنَ الْمَا لِي بِمَا نَوَلَتْ مِنَ الْإِيرَاقِ^(٣)
 لَيْسَ إِلَّا أَبَا الْعَشَائِرِ خَلَقَ^(٤) سَادَ هَذَا الْأَنَامَ بِأَسْتَحْقَاقِ

وكما قال هو أيضاً :

بَرَتْنِي الشَّرَى بَرَى الْمَدَى فَرَدَدْنِي أَخَفُّ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جَرْنِي
 وقال ابن جني : ولسرنا ولو وصلنا إليك وهي تحملنا على استكراه ومشقة كما
 تحمل أرماقنا أنفاسنا لشدة الجهد لأننا قد بلغنا أو آخر أنفاسنا ؛ قال الواحدى : هذا محال
 كيف يحمل الرمق النفس ؟ وكيف تكون الأنفاس على الأرماق بالمعنى الذى ذكره ؟ ثم
 فسره الواحدى بما لا يخرج عما أسلفناه .

(١) ما بنا : استفهام ، معناه التعجب ؛ والأشفار : جمع شفر منبت الهدب ؛ والحداق :
 جمع حدقة سواد القلة . يقول : أى شيء أصابنا من هوى العيون الكحلأ الجفون السوداء
 الأحداق ؟

(٢) يقول : قصرت الليالى الماضية بالوصال وأطالتهابالمجربان ، وأيام الوصال توصف
 بالقصر وأيام المعجر توصف بالطول . وقوله فأطالت بها : أى أطالت ليالى المعجر بليالى
 الوصال . أى بذكرها والتعسر عليها .

(٣) قال الواحدى : الإبراق مصدر قولهم أورق الصائد إذا لم يصد شيئاً وأورق الغازى : إذا
 لم يغم ، وأورق الطالب إذا لم ينل شيئاً . قال : وكان الخوارزمى يقول فى تفسير هذا البيت :
 هى تطاب بإسعادها إيانا الغاية طلب الأمير بإنالته النهاية ، فكأنها تكأثره نوالاً ، لكن نوالها
 الأرق ونواله الورق . قال الواحدى : فإن كان أبو الطيب أراد بالإبراق هذا — أى أنه من
 الأرق — فقد أخطأ لأنه لا يبنى الإبراق من الأرق إنما يقال أرق يأرق أرقاً وأرقه تأريقاً ،
 والأولى أن يحمل الإبراق على منع الوصل والتعجب منه . يقول : هى فى منعها وصلها
 فى النهاية ، كما أن الأمير فى بذله نائله قد بلغ الغاية فكأنها تكأثر عطاءه بمنعها لينظر
 أيهما أكثر ، ولا يخفى ما فى البيت من حسن التخلص .

(٤) خلق : اسم ليس ؛ وأبا العشائر : خبرها ؛ أو تقول خلق ؛ اسم ليس ؛ وخبرها
 الجملة بعده ؛ وأبا العشائر : مستثنى . يقول : ليس أحد قد استحق السيادة فسادالخلاتو
 بحق غير هذا المدوح ؛ وبما يتصل بمعنى البيت قول البحترى :

طَاعِنُ الطَّعْنَةِ الَّتِي تَطْعَنُ الْفَيْلِقَ بِالذُّعْرِ وَالْدِّمِ الْمُهْرَاقِ^(١)
ذَاتُ فَرِيغٍ كَأَنَّهَا فِي حَشَا الْمَخْبِرِ عَنْهَا مِنْ شِدَّةِ الْإِطْرَاقِ^(٢)
ضَارِبُ أَلْهَامٍ فِي الْغُبَارِ وَمَا يَزُ هَبُّ أَنْ يَشْرَبَ الَّذِي هُوَ سَاقِي^(٣)
فَوْقَ شَقَاءٍ لِلْأَشَقِّ مَجَالٌ^(٤) بَيْنَ أَرْسَاعِهَا وَبَيْنَ الصِّفَاقِ^(٥)

قدره مرتفع عن حظه لا يرُعك الحظُّ لم يوجد بحق

(١) طاعن : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هو طاعن ؛ والفيلق : الجيش ؛ والذعر : الفزع ؛ والمهراق : المصوب . يقول : إذا طعن واحداً من الجيش فرأوا الطعنة وسعها وبعد غورها جبنوا جميعهم وخافوا لذلك خوفاً شديداً فكأنه طعن الجيش كله ؛ قال الشراح : والدم المهراق أحسن ما في البيت ، يريد أنه يخرج منها دم نائر يضرب صدور القوم ، فكأنه قد طعنهم كلهم .

(٢) ذات : خبر مبتدأ محذوف : أى طعنته ذات فرغ ، ومن نصب ذات : فهي حال من الطعنة بمعنى واسعة ، كأنه قال طعن الفيلق طعنة واسعة . والفرغ : مخرج الماء من الدلو . ويقال أطرق رأسه إذا خفضه وطأطأه . والخبر : يروى بفتح الباء وبكسرهما يقول : إن طعنته واسعة حتى كأن دمها يجري من فرغ دلو ، وإذا جرى حديثها أطرق لها السامع أو المحدث خوفاً واستعظاماً حتى لكأنها في جوفه .

(٣) يقول : هو ضارب الهام - الرءوس - في الهيجاء وبسقي الأقران كؤوس الموت ولا يبالى أن يشرب ما يسقيهم شجاعة وولوعاً بالمجد والفخار ومن ثم لا يبالى بالموت .

(٤) فوق شقاء : أى هو ضارب الهام حال كونه فوق فرس شقاء ، وشقاء : مؤنث أشق ، ويقال فرس أشق . إذا كان رجب الفروج طويل القوائم ، قال جابر أخو بني معاوية بن بكر التغلبى :

وَيَوْمَ الْكَلَّابِ اسْتَنْزَلْتُ أَسْلَاتُنَا شُرَحْبِيلَ إِذْ آلَى الْيَتَةِ مُقْسِمِ

لَيْتَنَزِعَنَّ أَرْمَاحُنَا فَازَالَهُ أَبُو حَنْشٍ عَنْ ظَهْرِ شَقَاءٍ صِلْدَمِ^(١)

والأرساغ : جمع رسيخ ، وهو مستدق ما بين الخافر ومفصل الوظيف ؛ والصفاق

(١) عن ظهر : يروى عن سرج ، والصلدم : القوية ، يقول : - حلف عدونا ليتزعن

أرماحنا من أيدينا قتلناه .

مَا رَأَاهَا مُكَذِّبُ الرُّسُلِ إِلَّا صَدَّقَ الْقَوْلَ فِي صِفَاتِ الْبَرَاقِ ^(١)
 هُمُ فِي ذَوِي الْأَسِنَّةِ لَا فِيهَا وَأَطْرَافُهَا لَهُ كَالنُّطَاقِ ^(٢)
 ثَابِتُ الرَّأْيِ ثَابِتُ الْحِلْمِ لَا يَقْدِرُ أَمْرٌ لَهُ عَلَى إِفْلَاقِ ^(٣)
 يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ لُقْمَانَ لَا تَفْدِمَكُمْ فِي الْوَعْيِ مُتُونُ الْعِتَاقِ ^(٤)

جلدة البطن ؛ قال الأصمعي : الصفاق الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر ،
 وأنشد للجعدي :

لَطِينٌ بِتَرْسٍ شَدِيدِ الصَّفَا قِي مِنْ خَشَبِ الْجُوزِ لَمْ يُنْقَبِ ^(١)
 يقول : هو ضارب فوق فرس أنثى طويلة واسعة الفروج حتى يجول الحصان -
 الذكر - الطويل بين قوائمها وبطنها .

(١) البراق : هو ذلك الذي روى أن سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ركبته
 ليلة الإسراء وقطع به ما بين الأرض والسماء في ليلة ، وقيل في وصفه أنه يضع يديه عند
 منتهى بصره ، وأنه دون البغل وفوق الحمار . يقول : إن هذه الفرس تجري جري
 البراق . فإذا نظر مكذب الرسل إلى سرعتها صدق ما قيل في وصف البراق .

(٢) الضمير من فيها : للأسنّة ؛ والواو بعدها : للحال ؛ والنطاق : ما يشد به
 الوسط : يقول : إذا أحاطت به الأبطال حتى صارت أسنتها - رماحها - حوله كالنطاق
 فإن همته حينئذ إنما هي في الأبطال وأخذ أرواحهم لا في اتقاء رماحهم ، فهو لا يبالي
 بها ولا هي تثنيه عنهم .

(٣) ثقوب الرأي : نفاذه ؛ وأصل الثاقب : الضيء ؛ ويروى ثاقب العقل ؛ والحلم :
 الأناة والتعقل . يقول : لا يقلقه أمر من الأمور لثبات حلمه ؛ وفيه نظر إلى قول
 ابن دريد :

يَعْتَصِمُ الْحِلْمُ بِجَنبِي حَبَوِي إِذَا رِيَّاحُ الطَّيْلِ طَارَتْ بِالْحَبَا
 (٤) الحارث بن لقمان : جد أبي العتائر ؛ والعتاق : الخيل الكريمة ، يدعو لهم بأن
 لا يفارقوا ظهور الخيل فرسانا في الوعى - الحرب - قال ابن جني : قوله في الوعى حشو
 إلا أن فيه نكتة ، وهي أنهم ملوك إنما يركبون الخيل لحرب أو دفع ملم ، لذلك خسر
 حالة الحرب ؛ إذ لو لم يقل في الوعى لا تقضى الدعاء أن لا يفارقوا ظهورها في وقت

(١) يقول : ذلك للوضع منه كأنه ترس وهو شديد الصفاق .

بَعَثُوا الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ ۖ فَكَانَ الْقِتَالُ قَبْلَ الْقِتَالِ ^(١)
وَتَكَادُ الظُّبَا لِمَا عَوَّدُوها تَنْتَضِي نَفْسَهَا إِلَى الْأُنَاثِ ^(٢)
وَإِذَا أَشْفَقَ الْفَوَارِسُ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا أَشْفَقُوا مِنَ الْإِشْفَاقِ ^(٣)
كُلُّ ذِمْرٍ يَزِيدُ فِي الْمَوْتِ حُسْنًا كَبْدُورٍ تَمَامُهَا فِي الْمُحَاقِ ^(٤)

وهذا من أفعال الرواض لامن أفعال الملوك لأن الملوك يحتاجون إلى تدبير الملك بالرأى إلى الفراغ والاستقرار .

(١) يقول : بعثوا خوفهم في قلوب الأعداء قبل وصولهم إليهم ، فكانهم قاتلهم قبل أن يلقوهم لشدة خوفهم قبل اللقاء ، قال أبو تمام :

لَوْ لَمْ يَزَاحِفْهُمْ لَزَاحِفُهُمْ لَهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْأَوْجَالِ

هذا : والأعداى - بالتشديد - جمع الأعداء ، وأصله أعادى بالهمز فأدغم .

(٢) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف ؛ والمراد هنا : السيوف نفسها ؛ وتنتضى :

تستل . يقول : إنهم عودوا السيوف أن تغمد في الأعناق ، فهى لذلك تكاد تخرج من أعماقها إلى الأعناق قبل أن يستلها أحد ؛ وهذا من قول أبى تمام :

وَنَبَّهَنَ مِثْلَ السِّيفِ لَوْ لَمْ تَسْلُهُ يَدَانِ لَسَلَّتْهُ ظُبَاهُ مِنَ الْغَمْدِ

(٣) الإشفاق : الخوف والفرع . يقول : إذا خاف الفرسان من وقع الرماح خافوا

هم من الخوف ومن أن ينسبوا إلى الجبن والجزع فتجلبدوا وصبروا .

(٤) الذمر : الرجل الشجاع ؛ وكل : خبر مبتدأ محذوف : أى هم - المدحون - كل

ذمر الخ ؛ والمحاق : آخر ليالى القمر . يقول : إنهم إذا قتلوا في طلب المجد والرفعة

ازداد شرفهم فازداد حسن ذكركم بموتهم ، كالبذور فإنها تستفيد الكمال بالحاق ، ومالم

تصير إلى الحاق لم تتم ، لأنها في الحاق ترتفع إلى درجة الكمال ، فحاقها سبب كمالها ؛

كذلك هؤلاء إذا قتلوا اكتسبوا ذكراً وشرفاً . وقال ابن جني : تمامها في الحاق

الكلام متناقض الظاهر ، لأن الحاق غاية النقصان وهو ضد الكمال ، وإنما سوغ له

ذلك قوله « يزيد في الموت حسناً » : أى هو من قوم أحسن أحوالهم عندهم أن يقتلوا في

طلب المجد ، فشبههم ببدور تمامها في محاقها ، فجاز له هذا اللفظ على طريق الاستطراف

والتعجب منه ، فشبه ما يجوز أن يكون بما لا يجوز أن يكون اتساعاً وتصرفاً . . وقال

ابن فورجه : أراد أن البدور يفضى أمرها إلى الحاق . فهو غايتها التى تجرى إليها ومصيرها

الذى تصير اليه ، وهؤلاء القوم تمام أمرهم قتلهم ، وليس التمام فى هذا البيت الذى

جَاعِل دِرْعَهُ مَنِيتَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ دُونَهَا مِنَ الْعَارِ وَاقٍ^(١)
كَرَمٌ خَشَنَ الْجَوَانِبَ مِنْهُمْ فَهُوَ كَالْمَاءِ فِي الشُّفَارِ الرَّقَاقِ^(٢)

يعنى به استكمال الضوء؛ والدليل على ذلك قوله «كبدور» والبدور لا تكون بدوراً إلا بعد استكمال ضوئها، ولو أراد استكمال الضوء لقال كأهله... قال الواحدي: وعلى هذا لا مدح فى البيت لأن كل حى يفضى أمره إلى الموت وآخره الهلاك؛ وإنما شبههم ببدور تمامها فى المحاق بزيادتهم حسناً بالموت لانتهاه آخر أمرهم إلى الموت، ثم أوضح ذلك بما لا يخرج عما ذكرناه أولاً.

(١) جاعل: صفة لذمر. يقول: إنه يتقى العار ولو بموته، فإذا لم يجد وقيام من العار غير منيته جعلها درعاً له، فاتقى بها العار كما يتقى بالدرع الموت والهلاك. قال أبو تمام:

وقد كان قوت الموت سهلاً فردّه إليه الحفاظ الرُّءُوسُ وأُتْلِقُ الوغُرُ

وقال بعضهم:

وموتٌ لا يكون طَلَى عَاراً أَحَبُّ إِلَى مِنْ عَيْشٍ رِمَاقٍ^(١)

(٢) الكرم: ضد اللؤم؛ والشفار: جمع شفرة، حد السيف. والرقاق هنا: الحداد القاطعات. يقول: إن لم كرم ما خشن جوانبهم طلى الأعداء لأن هذا الكرم يأبى عليهم أن يساموا الحسف ويقبلوا الإهانة، ثم شبه ذلك الكرم بالماء، فهو مع لينه وعذوبته إذا سقيته السيوف شحذت شفارها واستفادت صلابه ومضاء ونفاذاً، كذلك كرمه فيه لين لأوليائه وخشونة على أعدائه. وهذا من قول بعضهم:

وكالسيف إن لا يفتنه لأن مَتْنَهُ وَحْدَاهُ إِنْ حَاشَتَهُ خَشِنَانِ

وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

فإنَّ الحسامَ الهِنْدُوَانِيَّ إِنَّمَا خُشُونَتُهُ مَا لَمْ تُقَلَّلْ مُضَارِبُهُ

(١) الرماق: العيش اليسير الدون الذى يمسك الرمق؛ ومن كلامهم: موت لا يجر

إلى عار خير من عيش فى رماق، ومثله العيش الرمق: أى الدون قال الكهيت:

أَرَانَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا يُجَدُّ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَهْزَلُ

نُعَالِجُ مُرَمَقًا مِنَ الْعَيْشِ قَانِيًا لَهُ حَارِكٌ لَا يَحْمِلُ الْعِبَاءَ أَجْزَلُ

[الحارك: أعلى الكاهل].

وَمَعَالٍ إِذَا أَدْعَاهَا سِوَاهُمْ لَزِمَتْهُ جَنَابَةُ الشَّرَاقِ^(١)
يَأْتِي مَنْ كُلَّمَا بَدَوْتَ بَدَا لِي غَائِبَ الشَّخْصِ حَاضِرَ الْأَخْلَاقِ^(٢)
لَوْ تَنَكَّرْتَ فِي الْمَكْرِ لِقَوْمٍ حَلَفُوا أَنَّكَ ابْنُهُ بِالطَّلَاقِ^(٣)
كَيْفَ يَقْوَى بِكَفِّكَ الزُّنْدُ وَالْآ فَاقُ فِيهَا كَالْكَفِّ فِي الْآفَاقِ^(٤)
قُلْ نَفْعُ الْحَدِيدِ فِيكَ فَمَا يَنْفَعُكَ إِلَّا مَنْ سَيِّفُهُ مِنْ نِفَاقِ^(٥)
إِنِّ هَذَا الْهَوَاءُ أَوْقَعَ فِي الْأَنْفُسِ أَنَّ الْحِمَامَ مُرُّ الْمَذَاقِ^(٦)

(١) يقول : لكم معال شريفة لم ينلها أحد سواكم فإذا ادعاه سواكم نسب إلى الحيانة والسرقة .

(٢) يقول : أنت شديد الشبه بأبيك ، فإذا ظهرت لي شاهدت فيك أخلاقه ، وإن غاب شخصه ، وقال ابن الرومي :

إِذَا سَلَفٌ أَوْدَى وَخَلَفَ مِثْلُهُ فَمَا ضَرَّهُ أَنْ غَيْبَتْهُ الرِّوَامِسُ

(٣) تنكرت : غيرت زيك حتى لا تعرف ، والمكر : مكان الكر في الحرب . يقول : لو غيرت زيك في ساحة الحرب حتى لا يعرفك أهلها لعرفوك بأفعالك التي لم يكن يفعلها غير أهلك حتى يحلفون بالطلاق أنك ابنه ، قال ابن جني : في المكر حشو وفيه نكتة ، وهي أنه إنما شبهه في المكان الذي يتبين فيه الفضل والشجاعة فذكر أنفس المواضع ، فجعله شبهه فيها لافي غيرها مما ليس له شهرتها ، وقال التبريزي : حلفوا أنك ابنه : أي ابن المكر إذ يجدونك فيه سالما من الطعن والضرب ، فكان المكر أب يشفق عليك من أن يصل إليك جرح أو طعنة .

(٤) الاستفهام تعجب ، وقوى به : أطاقه ؛ والآفاق : نواحي الدنيا وأقطارها . يقول : كيف يطيق زندك حمل كفك وهي قد اشتملت على نواحي الأرض ، أي استوت على أطرافها حتى صارت الآفاق صغيرة بالقياس إليها كالكف بالقياس إلى الآفاق ، يريد أنه اقتدر على الدنيا وصغرت في قبضته .

(٥) يقول : إن أعداءك لا يقدرون عليك بسيف الحديد لا متناحك على أسلحتهم بيأسك وشجاعتك وعدة شوكتك . فلا يلقونك إلا بسيف النفاق ، يعني أن أعداءك يعدلون عن مجاهرتك بالحرب إلى مواراتك بالنفاق .

(٦) قال أبو العلاء المعري : إن هذا البيت والذي بعده يفضلان كتابا من كتب

وَالْأَمْسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجَزٌ وَالْأَمْسَى لَا يَكُونُ بَعْدَ الْفِرَاقِ ^(١)
 كَمْ تَرَاءَ فَرَمَجَتْ بِالرُّمُحِ عَنْهُ . . . كَانَ مِنْ بَحْلِ أَهْلِهِ فِي وَثَاقٍ ^(٢)
 وَالْفَنَى فِي يَدِ اللَّثِيمِ قَبِيحٌ قَدَرٌ قُبِحَ الْكَرِيمُ فِي الْإِمْلَاقِ ^(٣)

الفلاسفة ، لأنهما متناهيان في الصدق وحسن النظام ، ولو لم يقل شاعرهما سواهما لكان له شرف منهما وجمال . . . يقول : إن نفوسنا ألقت هذا الهواء فظننت أن الموت كرهه الذوق ، وذلك لإلفها الهواء الرقيق الطيب ، وهذا أوقع في الأنفس أن الموت مر الطعم . قال الواحدى : وفي هذا بيان عذر أعدائه حين جبنوا عنه ولم يجاهره بالحرب لأن حب الحياة زين لهم الجبن وأراهم طعم الحمام . قال : ويجوز أن يكون هذا ابتداء كلام لا يتصل بما قبله ؛ قال العسكبرى : وهذا من قول الحكيم : النفوس البهيمية تألف مساكنة الأجساد الترابية ، فلذلك تصعب عليها مفارقة أجسامها والنفوس الصافية بضد ذلك .

(١) يقول : إن خوف الموت من أكاذيب النفس ومن إلفتنا هذا الهواء وإلا فهو معلوم أن الجزع من الموت قبل وقوعه عجز ينشأ عن الجبن وضعف النفس ، وأنه لا جزع بعد الموت لعدم حس الليت بشيء مما هو فيه . وعبرة أبي الفضل العروضى : لا يحسن أن يحزن الإنسان للموت بعد تيقنه بوقوعه فإنه قبل الوقوع : لا ينفع الحذر وينقص العيش ، وإذا وقع فلا حزن عليك ولا علم لك به ، ثم قال : وقد نسب في هذا إلى الإلحاد . قال الواحدى : وهذا البيت والذي قبله حث على الشجاعة وتحذير من الجبن وتهوين للموت لئلا يخافه الإنسان فيترك الإقدام قال : هذا ما أراده أبو الطيب ولم يرد الإلحاد وإنما قال هذا من حيث الظاهر

(٢) التراء : كثرة المال . يقول : كم مال كان البخل قد أوثقه ومنعه عن طلابه قتلت أربابه فأطلقت من إيساره وأبجته لطلابيه ؟

(٣) الإملاق : الفقر والعدم . يقول : إن المال في يد اللثيم قبيح - لأنه يضمن به عن حقوقه - كما يقبح الفقر في يد الكريم ، فقوله قدر قبح الكريم في الإملاق : يريد أن يقول قدر قبح الإملاق في الكريم ، قلب للضرورة والقافية : وللصراع الأول من قول أبي تمام :

كَمْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ كَانَتْ عِنْدَهُ فَكَانَهَا فِي غُرْبَةٍ وَإِسَارٍ
 وقول العطوى :

لَيْسَ قَوْلِي فِي شَمْسٍ فِعْلِكَ كَالشَّمْسِ وَلَكِنْ فِي الشَّمْسِ كَالْإِشْرَاقِ^(١)
 شَاعِرُ الْمَجْدِ خِذْنُهُ شَاعِرُ اللَّفْظِ كِلَانَا رَبُّ الْمَعَانِي الدَّقَاقِ^(٢)
 لَمْ تَزَلْ تَسْمَعُ الْمَدِيحَ وَلَكِنْ صَهِيلَ الْجِيَادِ غَيْرُ النَّهَاقِ^(٣)
 لَيْتَ لِي مِثْلَ جَدِّ ذَا الدَّهْرِ فِي الْأَذَى هُرُّ أَوْ رِزْقِهِ مِنْ الْأَرْزَاقِ^(٤)

نعمة الله لا تُعَاب ولكن ربما استُغْبِحت على أقوام
 لا يليق الغنى بوجه أبي يعلى ولا نُورُ بهجة الإسلام
 وسخ الثوب والقلائس والبر ذون الوجه والقفا والعَلَامِ

(١) يقول : إن قولي لا يبلغ فعل المدوح في الشرف والرفعة ، ولكنه يدل عليه ، فهو بمنزلة الإشراق من الشمس ، وتروى : ولكن كالشمس في الإشراق : أى أن قوله في فعل المدوح الذى هو كالشمس ليس كالشمس كذلك ، فيكون كفؤاً له ، ولكنه بالقياس إليه كالشمس بالقياس إلى إشراقها ، شبه قوله بالشمس وفعل المدوح بأشعة الشمس التى تملأ الكائنات .

(٢) يقول : أنت شاعر المجد الناظم لحاسنه العليم به وبدقائقه وأنا شاعر اللفظ ، فكل واحد منا خليل الآخر ، وكل واحد صاحب المعانى الدقيقة فهو يهتن فى صناعته : وأراد بالحدن ؛ نفسه ، جعل نفسه خدنا - صاحباً وصديقاً - للمدوح ترفعا وافتخارا . ومثل هذا البيت قول أبى تمام :

غَرَبَتْ خِلَاتُهُ فَأَغْرَبَ شَاعِرٌ فِيهِ فَأَبْدَعَ مُغْرِبٌ فِي مُغْرِبٍ
 (٣) يقول : لم تزل تمدح وتسمع الأشعار فى مديحك - لأنك ملك همم كبير المداح - ولكن شعرى يفضل ما سمعته كما يفضل صهيل الجياد نهيق الحير ، ولعله ينظر فى هذا إلى قول خداس بن زهير :

وَلَنْ أَكُونَ كَنْ أَلْقَى رِحَالَتَهُ عَلَى الْحِمَارِ وَخَلَى مَنْسِجَ الْفَرَسِ
 وقول الآخر :

أَلْمَى بِابْنِ عَمِّكَ لَا تَكُونِ كَمُخْتَارِ عَلَى الْفَرَسِ الْحِمَارَا
 (٤) يقول : إن دهرك محدود - محظوظ - مرزوق بك ، فليت لى مثل ماله من الحظ والرزق ، ثم بين ذلك فى البيت التالى .

أَنْتَ فِيهِ وَكَانَ كُلُّ زَمَانٍ يَشْتَهِي بَعْضَ ذَا عَلَى الْخَلْقِ^(١)

* * *

وضرب أبو العشائر خيمة على الطريق فكثرت سؤاؤه وغاشيته فقال له إنسان جعلت مضربك على الطريق فقال : أحب أن يذكره أبو الطيب فقال :

لَا مَ أَنْسُ أَبَا الْعَشَائِرِ فِي جُودِ يَدَيْهِ بِالْعَيْنِ وَالْوَرَقِ^(٢)
وَأِنَّمَا قِيلَ لَمْ خُلِقْتَ كَذَا وَخَالِقُ الْخَلْقِ خَالِقُ الْخَلْقِ^(٣)
قَالُوا أَلَمْ تَكْفِهِ سَمَاحَتُهُ حَتَّى بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الطَّرِيقِ^(٤)
فَقُلْتُ إِنَّ الْفَتَى شَجَاعَتُهُ تُرِيهِ فِي الشُّعْ صُورَةَ الْفَرَقِ^(٥)

(١) يقول : كان كل عصر يشتهي بعض هذه السعادة لأنه لا يطعم في كلها ومثله لمسلم بن الوليد :

كَالدَّهْرِ يَحْسُدُ أَوْلَاهُ أَوَاخِرَهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي أَعْصَارِهِ الْأَوَّلِ
وفيه نظر إلى قول أبي تمام .

مَضَى طَاهِرَ الْأَنْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةَ ثَوْبِي إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ

(٢) العين : الذهب ؛ والورق : الفضة ، وقيل هي الدراهم المضروبة .

(٣) يقول : إن الذي يلومه على جوده كأنه يقول له لم خلقت كريما ؟ أى أنه طبع على الجود وليس ينفع اللوم على ما طبع عليه الإنسان ؛ لأن للطبوع على الشيء لا يستطيع أن يجحد عنه إلى غيره كما لا يستطيع أن يغير خلقته ، والذي خلق خلقه خلق خلقه .

(٤) كان أبو العشائر بميفارقين ، ف ضرب بيتا على الطريق لينتابه الناس فلا يرون دونه حجابا ، فذكر ذلك أبو الطيب وقال : إن الناس قالوا أما كفته سماحتهم ونداء في البلد حتى بنى بيته على الطريق للقصا ؟

(٥) الشع : البخل ؛ والفرق : الخوف والدعر . يقول : إن الشجاع لا يكون بخيلا وإنما يتجنب البخل كما يتجنب الخوف ، وذلك أن الشع خوف الفقر : والشجاع لا يفرق ، كما قال الجاحظ : البخل والجبن غريزتان يجمعهما سوء الظن بالله . وهذا كما يقول أبو تمام :

وَإِذَا نَظَرْتَ أَبَا يَزِيدَ فِي وَغَى وَنَدَى وَمُبْدَى غَارَةٍ وَمُعِيدَا

بِضَرْبِ هَامِ الْكِمَاةِ تَمَّ لَهُ كَسْبُ الَّذِي يَكْسِبُونَ بِالْمَلَقِ ^(١)
 الشَّمْسُ قَدْ حَلَّتِ السَّمَاءَ وَمَا يَحْجُبُهَا بَعْدَهَا عَنِ الْحَدَقِ ^(٢)
 كُنْ لُجَّةً أَيْهَا السَّمَا حُ فَقَدْ آمَنَهُ سَيْفُهُ مِنَ الْفَرَقِ ^(٣)

* * *

يَقْرَى مُرَجِّعُهُ مُشَاشَةً مَالَهُ وَشَبَا الْأُسْدَةِ ثُغْرَةً وَوَرِيدًا ^(١)
 أَيْقَنْتَ أَنْ مِنَ السَّمَا حُ شَجَاعَةً تُذِي وَأَنْ مِنَ الشَّجَاعَةِ جُودًا
 ويقول الآخر :

إِلَى جَوَادٍ يَمُدُّ الْبُخْلَ مِنْ جُبَيْنِ وَبِاسْمِ لُجَّةٍ يُعْتَدُّ جُبْنَا
 يَلْقَى الْعَفَاةَ بِمَا يَرْجُونَ مِنْ أَمَلٍ قَبْلَ السُّؤَالِ وَلَا يَبْنِي بِهِ ثَمْنَا
 (١) الهام : الرؤوس ؛ والكِمَاة : جمع كَمَى ، الشجاع المستتر في سلاحه . يقول :
 إن كل أحد يحبه لشجاعته كما يحب من يتعلق الناس ويلين لهم ويتودد إليهم فتم له بضرب
 الهام ما يكسبه التملق ، كما قال :
 وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنْكَ فِيهِمْ عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدٌ ^(٢)
 (٢) يقول : إنه لم يكن قبل ذلك مستتر الجود ولا محجبا عن القصاد كالشمس مع
 بعدها يراها كل راء .

(٣) يقول : كن أيها الجود بهراً ذا لجة مهلكا ، فهو لا يخاف الفقر ولا يقدر
 على إغراقه بالفقر ، لأن سيفه قد آمنه من ذلك لأنه كلما أعطى سؤاله وقصاده مالا أخذ
 له سيفه أضاع ذلك ؛ وهذا كقوله :

فَالسِّمُّ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بَنُوَالَهُ مَا تَجَبَّرُ الْهِجَاءُ
 وَقِيلَ الْمَعْنَى : كُنْ أَيُّهَا الْجُودُ بَهْرًا إِنْ شِئْتَ فَإِنَّهُ لَا يَخَافُ أَنْ يَفْرُقَ لِأَنَّ سَيْفَهُ أَعْطَاهُ .
 الْأَمَانُ مِنْ كُلِّ تَهْلُكَةٍ ، يُرِيدُ أَنَّهُ مَعَ سَبَاحَتِهِ شَجَاعَ حَقٍّ لَوْ صَارَ الْجُودُ تَهْلُكَةً مَا خَافَهُ .

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة : رأس العظم الذي يمكن مضغه ، والثغرة - بالضم

ثغرة النحر .

(٢) شكده : أعطاه أو منحه .

قافية الكاف

وقال وقد أجل سيف الدولة ذكره :

رُبَّ نَجِيعٍ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ أَنْسَفَكَ وَرُبَّ قَافِيَةٍ غَاطَتْ بِهِ مَلِكًا^(١)
 مَنْ يَنْصَرِفُ الشَّمْسَ لَا يُنْكِرُ مَطَالِعَهَا
 أَوْ يُبْصِرَ الْخَيْلَ لَا يَسْتَكْرِمُ الرِّمَكَا^(٢)
 تَسْرُ بِالْمَالِ بَعْضَ الْمَالِ تَمْلِكُهُ إِنَّ الْبِلَادَ وَإِنَّ الْعَالَمِينَ لَكَ^(٣)
 ولما أنشد أجاب دمي^(٤) الخ استحسناها فقال :
 إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ فِي الشَّعْرِ مَلَكٌ سَارَ فَهُوَ الشَّمْسُ وَالْدُّنْيَا فَلَكُ^(٥)

(١) النجيع : الدم ؛ والقافية : القصيدة . يقول : رب دم انسفك - انصب - بسيف الدولة ؛ أى بسببه لأنه سفكه هو أو أمر بسفكه : ورب قصيدة مدح بها فغاطت تلك القصيدة ملكا وحسده عليها لحسها .

(٢) الرمك : جمع رمكة ، البرذونة تتخذ للنسل دون الركوب . يقول : من عرفك لم يحمد فضلك كالشمس لا يدفع ارتفاعها من عرفها ، ومن رآك لم يستعظم غيرك ، كمن أبصر عتاق الخيل لم يستكرم الرمك منها ، ويروى بدل يستكرم : يستفره ، هما بمعنى .

(٣) يقول : إن الناس كلهم لك فإذا وهبت أحداً شيئاً فقد سررت بملك مالك ، لأن الكل لك . ولعله ينظر في هذا إلى قول عدي بن زيد :

ولك المال والبلاد وما يملك من ثابتٍ ومُستاقٍ

(٤) أراد القصيدة التي مطلعها :

أجاب دمي وما الداعي سوى طَلَلٍ دعاه فلباه قبل الركب والإبل

(٥) يقول : إن شعره بين الشعر كالمالك بين الناس يفضل سائر الأشعار كما تفضل الملائكة الخالق ، وهو سائر في الدنيا سير الشمس في السماء . هذا : والمالك - بالتحريك - واحد وجمع . قال الكسائي : أصله مالك - بتقديم الهمزة - من الألوكة ، وهي

(٨ - التنى ٣)

عَدَلَ الرَّحْمَنُ فِيهِ يَبْنِنَا فَقَضَى بِاللَّفْظِ لِي وَالْحَمْدُ لَكَ^(١)
فَإِذَا مَرَّ بِأُذُنِي حَاسِدٍ صَارَ يَمْنَنَ كَانَ حَيًّا مَهْلَكًا^(٢)

* * *

الرسالة . ثم قلبت ، وقدمت اللام ، فقيل ملائكة . وأنشد أبو عبيدة لرجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك ، قيل هو النعمان ؛ وقال ابن السيرافي : هو لأبي وجزة يمدح به عبد الله بن الزبير :

فَاسْتَلَامَ لِلْإِنْسِيِّ وَلَكِنْ لِلْمَلَأِكِ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ
ثُمَّ تَرَكْتَ هَمْزَتَهُ لِكثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ فَقِيلَ مَلَكٌ ، فَلَمَّا جُمِعُوا رَدُّوهُمَا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا :
مَلَائِكَةٌ وَمَلَائِكٌ أَيْضًا ، قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

وَكُنَّا بِرَقْعٍ وَالْمَلَائِكُ حَوْلَهَا سَدَرٌ تَوَاكَلَهُ الْقَوَائِمُ أَجْرَبُ^(١)
قَالَ ابْنُ بَرِيٍّ : صَوَابُهُ أَجْرَدٌ - بِالْدَالِ - لِأَنَّ الْقَصِيدَةَ دَالِيَّةٌ ، وَقَبْلَهُ :
فَأَتَمَّ سِتًّا فَاسْتَوَتْ أَطْبَاقُهَا وَأَتَى بِسَابِعَةٍ فَأَتَى تَوَرَّدَ
وَفِيهَا يَقُولُ فِي صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ :

لَا نَقْصَ فِيهِ غَيْرُ أَنْ خَبِيئَتُهُ قَمَرٌ وَسَاهُورٌ يُسَلُّ وَيُقَمَدُ^(٢)

(١) يقول : عدل الله فيه بيني وبينك فقضى لي بالإحسان في نظمه وقضى لك بما يختلج فيه من الحمد والثناء عليك ، فحكم لي بلفظه وحسنه ولك بالحمد دائماً ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومي :

خُذْ مِنْ فَوَائِدِكَ الَّتِي أُعْطَيْتَنِي فَالْدُرُّ دُرُّكَ وَالنُّظَامُ نِظَامِي
(٢) يقول : إذا سمع شعري حاسد لي من الشعراء أو حاسد لك من الملوك مات من الحسد ، لأن لفظه يعجز الشعراء عن الإتيان بمثله . ومافيه من الحماد لم يمدح به أحد من الملوك .

(١) برقع : اسم من أسماء السماء قيل هي السابعة ، وسدر : أي بحر . شبه السماء بالبحر ، أراد لملاسته لا لجريه . وقوله تَوَاكَلَهُ الْقَوَائِمُ : أي تَوَاكَلَتْهُ الرِّيحُ فلم يتموج .
(٢) الساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كشف فيما تزعمه العرب .

وقال لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه إلى جانب المصباح :
 أَمَا تَرَى مَا أَرَاهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كَأَنَّنَا فِي سَمَاءٍ مَالَهَا حُبُّكَ^(١)
 الْفَرَقْدُ ابْنُكَ وَالْمِصْبَاحُ صَاحِبُهُ
 وَأَنْتَ بَذَرُ الدُّجَى وَالْمَجْلِسُ الْفَلَكَ^(٢)
 * * *

وقال يمدح عبيد الله بن يحيى البحتري :
 بَكَيْتُ يَا رَبِّعُ حَتَّى كِدْتُ أَبْكِيكَ وَأَجِدْتُ بِي وَبِدَمْعِي فِي مَعَانِيكَ^(٣)
 فَعِمَّ صَبَاحًا لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي شَجَنًا وَأَرْدَدْتُ تَحِيَّتَنَا إِنَّا مُحْيَوُكَ^(٤)

(١) الحبك : طرائق النجوم في السماء . جمل مجلسه في علو قدره كالسما . غير أنه ليست له طرائق كما للسماء .

(٢) الفرقد : نجم معروف ، وهما فراقدان . جمل ابنه — وهو قريب من المصباح — كالفرقد ، وأراد بالصاحب : الفرقد الآخر ، وفي هذا نظر إلى قول علي بن الجهم :
 كَأَنَّهُ وَوَلَاةُ الْأَمْرِ تَتَّبِعُهُ بِدْرِ السَّمَاءِ تَلِيهِ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ

وقال ابن وكيع : هذا التشبيه من قول أبي نواس :

قَضَى أَيْلُولٌ وَارْتَفَعَ الْحُرُورُ وَأَذَكَتْ نَارَهَا الشَّمْعَى الْعَبُورُ
 قُومًا فَانْكِحَا خَرَا بِمَاءِ فَاِنْ تَاجَ بَيْنَهُمَا السَّرُورُ
 تَاجٌ لَا تَدِرُ عَلَيْهِ أُمُ يَحْمَلُ لَا تَعْدُ لَهُ الشُّهُورُ
 إِذَا الْكَاسَاتُ كَرَّتْهَا عَلَيْنَا تَكُونُ بَيْنَهَا فَلَكَ يَدُورُ
 تَسِيرُ نَجْمُوهَ عَجَلًا وَرَيْنَا مُشْرِقَةً وَأَحْيَانًا تَقُورُ
 إِذَا لَمْ يُجْرِهِنَّ الْقُطْبُ مِثْنًا وَفِي دَوْرَاتِهِنَّ لَهَا نَشُورُ

(٣) المغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل الذي كان به أهله . يقول : بكيت عليك يارب حتى لو كنت بمن يعقل لرئيت لحالي وبكيت لبكائي ، فقد أتلقت نفسي وأفنيته دمي في معانيك أسفا عليك وتذكر آ لأهلك . فقوله وجدت بي : أى بنفسى ؛ أى بكيت حتى أتلقتها .

(٤) عم صباحا : بمعنى أنعم ، مخاطب الربيع على عادة العرب في مخاطبة الربيع

بَأْيٍ حُكْمَ زَمَانٍ مِثْرَتَ مُتَّخِذًا رَثْمَ الْفَلَا بَدَلًا مِنْ رَثْمِ أَهْلِيكَ^(١)
 أَيَّامَ فِيكَ شُمُوسٌ مَا أَنْبَعَتْنَا لَنَا إِلَّا أَنْبَعَتْنَا دَمًا بِاللَّحْظِ مَسْفُوكًا^(٢)
 وَالْعَيْشُ أَخْضَرُ وَالْأُطْلَالُ مُشْرِقَةٌ كَانَتْ نُورَ عَيْدِ اللَّهِ يَغْلُوكًا^(٣)
 نَحْمَا أَمْرُؤُ يَا ابْنَ يَحْيَى كُنْتَ بُغْيَتَهُ وَخَابَ رَكْبٌ رِكَابٍ لَمْ يَوْمُوكًا^(٤)

والأطلال بعد ارتحال الأحبة عنها يتسلون بذلك . يقول للربيع — على سبيل الدعاء :
 أنعم صباحا ، لقد حركت لى وجدا حين نظرت إليك تذكرا لما سلف لى فيك
 من وصل الأحبة ، ونحن مسلمون عليك فاردد علينا . وهذا مما يدل على وله العاشق
 لفقد الأحبة .

(١) الرثم : الظبي الخالص البياض ، والفلا ، جمع فلاة ، الصحراء ، يقول : أى
 حكم من أحكام الزمان جرى عليك حتى أقفرت فأوت إليك ظباء الصحارى بدلا
 من ظباء الإنس اللاتي رحلن عنك ؟ ومثله لأبى تمام

وْظِبَاءَ أَنْسِكَ لَمْ تَبْدُلْ بَعْدَهَا بَظِبَاءَ وَحْشِكَ ظَاعِنًا بِمَقِيمِ
 (٢) أراد بالشموس : الحسان ؛ وأنبعث : ذهبن وجئن وتحركن ؛ وأنبعث :
 أسلن . يقول : إني لأذكر أيام فيك شمس ما ظهرن لنا إلا أبكىنا دماء صبوبا بنظرنا
 إليهن : أى أجرين بالحافظين دماء عشاقهن ؛ قال أبو نواس :
 يَا نَاظِرًا مَا أَقْلَعْتَ لِحَظَاتِهِ إِلَّا تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلٌ
 وقال أشجع السلمي :

فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى عَاسِنِهَا فَلِكُلِّ مَوْضِعٍ نَظْرَةٌ قَتْلٌ
 وقد أخذ هذا المعنى بعضهم فقال :

وَجُفُونُكَ لَا تَطُوفُ إِلَّا عَنْ قَتِيلٍ

ماجيل الصبر عنها عند مثلى بمجمل

(٣) خضرة العيش : كتابة عن الحصب والرغد ؛ والأطلال : رسوم الديار .
 يقول : كان العيش رغداً طيباً وأطلاك — أى التى هى أطلال اليوم — كانت مشرقة
 قبل تفرق الأحبة وارتحالهم عنك . وفى البيت من البديع حسن التخلص :

(٤) الركب : جمع راكب ؛ والركاب : الإبل ؛ ولم يؤموك : لم يقصدوك : يقول :
 تخلص من مكره الزمان من كنت طلبته : أى من قصدك باتِّباعه وخاب من لم يقصدك

أَحْيَيْتَ لِلشُّعْرَاءِ الشُّفْرَ فَأَمْتَدَحُوا جَمِيعَ مَنْ مَدَحُوهُ بِالَّذِي فِيكَ^(١)
وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ الْمَجْدَ وَأَقْتَدَرُوا عَلَى دَقِيقِ الْمَعَانِي مِنْ مَعَانِيكَ^(٢)
فَكُنْ كَمَا أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ أَوْ كَيْفَ شِئْتَ فَمَا خَلَقَ يَدَايِكَ^(٣)
شُكْرُ الْعُفَاءِ لِمَا أَوْلَيْتَ أَوْجَدَنِي إِلَى نَدَاكَ طَرِيقَ الْعُرْفِ مَسْلُوكًا^(٤)

ويروى بدل ركب ركاب: ركب رجاء؛ أي قوم ركبوا وفي قلوبهم الرجاء ثم لم يقصدوك
(١) يقول: إنك أحييت للشعراء الشعر بما أريتهم من دقائق الكرم والجد،
وعلمتهم من غوامض المعاني حتى استغنوا عن إخراجها بالفسر، فسهل عليهم الشعر حتى
كأنه صار حياً بعد أن كان ميتاً، فامتدحوا بمدوحهم بما فيك من خصال الجود ومعاني
الشرف وهي لك، غير أنهم ينخلونها بمدوحهم، وفي هذا نظر إلى قول ابن الرومي:

مدح الأولون قوماً بأخلا قك من قبل أن ترى مخلوقا
نخلوم ذخائراً لك بالببا طل من قولهم وكان زهوقاً
فانزعنا الحقوق من غاصبيها فجبا صادق بها مصدوقاً

وفي البيت التالي زيادة بيان لمقصوده .

(٢) مثله لأبي العتاهية :

شيم فتحت من المديح ما قد كان مستفلقاً على المدايح
ولا بن أبي فتن :

يُعَلِّمُنَا الْفَتْحُ الْمَدِيحَ بِجُودِهِ وَيُحَسِّنُ حَتَّى يُحَسِّنَ الْقَوْلَ قَائِلُهُ
وقال أبو تمام :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بُنَاةَ الْعَالِي مِنْ أَيْنَ تَوْنِي الْمَكَارِمُ
وقال أيضاً :

تُغَرِّمِي الْعَيُونُ بِهِ وَيُفْلِقُ شَاعِر فِي وَصْفِهِ عَفْوَاً وَلَيْسَ بِمُفْلِقِ

(٣) يقول: كن على الحالة التي أنت عليها أو كما شئت فليس أحد يقاربك في
أوصافك وأخلاقك، وإنما قال: كما شئت: لأنه لا يكون إلا على طريقة من الكرم
والجد بديعة في جميع أحواله .

(٤) العفاة: جمع عاف، وهو طالب العروف؛ وأوليت: أعطيت. وأوجدني:

وَعُظْمُ قَدْرِكَ فِي الْآفَاقِ أَوْ هَمْنِي أُنِّي بِقِلَّةِ مَا أَفْنَيْتُ أَهْجُوكَا^(١)
 كَفَى بِأَنْتَكَ مِنْ قَحْطَانٍ فِي شَرَفٍ . وَإِنْ فَخَرْتَ فَكُلٌّ مِنْ مَوَالِيكَ^(٢)
 وَلَوْ نَقَصْتُ كَمَا قَدْ زِدْتَ مِنْ كَرَمٍ عَلَى الْوَرَى لَرَأَوْنِي مِثْلَ شَانِيكَ^(٣)
 لَبِّي نَدَاكَ لَقَدْ نَادَى فَأَسْمَعْنِي يَفْدِيكَ مِنْ رَجُلٍ صَحْبِي وَأَفْدِيكَ^(٤)

جعلني أجد . يقول : إن شكر السائلين لمطائرك دلتني عليك ، فوجدت طريق العرف مسلوكا إليك فلسكته إلى جودك .

(١) الآفاق : النواحي . يقول : إن ثنائى يقل ويحقر في جنب قدرك حتى لتخيل الثناء هجاء إذ لم يكن على قدر استحقاقك ، قال البحرى :

جَلَّ عَنْ مَذْهَبِ الْمَدِيحِ قَدْرُكَ دِيكُونِ الْمَدِيحِ فِيهِ هِجَاءٌ

(٢) بأنك : الباء فيها زائدة ، وأن وخبرها : في موضع رفع فاعل كفى ؛ وفي شرف : خبر أن ؛ ومن قحطان : حال مقدمة عن الضمير المستتر في الخبر ؛ والشرط وما يليه : معطوف على خبر أنك ؛ والوالى : العبيد . يقول كفاك أنك من هذه القبيلة — قحطان — في موضع شريف أو نسب شريف فإن غفرت بهذا الشرف فكل بنى قحطان عبيدك .

(٣) الشانى : البغض ، وأصله الشانىء — بالهمز — فلينه للقاافية ، يقول لوتقصت أنا عن الناس كما زدت أنت عليهم لرأونى فى الذلة والقله مثل عدوك الذى ييفضك ، وهذا من قول أبى عيينة :

لَوْ كَمَا تَنْقُصُ تَزِدَا دِ إِذْنِ نِلْتَ السَّمَاءَ
 ثم نقله أبو تمام فقال :

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا إِذْنِ لَنَفَذْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ

(٤) لبي : تثنية لب — مثل ليك ، واللب : اسم من الإلباب ، وهو للالزمة يقال ألْب بالمكان : إذا أقام به ؛ وإنما ثنوا اللب لأنهم أرادوا إلباباً بعد إلباب : أى إجابة بعد إجابة ؛ وهو يلزم الإضافة إلى ضمير المخاطب كقولهم ليك ، ولم تسمع إضافته إلى غيره إلا شذوذاً كما فى هذا البيت ، وقوله من رجل : «من» زائدة ؛ والمجرور فى موضع نصب على التمييز . يقول : دعانى جودك فأسمعنى فأنا أجيبه فأقول لبي نذاك ، أو تقول : دعانى جودك بما ذاع ، من ثناء الناس عليه ، وها أنا ذا محجب لما يريد بى من الاحسان

مَا زِلْتُ تُبَسِّعُ مَا تُولِي بَدَا يَدِي حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِي مِنْ إِيَادِيكَ^(١)
فَإِنْ تَقُلْ هَا فَعَادَاتُ عُرِفَتْ بِهَا أَوْ لَا فَإِنَّكَ لَا يَسْخُو بِهَا فَوْكَ^(٢)

إلى وصوغ الدبع له . ثم دعا للمدوح فقال : يديك من رجل صحي وأنا أفديك من بين الرجال .

(١) تولى : تعطى ؛ وبدا : بدل بعض من الوصول قبله : واليد : النعمة . يقول : لم تزل تتبع نعمة بنعمة حتى كثرت أياديك عندي فظننت أن حياتي كذلك من جملة عطاياك ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لَا تَنْتَفَنِي بَعْدَ أَنْ رِشْتَنِي فَإِنِّي بَعْضُ إِيَادِيكَ^(١)

(٢) ها — هنا — بمعنى خذ . يقول : فإن قلت لي : خذ فذلك عادة معروفة لك وإن لم تقل خذ ، فإنك لا تقول لا — أى لا أعطيك أولاً أقضى حاجتك — فإن فاك — فاك — لا يجوز بهذه الكلمة ، ولسانك لا يؤتيك عليها ، لأنك لم تعود ذلك ؛ وفي مثل هذا يقول الفرزدق :

مَا قَالَ «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهَدٍ لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَاءُهُ نَعَمْ
ويقول أبو العتاهية :

وَإِنْ الْخَلِيفَةُ مِنْ بُقُضٍ لَا إِلَيْهِ كَيْبُضُ مَنْ قَالَهَا
ويقول العكوك في أبي دلف :

مَا خَطَّ لَا كَاتِبَاهُ فِي صَحِيفَتِهِ كَمَا تَخْطُ لَافِي سَائِرِ الْكُتُبِ
وحكى الواحدى قال أهدى العميرى إلى صاحب كتبها وكتب معها :

العميرى عبد كافي الكفاءة ، وإن اعتد من وجوه القضاء
خَدَمَ الْمَجْلِسَ الرَّفِيعَ بِكُتُبِ مُتَرَعَاتٍ مِنْ حُسْنِهَا مُقَمَّاتٍ

(١) يقال راشه يرشه إذا أحسن إليه ، وكل من أوليته خيرا فقد رشته ، وشف الرش نزع ، والمراد هنا : سلبه ما أعطاه إياه .

ورود کتاب من ابن رائق علی بدر بن عمار بإضافة الساحل إلى عمله فقال :

تُهَنَّا بِصُورٍ أَمْ نُهَنِّيْهَا بِكَأ وَقَلَ الَّذِي صُورَهُ وَأَنْتَ لَهُ لَكَأ^(١)
وَمَا صَغُرَ الْأَرْدُنُّ وَالسَّاحِلُ الَّذِي حُبِيتَ بِهِ إِلَّا إِلَى جَنْبِ قَدْرِكَأ^(٢)
تَحَاذَتِ الْبُلْدَانُ حَتَّى لَوْ أَنَّهَا نَفُوسٌ لَسَارَ الشَّرْقُ وَالْفَرْبُ نَحْوُكَأ^(٣)

فكتب إليه صاحب

قد أخذنا من الجميع كتاباً وَرَدَدْنَا لَوْقَتَهَا الْبَاقِيَاتُ
لست أستغنم الكثير فطبعي قَوْلُ خُذْ لَيْسَ مَذْهَبِي قَوْلُ هَاتِ

(١) صور : بلد معروف بساحل البحر الأبيض من بلاد الشام وتنها بصور : أي أنها بصور ؛ لحذف همزة الاستفهام لمادلت عليه أم ولين همزة تنها للوزن . يقول : أنها بولاية صور أم نهى صوراً بك ؟ ثم قال : وقل لك الذي صور له وأنت له : أي أنت أحد أصحابه « يعنى ابن رائق ، يريد : لو كنت أنت ابن رائق - أي لو كنت تملك ما يملكه - لقد ذلك قليلاً بالنسبة إلى ما تستحقه ، فصور - في الشطر الثاني - مبتدأ ؛ وأنت : عطف عليها ؛ وله خبر ؛ ولكا : متعلق بقول ؛ وفي مثل هذا . يقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

أَنهَنِّيكَ بطوس أَمْ نُهَنِّي بِكَ طُوسًا
أصبحت بعد طلاق بِكَ يَا فَضْلَ عُرُوسَا

ويقول أشجع السلي :

إن خراسان وقد أصبحت تَرَفَعُ مِنْ ذِي الْهِمَّةِ الشَّانَا
لم يحبُّ هارون بها جَفَفَرًا لَكِنَّه حَابِي خِرَاسَانَا

[هرون : هو الرشيد ؛ وجعفر : هو جعفر البرمكي]

(٢) الأردن : معروف ؛ وحبيت به : أعطيته : يقول : إن هذه الولاية إنما تصغر بالنسبة إليك وإلى عظيم قدرك . وإلا فهي عظيمة الشأن في نفسها .
(٣) يقول : إن البلدان يحسد بعضها بعضاً على ولايتك ، فلو أن لها نفوساً تعقل

وَأَصْبَحَ مِصْرًا لَا تَكُونُ أَمِيرَهُ وَلَوْ أَنَّهُ ذُو مُقَلَّةٍ وَقَمَّ بَكَى^(١)

وسقاه بدر ولم يكن له رغبة في الشراب فقال :

لَمْ تَرَ مَنْ نَادَمْتُ إِلَّا كَا لَا لِيَسْوَى وَدَكَ لِي ذَا كَا^(٢)
وَلَا لِحَبِيبِي وَلَكِنِّي أُمْسَيْتُ أَرْجُوكَ وَأَخْشَا كَا^(٣)

لسمى إليك الشرق والغرب تهالكا عليك وتلصقاً للافتخار بك ؛ ومثل هذا المعنى كثير في كلامهم ، قال أبو تمام :

لَوْ سَعَتْ بِلَدَةٌ لِإِعْظَامِ نَعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانَ الْجَدِيبُ
وقال البحتري :

ولو أن مُشْتَقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرُ
(١) مصر : أحد الأمصار ، أى المدائن الكبيرة . وأصبح - ههنا - تامة . والواو - من قوله ولو أنه - واو الحال ؛ وبكى : جواب لو ؛ أى لو كان للمصر الذى حرم إمارتك عين تدمع وفم يبين عن شكواه لبكى أسفا على أن لم تكن أميرا عليه .
(٢) يقول : لم تر أحداً غيرك نادمته ، وليس ذلك لشيء سوى ودك لى ؛ أى إنما أنا دمك لأنك تودنى لا لمعنى آخر . فمن - ههنا - نكرة بمعنى أحد ؛ وإلا : فيه قبح ؛ والوجه : إلا إياك ، لأن « إلا » ليس لها قوة الفعل ، ولا هى أيضاً عاملة ، وهو جائز فى ضرورة الشعر ، كقول القائل :

فَمَا نَبَأَى إِذَا مَا كُنْتُ جَارَتَنَا أَنْ لَا يَجَاوِرَنَا إِلَّا كَ دِيَارٍ^(١)
(٣) لحبيبا : أى لحبي إياها - يعنى الحجر - كفى عنها وإن لم يجر لها ذكر : يقول : لست أنا دمك لأننى أحب الحجر ، ولكن لأنك مرجو لأوليائك مهيب يهابك ويخشاك أعدائك ؛ ومن كان كذا ، تجب طاعته .

(١) ديار : أحد ، يقال ما بالدار ديار : أى ما بها أحد ، وهو فعال : من دار يدور . يقول : إذا كنت جارتنا فلا نكترث لعدم مجاورة غيرك لنا .

وقد كان تاب بدر بن حمار من الشرب مرة بعد أخرى ، فرآه أبو الطيب يشرب فقال ارجع !

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي نُدَمَاؤُهُ شُرَكَاءُؤُهُ فِي مَلِكِهِ لَا مَلِكِيَّةَ^(١)
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْنِي دَمُ كَرَمَةٍ لَكَ تَوْبَةٌ مِنْ تَوْبَةٍ مِنْ سَفِكِهِ^(٢)
وَالصَّدَقُ مِنْ شِيمِ الْكَرَامِ فَتَبْنَا
أَمِنْ الشَّرَابِ تَتُوبُ أَمْ مِنْ تَرْكِهِ^(٣)

وقال في محمد بن طنج وعو عند طاهر العلوى :

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ مِنَ الْبِرِّ رَوْ مِنْ حَقِّ ذَا الشَّرِيفِ عَلَيْكَ^(٤)
وَإِذَا لَمْ تَسِرْ إِلَى الدَّارِ فِي وَقْتِكَ ذَا خِفْتُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكَ^(٥)

* * *

وقال في أبي العشائر وعنده إنسان ينشده شعراً وصف فيه بركة في داره فقال :

لَيْتَ كَانَ أَحْسَنَ فِي وَصْفِهَا لَقَدْ تَرَكَ الْحُسْنَ فِي الْوَصْفِ لَكَ^(٦)

(١) يقول : أنت ملك وندماؤك شركاؤك في مالك ، لافي ملكك ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومي :

وَمَنْ كَثُرَتْ فِي مَالِهِ شُرَكَاءُؤُهُ غَدَا فِي مَعَالِيهِ قَلِيلُ الْمَشَارِكِ

(٢) جعل الحر دم الكرم ، وجعل شربها سفكاً لذلك الدم . يقول : كل يوم تتوب من شرب الحر ثم تتوب من تلك التوبة ، والتوبة من التوبة ترك التوبة .

(٣) يقول الصدوق ديدن الكرام الأشراف خبرنا عن أبيهما تتوب ؟ قيل لما قال هذا ، قال له بدر بل من تركه ، وقوله : فبننا ، هي فبننا ، فترك الهمز .

(٤) و (٥) يقول - وكان عنده في مجلس الشرب ليلاً وأطال - : قد بلغت بنا ما أردت من الإكرام وقضيت حق هذا الشريف فقم إلى منزلك وإذا لم تقم خفت أن تجيء إليك الدار اشتياقاً إليك ومحبة لك .

(٦) يقول : إن كان قد أحسن في وصف البركة فقد ترك الحسن في وصفه إليك إذ لم يصفك ولم يمدحك .

لَأَنْتَ بَحْرٌ وَإِنَّ الْبَحَارَ لَتَأْتَفَ مِنْ مَدْحِ هَذِي الْبِرْكَ^(١)
كَأَنَّكَ سَيْفُكَ لَا مَأْمَلُكَ يَبْقَى لَدَيْكَ وَلَا مَأْمَلُكَ^(٢)
فَأَكْثَرُ مِنْ جَرِيهَا مَا وَهَبْتَ

وَأَكْثَرُ مِنْ مَائِهَا مَا سَفَكَ^(٣)
أَسَأْتَ وَأَحْسَنْتَ عَنْ قُدْرَةٍ وَذُرْتَ عَلَى النَّاسِ دَوْرَ الْفَلَكَ^(٤)

وقال يمدح أبا شجاع عضد الدولة ويودعه ، وهو آخر ما قال ، وجرى فيها كلام
كأنه يعنى نفسه وإن لم يقصد ذلك ، وأنشدها في شعبان سنة أربع وخمسين وثلثمائة
وفيها قتل :

فِدَاكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا مَلِكُ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَ^(٥)

(١) يقول : كان وصفه لك أولى من وصف البركة لأنك بحر والبحار تأتف من
البرك لاستصغارها إياها ؛ قال الواحدى : والذى سمعته في معنى البيتين أن ذلك الشاعر كان
قد شبه البركة بأبى العشائر ؛ فقال أبو الطيب إنه قد ترك الحسن في وصفك حيث شبهها
بك ، وأنت بحر والبحر فوق البركة بكثير .

(٢) يقول : أنت كسيفك لأنك تنفى ما تملكه فلا يبقى لديك ، وكذلك سيفك يعنى
ما يظفر به فلا يدع أحدا حيا ؛ وجعل السيف مالكا - حيث قال ولا ما ملك - مجازاً ،
ويقال ملكتهم السيوف : إذا لم يمتنعوا منها .

(٣) من جريها : أى من جرى ماء البركة . يقول : إن ماجرى من هباتك وعطايك
أكثر مما جرى من ماء البركة ، وما سفك سيفك من الدماء أكثر من مائها .

(٤) يقول : أسأت إلى أعدائك وأحسنيت إلى أوليائك عن قدرة وعممت الناس
بالخير والشر عموم الفلك إياهم بالسعد والنحس .

(٥) يقول : يفديك كل من لم يبلغ غايتك ؛ وإذن يفديك جميع الملوك ، لأنه لم يبلغ
ملك غايتك وكلهم دونك . وقد أخذ هذا المعنى أبو إسحاق الصابى فقال :

أيهذا الوزير لا زال يفدي
لك من الناس كل من هو دونك
وإذا كان ذاك أوجب قولى أن يكونوا بأسرهم يفدونك

هذا : ويقال فداء يفديه فداء وفدى وفاداه يفاديه مفاداة : إذا أعطى فداءه وأتقذه ؛
وفداء بنفسه وفداء : إذا قال له جعلت فديك . قال صاحب الصحاح : الفداء إذا كسر

وَلَوْ قُلْنَا فِدَى لَكَ مَنْ يُسَاوِي دَعَوْنَا بِالْبَقَاءِ لِمَنْ قَلَاكَ^(١)
وَأَمَّا فِدَاؤُكَ كُلِّ نَفْسٍ وَإِنْ كَانَتْ لِمَلِكَةٍ مِلَاكَ^(٢)

أوله يد ويقصر ، وإذا فتح فهو مقصور ، يقال قم فدى لك أبى ، ومن العرب من يكسر فداء - بالتونين - إذا جاور لام الجر خاصة ، فيقول فداء لك ، لأنه نكرة . يريدون به معنى الدعاء وأنشد الأصمعي للناطقة :

مَهْلًا فِدَاءُ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ وَمَا أُمِرُّ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ
وقال الفراء : العرب تقصر الفداء وتعدده يقال هذا فداؤك وفداك ، وربما فتحوا الفاء إذا قصروا ، فقالوا فداك . وقال في موضع آخر : من العرب من يقول فدى لك فيفتح الفاء ، وأكثر الكلام كسر أولها ، ومدها . وقال الناطقة - وعنى بالرب : - النعمان بن المنذر -
* فِدَى لَكَ مِنْ رَبِّ طَرِيفٍ وَتَالِدَى *

(١) قلاك : أبغضك ، يقال قلاه يقيه قلبه قلاه وإن فتحت القاف مددت ومقلية : أى أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه . وحكى سيدييه قلاه يقيه قلاه وهو نادر ؛ وفي الحديث : « وجدت الناس أخبر ثقلة^(١) » وتقلى الشيء تبغض قال كثير :

أَسِئْتُ بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَةٌ إِنْ تَقَلَّتِ^(٢)
يقول المتنبي : ولوقلنا بفديك من يساويك لكان ذلك دعاء منا لأعدائك بالبقاء ، لأنهم كلهم دونك ولا يساوونك : وقال ابن جني : المراد أن الخلق كلهم فداء للمدوح لأنهم يقصرون عن مدها فإذا قلنا فداك من يساويك منهم دون غيرهم لكان هذا دعاء لمن يبغضك من الملوك بالبقاء لأنهم لا يساوونك في الملك ، بل يقصرون عنك .

(٢) وأما : عطف على قوله دعونا . وملاك الشيء : قوامه . يقول : ونأمن أن تكون كل نفس فداءك ولو كانت نفس ملك كبير الشأن تقوم مملكته به ويضمن لها البقاء ببقائه : إذا كان بفديك من يساويك لأنهم جميعاً يقصرون عنك ؛ وعبرة العكبري : المعنى : قد أمنت أن تفديك نفوس الخلائق أجمعين ؛ ومولوكهم المترفين ، وإن كان من

(١) يقول جرب الناس ؛ فإنك إذا جربتهم قليتهم وتركهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم . لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الخبر : أى من جربهم وخبرهم أبغضهم وتركهم ، ومعنى نظم الحديث : وجدت الناس مقولا فيهم هذا القول .

(٢) خاطب ثم غاب .

وَمَنْ يَظُنُّ نَثْرَ الْحَبِّ جُوداً وَيَنْصِبُ تَحْتَ مَا نَثَرَ الشَّبَا كَأُ^(١)
وَمَنْ بَلَغَ التُّرَابَ بِهِ كَرَاهُ وَقَدْ بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ الشَّكََا كَأُ^(٢)
فَلَوْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ صَدِيقاً لَقَدْ كَانَتْ خَلَايِقُهُمْ عِدَا كَأُ^(٣)
لَأَنَّكَ مُبْغِضٌ حَسَبًا نَحِيفاً إِذَا أَبْصَرْتَ دُنْيَاهُ ضِنَا كَأُ^(٤)

بين تلك النفوس من هو ملاك ملاك ، ومن ينفرد بعلو منزلة ، فهم عند إصافتهم إليك كالعوام الذين لا يحصل لهم نفع ، والسوام الذين لا حظا لهم في الملك . . . فقوله فداءك : مفعول ثان لآمننا مقدّم ، وكل نفس : مفعول أول .

(١) ومن يظن : عطف على قوله كل نفس . ويظن : يقتل ، من الظن . وهذا تعريض بسائر الملوك ، يشير إلى أنهم يجودون طمعاً في جر المنافع ، كمن نثر حباً تحت شبكة لم يعد ذلك جوداً بالحب ، لأنه إنما نثر لأخذ الصيد الذي هو خير من الحب .

(٢) الكرى : النعاس ؛ والسكاك : الهواء الذي يلاقى عنان السماء . ومن بلغ التراب : روى ومن بلغ الحضيض . يقول : وآمننا فداءك كذلك من أصفه عماء وغفلته بالتراب أو بالحضيض - وإن علت رتبته وحاله من ناحية المال والثراء حتى بلغ أعنان السماء ، فحسبهم أنهم دونك .

(٣) الصديق : يقع على المذكر والمؤنث والجمع والثنائية ؛ وعداك : جمع عدو ؛ والخلائق : بمعنى الأخلاق . يقول : إن هؤلاء الملوك إن واللتك قلوبهم فقد عادتكم أخلاقهم لأنها مضادة لأخلاقك . يريد أن هؤلاء الملوك وإن كانوا يوادونك فإن بينك وبينهم بونا بعيداً ، إذ لم يبلغوا كرم أخلاقك ولا شرف نفسك ، وقد بين ذلك في البيت التالي .

(٤) الحسب : ما يحدثه الرجل لنفسه من المفاخر ، والضناك : الموثق الخلق المكتنزة ، يكون ذلك في الناس والإبل ، الذكر والأنثى فيه سواء ، وامرأة ضناك : ضخمة - من الضنك الذي هو الضيق ، كأن الجلد ضاق بكثرة اللحم . قال العجّاج يصف جارية :

فَهِ ضِنَاكَ كَالْكُتَيْبِ الْمُنْهَالِ عَزَزَ مِنْهُ وَهُوَ مَعْطَى الْأَسْهَالِ

* ضَرْبُ السَّوَارِي مَتْنُهُ بِالْمُتَهَالِ *^(١)

(١) الضناك : الضخمة - كالكتيب الذي ينهال عزز منه - أي سدد من الكتيب ضرب السوارى : أي أمطار الليل ، فازم بضه بعضاً . شبه خلقها بالكتيب وقد أصابه المطر ، وهو معطى الأسهال : أي يطيك سهولة ماشئت .

أَرْوَحُ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِي بِحَبْلِكَ أَنْ يَحِلَّ بِهِ سِوَاكَ^(١)
 وَقَدْ حَمَلْتَنِي شُكْرًا طَوِيلًا نَقِيلًا لَا أُطِيقُ بِهِ حَرًّا كَا^(٢)
 أَحَازِرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمَطَايَا فَلَا تَمْشِي بِنَا إِلَّا سِوَاكَ^(٣)
 لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلًا يُعِينُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي ذَرَاكَ^(٤)

يبين المتغني الوجه في معاداة أخلاقهم له ، يقول : إنك تبغض أن ترى أحداً قلت
 مفاخره ، وهو كثير المال يقدر على كسب المال والحمد ، ولكنه لا يفعل ذلك
 لشحه وصغر همته ، والنحف والضناك : استعارة ، ولعل هذا المعنى ينظر إلى
 قول بعضهم :

سَلِيلُ خِلَافَةٍ وَغَذَى مُلْكٍ جَسِيمٌ مَحَامِدٍ مَنُوءٍ مَالٍ

(١) يقول : أروح عنك وقد ختمت على قلبي بحبك واستخلصته لنفسك بما ترادف
 على من بك فلم يدع حبك فيه لغيرك مكاناً ينزل بساحته ؛ وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :

لَا أَشْرِكُ النَّاسَ فِي مَحَبَّتِهِ قَلْبِي عَنِ الْعَالَمِينَ قَدْ خُتِمَا

(٢) وقد حملتني : عطف على الحال - في البيت السابق - والحراك بمعنى الحركة .
 كفى بثقل الشكر عن كثرة النعم التي تقتضيه ، وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مُعْتَذِرًا مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمُعْتَرِفًا

لَا تُسَدِّينَ إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

(٣) الضمير - في يشق - للشكر ؛ والسواك : بطاء السير من عجب أو إعياء ،

يقال تتساوك الدواب سواك : إذا مشت هزلي ضعيفة ، قال الشاعر :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا جَرَى بِحَيَادِنَا تَسَاوَكُ هَزَلِي مُخَنَّنٌ قَلِيلٌ

يقول : أحاذر أن يشغل هذا الشكر على دوابي لكثرة ما حملتني منه - وللمراد

النعم - فلا تمشي بنا إلا ضعيفة .

(٤) الضمير في يجعله : للرحيل ، وأراد يجعل هذا الرحيل رحيلاً ، فأضمر للأول

مؤخره بالثاني . والذرا : الكنف والناحية . يقول : أسأل الله أن يجعل هذا الفراق

سبباً لإقامتي عندك بأن أصلح أموري وأعود إليك ، أو بأن أحمل أهلي إلى حضرتك

فأقيم عندك فارغ البال ؛ وفي هذا نظر إلى قول عروة بن الورد :

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَذَرِ أُنَى لِلْمُقَامِ أَطْوَفُ

وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِي فَلَمْ أَبْصِرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَ (١)
وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْكَ وَقَدْ كَفَانِي نَدَاكَ الْمُسْتَفِيزُ وَمَا كَفَاكَ (٢)
أَتَتُّ كُنِيَّ وَعَيْنُ الشَّمْسِ تَعْلِي فَتَقَطَعَ مِشْيَتِي فِيهَا الشَّرَاكَ (٣)
أَرَى أَسْفَى وَمَا سِرْنَا شَدِيدًا فَكَيْفَ إِذَا غَدَا السَّيْرُ ابْتِرَاكَ (٤)

وقول أبي تمام :

أَلِفَةُ النَّجِيبِ كَمْ افْتِرَاقٍ أَظِلُّ فَكَانَ دَاعِيَةً اجْتِمَاعٍ
وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَجِ الْوَدَاعِ
(١) يقول : لو قدرت لغمضت عيني ولم أرفع بصرى إلى أحد بالنظر إليه حتى
أعود إليك ، قال أبو النجم :

لَمَّا تَبَيَّنْتُ أَنِّي لَا أَعَايُنُكُمْ غَضَضْتُ طَرْفِي فَلَمْ أَبْصِرْ بِهِ أَحَدًا
وقال صريع التواني :

إِنْ يَحْجُبُوهَا عَنِ الْعُيُونِ فَقَدْ حَجَبْتُ طَرْفِي لَهَا عَنِ الْبَشَرِ
(٢) يقول : كيف أصبر عنك وقد كفاني ما جدت به على ولم يكفك ذلك فتأبى إلا
أن تعطيني فوق ما أعطيتني وأنا غير مستزيد ، فكيف والحال هذه أصبر عنك ولا
أسرع العود إليك : وفيه نظر إلى قول البحترى :

فَلَمْ أُمَلَّ إِلَّا مِنْ مَوَدَّتِهِ يَدِي وَلَا قَلْتُ إِلَّا مِنْ مَوَاهِبِهِ : حَسْبِي
(٣) أتركنى : أراد أتركك فقل ، ومثله كثير ، لأن من تركته فقد تركك ؛
والاستفهام إنكارى : أى لا أتركك ، ونصب « فتقطع » لأنه جواب الاستفهام :
والشراك : سير النعل . يقول : إذا كنت بحضرتك كنت من الرفعة بمنزلة من اتحل
عين الشمس ، وإذا فارقتك فارقتنى هذه الرفعة ، فكأنى مشيت فى تلك النعل حتى
قطع مشى شراكها . وإليك عبارة ابن جنى : بحصولى عندك وقصدى لك شرفت عند
الناس ، فإذا بعدت عنك زال ما كسوته من الشرف والرفعة فصرت بمنزلة من كانت
نعله عين الشمس فشى فيها فانقطع شراكها فسقط من رجله .

(٤) وما سرنّا : حال معترضة بين مفعولى أرى ، والابتراك : سرعة السير ؛ وأصله
السقوط على الركب . يقول : أرى أسفى لمفارقتك شديدا وأنا لم أسر بعد ، فكيف
يكون أسفى . إذا جد بنا المسير ؟ وفى هذا المعنى يقول سحيم عبد بنى الحسحاس :

وَهَذَا الشَّوْقُ قَبْلَ الْبَيْنِ سَيْفٌ فَهَا أَنَا مَا ضُرِبْتُ وَقَدْ أَحَاكَ^(١)
إِذَا التَّوَدَّيْعُ أَعْرَضَ قَالَ قَلْبِي عَلَيْكَ الصَّمْتُ لَا صَاحِبَتَ فَاكَ^(٢)
وَلَوْلَا أَنْ أَكْثَرَ مَا تَمَنَّى مُعَاوَدَةً لَقُلْتُ وَلَا مُنَاكَ^(٣)

أَشَوْقًا وَلَمَّا يَمُضِ غَيْرُ كَيْفَةٍ
وقال أشجع السلى :

فَهَا أَنْتَ تَبْكِي وَهُمْ حَبِيرَةٌ فَكَيْفَ تَسْكُونُ إِذَا وَدَّعُوا
لَقَدْ صَنَعُوا بِكَ مَا لَا يَحِلُّ وَلَوْ رَاقِبُوا اللَّهَ لَمْ يَصْنَعُوا
أَتَطْمَعُ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْفِرَاقِ مُحَالٌ لَعَمْرُكَ مَا تَطْمَعُ
وقال آخر :

لَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي خَيْفَةً لِفِرَاقِهِ فَكَيْفَ إِذَا بَانَ الْحَبِيبُ فَوَدَّعَا

(١) البين : الفراق ؛ والظرف : حال مقدمة من السيف ؛ وحاك وأحاك - لغتان -
أثر . والبين : البعد والفراق . يقول : هذا الشوق عمل في عمل السيف ولم تتفارق
وأثر في تأثيره ولم أضرب به بعد ! أى إذا كان هذا حال الشوق قبل الفراق فكيف
يكون بعده ؟

(٢) أعرض الشيء : بدا وظهر ؛ وعليك : اسم فعل بمعنى الزم . يقول : إذا
حضر الوداع قال لى قلبى الزم الصمت بعد مفارقتك ولا تمدح غيره ، فقوله لا صاحبت
فالك : أى لا نطق . وقال بعض الشراح : أى لا تتكلم بالوداع .

(٣) معاودة ؛ خبر أن . واللى : جمع منية وهو ما يتمناه الإنسان . يقول : لولا
أن أكثر ما تمناه قلبى أن أعود إليك لقلت له ولا بلغت أنت أيضا منك فى الارتحال
حتى لا أفارقه ، ولكنه يتمنى الارتحال للعود إلى المددوح . وعجاجة بعض الشراح :
قوله ولا مناك : أراد ولا صاحبت منك - بضم تاء صاحبت - ضمير الشاعر ، أو
بفتحها خطابا للقلب على أحد الوجهين - فى البيت السابق - يقول : ولولا أن أكثر
ما تمناه قلبى أن أعود إليك لقلت له ولا صاحبت منك أيضا : أى لا كانت لك منية
تتمناها ، وهو دعاء عليه باليأس ، وذلك لأن قلبه يتمنى الرجوع حينئذ ، فهو من جملة
تلك اللى ؛ يعنى أنه كان يدعو عليه بزوال اللى لتزول هذه المنية من بينها فيبقى
عند المددوح .

قَدْ اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءِ بَدَاهُ وَأَقْتُلُ مَا أَعْلَكَ مَا شَفَاكَ^(١)
فَأَسْتَرْ مِنْكَ نَجْوَانَا وَأَخِي هُمُومًا قَدْ أَطْلَتْ لَهَا الْغِرَاكَ^(٢)
إِذَا عَاصَيْتَهَا كَانَتْ شِدَادًا وَإِنْ طَاوَعْتَهَا كَانَتْ رِكَاكَ^(٣)
وَكَمْ دُونَ الثَّوْبَةِ مِنْ حَزِينٍ يَقُولُ لَهُ قُدُومِي ذَا بَدَاكَ^(٤)

(١) استشفيت : طلبت الشفاء . يقول : مخاطبا قلبه - : قد طلبت الشفاء من داء الشوق إلى الأهل والوطن بداء الفراق للمدوح ، وما شفاك من داء الشوق هو أقتل مما أعلك : أى أنك تدأويت من فراقه بما هو أقتل لك من الشوق إلى الأهل . ويرى إذا استشفيت فأقتل : أى إذا استشفيت من داء الشوق إلى الأهل بداء فراق المدوح ، فالداء الذى يشفيك هو أقتل الداءين ؛ يعنى إذا دأويت شوقك بفراقه فقد دأوته بما هو أقتل لك من الشوق . قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : إذا كان سقم النفس بالجهل كان شفاؤها بالموت ، وهو منقول أيضا من قول حميد بن ثور :
أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ صَحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
وقال بعضهم :

أَفْضَى بِكَ الْمَجْرُ إِلَى آلِمَا فَجِئْتُ مِنْ دَاءٍ إِلَى دَاءٍ
(٢) النجوى : الحديث الخفى . يقول : فلست عنك ياعضد الدولة ما يجرى بينى وبين قلبى من المناجاة ، وأخفى عنك هموم فراقك التى قد أطلت عراكها ومغالبتها .
(٣) الركاك : الضعاف ، جمع ركيك : أى ضعيف . يقول : إذا عاصيت هذه المموم - هموم الشوق إلى الأهل - ولم أجبها إلى السفر والرحيل اشتدت على وإذا طاوعتها وأزمنت الرحيل ضعفت وهانت . وقال الواحدى : المعنى : إذا عاصيت هذه المموم فى فراق المدوح اشتدت على وإن طاوعتها فى الإقامة عنده سهلت شدتها .
ومثل هذا قول أبى العتاهية :

كَمْ أُمُورٍ عَاصَيْتُهُنَّ زَمَانًا ثُمَّ هَوَّتْهَا عَلَى فَهَانَتِ
(٤) الثوبه ؛ مكان بالكوفة . وذا . مبتدأ ؛ خبره : الظرف بعده . يقول : كم دون هذا المكان من إنسان حزين لفراقى إذا قدمت عليه سر بقدومى فيقول له اتقدم هذا السرور بذلك الغم الذى كنت لقيته بالبعد ، كما قال أبو تمام :

وَلَيْسَتْ فَرَحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحٍّ الْوَدَاعِ
(٩ - المثنى ٣)

وَمِنْ عَذَابِ الرُّضَابِ إِذَا أَنْخَنَّا يُقْبَلُ رَحْلُ تَرْوِكَ وَالْوَرَاكَ^(١)
يُحَرِّمُ أَنْ يَمَسَّ الطَّيِّبَ بَعْدِي وَقَدْ عَبِقَ الْعَبِيرُ بِهِ وَصَاكَ^(٢)
وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ وَيَمْنَحُهُ الْبَشَامَةَ وَالْأَرَاكَ^(٣)
يُحَدِّثُ مُفْلَتَيْهِ النَّوْمُ عَنْيَ فَلَيْتَ النَّوْمُ حَدَّثَ عَنْ نَدَاكَ^(٤)

وقال ابن الرمي مخاطب أمه وقد أراد سفراً :

فَقُلْتُ لَهَا إِنْ أَكْتُبَا بِشَاخِصٍ سَيُتِمُّهُ اللَّهُ ابْتِهَاجًا بِقَادِمٍ
(١) ومن عذب : عطف على من حزين ؛ والرضاب : الريق ؛ وأنخنا : أى
أنخنا مطايانا وهو كناية عن النزول . وتروك : إسم ناقة حملها عضد الدولة ؛
والوراك : الثمرة : التى تلبس مقدم الرحل ثم تثنى تحته زين بها ، والجمع ورك .
قال زهير :

مَقْوَرَةٌ تَنْبَارَى لَا شَوَارَ لَهَا إِلَّا الْقَطُوعُ عَلَى الْأَجَوَازِ وَالْوُرُكُ^(١)
يقول : وكم هناك من شخص عذب الرضاب يشتهى تقبيل فيه إذا وصلنا فأنخنا
مطايانا قبل رحل ناقى ووراكها لأنها أدنى إليه .
(٢) صاك به الطيب يصيك : أى لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثْلَكَ مُعْجَبَةٌ بِالشَّبِّ ابِ صَاكَ الْعَبِيرِ بِأَجْلَادِهَا
والعبير أخلاط من الطيب . يقول : إن هذا الشخص لم يمس بعدى طيباً حزنا على
فراقى ، وهو مع ذلك تشم منه روائح الصب حتى لكأن الطيب قد لصق به .
(٣) الثغر : مقدم الأسنان ؛ والطيب : العاشق ؛ والبشام والأراك : نوعان من
الشجر يستاك بفروعهما . يقول : لا يصل إلى ثغره عاشق لتصونه وعفته ولكنه يبذل
ثغره لسواك المتخذ من هذين الشجرين .

(٤) يقول : إذا نام هذا الشخص المولع بقدمى رأى خيالى فى النوم ، فليت نومه
حدثه عن إحسانك إلى حق يعذرني فى الإقامة عندك .

(١) الشوار والشارية : اللباس والهيئة ، ويقال : جاءت الإبل مقورة : أى شاسفة
يابسة - من الضمر ، والمقور أيضا من الخيل الضامر ، والقطوع : جمع قطع ، الطنفسة
تكون تحت الرحل على كنفى البعير ، والأجواز : الأوساط .

وَأَنَّ الْبُخْتَ لَا يُعْرِقَنَّ إِلَّا وَقَدْ أَنْضَى الْعَذَافِرَةَ اللَّكَّاكَ^(١)
وَمَا أَرْضَى لِمُقْلَتِهِ بِحُلْمٍ إِذَا أَنْتَهَتْ تَوْهَمُهُ أَبْنَشَاكَ^(٢)
وَلَا إِلَّا بَأَن يُصْنِي وَأُحْكِي فَلَيْتَهُ لَا يَتِيَمُهُ هَوَاكَ^(٣)
وَكَمْ طَرِبَ الْمَسَامِجَ لَيْسَ يَذَرِي أَيْعَجَبُ مِنْ ثَنَائِي أَمْ غَلَاكَ^(٤)
وَذَاكَ النَّشْرُ عَرِضُكَ كَانَ مِسْكَ
وَذَاكَ الشَّعْرُ فَهَرِي وَالْمَدَاكَ^(٥)

(١) البخت الجمال الخراسانية ، وروى البدن : أى. السمان من الإبل ؛ ويعرقن : أى يأمن العراق ؛ والكوفة بلد أبى الطيب - : أحد بلاد العراق وأنضى العذافرة : أى هزلها ؛ والضمير للندى ؛ والعذافرة الناقة الشديدة ؛ واللكاء : المكثرة اللحم . يقول : ولت النوم حدث هذا الشخص أن ركابنا لا تبلغ العراق إلا وقد أنضاه ثقل ما حملت من عطاياك .

(٢) الابتشاك : الكذب . يقول : وإن حدثه النوم عني فليست أرضى له بحلم إذا انتبه من نومه تومه كذبا : أى أنى أبى عليه إلا أن يرانى فى اليقظة على ما وصف له الحلم .
(٣) ولا إلا : أى ولا أرضى إلا ، غذف الفعل للعلم به . يقول : ولا أرضى بشئ إلا أن يستمع إلى وأحكى ما أغدقته على من نعمك وإفضالك ، فليته عند ذلك لا يتيمه هواك ويستعبده حبك لأن الإحسان يستعبد الإنسان ؛ و«فليته» و«لا يتيمه» على حذف إشباع الضمير ، وهى رواية ابن جنى ، وروى فليتك . وأسكن الباء من يصنى وأحكى ضرورة أو على لغة .

(٤) يقول : وكَم من إنسان تطرب مسامحه إذا سمع شعرى فيك ولا يدرى أيتعجب من حسن ثنائى عليك أم من علوشأنك الذى يقتضى هذا الثناء ؛ وعبارة العكبرى : والمعنى كلاهما محجب لأنى أثبت فى شعرى من فضلك وأظهرت فيه من مدحك ما ليس يدرى عند سماعه لذلك ، أيعجب من علاك وما تبلغه من الرفعة والجلالة أم من ثنائى ؟
(٥) النسر : الرائحة الطيبة ؛ ويريد به : انشاء ؛ والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ؛ والفهر : الحجر الذى يسحق به الطيب ؛ والمداك : الصلاة التى يدلك عليها أى يدق ويسحق . يقول : ذاك الثناء الطيب الرائحة الذى هو عرضك كان بمنزلة المسك ؛ وكان شعرى بمنزلة الفهر والمداك لذلك المسك ، وطيب المسك إنما يظهر من الفهر والمداك ؛ كذلك رائحة الثناء إنما تفوح بالشعر ؛ كما قال ابن الرومى :

فَلَا تَحْمَدُهَا وَأَحْمَدُهَا إِذَا لَمْ يُسَمِّ حَامِدُهُ عَنَّا كَا^(١)
 أَعْرَ لَهُ شَمَائِلُ مِنْ أَبِيهِ غَدَا يَلْقَى بَنُوكَ بِهَا أَبَا كَا^(٢)
 وَفِي الْأَحْبَابِ مُخْتَصُّ بِوَجْدِ وَآخِرُ بَدْعِي مَعَهُ أَشْتَرَا كَا^(٣)
 إِذَا أَشْتَبَهَتْ دُمُوعُ فِي خُدُودِ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى يَمْنُ تَبَا كَا^(٤)
 أَذْمَتْ مَكْرُمَاتُ أَبِي شُجَاعِ لَغِيْنِي مِنْ نَوَايَ عَلَى أُولَا كَا^(٥)

وما ازدادَ فضلُ فيكَ بِالْمَدْحِ شُهْرَةً بَلَى كَانَ مِثْلَ الْمِسْكِ صَادَفَ مَخُوضَا
 [المَخُوضُ : الذى يحرك به الطيب ؛ وذلك لا يزيد الطيب فضلا بل يظهر رائحته ،
 كذلك هذا الشعر يظهر فضائل المدوح للناس ولا يزيده فضلا] .

(١) الهام : الملك العظيم الهمة . يقول : لا نحمد الفهر والدك الذين جعلتهما
 مثلا لشمرى واحمد نفسك فإنك تستحق الحمد بخصالك الحميدة . وقوله إذا لم يسم حامده
 يعنى بحامده نفسه . يقول : إذا حمدتك بذكر إغنامك ولم أذكر اسمك كنت أنت
 اللغى بذلك الحمد ، لأنه لا يليق إلا بك ؛ وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

وإن جرت الألفاظُ مِنَّا بِمَدْحَةٍ لَغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِى نَعْنِي
 (٢) أعر : صفة لهما ؛ والمراد بالأعر : الشريف ؛ والشمايل : الأخلاق . يقول
 أنت ورثت شمائل أبيك ، وكما ورثتها من أبيك تورثها بريك ، فهم غدا : أى إذا شبوا
 عن الطوق وظهرت تلك الشمائل فهم - يلقون أباك بها فىرى شمائله فهم كما رآها فيك .
 قال الواحدى : وكان حقه أن يقول أباهم ، لكنه قال أباك : إشارة إلى أنهم لم يبلغوا
 بعد رتبته حتى يشبهوه ، بل يشبهون أباه .

(٣) يقول : إن حال الأحباب تتشابه ، ففهم من يكون حزينا عند فراق أحبته
 مختصا بالوجد دون غيره ، وفهم من يدعى الاشتراك فى الوجد وليس لدعواه حقيقة ،
 يريد أنه صحيح الود والولاية غير مدخول المحبة ، فليس كمن يدعى الاشتراك
 على غير حقيقة .

(٤) اشتبهت : تشابهت ؛ وتباكى : تكلف البكاء . يقول : إذا تشابهت الدموع
 ظهر الذى يبكى عن حزن دفين فى القلب ممن يتكلف البكاء وقلبه خال من دواعيه .
 (٥) يقولون : أدم له من فلان : أخذ له الذمة والعهد ، وأدم له على فلان : أخذ
 له الذمة ليجيره منه ؛ والنوى : البعد ؛ وأولاكا : لغة فى أولئك ، وقد اختلف الشراح

فَزُلْ يَا بُدُّ عَنْ أَيْدِي رِكَابٍ لَهَا وَقَعُ الْأَسِنَّةُ فِي حَشَاكَ^(١)
وَأَيَّا شِئْتِ يَا طُرُقِي فَكُونِي أَذَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلَاكَ^(٢)
فَلَوْ سِرْنَا فِي تَشْرِينَ خَمْسٍ رَأَوْنِي قَبْلَ أَنْ يَرَوْا السَّمَاءَ^(٣)

في معنى البيت ، فذهب ابن جني إلى أن المعنى : أن مكرمات أبي شعاع أخذت لعيني عهداً من البعد أن تكون في مأمن من تلك الدموع : أي دموع التباكي ، يعني أن مكرماته تمنع عيني أن تجرئ على فراقه دموعاً كاذبة لأنه قد ملك قلبي بإحسانه ، فأنا أبكي على الحقيقة لا تكلفاً ، فالإشارة في أولها للدموع الكاذبة . وقال الواحدى : إن مكرماته منعت عيني وعقدت لها عقداً على أهل من فراق عضد الدولة ، يريد أنى أشتهى ملازمتك والبعد عن أولئك ، فالإشارة في أولها لأهله ، وهذا على رواية نوائى ؟ وروى : نوائى - مقصور الثوى - أى المقام ، يعني أن مكرماته أذمت لعيني من المقام عليهم - أى على أهله - أى عقدت لعيني عقداً يؤمنها من النظر إلى أولئك . يريد أنها قصرتها على عضد الدولة فلا تنظر إلى غيره ، ويكون على أولها كما متعلق بالثوى .

(١) الركاب : الإبل تحمل القوم ؛ والأسنة : نصال الرماح . يخاطب البعد ، يقول : تنح عن أيدي هذه المطايا فإنها تقطعك كما تقطع الأسنة الأحشاء .

(٢) قال الواحدى : هذا كلام ضجر ، يقول - لطريقه - : كوني كيف شئت فإنى لا أبالي وإن كان الهلاك في سلوكك ، قيل إن عضد الدولة قال تطيرت عليه من تركه النجاة بين الأذاة والهلاك .

(٣) تشرين : اسم لشهرين بين أيلول وكانون الأول من السنة الشمسية : تشرين الأول وهو الشهر العاشر وأيامه ٣١ ، وتشرين الثانى وهو الحادى عشر وأيامه ٣٠ ؛ والسما كان : كوكبان نيران ، يقال لأحدهما السماك الرامح لأن أمامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك ورمحه ، وللآخر : السماك الأعزل لأنه ليس أمامه شيء ، والمراد هنا : السماك الأعزل ، وقد كان هذا النجم يطلع في الثالث عشر من تشرين الأول . يقول : لو سرننا وقد مضت خمس ليال من تشرين الأول لبلغت الكوفة قبل أن يطلع هذا الكوكب ، فرأى أهلها قبل أن يروه ؛ يريد أنه لسرعة سيره وإدأبه السير لا يمضى عليه أسبوع حتى يبلغ الكوفة - بلده - وهذا مبالغة ، لأن بين شيراز بلد عضد الدولة وبين الكوفة ما يزيد على عشرين مرحلة .

يُشَرِّدُ يُبْنِي قَتَاخُسَرَ عَنِّي قَنَا الْأَعْدَاءَ وَالطَّعْنَ الدَّرَاكَ^(١)
وَأَلْبَسُ مِنْ رِضَاهُ فِي طَرِيقِي سِرَّحًا يَذْعَرُ الْأَبْطَالَ شَاكَ^(٢)
وَمَنْ أَعْتَاضُ عَنْكَ إِذَا أَفْتَرَقْنَا وَكُلُّ النَّاسِ زُورٌ مَا خَلَاكَ^(٣)
وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ يَمُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ أَمْتَسَاكَ^(٤)
حَيٍّ مِنْ إلهِي أَنْ يَرَانِي وَقَدْ فَارَقْتُ دَارَكَ وَأَصْطَفَاكَ^(٥)

(١) فناخسرو : اسم عضد الدولة ؛ والطعن الدراك : المتابع . يقول : سعده
ويمنه يطرد عني رماح الأعداء وطعنها المتابع .

(٢) سلاح شائك وشاك - على حذف العين - حاد ذو شوكة يقول : رضاه عني
بمنزلة السلاح الحاد أخوف به الأعداء الأبطال فيجبنون عني . هذا : والسلاح اسم
جامع لآلة الحرب ، وخص بعضهم به ما كان من الحديد - يؤنث ويذكر والتذكير
أعلى ، لأنه يجمع على أسلحة ، وهو جمع المذكر - مثل حمار وأحمره ورداء وأردية -
ويجوز تأنيثه . قال الطرماح - يذكر ثوراً يهز قرنه لكلاب الصيد ليطعنها به :

يَهْزُ سِلَاحًا لَمْ يَرِنْهَا كَلَالَةً يَشْكُ بِهَا مِنْهَا أَصُولُ الْمَغَانِبِ^(١)

(٣) هذا استفهام إنكاري . يقول : إذا فارقتك لم أجد خلفا عنك أعتاضه من
جميع الناس لأنهم كلهم بالقياس إليك زور وباطل ، لهم صورتك وليس لهم معنك ،
وهذا كقول عمران ابن حطان :

أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَغْرِفُهُ مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ

(٤) يقول : أنا في انطلاقي من عندك وسرعة عودي إليك كالسهم إذا رمي به في
الجوف فإنه لا يصادف ما يمسكه هناك فلا يلبث أن ينقلب ويعود إلى الأرض يشير بهذا
البيت والذي قبله إلى أنه ينوي الرجوع إليه .

(٥) حي : أي أنا حي . وقد فارقت دارك : حال . يقول : إني أستحي من إلهي
أن يراني وقد فارقتك وزهدت فيك ، وهو سبحانه وتعالى قد اصطفاك ووكّل إليك
أرزاق العباد ، فكأنني إذ فعلت قد شاققت الله سبحانه ولم أرض باختياره . وروى ابن

(١) سمي روقيه سلاحاً لأنه يذب بهما عن نفسه ؛ والعرب . تقول : لم يرثه كلاله
أي لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق .

جنى : واصطفاكا - بكسر الطاء - قال وهو من باب قصر المدود ، واستشهد على قصره بأشعار ، وقصر المدود كثير ، وأنشد فيما أنشد :

وَأَنْتَ لَوْ بَاكَرْتَ مَشْمُولَةً صَفْرًا كَلَوْنَ الْفَرَسِ الْأَشْقَرِ

وأنكر ابن فورجه وجماعة كسر الطاء ، وقالوا لم يستحي من الله إذا فارق دار المدوح واختياره له ؟ بل لا وجه لحياته في فعله ذاك ، وإنما يستحي من الله إذا فارق دار المدوح ، والله قد اختاره على أرضه ، وكل من فارقه يجب أن يستحي من خالقه وإنما يقول : أستحي من الله أن أفارقك ، وقد اصطفاك وוכל إليك الأرزاق ؛ ألا تراه كيف بين وجه حياته ، إذ ذكر اصطفاه ولو لم يذكره لكان له مخلص من الحياء ؟ فالأشبه أن يكون اصطفاك فعلا ماضياً ، وقد ذكر محمد بن سعيد أن المتنبي قال لم أقصر في شعري بمدوداً إلا في موضع واحد وهو :

خُذْ مِنْ ثَنَائِي عَلَيْكَ مَا أُسْطِيعُهُ لَا تَلْزِمْنِي فِي الثَّنَاءِ الْوَاجِبِ

هذا : وقد أكثر المتنبي من التشاؤم على نفسه في هذه القصيدة بما لم يقع له في غيرها وما لم يخطر على قلبه في جميع عزائمه وأشعاره مع كثرتها وتراكمها في البلاد ، وقد وقع له في أثناءها كلام كأنه ينمى به نفسه وإن لم يقصده ، وذلك أنه بعد ارتحالها من شيراز ومفارقتها لأعمال فارس قتل في الطريق كما تراه في مدخل هذا الشرح وهذا - عمرك الله - من غريب الاتفاق .

قافية اللام

وقال يمدح سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية وكثر المطر :

رُوَيْدَكَ أَهْيَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ تَأَنَّ وَعُودُهُ مِمَّا تُنِيلُ^(١)
وَجُسُودَكَ بِالْمُقَامِ وَلَوْ قَلِيلًا فَمَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ^(٢)
لَا كُتِبَ حَاسِدًا وَأَرَى عَدُوًّا كَأَنَّهُمَا وَدَاعُكَ وَالرَّحِيلُ^(٣)

(١) تَأَن : تمهل ، ويرى : تأى توقف ؛ والضمير في عده يعود إلى المصدر المفهوم من تَأَن ؛ وتنيل : تعطى . يقول : أمهل سيرك وترفق في رحيلك واحسب هذا التمهّل من جملة ما تعطيه ، يعنى أنا نعمة منك نوالا وعطاء لو أقت ساعة ؛ وهو ما ذكر في البيت التالى .

(٢) وجودك : أى وجد جودك : مصدر نائب عن عامله منصوب به . والمقام : الإقامة ؛ وقليلا : خبر كان محذوفة بعد «لو» ، واسمها ضمير المقام : يقول جد بالإقامة عندنا ولو كانت قليلة ، فإن الذى تجوده لا يعد قليلا ، لأن كل ما كان من جهتك فهو كثير وإن قل ، كما قال ابن الطثرية :

وليس قليلا نظرةٌ إن نظرتُهَا إِلَيْكَ وَقُلِّ مِنْكَ غَيْرُ قَلِيلٍ
وكما قال إسحاق الموصلى :

إن ما قلِّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وكثيرٌ مِمَّنْ تَحِبُّ الْقَلِيلُ
(٣) الكبت : الإغاضة والإذلال ؛ وأصل الكبت : الكبد فقلبت الدال تاء ، أخذ من الكبد ، وهو معدن الفيظ والأحقاد ، فكأن الفيظ لما بلغ بصاحبه مبلغه أصاب كبده فأحرقه ، لهذا يقال للأعداء : هم سود الأكباد وأرى من الورى - وهو إصابة الرئة . وقال أهل اللغة : الورى - على مثال الرمى - قرح شديد يقاء منه القيح والدم ؛ والعرب تقول للبيض إذا سعل ورياقحبا . وللحبيب إذا عطس رعيّا وشبابا ، وفي الحديث : «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعراء» يقول المتنبي : جد بالإقامة لأكتب من يحسدنى على قربك وأوجع رئة عدوى ، ثم شبه الحاسد والعدو بوجداعه وارتحالهما لأنهما يلذعان قلبه ويوجعانه ، وقال أبو تمام فى قبج الوداع :

وَيَهْدَأْ ذَا السَّحَابُ فَقَدْ شَكَّكْنَا
 أَتَغْلِبُ أَمْ حَيَاهُ لَكُمْ قِيلُ^(١)
 وَكُنْتُ أَعِيبُ عَذْلًا فِي سَمَاحٍ فَهَآ أَنَا فِي السَّمَاحِ لَهُ عَذُولُ^(٢)
 وَمَا أَخْشَى نُبُوكَ عَنْ طَرِيقِ وَسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَاضِي الصَّقِيلِ^(٣)
 وَكُلُّ شَوَاةٍ غَطْرِيفٍ تَمْنَى لِسِيرِكَ أَنْ مَفْرَقَهَا السَّبِيلِ^(٤)

قُبَحْتَ وَزِدْتَ فَوْقَ الْقُبْحِ حَتَّى كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ مِنَ الْوَدَاعِ
 (١) ويهدأ : عطف على أ كبت ؛ وتغلب : قبيلة للمدوح ؛ والحياء : المطر ؛ والقبيل :
 العشيرة . يقول : أقم بنا حتى يسكن هذا السحاب ويمسك عن المطر خجلاً من أياديك
 الغزار فقد أفرط حتى شككنا : أبنو تغلب قبيلكم أم مطر هذا السحاب ؟ شبههم بالمطر
 في الكثرة وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

فَقُلْتُ نَذَى السَّمَاءِ أَمْ ابْنُ وَهْبٍ تَجَلَّى نُورُهُ أَمْ عَاشُ وَهْبٍ
 (٢) يقول : كنت فيما مضى أعيب من يلوم على الجود ، فلما رأيت إفراط سيف
 الدولة في الجود صرت ألومه ، قال أبو تمام :

عَطَاءٌ لَوْ اسْطَاعَ الَّذِي يَسْتَمِيحُهُ لِأَصْبَحَ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى وَهُوَ عَاذِلُ
 وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

إِلَى مُسْرِفٍ فِي الْجُودِ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا لَدَيْهِ لِأَضْحَى حَاتِمٌ وَهُوَ عَاذِلُهُ
 وقال ابن القطاع : الضمير في «له» للسحاب ، يعني صرت الآن ألوم السحاب لإفراطه
 في السباح مخافة أن يكدر عليه الطريق .

(٣) النبو : السكلال ، وسيف الدولة : مبتدأ ؛ خبره : ما بعده ؛ والجملة حال .
 يقول : لا أخشى أن تعجز عن قطع الطريق وأنت سيف الدولة الماضي الصقيل ،
 والسيف إذا كان ماضياً لا يخاف عليه السكلال . يريد : إنى لم أطلب إليك عدم الرحيل
 في المطر خشية أن تعجز عن التغلب على الطريق .

(٤) الشوأة : جلدة الرأس ، وجمعها شوى ؛ والغطريف : السيد الكريم في قومه
 وتمنى : يحذف إحدى التائين - أى تمنى . والفرق : وسط الرأس . يقول : إن كل
 سيد شريف يتمنى أن يكون مفرق رأسه طريقاً لسيرك ، يعنى انصرفك لا يستنكف
 السيد من وطئك رأسه ، بل يتمنى ذلك تشرفاً بك ، وفي هذا نظر إلى قول أبي تمام :

وَمِثْلَ الْعَمَقِ تَمْلُوءُ دِمَاءٌ جَرَتْ بِكَ فِي مَجَارِيهِ الْخُيُولِ^(١)
 إِذَا أَعْتَادَ الْغَتَّى خَوْضَ الْمَنَآيَا فَأَهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ^(٢)
 وَمَنْ أَمَرَ الْخُصُونَ فَمَا عَصَتْهُ أَطَاعَتْهُ الْحَزُونَةُ وَالشَّهُولُ^(٣)
 أَنْخَفِرُ كُلٌّ مَنْ رَمَتْ اللَّيَالِي وَتُنَشِّرُ كُلٌّ مَنْ دَفَنَ الْخُمُولُ^(٤)

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةَ ثَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَهَا قَبْرُ
 (١) ومثل العمق : أى ورب مكان مثل العمق ؛ والعمق : الوضع العميق ؛ وقيل
 واد بعينه . يقول : ورب مكان عميق مثل هذا المكان قد حمى فيه الوطيس حتى امتلأ
 من دماء القتلى جرت بك الخيل فى مجاريه ولم تكثر لذلك ، فكيف أخشى عليك
 قطع الطريق ؟ وقد زاد ذلك إيضاحا بالبيت التالى .

(٢) المنايا : جمع منية ، الموت ؛ والوحول : جمع وحل ، ما يبقى فى الأرض من
 آثار المطر يقول : إذا تعود الإنسان خوض المهالك التى هى أسباب المنايا لم يبال بالوحول ؛
 يريد أن الوحل لا يمنعه من السفر لأنه تعود أن يخوض ما هو أشد من الوحل .

(٣) الحزونة : جمع حزن ، ما خشن من الأرض وصعب : ضد السهل . يقول : من
 تطيعه حصون الأعداء وتنفتح له لم يعصه مكان من الحزن والسهل : أى لم يتمتع عليه
 ولم يصعب سلوكه .

(٤) نشر الله الميت وأنشره : بعثه وأحياه ؛ والخمول : سقوط الذكر ؛ والحامل :
 الساقط الذى لا نباهة له ، والاستفهام : للتعجب . يقول : كل من نكبته الليالى وأصابته
 بالحنن تخفّره وتجيّره منها بإحسانك ، وكل من أمانته الخمول تحييه فتشهره وترفع ذكره
 بإنعامك عليه ؛ قال ابن وكيع : وهذا البيت منقول من قول ابن الرومى :

نَشَرْتُكَ مِنْ مَوْتِ الْخُمُولِ بِقُدْرَةٍ لِمَا هُوَ أَذْهَى لَوْ عَلِمْتَ وَأَنْكَرُ^(١)
 هذا : ويقال خفر الرجل يخفر خفراً : أجاره ومنعه وأمنه ، وكان له خفيرا يمنعه ،
 وكذلك خفّره تخفيرا ، قال أبو جندب الهذلى :

(١) من أبيات يهجو بها ابن الرومى خالدا القحطبي ، وقبله :

أَخَالَدَ أَغْنَيْتَ الْمَهْجَاءَ وَفَنَّهُ فَقَوْلِي وَإِنْ أَبْلَغْتُ فَيْكَ مُقْصِرُ
 وبعده :

وللموت خير لا مرى من نشوره إذا كان للتخليد فى الناس يُنْشَرُ

وَنَدُّوكَ الْحُسَامَ وَهَلْ حُسَامٌ يَمِيشُ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ الْقَتِيلُ^(١)
وَمَا لِلسَّيْفِ إِلَّا الْقَطْعُ فِقْلُ^(٢) وَأَنْتَ الْقَاطِعُ الْبَرُّ الْوَصُولُ^(٣)
وَأَنْتَ الْفَارِسُ الْقَوَالُ صَبْرًا وَقَدْ فَنَى التَّكَلُّمُ وَالصَّهِيلُ^(٤)
يَحِيدُ الرُّمَحُ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدُ^(٥) وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طُولُ^(٦)
فَلَوْ قَدَرَ السَّنَانُ عَلَى لِسَانٍ لَقَالَ لَكَ السَّنَانُ كَمَا أَقُولُ^(٧)

ولكنني جُزِرُ الغضى من ورائه يُخَفِّرُنِي سَيْفِي إذا لم أخفر
والاسم من ذلك الحفرة والحفارة والحفارة - بالفتح والضم - ويقال أخفرت إذا
بعثت معه خفيرا ، وأخفرت الرجل : إذا نقضت عهده وغدرت به ، وأخفر الذمة :
لم يف بها .

(١) الحسام : السيف القاطع ، يقول : نسميك الحسام وعادة الحسام أن يقطع الآجال
وأنت حسام يمش به القتل : أى أنك تحي من قتله الفقر وأماته الذل بمجودك — كما
بين ذلك فى البيت التالى .

(٢) يقول : إن فعل السيف هو القطع فقط ، أما أنت فقد اجتمع فيك الوصل
والقطع ، لأنك تصل الأولياء وتقطع الأعداء . والقطع : منصوب لأنه استثناء مقدم .
ومثله قول الكمي :

ومالى إلا آل أحمدَ شِيعَةٌ ومالى إلا مذهبَ الحق مذهبُ

والبر : المحسن ؛ والوصول . الذى يصل الناس : أى يجيزهم بالعطاء .

(٣) يقول . أنت الفارس الرابط الجأش الذى يصبر الجيوش ويقول لهم اصبروا
صبرا على عض الحرب وقد عظم الخطب واشتد القتال ، فلا يقدر الرجل على الكلام ولا
الفرس على الصهيل . فقوله صبرا : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، وهو مفعول القول .
(٤) وفيه قصد . أى استقامة . يقول : قد بلغت من المهانة والشرف أن الجماد يعرفك
فالرمح يخافك فيحيد عنك ويميل ، مع أن فيه قصدا إذا طعن به غيرك ويقصر عن أن
ينالك مع طوله هية لك ؛ والمعنى أن الأبطال تتحاماه فى الحروب فلا تجترأ
على مطاعته .

(٥) يقول : لو كان الرمح يقدر على الكلام لقال أنا أحميد عنك وأقصر - مع طولى -
عن طعنك لمييتك وشرفك . وهذا من قول الآخر :

إن السنانَ وصدرَ السيفِ لو نطقا لَخَبَّرَا عَنْكَ يَوْمَ الرُّوعِ بالعجبِ

وَلَوْ جَاَزَ الْخُلُودُ خَلَدَتْ فَرْدًا وَلَكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلٌ^(١)

وقال يرثي والده سيف الدولة وقد توفيت بميّا فارقين وجاءه الخبر بموتها إلى حلب سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وأنشده إياها في جمادى الآخرة من السنة :

(١) نَعْدُ الْمَشْرِقِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونُ بِلَا قِتَالٍ^(٢)

(٢) وَتَرْتَبُطُ السَّوَابِقُ مُقَرَّبَاتٍ وَمَا يُنْجِيَنَّ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي^(٣)

وللحنى :

يُثْنِي عَلَيْكَ إِذَا النُّفُوسُ تَطَايَرَتْ حَدُّ الْمُهَنْدِ وَالسَّنَانُ الْهَذَمُ
وأصله قول عنترة :

لَوْ كَانَ يَمْلِكُ مَا الْخَاوِرَةُ اشْتَكَى وَلَكِنْ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلَّمِي

(١) يقول : لو جاز أن يخلد إنسان لخلدت وحدك لما جمع الله فيك من الفضائل ، ولكن الدنيا لا تخلد أحداً وشنتها إفناء خلانها ، فهي مطبوعة على القدر ، وإلا لخلدتك . وهذا من قول عدى بن زيد :

فَلَوْ كَانَ حَيٌّ فِي الْحَيَاةِ مَخْلُودًا لَخَلَدْتَ لَكِنْ لَيْسَ حَيٌّ بِمَخْلُودٍ
ومثله لمحمد بن يزيد الهلبي :

لَوْ خَلَدَ اللَّهُ مَخْلُوقًا لَنَجَدْتَهُ لَكَانَ رَبُّكَ فِي الدُّنْيَا مَخْلُودَهُ

(٢) الشرفية : السيوف ، والمراد بالعوالي : الرماح ؛ والنون : النية ، وقيل الدهر ، ومن ثم يؤنث ويذكر ، ويكون واحداً وجماً : يقول : نعد السيوف والرماح لمنازلة الأعداء ومدافعة الأقران ، ولكن النية تحترم نفوسنا وتقتل من تقتله منا من غير قتال ، فلا تنفى عنا تلك الأسلحة شيئاً .

(٣) السوابق : الخيل ؛ والمقربات : المدعاة من البيوت ، إما لفرط الحاجة أو للضن بها ، فلا ترسل إلى الرعى ؛ والحجب : ضرب من العدو - الجرمي - لا يستفرغ الجهد : يقول : وترتبط الخيول الكريمة لتنجو بنا إذا ألم بنا حادث ، ومع هذا لاتنجينا من سعى الليالي ، وخبها في آثارنا ، فإنها تقتلنا وتدركننا حيثما كنا ، وبديع قول عبد الله بن طاهر في الدهر :

كَأَنَّا فِي حُرُوبٍ مِنْ حَوَادِثِهِ فَنَحْنُ مِنْ بَيْنِ مَجْرُوحٍ وَمَطْعُونٍ

- (٣) وَمَنْ لَمْ يَشْقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوَصَالِ (١)
 (٤) نَصِيكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خِيَالٍ (٢)
 (٥) رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُوَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ (٣)
 (٦) فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ طَلَّ النَّصَالُ (٤)

(١) من : استفهام إنكارى ؛ وقوله إلى الوصال : يروى إلى وصال - أى مواصلة - يقول : من الذى لم يشق الدنيا من قديم الدهر ؛ أى أن كل أحد يهواها ، ولكن لا سبيل إلى دوام وصالها ، فقوله إلى الوصال : أى إلى دوام الوصال ، فكثير من عشاقها واصلها وواصلته ، ولكنها لا تدوم على الوصال .

(٢) نصيبك - الأول - مبتدأ . خبره : نصيبك - الثانى - يقول : إن حظ الإنسان من وصال حبيب في حياته كحظه من وصال خياله في منامه ، فإن ذلك الوصال ينقطع عن قريب بالموت ، كما ينقطع التمتع بخيال الحبيب بالانتباه ، جعل العمر كالنمام والموت كالانتباه من المنام ، كما قال أبو تمام :

نَمِ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلِهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَخْلَامُ
 وقال التهامي :

فَالْمِيشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ وَالرَّمْدُ يَنْهَمَا خِيَالِ سَارِي

(٣) الأرزاء : جمع رزء ؛ المصيبة ، وحق : ابتدائية ؛ والغشاء : ما يغطى الشيء ، يقول : كثرت على أرزاء الدهر وترادفت على قلبي جماعة حتى لم يبق منه موضع إلا أصابه سهم منها فصار في غلاف من سهام الدهر .

(٤) النصال : جمع نصل ، الحديدة التى فى السهم . يقول : فصرت الآن إذا رمانى الدهر بسهامه لم تصل إلى قلبي ، إذ لا تجد لها موضعاً الاصابة ، وإنما تتكسر نصالها على النصال التى قبلها ، لأنها تصطك بعضها ببعض ، قال الواحدى : وهذا تمثيل معناه أن الأرزاء توالى على حتى هانت عندى والشيء إذا كثر اعتاده الإنسان كما صرح بذلك فى البيت التالى . وإليك إحدى مما حكاها ابن وكيع - وما أكثر ما يتجنى على المتنبي - قال : لا يصح معنى البيت إلا أن يكون يرمى من جنبيه فيبلغ نصل الجانب الأيمن نصل الجانب الأيسر ، وأما أن يكون الرمي من ناحية واحدة فلا يصح ذلك ، ولو قال كما قال عمر بن المبارك لصح .

(٧) وَهَانَ فَمَا أَبَالَى بِالرَّزَايَا لِأَيِّ مَا أُتَّقَعْتُ بِأَنْ أَبَالَى^(١)
(٨) وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ^(٢)

لم يَنْتَظِرْنَ فَنَسْتَبِيكَ قُلُوبَ حَتَّى رَمَيْنَ فَرَشَقَهْنَ مَصِيبُ
نَجَلٌ يُتَبَّعْنَ السَّهَامَ بِمِثْلِهِمَا فَلَمِنْ مِنْ تَحْتِ النَّدُوبِ نَدُوبُ
فهذا كلام يصح مثله ، لأن الندوب القديمة يتبعن ندوباً حديثة ؛ ومثله لأخى
ذى الرمة .

وَلَمْ يُنْسِنِي أَوْفَى الْمَصِيبَاتِ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكَا الْقَرْحَ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ^(١)
(١) ضمير هان للدهر أو لرميه لدلالة قوله رمانى الدهر . يقول : وهان الدهر
على فلا أحفل بمصائبه علماً بأنه لا ينفع الحذر ولا المبالاة ؛ وهذا من قول الحماسي :
وقد جَعَلْتُ نَفْسِي عَلَى الْبَيْنِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ تَنَامُ
وفارقتُ حَتَّى مَا أَبَالَى مِنَ النُّوَى وَإِنْ بَانَ جِيرَانٌ عَلَى كِرَامِ
ومثله قول الحريري :

صَبِرْتُ فَكَانَ الصَّبْرُ خَيْرَ مَنِيَّةٍ وَهَلْ جَزَعُ أَجْدَى عَلَى فَأَجَزَعُ
وَيُرْوَى بَدَلُ هَانَ فَمَا أَبَالَى : وَهَانَ أَنَا مَا أَبَالَى .
(٢) يقول : هذا الناعي - وكان نعمها ورد إلى أنطاكية - أول الناعين جميعاً لأول
امرأة ماتت في هذا الجلال ، يعني لم تمت امرأة قبلها أجل منها ، وميتة - بفتح الميم -

(١) قيل إن إخوة ذي الرمة هم مسعود وهشام وجرفاس وأن مسعوداً رثى بشعره
بشعره هذا أخاه غيلان وأوفى بن دلهم ابن عمهما وقيل كانوا أربعة غيلان ومسعود
وهشام وأوفى وكلهم شعراء كان أحدهم يقول الأبيات فيزيد فيها ذو الرمة ويغلب
عليها ، وقبل هذا البيت :

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بِغِيلَانَ بَعْدَهُ عَرَاءٌ وَجَفَنُ الْعَيْنِ مَلَانٌ مُتَرَعٌ
نَعَى الرَّكْبُ أَوْفَى حِينَ وَافَتْ رِكَابَهُمْ لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءُوا بِشَرٍّ وَأَوْجَعُوا
نَعَوْا بِاسِقِ الْأَخْلَاقِ لَا يَخْلُقُونَهُ تَكَادُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعُ
خَوَى الْمَسْجِدُ الْمَغْمُورَ بَعْدَ ابْنِ دَلْهِمٍ وَأَمْسَى بِأَوْفَى قَوْمُهُ قَدْ تَضَمَّنُوا

(٩) كَانَ الْمَوْتُ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِيَاكٍ^(١)

أى ميتة ، خففت ؛ ورويت ميتة - بكسر الميم - يعنى الحال التى ماتت عليها ، قال الواحدى والرواية الأولى أوجه ، لأنه أراد أول الأموات ولم يرد أول الاحوال هذا : وقولهم جاءنى القوم طرأ أى جميعا منصوب على المصدر أو الحال ، قالوا ولا تستعمل إلا حالا واستعملها خصيب النصرانى المتطبب فى غير الحال ؛ وقيل له كيف أنت ؟ فقال أحمد الله إلى طر خلقه ؛ قال ابن سيده : أنبأنى بذلك أبو العلاء ، وفى نوادر الأعراب رأيت بى فلان بطر إذا رأيتهم بأجمعهم . والناعون : جمع ناع ، وهو الذى يأتى بخبر الميت ؛ والنعى والنمى : خبر الموت أو الدعاء بموت الميت ، والإشعار به ، نعاء ينعاء نعيانا ، وقال الجوهري . كانت العرب إذا مات منهم ميت له قدر وشرف ركب راكب فرسا وجعل يسير فى الناس ويقول نعاء فلانا . أى انمه وأظهر خبر وفاته ، وقال ابن الأثير . أى هلك فلان أو هلكت العرب بموت فلان ، وهى مبنية على الكسر مثل قطام ودراك ونزال ، بمعنى أدرك وازل ، وأنشدوا للكثير .

نعاء جذاما غير موت ولا قتل ولكن فراقا للدعائم والأصل
(١) يستعظم موت هذه المرأة حتى كأن الناس لم يروا موتا ولم يخطر على قلب أحد منهم قبلها ، وموت العظيم يعظم عند الناس مع فشو الموت وعمومه ، ومن بديع ما قيل فى الموت - وليس من قبيل بيت المتنبي ، ولكنه ينظر إليه من بعيد - قول الحسن البصرى . ما رأيت حقا أشبه بباطل من الموت وقال البحتري .

ولم أرَ مثل الموتِ حَقًّا كأنه إذا ما تخطتُهُ الأمانِيُّ باطلُ
وقال زين العابدين أو جرير

زُرَاعُ إِذَا الْجَنَفُ أُرْزُوجَهُنَا وَنَلَهُو حِينَ تَفْدُو رَأْمَاتِ
كَرْوَعَةٍ مُثَلَّةٍ لِمَفَارِ ذِئْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ^(١)
وأخذه محمد بن وهب فقال .

زُرَاعُ لَذِكْرِ الْمَوْتِ سَاعَةَ ذِكْرِهِ وَتَعْتَرِضُ الدُّنْيَا فَنَلَهُو وَنَلَبُ
يَقِينُ كَانَ الشُّكُّ أَغْلَبَ أَمْرِهِ عَلَيْهِ وَعِرْفَانُ إِلَى الْجَهْلِ يُنْسَبُ

(١) التلثة . القطيع من الغنم .

صَلَاةُ اللَّهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمَكْفَنِ بِالْجَمَالِ (١)
عَلَى الْمَذْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْنًا وَقَبْلَ اللَّحْدِ فِي كَرَمِ الْخِلَالِ (٢)
فَإِنَّ لَهُ يَبْطُنُ الْأَرْضِ شَخْصًا جَدِيدًا ذِكْرُنَاهُ وَهُوَ بَالِي (٣)

(١٠)

(١١)

(١٢)

(١) صلاة الله : مغفرة ورحمة ؛ والحنوط : طيب يخلط للفصل اللب يدعو لها بأن تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للبيت ، وجمل وجهها مكفنا بالجمال ، كأن الجمال كفن لوجهها ، وفي ذلك إشارة إلى أن الموت لم يغير محاسنها ، وكأنه يقول : رحم الله وجهها الجميل ، قال ابن وكيع : وصفه أم الملك بالوجه الجميل غير مختار ، وهو من قول النخعي تَحِيَّاتٌ وَمَغْفِرَةٌ وَرَوْحٌ عَلَى تِلْكَ الْحَلَّةِ وَالْحُلُولِ

وعبارة ابن الأثير : رحمة الله ورضوانه حنوط هذه المرأة التي غيبتها الجمال كما غيبتها الكفن وسترها كما سترها القبر فكانت مستورة من أعين الناس .

(٢) على المدفون : بدل من قوله على الوجه — في البيت السابق — وذكر على إرادة الشخص ؛ وصونا : مفعول له ؛ واللحد : الشق في جانب القبر ، والخلال : الحصال يقول : إنها كانت مدفونة بالصون قبل أن تدفن في التراب ، وقبل أن تدفن في اللحد كانت مدفونة في كرم الخلال : أي أنها كانت محمية مستورة قبل أن تستر بالتراب ، وكان كرم خصالها يمنعها ويغنها عن كل مالا يليق قبل أن تحمل إلى اللحد .

(٣) ذكرناه . أي ذكرنا إياه ، فاعل جديدا . ووضع الضمير المتصل موضع الضمير المنفصل جائز ، ومثله قوله تعالى « أنزل مكوها » وأنشد سيويه وقد جعلت نفسي تَطِيبُ لِضْفَةٍ لِضْفَتَيْهَا يَفْرِعُ الْعَظْمُ نَابَهَا (١)

(١) الضغ : العض ما كان ، وقيل أن يملأ فمه بما أهوى إليه ، ومنه سمي الأسد ضيغا — بزيادة الياء — قال الشنتمري : وصف هذا الشاعر عضه أصابه بهارجلان فيقول . قد جعلت نفسي تطيب لإصابتها بمثل الشدة التي أصاباني بها ، وضرب الضغمة مثلاً ثم وصف الضغمة فقال يفرع العظم نابها فجعل لها ناباً على السعة ، والمعنى يصل الناب فيها إلى العظم فيقرعه . قال : واسم هذا الشاعر مغلس بن لقيط الأسدي والرجلان من قومه وهما مدرك ومرة وقبله :

سقيتكما قبل التفوق شربةً يَمُرُّ عَلَى بَاغِي الظَّالِمِ شَرَابَهَا
« وَالظَّالِمُ جَمْعُ ظَلَامَةٍ »

١٣	وَمَا أَحَدٌ يُخَلِّدُ فِي الْبَرَايَا	بَلِ الدُّنْيَا تَوَوَّلُ إِلَى زَوَالٍ
١٤	أَطَابَ النَّفْسَ أَنْكَ مَتَّ مَوْنَا	تَمَنَّتُهُ الْبَوَاقِ وَأَتْلُوَالِي ^(١)
١٥	وَزُلْتُ وَلَمْ تَرَى يَوْمًا كَرِيهَا	يُسْرُ الرُّوحُ فِيهِ بِالزَّوَالِ ^(٢)
١٦	رَوَاقُ الْعِزِّ حَوْلَكَ مُسْبِطٌ	وَمُلْكُ عَلِيٍّ أَبْنِكَ فِي كَالِ ^(٣)
١٧	سَقَى مَثْوَاكَ غَادٍ فِي الْعَوَادِي	نَظِيرُ نَوَالٍ كَفَّكَ فِي النَّوَالِ ^(٤)
١٨	لِسَاحِيهِ عَلَى الْأَجْدَاثِ حَفَشٌ	كَأَيْدِي أَتَخْلِيلِ أَبْعَرْتَ الْمَخَالِي ^(٥)

يقول : إن شخصه وإن كان يبلى في القبر إلا أن فكرنا إياه جديد باق أبداً لا يبلى : قال الحريري :

وإن تَكُ لِلْبَلَى أُمْسِيَتْ رَهْنًا فقد أبقيتَ نَجْدًا غَيْرَ بَالِي
(١) الخوَالى : الواضى . يقول : مت في العز والعفاف ، فموتك كان موتاً يتمنى مثله من بقى النساء ومن مضى منهن . وهذا يسلى النفس عنك إذ فرت بخيرى الدنيا والآخرة .
(٢) يقول : ومما يسلى النفس عنك أنك فارقتنا دون أن ترى يوماً كرها ينفذ لك عيشك ويحبب الموت إليك حتى يسر الروح بفراق البدن في مثل هذه الحال ، وهذا من قول بعضهم :

وَهَوْنٌ مِنْ وَجْدِي وَلَيْسَ بِهِيْنِ سَلَامَتُهَا بِالْمَوْتِ مِنْ جَرَعَةِ الشُّكْلِ
(٣) مسبطر : ممتد ؛ ويروى مستظل ومستطيل ، وقد أنكر الصاحب بن عباد لفظة مسبطر . قال : إن ذكرها في مرثية النساء من الخذلان للبين . والصاحب مولع بنقد التنبي وذمه بالحق وبالباطل ، وإلا فالكلمة لا غبار عليها ؛ وقال العروضى : سمعت أبا بكر الشعراني خادم للتنبي يقول : قدم علينا للتنبي وقرأنا عليه شعره فأنكر هذه اللفظة ، وقال مستظل ، قال العروضى : وإيما غيرها الصاحب وأنكرها عليه . يقول : مت وأنت في هذه الحال من العز المتطاوول والملك الكامل من ملك ابنك .

(٤) المثوى : المنزل يريد قبرها الذى أقامت به . والغادى : السحاب يغدو بالمطر ؛ والنوال : العطاء . يدعو لها بأن يسقى قبرها سحاب يفضل السحب فيضاً كما كان عطاء كفيها يفضل عطاء الألف سخاء ؛ وفيه إشارة إلى أنها كانت كثيرة العطاء .

(٥) الساحى : الذى يقشر الأرض بشدة انصبابه ؛ والأجداث : القبور ؛ والحفش : شدة الوقع ، ويقال حفشت السماء حفشاً : إذا جادت بالمطر ؛ وحفشت الأودية : سالت

أَسْأَلُ عَنْكَ بَعْدَكَ كُلَّ نَجْدٍ ، وَمَا عَهْدِي بِمَجْدٍ عَنْكَ خَالِي ^(١)
يَمُرُّ بِقَبْرِكَ الْعَافِي قَيْبِي ، وَيَشْغُلُهُ الْبُكَاءُ عَنِ الشُّعْوَالِ ^(٢)
وَمَا أَهْدَاكَ لِلْجَدْوَى عَلَيْهِ ، لَوْ أَنَّكَ تَقْدِيرِينَ عَلَى قَمَالِ ^(٣)

(١٩)

(٢٠)

(٢١)

والخالي : جمع مخلاة ، الوعاء الذي يجعل فيه التبن والشعير للدابة . بالغ في وصف المطر حيث جعله في إلحاحه على القبر بالقشر كأيدى الحيل إذا رأت مخالي الشعير فإنها تنشط وتحفر الأرض بقوائمها . قال الواحدى : وليس هذا من مختار الكلام ولا من المستحسن أن يسأل السقيا لقبر يحفر حفر أيدى الحيل . وقال ابن جنى : الغرض من الدعاء للقبور بالغيث : الإنبات وما يدعو الناس إلى الحلول والإقامة ، وهو مذهب العرب ؛ ألا ترى إلى قول النابغة :

ولا زال قبر بين بَصْرَى وَجَاسِمٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمَى سَحٌّ وَوَابِلٌ
فَيُنَبِّتُ حَوْذَانَا وَعَوْفًا مُنْوَرًا سَأْتِبِعُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلٌ ^(١)
وكلما اشتد المطر كان أجمل لنباته وأمرع له .

(١) يقول : لم أر مجدا خاليا منك أيام حياتك فأنا بعد وفاتك أسأل عنك كل مجد لأنك كنت صاحبه اللازمة له ، فأنا أطلبك منه كما يطلب الإنسان ممن طالت صحبته معه . وقوله خالى : إما جعلته نعتا لمجد — أى ليس لى عهد بمجد خال عنك — وإما جعلته حالا سادة مسد الخبر ، كما تقول : عهدى بك شجاعا ؛ وأسكنه للضرورة ، أو على لغة من يقول : رأيت قاضى

(٢) العافى : السائل وطالب المعروف . يقول : إذا مر بقبرها السائل ذكر ما كان يشمله منها فبكى وشغله ذلك البكاء عن أن يسألها كمادته ، قال البحرى :
فَلَمْ يَذَرِ رَسْمُ الدَّارِ كَيْفَ يُجَيِّنُنَا ، وَلَا نَحْنُ مِنْ فَرْطِ الْبُكَاءِ كَيْفَ نَسْأَلُ
(٣) ما — فى ما أهداك — تعجبية ؛ والجدوى : العطاء والإفضال ؛ والفعل : الفعل الحسن . يقول : ما أعرفك بالإفضال على العافى ! ولكن الموت حال بينك وبين العطاء ولولا ذلك لكنت تعطينه وإن لم يسأل كمادتك فى الحياة .

(١) الخوذان : نبت يرتفع قدر الذراع . له زهرة حمراء فى أصلها صفرة ، وورقته مدورة ؛ والحافر يسمن عليه ، وهو من نبات السهل ، حلو طيب الطعم ؛ والعوف : نبت طيب الريح .

بِعَيْشِكَ هَلْ سَلَوْتُ فَإِنْ قَلْبِي ، وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكَ غَيْرُ سَالِي (١)
 نَزَلْتُ عَلَى الْكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ بَعُدْتُ عَنِ النُّعَامِ وَالشَّمَالِ (٢)
 تُحَجِّبُ عَنْكَ رَائِحَةُ الْخَزَامِي ، وَتُمْنَعُ مِنْكَ أُنْدَاهُ الطَّلَالِ (٣)
 يَدَارُ كُلُّ سَاكِنِهَا غَرِيبٌ طَوِيلُ الْهَجْرِ مُنْبَتُ الْحِبَالِ (٤)
 حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ الزَّنِّ فِيهِ كَتَمْتُ السَّرَّ صَادِقَةً الْمَقَالِ (٥)
 يُعَلِّمُهَا نِطَاسِي الشُّكَايَا ، وَوَاحِدُهَا نِطَاسِي الْمَعَالِي (٦)

(١) قال الواحدى : يقسم عليها بحياتها ؛ يقول لها : هل سلوت عن حب النوال فإن قلبى وإن بعدت عنك غير سال عن نوالك ؟ وقال ابن جنى وآخرون : هذا مما وضعه فى غير موضعه ، ولا يجوز أن يرى بمثل هذا ، واللعن هل سلوت عن الحياة فإنى غير سال عن الحزن عليك ، أذكرك وإن كنت بعيدا عن أرضك ، وأندبك وإن كنت منتزعا عن موضعك .
 (٢) على : بمعنى مع ، وجملة بعدت الخ : نعت لمكان ؛ والعاقد محذوف أى بعدت فيه - والنعامى : ريح الجنوب ، سميت بذلك لأنها أبل الرياح وأرطبها وأنعمها ؛ والشمال : الريح التى تهب من ناحية القطب . يقول : نزلت - على كراهتنا لنزولك - فى مكان لا يصيبك فيه نسيم الرياح :

(٣) الخزامى : نبت طيب الريح ؛ والطلال : جمع طل . المطر الخفيف . يقول : وحببت عنك روائح الأزهار لا تصل إليك وكذلك ندى الأمطار . يشير إلى ما كان يحيط بها فى حياتها من الرياض والبساتين ، وإنما حرمت ذلك بعد وفاتها .

(٤) أراد بالدار : القبر ؛ ومنبت : منقطع ، ومن سكن القبر بعد عن أهله وعشيرته وطال هجره أيام ، وانقطع وصاله عنهم . فالمراد بالحبال : الشمل . وهذا ينظر إلى قول إبراهيم بن المهدي :

تَبْدُلُ دُرّاً غَيْرَ دَارِي وَجِيزَةً سِوَايَ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنْوُبُ

أَقَامَ بِهَا مَسْتَوِطَنَا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى طَوْلِ أَيَّامِ الْمَقَامِ غَرِيبُ

(٥) الحصان : العفيفة ؛ وحصان : مبتدأ ؛ وفيه : خبر ، والمزن : السحاب ، يقول فى هذا المكان امرأة عفيفة مثل ماء المزن فى النقاء والطهارة ، كاتمة للسرى ، صادقة فى القول :

(٦) يعلمها : أى يعالجها من علتها ؛ والنطاسى : الطبيب الخاذق . والشكاياء : واحد

إِذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً يَشْفِيهِ سَقَاهُ أُسْنَةً الْأَسْلَ الطَّوَالِ (١)
وَلَيْسَتْ كَالْإِنَاثِ وَلَا الْإَوَاتِي تُعَدُّ لَهَا الْقُبُورُ مِنَ الْحِمَامِ (٢)
وَلَا مَنْ فِي جَنَازَتِهَا تَجَارُّ يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النَّعَالِ (٣)
مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَ لَيْهَا حُفَاةً كَانَ الْمَرَوُ مِنْ زِفِّ الرَّثَالِ (٤)

(٤٨)

(٤٩)

(٣٠)

(٣١)

شكوى ، يريد الأمراض التي تشكى ، وأراد بواحد : ابنها سيف الدولة الذي هو واحد الناس ؛ والواو : للحال . يقول بعالجها قبل موتها ليزيل علتها طبيب الأمراض والحال أن ابنها طبيب المعالي : أي العالم بأدواء المعالي فيزيلها عنها حتى تصح معاليه فلا يدركها نقص أو عاب .

(١) الثغر : موضع الخفاة من فروج البلدان ؛ والأسل : الرماح . جعل انتقاض الثغر عليه بمنزلة الداء ، ولما استعار لذلك اسم الداء استعار السقي لنفي ذلك الداء عنه بالرماح لتجانس الكلام ؛ إذ يلاحظ أن الثغر يكون بمعنى الفم أيضاً ، فزاد الاستمارة بذلك حسناً . يقول . إذا ذكروا له انتقاض ثغر من ثغور المسلمين لعلبة الكفار نفاهم عنه بأسنة الرماح فعاد إلى الطاعة ؛ يعني : ولكنه مع ذلك لم يدفع عنك الموت لأنه لا دافع له ، والأصل في هذا المعنى قول ليلي الأخيلية :

إِذَا هَبَطَ الْحُجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْمُضَالِ الَّذِي بَهَا غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاهَا
وقال أبو تمام :

وقد نُكِّسَ الثَّغْرُ فَاثْبَثَ لَهُ صَدُورَ الْقَنَا فِي ابْتِفَاءِ الدَّوَاءِ

(٢) الحبال : جمع حبلية ، بيت صغير في جوف البيت يستر النساء . يقول : ليست كغيرها من النساء اللواتي يعدلن القبر ستراً لأنها كانت مصونة مستورة قبل أن تستر بالقبر .

(٣) الجنائزة — بالفتح والكسر — واحد ، وقيل بالفتح : النعش إذا كان الميت فيه ، وبالكسر : النعش وحده ؛ والتجار : جمع تجر — بالفتح — جمع تاجر ، مثل صحاب وصحب . يقول : ولم تكن من نساء السوق يتبع جنازتها تجار وباعة ينفضون النعال من التراب إذا انصرفوا عن القبر ، أي أنها كانت ملكة .

(٤) حولها : كحولها ، تقول حولك وحوليك وحوايك وحوايك : الجميع بمعنى واحد ؛

وَأُبْرَزَتْ الْخُدُورُ مُحَبَّاتٍ يَضَعْنَ النَّفْسَ أَمَكِنَةَ الْفَوَالِي (٣٥)
 أَتَنَّهُنَّ الْمَصِيبَةُ غَافِلَاتٍ قَدَمْعُ الْحَزَنِ فِي دَمْعِ الدَّلَالِ (٣٣)
 وَلَوْ كَانَ النَّسَاءُ كَمَنْ قَدَدْنَا لَفَضَّلَتِ النَّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ (٣٤)
 وَمَا التَّائِيْتُ لِاسْمِ الشُّمُسِ عَيْبُ (٣٥)
 وَلَا التَّذَكِيرُ فَخَرٌ لِلْمِلَالِ (٣٤)

واللرو : حجارة بيض براقه ؛ والزف : صغار الريش ؛ والرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعام . يقول : لشرفها وشرف ابنها شيعها الأمراء ومشوا حوالها حفاة يطأون الحجارة فلا يحسون غلظها لشدة الحزن كأنهم يطأون ريش النعام .

(١) النفس : الداد ؛ والفوالى : جمع الغالية ، أخلاط من الطيب يتضمخ بها . يقول خرجت لموتها نساء كن محبات في الخدور غير مباليات بالتستر وهن يسودن وجوههن بالمداد مكان الغالية التي كن يتطين بها حزنا للمصيبة بموتها ؛ ولعله يريد جوارى المربية ، وهذا منقول من قول بعضهم :

قَد كَانَتْ الْأَبْكَارُ بِيضًا فَاغْتَدَتْ سَوْدًا لِفَقْدِكَ أَوْجُهُ الْأَبْكَارِ
 وَهَتَكُنَّ أَسْتَارَ الْحَيَاءِ وَطَالَمَا شَتَرَتْ مُحَاسِنُهُنَّ بِالْأَسْتَارِ
 وَظَهَرْنَ لِلْأَبْصَارِ بَعْدَ تَسْتَرٍ بِالْحُجُبِ دُونَ لَوَاحِظِ الْأَبْصَارِ
 ومثله :

قَد كُنَّ يَحْبَانُ الْوُجُوهَ تَسْتَرًا فَلَانَ حِينَ بَدَوْنَ لِلنُّظَارِ

(٢) يقول : فجمن بفقدتها على حين غفلة . فيبناهن ييكن دلالا على سبيل الدعاية إذ يكن حزناً ، فاختلط الدمعان ، فهن يدين الدلال مع الحزن والدلة مع الحسن .

(٣) يقول : لو كان نساء العالم كهذه المربية في الكمال لفضلن على الرجال . يعني أن هذه المربية كانت أفضل من الرجال ، فلو أشبهها غيرها من النساء لكن مثلها في الفضل — أى فضلن على الرجال — قال ابن وكيع : وهذا ينظر إلى قول علي بن الجهم :

إِذَا مَا عُدَّ مِثْلُكُمْ رَجَالًا فَمَا فَضْلُ الرِّجَالِ عَلَى النَّسَاءِ

(٤) ما — هنا — تيمية ؛ ولك أن تجعلها حجازية فتصب «عيب» و«فخر» يقول :

وَأَفْجَعُ مَنْ قَدَدْنَا مِنْ وَجَدْنَا قُبِيلَ الْفَقْدِ مَقْوَدَ الْمِثَالِ (١)

يُدْفَنُ بِنَفْسِنَا بِنَفْسِنَا وَنَمْسِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي (٢)

وَكَمْ عَيْنٍ مُقْبِلَةِ النَّوَاحِي كَحِيلٍ بِالْجُنَادِلِ وَالرَّمَالِ (٣)

وَمَنْعُضٍ كَانَ لَا يُنْفِضِي لِحَطْبٍ ،

وَبَالَ كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْهَزَالِ (٤)

أَسِيفَ الدَّوْلَةِ أَسْتَنْجِدُ بِصَبْرِ ، وَكَيْفَ يَمِثِلُ صَبْرِكَ لِلْجِبَالِ (٥)

لم نزر بها الأنونة ، كما لا يزرى بالشمس تأنيث اسمها ، والذكرة لا تعد فضيلة في أحد كما لا يحصل للقمر نحر بتذكير اسمه :

والشمس ليس بضائر تأنيثها وتزيد بالنور المنير على القمر

(١) أفجع : مبتدأ ، خبره : مَنْ وَجَدْنَا ؛ ومفقود المثال : مفعول ثانٍ لوجدنا . يقول

أعد للمفقودين فجعة على الفاقدين من كان مفقود النظير في حال حياته ، فإن من وجد له نظير يتسلى عنه بوجود نظيره ، وبمن يتسلى عمن لا نظير له ؟

(٢) الهام ؛ الروس ؛ ويريد بالأوالى : الأوائل ، قلب ، وهو كثير في كلامهم .

يقول : ندفن أمواتنا ونمسي على رؤوسهم بعد الموت ؛ يعني لا نخلو من فقد ودفن ثم

لا نعتبر بمن ندفن ، بل ندوس عليهم غير معتبرين بهم ، والأصل في هذا المعنى قول النابغة :

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ أَنْ الْأَرْضَ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا بَالِي

(٣) النواحي : الجوانب ؛ وكحيل : بمنى مكحولة ، خبر «كم» يقول : كم عين كانت

تقبل إعزازا ولم كراما فصارت تحت الأرض مكحولة بالرمال والحجارة ؟

(٤) أغضى الرجل عينه : قارب بين جفنيها ؛ هذا أصل الإغضاء ، ثم استعمل في

الحلم ، فقيل أغضى على القذى : إذا أمسك عفواً عنه . والخطب : الأمر العظيم .

والهزال : النحول : يقول : وكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ أَغْضَى لِلْمَوْتِ وَكَانَ لَا يُنْفِضِي لِنُزُولِ خُطْبٍ

به ، وكَمْ مِنْ بَالٍ تَحْتَ التَّرَابِ وَكَانَ إِذَا رَأَى فِي جَسْمِهِ هَزَالًا يَشْتَغِلُ قَلْبُهُ بِهِ وَيُفَكِّرُ فِي

علاجة ، وهذا ينظر إلى قول البحترى يرثى غلامه قيصر :

وَأَصْفَحُ لِّلْبَلَى عَنْ ضَوْءِ وَجْهِ غَنِيَتْ يَرَوْعْنِي فِيهِ الشُّحُوبُ

(٥) يقول : استعن بالصبر على هذا الرزء الذي فجعت به ، فأنت أهل الصبر الثابت

على الأرزاء حتى لقيت الجبال في هذا وبودها أن تكون مثلك في نباتك .

قَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ التَّقْزِيَّ

وَحَوْضَ الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ السَّجَالِ^(١)

وَحَالَاتُ الزَّمَانِ عَلَيْكَ شَتَّى وَحَالُكَ وَاحِدٌ فِي كُلِّ حَالٍ^(٢)

فَلَا غِيَضَتْ بِحَارِكَ يَاجُومًا عَلَى عِلَلِ الْفَرَائِبِ وَالِدُّخَالِ^(٣)

رَأَيْتَكَ فِي الَّذِينَ أَرَى مُلُوكًا كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالٍ^(٤)

فَإِنْ تَفَقَّى الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ

فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْفَزَالِ^(٥)

* * *

(١) الحرب السجال : التي تكون مرة لك ومرة عليك . يقول : مثلك في غنى عن أن يصبر ويمزى ، فقد ألفت الخطوب وتمرت بشدائد الدهر وغمرات الحروب حتى تعودت الصبر وصرت تصبر الناس فصرت في غنى عن أن تصبر :

(٢) شتى جمع شتيت ، بمعنى متفرق . يقول : يتلون الزمان وتختلف حالاته عليك من الصفو والكدر ، ومع ذلك لا تتحول حالك من الصبر والكرم والحلم والرزانة ، فمالك لا تختلف وإن اختلفت أحوال الزمان ، كما قال الآخر :

لَا أُمْسِكُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَتْلِفُهُ وَلَا يُغَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ

(٣) غاض الماء : قل ونضب ؛ وغيض الماء : فعل به ذلك . والجموم : الذي يزداد ماؤه وقتا بعد وقت ؛ و«على» : بمعنى مع ؛ والظرف : في موضع الحال من فاعل ججوما والعلل : الشرب الثاني بعد النهل ؛ والفرائب : الإبل الغريبة التي ترد على الحوض وليست لأهل الحوض . والدخال : أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا ليزداد شربا . يقول : على طريق الدعاء - لا نقصت بحارك يا بحرآ كثير الماء وإن وردت عليه الإبل الغريبة وعلت منه . وهذا تمثيل ؛ يريد لا ينقض عطاؤك وإن كثرت العفاة والسائلون كما لا ينقص البحر الكثير الماء وإن كثرت وراده ، أو تقول : لا ينقطع صبره على توالي المحن وشدتها . يدعوله بذلك

(٤) المحال : الموج ، من قولهم حالت القوس والمصا ونحوهما : إذا اعوجت بعد استواء . أنت بين الملوك كاللستقيم بين الموج : أى أنك تفضاهم فضل اللستقيم على الموج . وقوله في الذين أرى ملوكا : أى في الذين أراهم ملوكا ؛ فلوكا : مفعوله ثان لأرى ؛ والمفعول الأول : الضمير المحذوف .

(٥) يقول : إن فضلت الناس وأنت واحد منهم فلا عجب ، فقد يفضل بعض الشيء

وقال يمدحه ويذكر استنفاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حذان العدوي من أسر
الخارجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة :

إِلَامَ طَمَاعِيَةِ الْمَاذِلِ ، وَلَا رَأَى فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ (١)

جملته ، كالمسك - وهو بعض دم الغزال - وقد فضله فضلا كثيراً . قال الواحدى :
قال أبو الحسن محمد بن أحمد العروف بالشاعر المغربي : كان سيف الدولة يسر بمن
يحفظ شعر المتنبي ، فأنشدته يوماً :

* رأيتك في الذين أرى ملوكا *

وكان أبو الطيب حاضرا فقلت هذا البيت والذي يتلوه لم يسبق إليه ؛ فقال سيف
الدولة : كذا حدثني الثقة أن أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت ، فأعجب المتنبي
واهتز ، فأردت أن أحركه ، فقلت إلا أن في أحدهما عيباً في الصنعة ، فالتفت المتنبي
الثقات حق فقال : ما هو ؟ فقلت قولك : مستقيم في محال ، والمحال ليس ضد الاستقامة ،
وإنما ضدّها الاعوجاج ؛ فقال الأمير : هب القصيدة جيمة ، فكيف تعمل في تغيير
قافية البيت الثاني ؟ فقلت عجلاً كرد الطرف :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن البَيْضُ بعضُ دم الدجاج
فضحك ، وضرب يده الأرض ، وقال : حسن مع هذه السرعة ، إلا أنه يصلح
أن يباع في سوق الطير ، لأنه مما لا يمدح به أمثالنا يا أبا الحسن .

(١) إلام : هي «إلى» الجارة ، و «ما» الاستفهامية ، وسقطت الألف من « ما »
طلباً للخفة وإعداداً يلى الجارة ، وكذلك يفعلون في : «م» و «فيم» ، و «عم» ،
و «علام» . و «حتام» . والماذل : اللأثم ؛ والواو - في «ولا رأى» حالية . و «الطماعية»
مصدر بمعنى الطمع ، كالسكراهية والعلانية . يقول إلى متى يطعم العاقل في أن أستمع
كلامه والحب يقع اضطراباً لا اختياراً ، والعاقل لا يقع في شرك الحب برأيه واختياره
فلا معنى للوم فيه لأن الحب مغلوب على أمره ؟ وهذا منقول من قول بعضهم :

وما من فتى في الناس يُحمَدُ عقله فيوجدُ إلا وهو في الحب أحمقُ

قال العكبري : وهذا البيت ظاهره أن معنى عجزه غير متعلق بمعنى صدره ، وأين
قوله في ظاهره : ولا رأى في الحب ، من قوله : إلام طماعية ؟ قال : وفي تعلقه به وجوه
أحدها يريد إلام يطعم عاذلي في إصغائي إلى قوله ، والعاقل إذا أحب ، لم يبق له مع
الحب رأى يصنى به إلى قول ناصح فنهذه غير مجد نفعا ؟ والثاني أن العاقل لا يرتضى في

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْتِي الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ ^(١)
وَأِنِّي لِأَعْشَقُ مِنْ عَشِقِكُمْ نُحُولِي وَكُلِّ أَمْرِيءِ نَاحِلِ ^(٢)
وَلَوْ زِلْتُمْ مُنْجِمٌ لَمْ أَبْكِكُمْ بَكَيتُ عَلَى حُبِّي الزَّائِلِ ^(٣)
أُيْنِكِرُ خَدْيَ دُمُوعِي وَقَدْ جَرَتْ مِنْهُ فِي مَسْلَكِ سَابِلِ ^(٤)

الحب فيقع فيه اختياراً ، وإنما يقع اضطراباً ، فلا معنى لعذله ، والثالث أن العاقل ليس من رآه أن يورط نفسه في الحب وإنما ذلك من فعل الجاهل ؛ وعذله الجاهل أضيع من سراج في الشمس ؛ وكيف يطمع في نزوعه ؟

(١) يقول : يريد العاذل من قلبي أن ينساكم ويسلو عنكم وأنا مطبوع على حبكم ، فكيف أنتقل عن شيء طبع عليه والطبع لا يقبل النقل ؟ وهذا كقول العباس بن الأحنف :

لَا تَحْسَبْنِي عَنْكُمْ مُقْصِراً إِنِّي عَلَى حُبِّكُمْ مَطْبُوعٌ

ويروى : ويأبى الطباع ، على أن الطباع مفرد ، بمعنى الطبع ، لا جمع طبع ، وجمعه طبع : ككتاب وكتب .

(٢) يقول : بلغ من عشقي لكم وحبي إياكم أني أحب نحولي فيكم لأن سببه حبكم ، وأحب كل ناحل من الناس في الحب لأنه يشبهني في أثر حبكم . قال ابن جني ، وفيه معنى قول أبي الشيص :

أَجِدُ اللَّامَةَ فِي هَوَاكَ لِذِيذَةٍ حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلَيْلُنِي اللَّوْمُ

وهو معنى قول الآخر :

أَحِبُّ لِحَبْلِهَا السُّودَانَ حَتَّى أَحِبُّ لِأَجْلِهَا سَوْدَ الْكَلَابِ

(٣) زلتكم : بعدتم . يقول ، ولو فارقتُموني ولم أبك على فراقكم سلوا عنكم لبكيت على ما زال من حبي إياكم ، يعني : أحبكم وأحب حبكم حتى لو ذهب عني الحب لبكيت على فراقه لا غنابطي بما ألاقه في هذا الحب . قال المنكبرى : وقوله ولو زلتكم وتعقبه في آخر البيت بالزائل : من أبواب البديع في الشعر .

(٤) المسلك السابل : الطريق الكثير المارة . يقول : كيف ينكر خدي ما يسيل عليه من الدموع وهو مسلك لها وهي تجري منه في طريق مذل قد جرت فيه كثيراً فهو يسكن من ذلك إلى حال قد عرفها وألفها ؟

أَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ ، وَأَوَّلُ حُزْنٍ عَلَى رَاحِلٍ ^(١)
 وَهَبْتُ السَّلْوَ لِمَنْ لَامَنِي ، وَبِثُّ مِنَ الشَّوْقِ فِي شَاغِلٍ ^(٢)
 كَانَ الْجُفُونَ عَلَى مُقْلَتِي ثِيَابٌ شُقِقْنَ عَلَى ثَاكِلٍ ^(٣)
 وَلَوْ كُنْتُ فِي أَسْرِ غَيْرِ أَلْهَوَى
 ضَمِنْتُ ضَمَانَ أَبِي وَائِلٍ ^(٤)
 فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النَّضَارِ وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الدَّابِلِ ^(٥)

(١) يقول : ليس دمعى الآن باول دمع جرى فوق خدى ، وليس حزنى على هذا الفراق بأول حزن على مفارق . يعنى أنه قديم العشق قد بكى كثيرا وحزن على فراق الأحبة .

(٢) يقول : تركت السلو لمن يلومنى على الوجد ، فهو حظه - لا حظى - إذ لى من الشوق شغل شاغل عن السلو واستماع لوم اللأم .

(٣) الثاكل : التى فقدت ولدها . يقول : تباعد ما بين جفونى سهرا فليست تلتقى النوم ، فكأنها ثياب ثاكل شقت . يعنى : إنى فقدتهم وفقدت النوم بعدهم ، فكأن جفونى شقت لفقدهم كما تشق الثاكل ثوبها من الحزن ، وهذا كقوله الآتى :
 قَدْ عَلمَ الْبَيْنُ مِنْهُ الْبَيْنُ أَجْفَانًا

قال العكبرى : شبه مقليته فى حزنهما بتلك الثاكل فى وجدها ، وتبعد السهر لما بين جفونهما بتشقيق الثاكل الثياب حدادا ، وهذا مما شبه فيه شيثان بشيئين ، وهو من أرفع وجوه البديع . وأخذ المهلبى الوزير هذا المعنى فقال :

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ لِمَا صَرَمَنِي فَمَا تَلْتَقَى إِلَّا عَلَى عِبَرَةٍ تَجْرِي

(٤) أبو وائل : هو ابن عم سيف الدولة ، وقد خرج إلى وصفه أحسن خروج . يقول : لو كان الذى أسرنى شيثا غير الحب لخرجت من أسره بحيلة وضمان كما فعل أبو وائل ، إذ ضمن للخارجى الذى أسره مالا حتى خرج من أساره ، وقد بين ذلك فيما لى .

(٥) النضار : الذهب ؛ والقنا الدابل : الرماح ، والرمح يوصف بالذبول لقينه . يقول : ضمن لهم الذهب ثم أعطى بدل الذهب صدور الرماح ، وذلك أن سيف الدولة استنقذه من أيديهم بغير فداء ، إذ أتى الخارجى بجيشه وقتله وأخذ أبا وائل .

وَمَنَّا مُ الْخَيْلَ مَجْنُوبَةً فَجِئْنَا بِكُلِّ فِتْنٍ بِأَسْلٍ^(١)
كَانَ خَلَّاصَ أَبِي وَائِلٍ مُّأْوَدَةُ الْقَمَرِ الْآفِلِ^(٢)
دَعَا فَسَمِعَتْ وَكَمْ سَاكِتٍ عَلَى الْبُعْدِ عِنْدَكَ كَالْقَائِلِ^(٣)
فَلَبَّيْتُهُ بِكَ فِي جَحْفَلٍ لَهُ ضَامِنٍ وَبِهِ كَافِلِ^(٤)
خَرَجْنَا مِنَ النَّعْجِ فِي عَارِضٍ وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ فِي وَائِلِ^(٥)
فَلَمَّا نَشَفْنَا لَقَيْنَا السَّيَّاطَ
بِمَثَلِ صَفَا الْبَلَدِ الْمَاحِلِ^(٦)

(١) مناه الشيء : جعله أمنيّة له ؛ والأمنيّة : ما يتمنى . والمجنوبة : الخيل التي لا تركب وإنما تجنب للحاجة إليها . والباسل : الشجاع . يقول : أعطاهم مناهم فوعدهم أن تقاد إليهم الخيل في فداائه ، فجاءت الخيل ولكن تحمل الفرسان لمحاربتهم .

(٢) أفل القمر : غاب . يقول : كنا بعد أسره كأننا في ظلمة ، فلما عاد إلينا كان كماودة القمر بعد أفوله .

(٣) يخاطب سيف الدولة . يقول : دعاك لا استنقاذه فأجبتّه ، ولو سكت لما قدمت عنه ولما غفلت ، فكَمْ سَاكِتٍ وهو بعيد عنك لم تغفل عنه حقّ كأنه قائل يسألك حاجة؟ وبعبارة أخرى : دعاك على بعد محله فأجبتّه على انتزاع مستقره ، ورب سَاكِتٍ لبعده عنك ، كالمخاطب لك ، لما يوجهه كرمك من اهتمامك بشأنه ، واعتنائك بأمره .

(٤) بك : أى بنفسك : والجحفل : الجيش . يقول : فجعلت إجابته أن أتيتّه بنفسك في جيش عظيم ضمن له استنقاذه وكفل برده إلى مكانه .

(٥) النعج : الغبار ؛ والعارض : السحاب ؛ والوايل : المطر الكثير ؛ وخرجنا : أى الخيل . يقول : خرجت الخيل للحرب فكانت من الغبار في سحاب ومن العرق في مطر .

(٦) الصفا : الصخر . والماحل : الذى لم يطر . يقول : لما نشفت الخيل من العرق تلقت السيّاط من أعجازها بمثل الصخر الذى لا ندوة به ، يعنى أنها لم تسترخ ولم تفتفك لما لحقها من التعب ، وإنما كانت صلبة تضرب بالسيّاط فتقع من جلودها على مثل صخر البلد الماحل .

شَفَنَ يَحْمَسِي إِلَى مَنْ طَلَبَنَ قُبَيْلَ الشُّفُونِ إِلَى نَازِلٍ^(١)
فَدَانَتْ مَرَّافِقُهُنَّ الثَّرَى عَلَى ثِقَةٍ بِالدَّمِ الْفَاسِلِ^(٢)
وَمَا بَيْنَ كَاذَيِ الْمُسْتَفِيرِ كَمَا بَيْنَ كَاذَيِ الْبَائِلِ^(٣)

(١) يقال شفت الرجل : إذا نظرت إليه بمؤخر عينك ، أو نظرا في إعراض ،
وأنشد الجوهري للقطامي :

يُسَارِقُنَ الْكَلَامَ إِلَى لَمَّا حَسِسَنَ حِذَارَ مُرْتَقِبٍ شَفُونٍ
قال : وهو الفيور .. والمراد هنا : النظر . يقول : نظرت الخيل إلى أبي وائل -
الذي كانت جادة في طلبه - قبل النظر إلى نازل عن ظهورها ، يعنى أن فرسان هذه
الخيول لم يزلوا عن ظهورها خمس ليال حتى بلغوا أبا وائل في ركضة واحدة وأوقفوا
بالقوم الذين أسروه .

(٢) دانت : فاعلت . من الدنو : أى قاربت . والثرى : التراب ؛ يقول فساخت
قوائمها في التراب إلى مراقبتها ثقة بأن الدم الذى سيفسكه فرسانها سيفسلها ويزيل
عنها ذلك التراب ، ويروى بدل الثرى : البرى ، وهو التراب قال مدرك بن حصن الأسدي
مَاذَا ابْتَفْتُ حُبِّي إِلَى حَلِّ الْعُرَى حَسِبْتَنِي قَدْ جِئْتُ مِنْ وَادِي الْقُرَى

بِفَيْكِ مِنْ سَارٍ إِلَى الْقَوْمِ الْبَرَى^(١)

والبرية منه لأنهم من التراب ، فهو على هذا غير مهموز ، تقول براه الله يروه برواً
أى خلقه ؛ وقيل : البرية الخلق ، وأصله الهمز ، يقال براه الله .

(٣) الكاذة : لحم الفخذ ؛ والمستفير : الذى يطلب الغارة . والبائل : الذى
يتفجع - يواعد ما بين رجليه - ليول . يقول : إن هذه الخيل للمستفيرة على هؤلاء
الحوارج كانت لشدة العدو - الجرى - تفجع كما يتفجع البائل لثلا يصيه البول . ويجوز
أن يريد - كما قال الواحدى - أنها تعرق في عدوها حتى يسيل العرق بين أرجلها
كأنها تبول .

(١) يقال في الدعاء على الإنسان بفيه البرى ، كما يقال بفيه التراب ؛ ومن دعائهم .
بفيه البرى ، وحى خيرا ، وشر ما يرى ، فإنه خيسرا

فَلَقَيْنِ كُلَّ رُدَيْنِيَّةٍ وَمَصْبُوجَةٍ لَيْنَ الشَّائِلِ (١)
وَجَيْشَ إِمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ صَحِيحِ الْإِمَامَةِ فِي الْبَاطِلِ (٢)
فَأَقْبَلْنَ يَنْحَزْنَ قُدَّامَهُ نَوَافِرَ كَالنَّحْلِ وَالْعَاسِلِ (٣)
فَلَمَّا بَدَوْتَ لِأَصْحَابِهِ رَأَتْ أَسْذَاهَا آكِلَ الْآكِلِ (٤)

(١) الردينية : الرماح ، تنسب إلى ردينة ، امرأة كانت تقوم الرماح . والمصبوحة : الفرس التي تسقى اللبن صباحاً لكرامتها على أهلها ؛ والشائل : يريد بها الشائلة ، خذف الماء ، وهي الناقة التي قل لبنها وخف ومرؤ ونجم في شاربها ، ولا يسقاه إلا كرائم الخيل ؛ قال ابن القطاع . خذف الماء لإقامة الوزن ، والشائلة . التي مر عليها من وقت نتاجها سبعة أشهر خفف لبنها ، وجمعها شول ، والشائل - بلاهاء - التي تشول بذنبها ولا لبن لها ، وجمعها شول : كرا كع وركع . . قال ابن جني . سألت المتنبي عن قوله الشائل وقلت له الشائل لا لبن لها ، وإنما التي لها بقية من لبن يقال لها الشائلة بلاهاء ، فقال أردت الماء وحذفتها ، كقول كثير .

لَعَمْرِي لَيْنُ أُمِّ الْحَكِيمِ تَرَحَّلْتُ وَأَخْلَتْ نَحِيَّاتِ الْعُذَيْبِ ظِلَالَهَا
أراد العذبية ، خذف الماء . يقول المتنبي : إن خيل سيف الدولة استقبلت من الخارجي بالرماح الردينية وبالحيل التي تسقى لبن النياق صباحاً لكرمها .

(٢) وجيش : عطف على كل - في البيت السابق - والمراد بالإمام : الخارجي . يقول : ولقيت هذه الخيل جيش إمام في قومه صحيح الإمامة عليهم ، إذ سلموا له الإمامة ولكنه إمام المبطلين . . . وإنما لكلمة بارعة قوله صحيح الإمامة في الباطل . وقال ابن جني : معناها قد صح أن إمامته باطلة لاشك في ذلك . والتفسير الأول أوجه .

(٣) ينحزن : من الانحياز ، وهو كالانهزام ، الانضمام إلى جانب . والعاسل : الذي يجنى العسل من خلايا النحل . قال شارحو الديوان جميعاً . أى أقبلت خيل الخارجي تنفر وتهرب من جيش سيف الدولة نفور النحل من العاسل . وقال اليازجي . أى إن خيل المدوح انحازت أمام هذا الجيش ونفرت منه كما ينفر النحل من العاسل . يشير إلى كثرة هذا الجيش وما ألقاه من الهول على جيش سيف الدولة ، وهو الأظهر والأوجه .

(٤) يقول ، فلما ظهرت لأصحاب الخارجي رأى شجعانهم منك شجاعاً يأكلهم ويفنيهم ، يعني كنت أشجع منهم وإن كانوا معجلاً

بِضَرْبِ يَمُومٍ جَارٍ لَهُ فِيهِمْ قِسْمَةُ الْعَادِلِ (١)
وَطَمَنٍ يُجَمِّعُ شَذَانَهُمْ كَمَا اجْتَمَعَتْ دِرَّةُ الْحَافِلِ (٢)
إِذَا مَا نَظَرْتَ إِلَى فَارِسٍ تَحَيَّرَ عَنْ مَذْهَبِ الرَّاجِلِ (٣)
فَظَلَّ يُخَضَّبُ مِنْهَا اللَّحَى فَتَى لَا يُعِيدُ عَلَى النَّاصِلِ (٤)
وَلَا يَسْتَفِيثُ إِلَى نَاصِرٍ وَلَا يَتَضَعُّعُ مِنْ خَاذِلِ (٥)
وَلَا يَزِعُ الطَّرْفَ عَنْ مُقَدِّمٍ وَلَا يَرْجِعُ الطَّرْفَ عَنْ هَائِلِ (٦)

(١) يقول : إن أكلك إيام كان بضرب أتى عليهم جميعاً ، وأنت وإن بالغت في الضرب وأسرفت إسراف الجائر - الظالم - إلا أنك قسمت الضرب بينهم قسمة العادل ؛ إذ لم ينفلت منهم أحد ، وهو معنى بديع . وقال ابن جني : هذا الضرب وإن كان لإفراطه جوراً فهو في الحقيقة عدل لأن قتل مثلهم عدل وقربة إلى الله ؛ وفي معناه لحبيب :
أَنْ لَسْتَ نِعَمَ الْجَارِ لِلْسُّنَنِ الْأَلَى إِلَّا إِذَا مَا كُنْتَ بَشْسَ الْجَارِ (١)

(٢) الشذان : للفرقون ؛ والدرة : اللبّ إذا كثرت وسال ؛ والحافل : التي حفلت بضرعها ؛ أي امتلأ باللبّ . يقول : إن هذا الضرب لم يتخلص منه شاذ ولا نافر ، بل اجتمعوا فيه اجتماع اللبّ في الضرع ، وبعبارة : جمع متفرقهم بشدته وحصرهم بمخافته ، كجمع الضرع لدرته .

(٣) يقول : إذا نظرت إلى الفارس - وهو أقدر على الفرار من الراجل - تحيرت فزعاً منك وهيبة فلم يقدر على الهرب منك ، وأن يذهب ولو ذهاب الواحد من الرجالة .
(٤) الناصل : الذي ذهب خضابه . يقول : فظل سيف الدولة يخضب من الأعداء الحام بدمائهم ، غير أنه لا يعيد الخضاب على من نصل خضابه فذهب يعني أنه إذا ضرب إنساناً بسيفه لم يبق فيه ما يحتاج إلى إعادة الضربة .

(٥) يقول : إنه مستغن بقوته عن نصره فلا يستنصر أحداً مستغنياً إليه ولا يجمع ولا يستكين من خذلان من يخذله ، لأنه من نفسه الكبيرة في جيش .

(٦) يزع : يكف ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والمقدم : مصدر ، أو اسم مكان ؛ أي عن إقدام أو عن محل إقدام ؛ والطرف : النظر . والهائل الأمر العظيم الخفيف .

(١) بئس الجار : يريد للكفار .

إِذَا طَلَبَ التَّبَلَّ لَمْ يَشَأْ^(١) وَإِنْ كَانَ دَيْنًا عَلَى مَا طَلَّ^(٢)
 خُذُوا مَا أَتَاكُمْ بِهِ وَأَعْذِرُوا فَإِنَّ الْغَنِيَّةَ فِي الْعَاجِلِ^(٣)
 وَإِنْ كَانَ أَغْجَبَكُمْ عَامُكُمْ فَعُودُوا إِلَى حِصَصٍ مِنْ قَابِلِ^(٤)
 فَإِنَّ الْحُسَامَ الْخَضِيبَ الَّذِي قُتِلْتُمْ بِهِ فِي يَدِ الْقَاتِلِ^(٥)
 يَجُودُ بِمِثْلِ الَّذِي رُمْتُمْ فَلَمْ تَذَرِكُوهُ عَلَى السَّائِلِ^(٦)
 أَمَامَ الْكِتْيَبَةِ تَزْهَى بِهِ مَكَانَ السَّنَانِ مِنَ الْعَامِلِ^(٧)

يقول : ولا يكبح فرسه عن إقدام أو عن شيء يقدم عليه ؛ أى لا يخاف شيئاً ولا يخشى أحداً فيرتد ويرجع ، ولا يهوله شيء فيرد طرفه - نظره - عنه .

(١) التبل : الثأر ؛ و«لم يشأ» : لم يسبقه : يقول : إذا طلب ترة - ثأراً - لم تفته وإن كانت ممتنة صعبة الحصول كالدين عند الماثل ؛ وإن طال العهد .

(٢) يستهزئ بهم . يقول : اعذروه فيما أتاكم به من ضمان أبى وائل وخذوه فإن الغنم فيما عجل لكم ، وما تأجل وتأخر لعله لا يصل إليكم . . . والذي أتاكم به هو الوقعة بهم .

(٣) حصص : كانت موضع الواقعة ، ومن قابل : أى العام القابل . يقول : إن كان قد حصل لكم مرادكم في عامكم هذا من قصد حصص فعودوا في السنة التالية ليعود إليكم القتال . . .

(٤) الحسام : السيف القاطع . والخضيب : الخضوب . يقول : فإن السيف الذى خضب بدمائكم وقتلتم به لا يزال فى يد من قتلكم به ، ففى عدتم لقيتم فى المرة الثانية كما لقيتم فى الأولى .

(٥) على السائل : متعلق ب«يجود» : يقول : هو جواد يجود على سائله بمثل الذى طلبتموه من الضمان فلم تتركوه لأنكم طلبتموه لاعن طريق السؤال فكان منه لكم ما كان .

(٦) الكتيبة : الجماعة من الجيش ؛ والظرف : حال عن الضمير المستكن فى الخبر بعد - وهو قوله : مكان السنان ، فإنه خبر عن محذوف ، هو ضمير المدح - وتزهى : تفتخر ؛ والجملة : حال من الكتيبة ؛ والعامل : صدر الرمح . يقول : هو من عساكره

وَإِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ آمِلٍ قِتَالًا بِكُمْ عَلَى بَازِلٍ ^(١)
 أَقَالَ لَهُ اللَّهُ لَا تَلْقَهُمْ بِمَاضٍ عَلَى فَرَسٍ حَائِلٍ ^(٢)
 إِذَا مَا ضَرَبْتَ بِهِ هَامَةً بَرَاهَا وَغَنَّاكَ فِي الْكَاهِلِ ^(٣)
 وَلَيْسَ بِأَوَّلِ ذِي هَمَّةٍ دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ ^(٤)
 بِشُمُرٍ لُلَّجَّ عَنْ سَاقِهِ وَيَقْمَرُهُ الْمَوْجُ فِي السَّاحِلِ ^(٥)

الذين يفتخرون به بمكان السنان من عامل الرمح ، فهو يتقدمهم كما يتقوم السنان الرمح ، وهو الطاعن ، وهم بدونه لا يغنون شيئاً .

(١) البازل من الإبل : الذي قد فطرنا به وظهر في السنة التاسعة ، وجمل بازل وناقة بازل ، بلفظ واحد : وكان الخارجى قد ركب ناقة ، وهو يشير بكفه بحث أصحابه على القتال ، فهو يقول . إني لأعجب ممن يؤمل ظفراً بتحريك كم وركوب ناقة !

(٢) بماض : أى بسيف ماض : أى قاطع ؛ والحائل من الحيل : الذى لم تحمل ، وإذا حالت الفرس فهو أشد لها . يقول : هل أوحى الله سبحانه إليه أن لاتلقى جيش سيف الدولة بسيف على فرس ؟ وقد كان هذا الخارجى يدعى النبوة ويقول : لا آتى إلا ما أمرنى الله به . فقال المتنبي : آله أمره أن لا يأخذ للحرب عدتها ؟

(٣) الهامة : الرأس . وبراهها : قطعها . والكاهل : أعلى مجتمع الكتفين يقول : هل قال الله له لاتلقهم بسيف إذا ضربت به رأساً قطعه ووصل إلى عظم الكاهل حتى يسمع صوته من قطعه ؟ وجمل ذلك الصوت كالغناء منه كما قال أبو نواس :

إِذَا قَامَ غَنَّتْهُ عَلَى السَّاقِ حَلِيَّةٌ لَهَا خَطْبُوهُ وَسَطُ الْغِنَاءِ قَصِيرٌ

« يعنى بالحلية : القيد » فنقل المتنبي وصف القيد إلى السيف .

(٤) يقول : ليس الخارجى بأول من دعتهمته إلى مالائنه ؛ وكان هذا الخارجى يطمع في الخلافة والملك .

(٥) اللج : معظم الماء ؛ والبيت مثل . يقول إن هذا الخارجى فيما يعالجه من مقاومة جيوش سيف الدولة وعجزه عن أقلها ؛ أو أنه فى ادعائه النبوة وطعمه بها فى الخلافة ثم عجزه عن سيف الدولة - وهو أحد أمراء الإسلام - كمن يريد أن يقتحم لجة البحر والوج يقمره فى ساحله ؛ يعنى أنه يتعرض للصعب الكبير وهو يعجز عن السهل الصغير .

أَمَّا لِلْخِلَافَةِ مِنْ مُشْنِقٍ عَلَى سَيْفٍ دَوَّلَتِهَا الْفَاصِلُ^(١)
يَقْدُ عِدَاهَا بِلَا ضَارِبٍ وَيَسْرِي إِلَيْهِمْ بِلَا حَامِلٍ^(٢)
تَرَكَتْ جَمَاجِمَهُمْ فِي النَّقَا وَمَا يَتَخَلَّضْنَ لِلنَّاحِلِ^(٣)
فَأَنْبَتَ مِنْهُمْ رَيْمَعُ السَّبَاعِ فَأَنْتَ بِإِحْسَانِكَ الشَّائِلِ^(٤)
وَعُدَّتْ إِلَى حَلَبٍ ظَافِرًا كَعَمُودِ الْحُلِيِّ إِلَى الْعَاطِلِ^(٥)
وَمِثْلُ الَّذِي دُشِنَتْ حَافِيَا يُؤَثَّرُ فِي قَدَمِ النَّاعِلِ^(٦)

(١) الفاصل : القاطع ، و يروى : الفاضل ، يقول أما أحد يشفق على سيف دولة الخلافة ويبقى عليه ويحول بينه وبين كثرة الحروب خشية أن يصيبه سوء فتبقى الخلافة ولا سيف لها ؟

(٢) هذا بيان لسبب وجوب الإشفاق عليه . يقول : هو سيف لهذه الدولة لكنه يقطع الأعداء من غير أن يضرب به ويسرى إليهم غير محمول ؛ يعنى إذا افتقر السيف إلى من يضرب به كان هو منفرداً بفعله ، وإذا التجأ إلى من يحمله كان مكتفياً بنفسه ؛ والمعنى أنه المستقل بالحماية عن الخلافة الناهض بنصرتها بنفسه .

(٣) النقا : الكتيب من الرمل . يقول : دست رءوس أصحاب الخارجى بمخوافر الخيل فطاحتها وامتزجت بالرمل حتى لو نخل الرمل لم يتخلص من رؤوسهم شيء .

(٤) يقول : تركتهم جزراً للسباع فأخصبت بكثرة القتلى ، فكأنك أنبت لها ريعاً بما وسعت عليها من لحومهم ؛ فلو قدرت السباع لأنفت عليك بما شملتها من إحسانك

(٥) الحلى : جمع حلى ، ما يزين به ؛ والعاطل : الذى لا حلى عليها . يقول : وانصرفت إلى دار ملكك — حلب — بعد الظفر بأعدائك كما تعود الحلى إلى من لا حلى لها ، أى أن زينة حلب بك .

(٦) الناعل : ذو النعل ، كما أن الدارع ذو الدرع ، وفى المثل : أطرى إنك ناعلة^(١) يقول : إن مافلتته وأنت غير متأهب له يعجز عنه المتأهب ؛ جعل الخافى مثلاً لمن لم يتأهب والناعل مثلاً للمتأهب .

(١) قال أهل اللغة : هذا المثل يقال فى جلادة الرجل ، ومعناه اركب الأمر الشديد فإنك قوى عليه ؛ وأصل هذا : أن رجلاً قاله لراعية له وكانت ترعى فى السهولة وتترك الحزونة ، فقال لها : أطرى — أى خذى فى أطرار الوادى — وهى نواحيه — فإنك ذات نعلين . قال الجوهري : وأحسبه عنى بالنعلين : غلظ جلد قدمها .

وَكَمْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ شَائِعٍ لَهُ شَيْءُ الْأَبْلَقِ الْجَائِلِ ^(١)
 وَيَوْمَ شَرَابُ بَيْتِهِ الرَّدَى بَغِيضُ الْخُضُورِ إِلَى الْوَاغِلِ ^(٢)
 تَفَكُّ الْعَنَاءَ وَتُغْنِي الْعُفَاةَ وَتَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِ الْجَاهِلِ ^(٣)
 فَهَنَّاكَ النَّصْرَ مُعْطِيكَهُ وَأَرْضَاهُ سَقِيكَ فِي الْآجِلِ ^(٤)
 فَذِي الدَّارِ أَخُونُ مِنْ مُوسَى وَأَخْذَعُ مِنْ كِفَّةِ الْخَالِلِ ^(٥)

(١) الشية : لون يخالف بقية لون الجلد ؛ والأبلى : الذى فيه سواد وبياض ؛ والجائل الذى يجول بين الصفتين . يقول : كم لك من خبر انتصار وظفر شاع واشتهر اشتهاى الغية فى الفرس الأبلق حين يجول بين الخيل .

(٢) الواغل : الداخلى على القوم فى شراهم من غير أن يدعى ، أما الذى يدخل على القوم فى طعامهم فهو الوارش . يقول : وكم لك من يوم حمى فيه الوطيس وتعاطى بنوه كؤوس المنية فأبغض الواغل حضور مثله ، وتكره المشاركة فى ذلك الشراب ، وهذه استعارة جميلة .

(٣) العناة : جمع عان ، الأسير ؛ والعفاة : جمع عاف ، السائل . يقول : ديدنك فك الأسرى ، وإغناء السائلين . والعفو عن المذنبين .

(٤) معطيكه : معطيك إياه ، والآجل : ما قابل العاجل . والآجل فى غير هذا الموضع : من قولهم أجل عليهم شرا يأجله أجلا : خباء وهيجه ؛ قال توبة ابن مضر العيسى :

وَأَهْلَ خِيَاءٍ آمَنِينَ لِحَقَّتْهُمْ بِشَىْءٍ عَزِيزٍ عَاجِلٍ أَنَا آجِلُهُ

وَأَقْبَلْتُ أَسْمَى أَسْأَلَ الْقَوْمَ مَا لَهُمْ سُؤَالُكَ بِالشَّيْءِ الَّذِى أَنْتَ جَاهِلُهُ

د أنا آجله : أى جانيه ؛ وقد كان مريضاً يتضاربون ، فاستغاه بعضهم على بعض ، فضرب صيباً منهم فمات ، ثم جاء إلى أهل المقتول يسألهم عن الخبر كأنه جاهل به ، يدعو المتنبي له بأن الله الذى أعطاه النصر على الأعداء يجعله هنيئاً له وأن يرضى عنه فى الآخرة بسعيه .
 (٥) المومس والمومسة : الفاجرة . والكفة : الحباله ، أى الشرك ؛ والخالل : الصائد ذو الحباله . يقول : إن هذه الدنيا خوانة لأصحابها كالومس لا تقيم على خليل ، وهى أخدع من حباله الصائد التى تصرع من اطمأن إليها .

تَفَانَى الرَّجَالُ عَلَى حُبِّهَا وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلٍ ^(١)

وسار سيف الدولة إلى الموصل لنصرة أخيه ناصر الدولة ، لما قصده معز الدولة الديلمي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فقال أبو الطيب :

أَعْلَى الْمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسْلِ وَالطُّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّينَ كَالْقَبْلِ ^(٢)
وَمَا تَقَرُّ سَيْوْفٌ فِي تَمَالِكِهَا حَتَّى تُثْقَلَ دَهْرًا قَبْلُ فِي الْقَلْلِ ^(٣)
مِثْلُ الْأَمِيرِ بَنَى أَمْرًا فَقَرَّبَهُ

طُولُ الرِّمَاحِ وَأَيْدِي الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ ^(٤)

(١) الطائل : كل شيء يرغب فيه أو مافيه غناء . يقول : تفانى الناس في التشاح على الدنيا ولم يحصلوا على شيء ، لأنها تأخذ ما تعطى ، وتهدم ما تبني وتعر بعد حلاوتها ، وتعوج بعد استقامتها ، قبضها الله وقبح من تهالك عليها .

(٢) الأسل : الرماح . يقول : أعلى الممالك رتبة ما أخذ اقتسارا وغلابا ، لا ما جاء عفوا ، ومن أحب الممالك كان الطعن عنده كالقبول : أي يستلذ الطعن استلذاذ القبول وعجز البيت من قول أبي تمام :

يَسْتَعْذِبُونَ مِنْ أَيَّامِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَبْأُسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا
والذي يؤخذ من كلام العكبري أن الضمير في محبين للطعن — على أنه جمع طعنة وإلا لقال عند محبيه ؛ والأظهر عوده إلى المالك — جمع مملكة — سلطان الملك في رعيته .

(٣) تثقل : تحرك حركة عنيفة ؛ والقيل : جمع قلة ، أعلى الرأس ؛ من قلة الجبل يقول : لا تستقر السيوف في الممالك حتى تتحرك زمانا في رهوس الأعداء ، يريد لا يثبت لك الملك حتى تقطع رهوس المعادين لك . قال العكبري : وأشار بذلك إلى انصرف الديلمي عن الموصل بغير حرب هية لسيف الدولة ، قال : وفيه نظر إلى قول حبيب :

سَأَجْهَدُ عَزْمِي وَالْمَطَايَا فَإِنِّي أَرَى الْعَفُولَا يُتِمَّاحُ إِلَّا مِنَ الْجَهْدِ

ونصب دهرًا على الظرفية ورفع قبل لأنه لما قطع عن الإضافة بناء على الضم .

(٤) يقول : مثلك إذا حاول أمرا بعيد النال قربته عليه الرماح وأيدي الخيل والمطايا يعني أنه لا يتعذر عليه أمر طلبه لأنه يتمكن منه بماله من العدة والاعتزام الذي ذكره في البيت التالي .

وَعَزْمَةٌ بَعَثَتْهَا هِمَّةٌ زُحَلٌ

مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانٍ التَّرْبِ مِنْ زُحَلٍ ^(١)
 عَلَى الْفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِي حَلَبٍ تَوْحُشٌ لِمَلَقَى النَّصْرِ مُقْتَبِلٌ ^(٢)
 تَتْلُو أَسِنَّتُهُ الْكُتُبَ الَّتِي نَفَذَتْ وَيَجْعَلُ الْخَيْلَ أَبْدَالًا مِنَ الرُّسُلِ ^(٣)
 يَلْقَى الْمُلُوكَ فَلَا يَلْقَى سِوَى جَزَرٍ وَمَا أَهْذُوا فَلَا يَلْقَى سِوَى نَقْلِ ^(٤)
 صَانِ الْحَلِيفَةِ بِالْأَبْطَالِ مُهْجَتُهُ صِيَانَةُ الذِّكْرِ الْهِنْدِيِّ بِالْخِلَلِ ^(٥)

(١) عزمة : عطف على طول الرماح ؛ وزحل : مبتدأ ؛ خبره : بمكان التراب ؛
 والجملة : نعت همة . يقول : وقربها عليه عزمة حركتها تملو على زحل - الكوكب
 المعروف - بقدر علو زحل عن التراب .

(٢) الأعاصير : جمع إعصار ، الريح تلتف بالغبار وتعلو مستطيلة ؛ والتوحش :
 بمعنى الوحشة . ويريد يلقى النصر : سيف الدولة ؛ أى يلقى النصر حيثما قصد : أى
 يستقبل به : ومقتبل : قال الواحدى : أى حسن تقبله العيون ، وقيل من قولهم رجل
 مقتبل الشباب : أى ليس عليه للكبر أثر . يقول : على الفرات - النهر المعروف - رياح
 تثير الغبار لمكان جيش أخيك ناصر الدولة ، وفي حلب وحشة لأنك بعدت عنها .

(٣) تلو : تتبع ؛ ونفذت : مضت ، والأبدال : جمع بدل . يقول : إن رماحه
 تتبع كتبه إلى أعدائه فهو يندرم أولا ، فإن لم يطعموه صمد إليهم بجيوشه ، ويجعل الخيل
 بدلا من الرسل : أى لا يستجلب طاعتهم إلا بالإكراه ، فليست كتبه لاستصلاح أو
 استعاب وإنما هى للإعلام بأنه قادم ، لأنه لا يحب الظفر اغتيا لا قموارة لثقتة بنفسه
 وهذا من قول الفرزدق :

شديدُ الحياءِ لا يَخَاتِلُ قِرْنَهُ وَلَكِنَّهُ بِالصَّحْصَحَانِ يَنَازِلُهُ

وقول صريع الغواني :

مَنْ كَانَ يَخْتَلِ قِرْنًا عِنْدَ مَوْقِفِهِ فَإِنْ قَرْنَ عَلَى غَيْرٍ مَخْتَلٍ

(٤) جزر السباع : اللحم الذى تأكله ، ويقال تركوهم جزرا : إذا قتلوهم ؛ وما أعدوا
 عطف على الملوك . والنفل : الغنيمة يقول : إنه يلقى الملوك الذين يخالفونه فيوقع بهم
 ويجيوشهم ، فلا يكونون إلا مأكلا للسباع ولا تكون أسلابهم إلا غنيمة لأصحابه .
 (٥) الضمير فى مهجته : لسيف الدولة ؛ والذكر : من أوصاف السيف ؛ والهندي

الْفَاعِلُ الْفِعْلَ لَمْ يُفْعَلْ لِشِدَّتِهِ وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ لَمْ يُتْرَكَ وَلَمْ يُقَلْ^(١)
وَالْبَاعِثُ الْجَيْشَ قَدْ غَالَتْ عَجَاجَتُهُ ضَوْءُ النَّهَارِ فَصَارَ الظُّهْرُ كَالطُّفْلِ^(٢)
أَلْجَوْ أَضْيَقُ مَا لَقَاهُ سَاطِعُهَا وَمُقَلَّةُ الشَّمْسِ فِيهِ أَحْيَرُ الْمُقَلِّ^(٣)
يَنَالُ أَبْعَدَ مِنْهَا وَهِيَ نَازِرَةٌ فَمَا تَقَابَلُهُ إِلَّا عَلَى وَجَلٍ^(٤)

السيف ؛ والخلل أغشية الأغمد يقول : إن الخليفة أكرمه فصانه بما وجه إليه من
من الأبطال والرجال كما يسان السيف الهندي بالخلل . وعبارة العكبرى : لما علم الخليفة
أنه سيفه الذي يسطوبه صانه وحفظه بالأبطال الذين أثبتهم في رسمه والحماة الذين اختارهم
لحفظه ، كما يسان السيف الكريم بالأغمد التي يتخلل فيها ، والجفون التي يحفظ بها ؛
وأشار بهذا إلى أن الخليفة شرفه بتلقيه بسيف الدولة .

(١) يقول : إنه يفعل ما لم يفعله أحد لصعوبته على من يحاوله فهو قد آتى به بكرا
ويكون أبا عذرة ذلك الفعل ، ويقول ما لم يقله أحد في بلاغته وجزالته ولم يترك أيضاً
لأن كل بليغ يريد أن يأتي بمثله فهو يقصده ويتكلفه ولا يقدر عليه . قال العكبرى : من
روى الفعل ؛ بالنصب أراد : يفعل الفعل ويقول القول ، لأن اسم الفاعل يعمل عمل
الفعل ؛ ومن روى بالجزم جملة مضافا : كقوله تعالى « والقيمي الصلاة » .

(٢) غاله يقول : ذهب به ؛ وأصله الإهلاك ، والمعجاجة : الغبرة ؛ والطفل : وقت
غروب الشمس . يقول : يبعث إلى أعدائه الجيش الكثيف الذي يستر ضوء الشمس
بضاره حتى يصير الظهر كوقت الطفل ؛ وهذا إشارة إلى كثرة جيشه .

(٣) الساطع : المنتشر ؛ والضمير المضاف إليه : للمعجاجة . يقول : إن ماسطح من
غبار هذا الجيش ملاكل فضاء ، فكان الجو أضيق شيء به ، لأنه على سعته ملاء حتى
ساوى أضيق ما فيه ، وكانت عين الشمس فيه أحير العيون ، لأنه بلغ إليها وأحاط بها ؛
وكل هذا مبالغة . وعبارة العكبرى : ما بعد من الهواء أضيق بساطع هذا الغبار بما
قرب ، لأنه فيه تجتمع جملة وتتراقى كثرته ، وما قرب فإنما يرد الشيء بعد الشيء
فينجلي منه ولا يجتمع ، وعين الشمس أحير العيون بقربها من مستقره ودنوها
من مجتمعه

(٤) يقول : إن سيف الدولة ينال أبعد من الشمس وهي ترى ذلك لما تقابله إلا
على خوف أن ينالها أيضاً لو قصدتها ، لأنها ترى أنه مظفر يدرك ما يقصده . وقال
نص الشراح : يريد أن هذا الغبار بتتابعه واتصاله وترادفه يعلو على الشمس مع ارتفاع

قَدْ عَرَضَ السَّيْفَ دُونَ النَّازِلَاتِ بِهِ
وَذَا هَرَّ الْحَزْمَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْغَيْلِ ^(١)
وَوَكَّلَ الظَّنَّ بِالْأَسْرَارِ فَأُنْكَشَفَتْ لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ ^(٢)
هُوَ الشَّجَاعُ يَعْدُ الْبُخْلَ مِنْ جُبْنٍ وَهُوَ الْجَوَادُ يَعْدُ الْجُبْنَ مِنْ بَخَلٍ ^(٣)

موضعها وهى ناظرة إليه غير مساوية فى الارتفاع له فتقابلة وجلة من ذهابه بنورها ، وهذا كله إشارة إلى عظم الجيش وكثرته .

(١) عرضه : جعله معترضا ؛ والنازلات : النواب ؛ ويقال ظاهر بين ثوبين : إذا لبس أحدهما فوق الآخر ، وأصله المعاونة . والغيل : جمع غيلة ، اسم من الاغتيال ؛ يقال قتل فلان غيلة : أى اغتالا . يقول : جعل سيفه معترضا بينه وبين نواب الدهر فلا تصل إليه واستعان بالحزم فى دفع الهلاك عن نفسه وأقامه حاجزا بينهما . أى تحصن بحزمه كما يتحصن بالدرع ، أى جعل حزمه كالدرع الواقية له وقد لبس الحزم فوق الدرع فجعله حائلا بين نفسه وبين الهلاك .

(٢) يقول : إنه وكل صادق ظنه بما ينطوى عليه الناس جميعا ويخفونه دونه ، فلم ما أسروه وانكشف له ما أضمروه ؛ يعنى أنه ألقى صادق الفراسة يدرك المغيبات بظنه حتى تنكشف له الضمائر .

(٣) يقول : هو شجاع غير بخيل ، لأن الشجاع يعد البخل جبنا ، لأن البخل معناه خوف الفقر ، والخوف جبن ، والشجاع لا يجبن ، وهو جواد غير جبان ، لأن الجواد يعد الجبن بخلا ، لأن معنى الجبن البخل بالروح ، والجواد لا يبخل ، وإذن هو شجاع غير بخيل ، وجواد غير جبان : أى أن الشجاعة والجود فيه وصفان متلازمان ، وهذا من قول أبى تمام :

وَإِذَا رَأَيْتَ أَبَا يَزِيدٍ فِي وَغَى وَنَدَى وَمُبْدَى غَارَةٍ وَمُعِيدَا
يَقْرِى مُرَجِّهَ مُشَاشَةٍ مَالِهِ وَشَبَا الْأَسِنَّةِ ثُغْرَةَ وَوَرِيدَا ^(١)
أَيَقُنْتَ أَنَّ مِنَ السَّمَاكِ شَجَاعَةً تَذِي وَأَنَّ مِنَ الشَّجَاعَةِ جَوَادَا

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة : رأس العظم الذى يمكن مضغه ؛ والثغرة : ثغرة النحر ،

يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيْرِ مُفْتَخِرٍ وَقَدْ أَغْذَى إِلَيْهِ غَيْرَ مُحْتَفِلٍ ^(١)
وَلَا يُجِيرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بُقِيَّتَهُ وَلَا تُحَصِّنُ دِرْعٌ مِنْهُجَةً الْبَطَلِ ^(٢)
إِذَا خَلَعْتُ عَلَى عِرْضٍ لَهُ حُلًّا وَجَدْتُهَا مِنْهُ فِي أَهْبَى مِنَ الْحُلِّ ^(٣)

وعبارة ابن الإقليل : يريد أنه الشجاع المتناهي الشجاعة ؛ فالبخل عنده باب من الجبن لأن من سمح بنفسه لم يبخل بكرام ماله وهو الجواد المتناهي الجود ، والجود بالنفس غاية الجود ، ومن جاد بنفسه لم يجبن عن عدوه ، ومن كان كذلك فالجبن عنده باب من البخل ، فدل على أن الشجاعة والجود من طريق واحد ، وهذا منقول من قول الآخر :

إلى جوادٍ يعدُّ الجبن من بخلٍ وباسلٍ بخله يعتدُّ جُبْنًا
يَلْقَى العَفَاءَ بِمَا يَرَجُونَ مِنْ أَمَلٍ قَبْلَ السَّوَالِ وَلَا يَنْبَغِي بِهِ ثَمْنًا
وقد بين صريح القوافي أن الشجاعة جود بالنفس في قوله :

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ
(١) أَغْذَى : أَسْرَعَ فِي السَّيْرِ ؛ وَاحْتَفَلَ بِالْأَمْرِ : اهْتَمَّ . يَقُولُ : كَثُرَتْ فَتُوحُهُ وَتَوَالَتْ وَمِنْ ثَمَّ لَا يَفْتَخِرُ بِهَا ، إِذَا سَارَ إِلَى بَلَدٍ يَفْتَحُهُ سَارَ غَيْرَ مِبَالٍ لَثَقَتْهُ بِقُوَّتِهِ وَشَجَاعَتِهِ ؛ وَعِبَارَةُ الْعَكْبَرِيِّ : هُوَ يَفْتَحُ الْفَتْوحَ الْعَظِيمَةَ فَلَا يَفْخَرُ بِهَا وَيُسْرِعُ إِلَيْهَا ، وَلَا يَحْتَفِلُ لَهَا . اسْتِقْلَالًا لِعَظِيمِ مَا يَفْعَلُهُ وَارْتِفَاعًا عَنْ نَهَبٍ مِنْ يَقْصِدُهُ . قَالَ ابْنُ جَنَى : فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَكُونُ مَغْذَا غَيْرِ مُحْتَفِلٍ ، فَالْمَعْنَى أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَفِلٍ عِنْدَ نَفْسِهِ ، وَإِنْ كَانَ مُحْتَفِلًا عِنْدَ غَيْرِهِ ، لِأَنَّهُ كَبِيرُ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ غَيْرِهِ صَغِيرٌ عِنْدَهُ .

(٢) أَجَارَ عَلَيْهِ : مَنَعَهُ مِمَّا يَطْلُبُهُ . قَالَ تَعَالَى : « وَهُوَ يَجِيرُ وَلَا يَجَارُ عَلَيْهِ » أَيْ لَا يَمْنَعُ مِمَّا يَرِيدُهُ . يَقُولُ : إِذَا رَامَ الْمُدَوِّحُ شَيْئًا لَا يَجِيرُهُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ وَلَا يَحْمِيهِ مِنْهُ ، وَلَا يَحْصِنُ الدَّرْعُ مِنْهُ مَهْجَةً مِنْ خَالْفِهِ ، وَلَا يَعْصِمُهُ مِنَ الْهَلَاكِ إِذَا أَرَادَهُ كَانَ مَا كَانَ مِنَ الْبَطُولَةِ . أَوْ تَقُولُ : إِذَا تَحَصَّنَ قَرْنُهُ بِالْدَّرْعِ لَمْ يَمْتَنِعَ بِهَا .

(٣) خَلَعْتُ : رَوَى جَعَلْتُ . يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ : إِذَا مَدَحْتَهُ تَزَيْنَ مَدْحِي بِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَزَيْنُ هُوَ بِمَدْحِي . فَضَرَبَ لِهَذَا الْمَعْنَى مَثَلًا فَقَالَ : إِذَا أَلْبَسْتَ عَرَضَهُ حُلًّا وَجَدْتَ تَلَكَّ الْحُلِّ مِنْ عَرَضِ الْمُدَوِّحِ فِي شَيْءٍ أَحْسَنَ مِنَ الْحُلِّ : أَيْ أَنَّ عَرَضَهُ أَحْسَنَ مِنَ الْحُلِّ ، وَهَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

بَذَى الْفَبَاوَةَ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرَرٌ كَمَا تُضِرُّ رِيَّاحُ الْوَرْدِ بِالْجَمَلِ ^(١)
لَقَدْ رَأَتْ كُلُّ عَيْنٍ مِنْكَ مَا لَهَا وَجَرَّبَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خَيْرَ الدُّوَلِ ^(٢)
فَمَا تُكْشِفُكَ الْأَعْدَاءُ مِنْ مَلِكٍ مِنْ الْخُرُوبِ وَلَا الْآرَاءُ عَنْ زَلَلٍ ^(٣)
وَكَمْ رِجَالٍ بِلَا أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ تَرَكْتَ جَمْعَهُمْ أَرْضًا بِلَا رَجُلٍ ^(٤)

ولم أمدحك تفغيا لشعري واسكني مدحتك المديحا
والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ؛ والحلل : جمع حلة ، الثياب . قالوا : ولا
تسمى حلة إلا إذا كانت ثوبين ، أو إزارا ورداء .

(١) الجمل : ضرب من الخنافس . شبه شعره بالورد ، وحاسده بالجمل . يقول :
إذا أنشد الجاهل شعري تضرر به ، لأنه لا يعرفه ويغيبه ذلك ، فيظهر عليه من أثر
الجهل والغيظ ما يظهر على الجمل إذا أصابه ريح الورد فإنه ينال منه كل النيل ؛ وعبارة
العكبري : إذا أنشد شعري بعد على فهم الجاهل ، وأثر ذلك في نفسه ، وانكشف له
قدر قصيره ، واستضر بحسن قولي وبديع شعري كما يستضر الجمل برائحة الورد التي
تؤذيه وتقتله لمصادته لها . يعني إنما يعرف شعري وجودته وجوهره من هو صحيح
الفكر ، وإن كان ضد ذلك نال منه كما ينال الورد من الجمل ، وإن كان مستلذا في الحقيقة .
قال : وهذا من قول الحكيم : الألفاظ للمنطقية مضرة بذوى الجهل لنبو إحساسهم عنها .
(٢) يقال : زيد خير الرجال ، وهند خيرة النساء ، خيرة : مؤنث خير ، بمعنى
أفضل ؛ أنثوها بالناء تشبيها لها بالوصف المحض لفارقتهما صيغة التفضيل ؛ وجربت :
يروي وجردت . يقول : أنت ملء كل عين بهيتك وبهائك وأنت خير سيف لخير
دولة ، يعني دولة الإسلام .

(٣) كشفه عن كذا : أكرهه على إظهاره . يقول : لا أمل للحرب وإن طالت ، لأنك
ألفت التمرس بالحروب حتى لا تستطيع الأعداء والأيام أن تحملك على الملل من الحروب ،
ولا تزل في رأي ، فقد أوتيت السداد في التدبير حتى لا يفضى بك رأي إلى زلل .

(١) يقول : كم جمع الأعداء لك جموعا تغيب الأرض من كثرتهم وتخفى عن الأبصار
حتى كأنهم رجال بلا أرض ، قفلتهم وأفنتهم حتى خلت أرضهم بقيت ولا رجل فيها ؛
قال العكبري : وفيه نظر من ناحية كثرة الجيش إلى قول حبيب في صفة الجيش :

مَلَأَ الْمَلَأَ عُصَبًا فَكَادَ بَأْنُ يُرَى لَا خَلْفَ فِيهِ وَلَا لَهُ قُدَامُ

مَا زَالَ طَرَفُكَ يَجْرِي فِي دِمَائِهِمْ .
 حَتَّى مَشَى بِكَ مَشَى الشَّارِبِ الثَّمَلِ (١)
 يَأْمَنُ بِسَيْرِ وَحُكْمِ النَّاطِرِينَ لَهُ فِيمَا يَرَاهُ وَحُكْمِ الْقَلْبِ فِي الْجَذَلِ (٢)
 إِنَّ السَّعَادَةَ فِيمَا أَنْتَ فَأَعْلُهُ وَقَفْتَ مُرْتَحِلًا أَوْ غَيْرَ مُرْتَحِلِ (٣)
 أَجْرُ الْجِيَادِ عَلَى مَا كُنْتَ تُجْرِيهَا وَخَذَ بِنَفْسِكَ فِي أَخْلَاقِكَ الْأَوَّلِ (٤)
 يَنْظُرُونَ مِنْ مَقَلٍ أَدْمَى أَحْبَبَهَا قَرَعُ الْفَوَارِسِ بِالتَّسَالَةِ الذُّبْلِ (٥)

(١) الطرف : الفرس الكريم ؛ والثل : السكران يقول : مازلت تخوض دماءهم بفرسك حتى تعثر بالقتلى فمشى بك فرسك مشى السكران : أى أن الدماء لكثرتها أمالته عن سنن جريه وأزلقته حتى مشى مشى السكران .

(٢) الناظران : العيتان ، والجذل : الفرح : يقول : إنه ملك لا يرد عن شيء ، فما حكمت به عيناه استحسانا فهو له : أى ما يريد به مما يراه يأخذه ولا يعارضه أحد ، ولقلبه ما يحكم به مما يسر : أى إذا غنى قلبه شيئا وصل إليه لا يحول دونه حائل . وقال ابن الإفيلي : وله حكم ناظريه أن لا يريهما إليه إلا ما يسره ، وحكم نفسه أن لا يعرفه إله إلا ما يفرحها من نصر وظفر بالأعداء . . . قال الواحدى : الحكم - ههنا - اسم للمفعول ، لا للفعل ؛ فإن الناس مستوون فى أفعال نواظريهم ، وإنما يختلفون فى المحكوم به . يقول : ما حكم به ناظرك استحسانا فهو لك لا يعارضك فيه مانع ، وكذلك الحكم فيما يسره .

(٣) وقفت : دعاء . يقول : أنت مسعود فيما تفعله : أقمت أو ارتحلت ، قال العسكبرى يشير بهذا إلى ارتحال الديلمى عن الموصل . يقول : إن الذى فعله الله لك من المواعدة التى اختارها محاربك قد جعل لك فيه السعادة وقرن لك به الخيرة .

(٤) يقول : عاود القتال ودع السلم وأجر خيلك على ما كنت تجريها من قصدك الأعداء والسير إليهم ، وخذ نفسك بما عودتها من أخلاقك الأولى قال العسكبرى : وذلك أن سيف الدولة كان قد ترك الحرب مدة ، فقال له أجر خيلك على ما كنت تجريها ، أولا من غزو الروم وحماية الثغور ، فقد كفالك الله ما كنت تحذره على أخيك من الديلمى ، وخذ نفسك بما سلف من أخلاقك وعادتك ، واعدل عن السلم إلى الحرب والجهاد

(٥) ينظرون : أى الجياد : ولأحبة : جمع حجاج ، وهو العظم فوق العين .

فَلَا هَجَمْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفَرٍ وَلَا وَصَلْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى أَمَلٍ^(١)

* * *

وقال يرثى أبا المهيحاء عبد الله بن سيف الدولة بحلب ، وقد توفى بميفارقين في صفر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة :

بِنَا مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ مَا بَكَ فِي الرَّمْلِ
وَهَذَا الَّذِي يُضْنِي كَذَلِكَ الَّذِي يُبْلِي^(٢)
كَأَنَّكَ أَبْصَرْتَ الَّذِي بِي وَخِيفَتُهُ

إِذَا عِشْتَ فَأَخَّرْتَ الْحَمَامَ عَلَى الشَّكْلِ^(٣)
تَرَكْتَ خُدُودَ الْفَانِيَاتِ وَفَوْقَهَا
دُمُوعٌ تُدِيبُ الْحُسْنَ فِي الْأَعْيُنِ النَّجْلِ^(٤)

والعسالة : الرماح تهتز وتضطرب ؛ والذبل : جمع ذابل ، وهو اليابس يقول : إن خيلك تنظر من عيون قد أدمى حجاجها قرع الفوارس إياها بالرماح : أى إن الرماح لا تقع إلا في مقاديعها ، لأنها لا تنتهي حتى تصاب أعجازها لإقدام فرسانها ، قال العكبري يشير بذلك إلى ما حُضِرَ عليه من غزو الروم وحماية الثغور ، وأن خيله قد ألت ذلك^(١) يدعو له يقول : لا هجمت بخيلك إلا على ظفر بعدوك ، ولا وصلت بها إلا إلى ما تؤمله من الغلبة والظفر

(٢) يقول : بنا منك ونحن فوق الأرض الذي بك وأنت فيها ، يعنى أننا أموات حزناً عليك ، كما أنك ميت في الأرض ، فإن هذا الحزن يضني ويهزل مثل اللوت الذي يبلى الإنسان ؛ وهذا من قول يعقوب بن الربيع يرثى جارية له تسمى ملكا :

يَا مَلِكُ إِنْ كُنْتَ تَحْتَ الْأَرْضِ بِأَلِيَّةٍ فَإِنِّي فَوْقَهَا بِأَلٍ مِنَ الْحَزَنِ
(٣) الحمام : اللوت ؛ والشكل : فقد الحبيب . يقول : كأنك أبصرت ما بي من الوجد بك والحزن عليك غفت أن تبثلى بمثله لو عشت وفقدت حبيباً عزيزاً عليك ، فأخترت اللوت على فقد الأعزّة والحزن عليهم

(٤) الفانيات : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسبها عن الحسنيين ، والأعين النجل الواسعة الحسنه يقول : تركت خدود الحسان من نوادبك وفوقها دموع مسفوحة هلك

تَبْلُ الثَّرَى سُدًّا مِنَ الْمِسْكِ وَحْدَهُ وَقَدْ قَطَرَتْ حُمْرًا عَلَى الشَّعْرِ الْجَمَلِ (١)
فَإِنْ تَكَ فِي قَبْرِ فَإِنَّكَ فِي الْحَشَى
وَلَا تَكَ تَكَ طِفْلًا فَالْأَسَى لَيْسَ بِالطُّفْلِ (٢)

تذهب بحسن العيون ؛ قال الواحدى : وجه إذابة الدمع الحسن أنه يفسد العين، ويزيل
حسنها ، كما قال :

أليس يضرُّ العينَ أن يكثرَ البُكا وَيَمْنَعَ عنها نومُها وهُجُودُها
وإنما قال «تذيب» ولم يقل «تزيل» لأن الدمع لما كان يذهب بالحسن شيئاً فشيئاً،
كان استعارة الإذابة لثله أحسن ، وأيضاً لما كان الذوب في معنى السيلان والدمع سائل،
كان كأن الحسن سال معه ، وهناك قولان آخران : أحدهما أن الحزن يحمى الدمع
ويسخنه وسخونة الدمع تذيب شحمة اللقطة ، فتذيب حسنها ، والثاني أن الحسن عرض
لا يقبل الإذابة يقول : هذه الدموع تذيب ما لا يقبل الإذابة ، فكيف ما يقبلها ؟
(١) الثرى : التراب ، ومن المسك : تعليل ، والجميل : الكفيف يقول : إن هذه
الدموع تصل إلى الأرض قبلها وهى سود لا تمازجها بالمسك وحده لأن الغائيات لا
يكتسطن لأجل المصيبة ، ولأن كحل أعينهن يغنيهن عن التكحل ، وقد استعملن المسك
قبل المصيبة فبقى في شعورهن ، والكحل لا يبقى طويلاً ، وهذه الدموع قطرت وهى
حمر لا تمازجها بالدم ثم غلب عليها سواد المسك فعادت سوداً ، وإنما قطرت على الشعر
لأنهن نشرن الشعور وهى كثيرة ، وفيها مسك ، فمر الدمع بها فاسودت من مسكها ،
وهذا من قول أبى نواس :

وقد غلبتها عبْرَةٌ فدموعها على خدِّها حُمْرٌ وَفَى نَحْرِها صُفْرٌ

فجعلها صفراً على النحر لأنها اختلطت بالطيب الذى فيه الزعفران

(٢) الأسى : الحزن ، يقول : إن كنت قد تضمنك قبر فإنك لم تفارق القلب ، وإن
كنت طفلاً صغيراً فإن الحزن عليك ليس بالصغير والرزء بك ليس باليسير . ومعنى المصراع
الأول من قول أبى تمام :

لها منزلٌ تحت الثرى وعهدتها لها منزلٌ بين الجوانح والقلب

والثانى من قول الآخر :

إِنْ تَكُنْ مُتَّ صَافِيراً فَالْأَسَى غَيْرُ صَافِيرٍ

وَمِنْكَ لَا يُنْكَى عَلَى قَدَرٍ سِنَّهٗ وَلَكِنْ عَلَى قَدَرِ الْمَخِيلَةِ وَالْأَصْلِ^(١)
 أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الْأَلَى مِنْ رِمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهْجَةُ الْبُخْلِ^(٢)
 بِمَوْلُودِهِمْ صَنَتُ اللَّسَانِ كَغَيْرِهِ وَلَكِنْ فِي أُعْطَافِهِ مَنَظِقَ الْفَضْلِ^(٣)
 تُسَلِّمُهُمْ عَلَيْهِمْ عَنْ مُصَابِهِمْ وَيَسْفِلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الشُّغْلِ^(٤)

(١) المخيلة - ههنا - الفراسة ، وهى فى الأصل : السحابة التى يرمى مطرها
 يقول : ليس البكاء عليك على قدر سنك لأنك صغير لم تبلغ مبالغ الرجال فتوجب فرط
 البكاء عليك ، وإنما تبكى على قدر أصلك ، إذ أنت من أصل كبير ، وعلى قدر الفراسة
 فيك ، إذ كنا تنفرس فيك الملك ، فلهذا يكثر البكاء عليك

(٢) الاستفهام : للتقرير ؛ والألى : بمعنى الدين . يقول - مخاطبا الميت - أنت من
 القوم الذين كرمهم من سلاحهم ، ونداهم من رماحهم ، والبخل من قتلاهم : أى أنت
 من القوم الذين أفنوا البخل بمجودهم ، فاستعار للبخل مهجة وجعل جودهم بمنزلة رماح
 تطعن بها مهجة البخل ، وهذا من قول أبى تمام :

وإن أزمات الدهر حلت بمعشرٍ أريقت دماء المجل فيها فطلت^(١)
 وقال ابن الرومى :

وما فى الأرض أسمى من شجاع وإن أعطى القليل من النوال
 وذاك لأنه يُعطيك بما تنى عليه أطراف العوال

(٣) الأعطاف : جمع العطف ، وهو الجانب . يقول : إن صبى هؤلاء القوم كغيره
 من الأطفال لا ينطق ، شأن كل طفل ، ولكن من يتفرس فيه يجد الفضل فى أعطافه
 ناطقا ، ومخايل الكرم والسيادة ظاهرة واضحة الدلالة :

(٤) المصاب : مصدر ، بمعنى الإصابة . يقول : إن معاليهم تعزيمهم عما يصيبهم ، فهم
 يترفعون عن الجزع الذى هو شتشة النفوس الوضعية ، أما من نبذ قدره ؛ وارتقت فى
 المعالى حمته ؛ فإنه يتسل بالعالى عن الجزع والملمع ، واهتمامه بكسب الثناء والحمد يشغله
 عن الشغل بما عدا ذلك . والعلواء - : بفتح العين والد . أما بضم العين فهى مقصورة .

(١) المجل : الجذب ، ويقال طل دمه : أى أهدر .

أَقْلُ بِلَاءٍ بِالرَّزَايَا مِنَ الْقَفَا وَأَقْدَمُ بَيْنَ الْجُحْلَيْنِ مِنَ النَّبْلِ^(١)
عَزَاكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ فَإِنَّكَ نَصْلٌ وَالشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ^(٢)
مُقِيمٌ مِنَ الْهَيْجَاءِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصَّوَارِمِ فِي أَهْلِ^(٣)

(١) أقل : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هم أقل بلاء ؛ والبلاء : فعال من اللبالة ؛ والرزايا : جمع رزية ، المصيبة ؛ والقنا : الرماح . وأقدم : أى أشد إقداماً ، استعمل : أفضل منه على حذف الزوائد لضرورة الوزن ، أو نقول إنها من قدم يقدم إذا تقدم ؛ قال حسان بن ثابت :

كَلَّمَهَا حَلْبُ الْعَصِيرِ فَعَاطِنِي بَرْجَاجَةً أَرْخَاهَا لِلْمَفْصِلِ^(١)
أراد أشد إرخاء . والجحفل : الجيش العظيم . يقول : هم لا يبالون بما يصيبهم من الرزايا كما لا يبالى بها من لا يعرفها — وهو معنى قوله من القنا ، والقنا جماد ، والجماد لا يوصف باللبالة — وهم أشد إقداماً لدى الوغى من السهام للرسلة التى تأبى إلا التقدم وبعبارة أخرى : إذا أصابهم مصيبة لم يبالوا بها ، كأنهم لشدة تجلدهم لا يشعرون بها ، فهم فى ذلك كالرماح تغشى الوغى ولا تبالى بما يصيبها ، وإذا كانوا بين جيشهم وجيش العدو لم يرد وجوههم شيء ؛ كالنبل إذا انطلق فإنه لا يقف دون غايته .
(٢) الفصل : حديدة السيف . يقول : الزم عزاءك أو تعز عزاءك الذى يقتدى به الناس فيتعلمون منه التعزى ، لأنك قد تعودت الشدائد ، لأنك سيف والسيف شيمته التمرس بالحروب وعدم اللبالة بمقارعة الحديد . فقوله عزاءك : منصوب على الإغراء ؛ أى الزم عزاءك ؛ أو بفعل مضمر تقديره تعز عزاءك ؛ وللمقتدى به فى موضع نصب صفة لـ «عزاءك» والضمير فى «به» للعزاء .

(٣) مقيم : إما صفة لنصل — فى البيت السابق — أو خبر مبتدأ محذوف . أى أنت مقيم . والهيحاء : من أسماء الحرب ، والصوارم : السيوف القواطع . يقول : أنت مقيم فى كل منزل من منازل الحرب تأنس بها ولا تزايلها حتى لكأنك إذا كنت بين السيوف كنت فى أهلها ، وهذا من قول أبى تمام :

(١) قبله :

إِنِ التَّى نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا قُتِلَتْ قُتِلَتْ فَهَاتِيهَا لَمْ تُقْتَلِ
فقوله كَلَّمَهَا : أى التى قتلته — أى مزجت بالماء — والتى لم تقتل — أى لم تمزج وأرخاها للمفصل : أى التى لم تمزج — أى الصرف .

وَلَمْ أَرَأِ أَغْصَى مِنْكَ لِاحْزَنِ عِبْرَةٍ وَأَثْبَتَ عَقْلًا وَالْقُلُوبُ بِلاَ عَقْلٍ^(١)
تَخُوفُ الْمَنَایَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ^(٢)
وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الْخَوَادِثِ صَبْرُهُ وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الْفَرَنْدُ عَلَى الصَّقْلِ^(٣)
وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِكَ حُرَّةً فَفِيهِ لَهَا مُغْنٍ وَفِيهَا لَهُ مُسْلِي^(٤)

حَنَّ إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى ظَنَّ جَاهِلَهُ بَأَنَّهُ حَنَّ مُشْتَقًّا إِلَى الْوَطَنِ
وقوله أيضاً :

لَتَعْلَمَ أَنَّ الْفَرَّ مِنْ آلٍ مُضْعَبٍ غَدَاةَ الْوَعْيِ آلُ الْوَعْيِ وَأَقَارِبُهُ

(١) يقول : لم أر أحداً غيرك لا يطيع دمعة الحزن ، ولا أثبت عقلاً منك حين تخلو القلوب من العقول ، يعنى عند شدة الفزع وهول الحروب ؛ يشير إلى أنه صبور عند الشدائد رابط الجأش في الحروب . وعبرة : أى دمعة ، تميز .

(٢) السليل : الولد ؛ والأُنثى : سلية ؛ قال أبو عمرو بن العلاء : السلية بنت الرجل من صلبه ؛ وقالت هند بنت النعمان :

وَمَا هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلٌ^(١)

والرجل : جمع راجل ، وهم المشاة . يقول : متعجباً — : إن المنايا تخونه في ولده فتخترمه فلا يستطيع لها دفاعاً ولكنها تنصره في الحرب وتنفذ مراده في أعدائه ، وفي هذا إشارة إلى أن الموت حتم على رقاب العباد لا يدفع بقوة ولا يعصم منه رفعة ولا سلطان وفيه نظر إلى قول مسلم بن الوليد :

أَلَمْ تَتَعْجَبْ لَهُ أَنَّ الْمَنَایَا فَتَكُنْ بِهِ وَهْنٌ لَهُ جُنُودُ

(٣) الفرند : جوهر السيف وماؤه ؛ ويبدو : أى الصبر . يقول : إن صبره باق على حوادث الدهر ظاهرة آثاره ظهور فرند السيف إذا صقل ؛ جعل مرور الحوادث به كالصقل للسيف ؛ والسيف إذا صقل فزال ما عليه من الطبع — الصدأ — ظهر فرنده ، كذلك هو ؛ إذا امتحن بالحوادث والشدائد ظهر صبره .

(٤) يقول : من كانت نفسه حرة كريمة كنفسك أغتته عن تعزية غيره وأسلته عن

(١) تجلّلها : علاها ؛ وقوله بغل : قال بعضهم إنه تصحيف ؛ والصواب : نغل — بالنون — وهو الحسيس من الناس والدواب ، لأن البغل لا ينسل .

وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْمَى بِلَا رَجُلٍ ^(١)
 يَرُدُّ أَبُو الشَّبْلِ الْحَمِيسَ عَنْ ابْنِهِ وَيُسَلِّمُهُ عِنْدَ الْوَلَادَةِ لِلنَّمْلِ ^(٢)
 بِنَفْسِي وَلَيْدٌ هَادٍ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ إِلَى بَطْنِ أُمٍّ لَا تَطْرُقُ بِالْحَمْلِ ^(٣)

معنيته لأنه يعرف أن الإنسان لا يخلو في دهره من الحوادث ؛ ومن عرف هذا ووطن نفسه على فقد الأجرة .

(١) يقول : ليس الموت إلا سارقا ، يد أنه ليس كسائر السراق يصول مثلهم بكف يظهرها ويسمى برجل ينقلها حتى يمكن الاحتراس منه ، وإنما هو سارق دق شخصه — أى لا شخص له — يصول دون كف يظهرها ، ويسمى دون رجل ينقلها ، فلا يدري كيف يأتي ، وكيف يعصف بالأرواح ويسرقها من الأجساد : ومن ثم لا سبيل إلى الاحتراس منه

(٢) الشبل : ولد الأسد ، والحميس : الجيش ، يقال : إن النمل إذا اجتمع على ولد الأسد أكله وأهلكه . يقول : إن الأسد يقاوم الجيش الكثير دفاعا عن ولده ولكنه لا يقدر على أن يذود النمل عن ولده مع ضعف النمل ، وإنما يسلمه له ، فهو يحمي ولده من الجليل الكثير ويسلمه إلى الحقيق اليسير ، وهذا مثل . يقول : إن سيف الدولة مع بطشه بالجيوش والممالك لم يستطع أن يدفع الموت عن ولده ، مع كون الموت على ما وصفه لا جيش له ولا سلاح ، فلو غير الموت قصد ابنه لدفعه عنه وإن كان عظيما ، ولكن لا مدفع للموت

(٣) الوليد : المولود ، وطرقت المرأة والناقة وكل حامل : نشب ولدها في بطنها ولم يسهل خروجه : قال أوس بن حجر :

لَهَا صَرَخَةٌ ثُمَّ إِنْكَاتَةٌ كَمَا طَرَقَتْ بِنَفَاسٍ بَكْرُ

يقول : أفدى بنفسى مولوداً صار بعد حمل الأم إياه إلى بطن أم — وهى الأرض لا تطرق بالحمل . قال الواحدى : وإنما قال لا تطرق لأنها إما جماد لا توصف بالتطريق وإن كانت تسمى أما ، لكون الأموات فى بطنها ، وإما لأن الله تعالى قادر على إخراجها من بطنها بسهولة وسرعة ، كما قال عز من قائل «فإنما هى زجرة واحدة . فإذا هم بالساهرة ، وفسر قوم هذا البيت على العكس ، قالوا : معنى لا تطرق بالحمل : لا تخرج الولد من بطنها ، والتطريق : إظهار الطريق — من قولهم طرق طرق : أى خل

بَدَا وَلَهُ وَغَدُ السَّحَابَةِ بِالرَّوَى وَصَدَّ وَفِينَا غَلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحَلِّ (١)
وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ عُمُونَهَا إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكَابِ مِنَ النَّعْلِ (٢)
وَرِيعَ لَهُ جَيْشُ الْقَدُودِ وَمَا مَشَى

وَجَاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَغَلَّى (٣)
أَيْفَطِمُهُ التَّوْرَابُ قَبْلَ فِطَامِهِ وَيَأْكُلُهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ إِلَى الْأَكْلِ (٤)
وَقَبْلَ بَرَى مِنْ جُودِهِ مَا رَأَيْتُهُ وَبَسْمَعُ فِيهِ مَا سَمِعْتُ مِنَ الْعَذْلِ (٥)

الطريق — يقول : فالأرض أم للموتى لا يخرجون منها ، ثم قال : إن للتنبي كان لا يقول بالبعث ، وليس بوجه .

(١) الروى — بكسر الراء — مصدر روى من الماء ، يقال ماء روى — بالكسر والقصر — ورواء — بالفتح واللد — أى كثير مرو . والغلة : العطش . يقول : ظهر هذا الوليد وشماله واعدة بالخير وعد السحاب بالرى ثم غاب عنا بموته قبل أن يروينا فأبقى بأنفسنا مثل عطش البلد الجديب إذا أخطأه رى السحاب .

(٢) الخيل العتاق : الكرام ، والركاب : ماتوضع فيه الرجل من السرج . يقول : صد وغاب عنا بموته وقد كانت كرام الخيل تنتظر ركوبه إياها وترتقب أن يصير من السن إلى حال يبدل فيها نعله بالركاب فيبلغ أن يركب الخيل .

(٣) ريع : أخيف وجاشت القدر : غلت وهاجت ، والضروس : الشديدة العض ، وما مشى ، وما تغلى : حالان . يقول : إن الأعداء خافوه وارتاعوا له وهو صبي في المهد لم يمش بعد واشتد عليهم الخوف حتى كأن الحرب قامت عليهم ، وقوله وما تغلى — أى الحرب — تنبيه إلى أن الحرب قامت معنى لاصورة ، وذلك المعنى هو الخوف ومن روى « يغلى » أراد : جاشت الحرب ، ولم يغل الطفل حنقا عليهم ، ومن روى يغلى — بالغاء — فهو من فليت رأسه بالسيف : أى ضربته . أى قبل أن يضرب الطفل بالسيف ، ويروى يغلى : أى لم يبلغ حد القلى والبغض لأعدائه .

(٤) التوراب : لغة في التراب ، والفظام : منع الصبي من الرضاع . وهذا استفهام إنكار وتوبيخ . يقول : أيفطمه التراب عن أمه بأشماله عليه قبل أن تظلمه أمه ، ويأكله التراب قبل أن يبلغ هو أن يأكل ؟ قال أشجع السامى :

فَطَمْتُكَ الْمَنُونُ قَبْلَ الْفِطَامِ وَاحْتَوَاكَ النُّقْصَانُ قَبْلَ التَّمَامِ
(٥) وقبل يرى : أراد قبل أن يرى . يقول — مخاطباً أباه — : مات قبل أن

وَيَلْقَى كَمَا تَلْقَى مِنَ السَّلْمِ وَالْوَعَى ، وَيُمْنِي كَمَا تُمْنِي مَلِيكَاً يَلَا مِثْلَ^(١)
تَوَلَّيْهِ أَوْسَاطَ الْبِلَادِ رِمَاحُهُ ، وَتَمْنَعُهُ أَطْرَافُهُنَّ مِنَ الْعَزَلِ^(٢)
نَبْكَى لِمَوْتَانَا عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ

تَفُوتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مَوْهَبٍ جَزَلِ^(٣)
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرَفَهُ

تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرَبٌ مِنَ الْقَتْلِ^(٤)

يرى من جوده ما رأيته أنت من حمد السائلين وبلوغ الأمور العالية ؛ وقبل أن يلام في الجود فيسمع ما سمعته ويعرض عن اللوم كما أعرضت .

(١) السلم : المسألة ؛ والصلح يذكر ويؤنث ، ويفتح السين وكسرها ، والوعى : الحرب . يقول : وقبل أن يلقي ما تلقاه أنت من ارتناع الشأن وعظم السلطان في السلم ، ومن ثمرة الظفر في الحرب ، وقبل أن يصير مثلك ملكاً لا نظير له .

(٢) توليه : ضفة مليكاً . يقول : وقبل أن يتملك البلاد قسراً فيقتصبها برماحه وتمنعه رماحه من أن يعزل . يعنى أنه يتولاها قوة واقتساراً بنفسه ، لا تولية من جهة غيره فيؤمر ثم يعزل

(٣) الموهب - كالموهبة - العطية ، والجزل : الكثير . يقبح أمر البكاء على الميت ويذكر قلة غناؤه من الباكي يقول : نبكى على موتانا ونأسف لفراقهم ونحن نعلم أنه لم يفتهم من الدنيا شيء يرغب فيه أو عطاء وافر يستغنى بإحرازه ، يعنى أن من فارق الدنيا لم يفته بفراقها شيء له خطر

(٤) يقول : إذا ألقيت بالكَ إلى الزمان وتصاريفه وأثر ذلك في الإنسان ظهر لك أن فعل الزمان وتقلباته وتأثيره في الإنسان كفعل السيف ، ومن ثم كان الموت الذي ينتهى إليه الإنسان ضرباً من القتل ، ومن أجل ذلك لا يحمل بالمرء أن يعتر بالبقاء ، ويطمئن إلى هذه الدنيا ، كما قال في آخر القصيدة «وما الدهر إلخ» وعبرة الشراح : إذا ما تأملت تصاريف الزمان وتدبرت الدهر وخطوبه تيقنت أن ما حتم على الإنسان من الموت كالذى يتوقعه من القتل ، لأن الأمرين متساويان في مكروهما ، متماثلان فيما يشاهد من عدم الحياة لهما ، فما ظنك بشيء يكون آخر مصيره إلى أكره ما يحذر من أموره ؟ فهذا يوجب الزهد في الدنيا ويدعو إلى الإعراض عنها وقلة الاسف عليها ؛ وبعبارة أخرى : إذا تأملت نوائب الدهر المهلكة لأهله علمت أن الموت بها ضرب من القتل ؛ إذ المصير في الحالين واحد ، وهو فوات الروح ، كما قال الآخر :

هَلِ الْوَلَدُ الْمَحْبُوبُ إِلَّا تَعْلَةٌ ، وَهَلْ خُلُوةُ الْحُسْنَاءِ إِلَّا أَدَى الْبَغْلِ (١)
وَقَدْ ذُقْتُ حُلُوءَ الْبَنِينَ عَلَى الصَّبَا ، فَلَا تَحْسَبْنِي قُلْتُ مَا قُلْتُمْ عَنْ جَهْلٍ (٢)

إذا بَلَ مِنْ دَاهٍ بِهِ خَالَ أَنَّهُ نَجْمًا وَبِهِ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ
قال الواحدى : الداء الذى هو قاتله : الموت ، لأنه محتوم على كل أحد ، فجعل
الموت قاتلا . أقول : ولعل الأوجه أن يكون المراد بقول هذا الشاعر « وبه الداء الذى
هو قاتله » البقاء الذى ينتهى به إلى الشيخوخة ، ثم الموت ؛ وهو معنى ينظر إلى ما جاء فى
الحديث « كفى بالسلامة داء » وفى معنى هذا الحديث يقول حميد بن نور :
أرى بصرى قد رابى بعد صحة ، وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِيحَ وَتَسْلَمَا
ويقول الآخر :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِفَاحْمٍ فَأَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ

(١) التعلّة : الطلل ، يقال فلان يعلل نفسه بكذا تعللا وتعلّة : إذا كان يطيب به
نفسه . يقول : إن السرور بالولد الذى تحبه لا يدوم ، وإنما هو تعلّة إلى وقت والحزن
بسيبه أكثر من السرور به ، ثم قال : خلوتك بمرأتك أذى لك فى الحقيقة ، لأنها
تجلب لك ولدًا تنغم من أجله ، وتتأذى بتربيتة ، ولعل العاقبة إلى الشك . ينهى عن
الحلوة بالمرأة لثلاث تلد . وقال ابن جني : وكذلك إذا خلت الحسناء مع محبها أدى ذلك
إلى تأذيه بها إما لأنه يشغل قلبه عما سواها أو لغير ذلك من المضار التى تلحق مواصل
النوائى . . . والأول أوجه . وهذا كله تسلية لسيف الدولة عن ولده .
(٢) الحلواء : الحلوة . قال زهير :

تَبَدَّلْتُ مِنْ حُلُوءِهَا طَعْمَ عَلَقٍ *

يقول : جربت حلوة الأولاد وقت شبابي فوجدت الأمر على ما قلته ووصفته ولم
أقل ما قلته عن جهل وغفلة ؛ يعنى قوله : « هل الولد المحبوب إلا تعلّة ؟ » ويجوز أن يكون
قوله « على الصبا » على صبا البنين - أى فى حال صباهم . وعبارة ابن جني : لست أسليك
إلا عما قد لحقت به فرأيت الصبر عليه أحزم من الأسى عليه . قال الواحدى : وهذا -
أى الذى قال ابن جني - بعيد .

وَمَا تَسْعُ الْأَزْمَانُ عَلَيَّ بِأَمْرَهَا ، وَلَا تُحْسِنُ الْأَيَّامُ تَكْتُبُ مَا أُمِّلِي ^(١)
وَمَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤْمَلَ عِنْدَهُ حَيَاةٌ ، وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ ^(٢)

* * *

وقال يمدحه :

لَا الْحِلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا بِمِثَالِهِ لَوْلَا أَذْكَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ ^(٣)

(١) يقول: إن علمي بأمر الزمان أوسع منه فلا يسع علمي، وإن ما أُمِّلِيه من الحكم ونوابغ الكلم لا تحسن الأيام أن تكتبه. يعني أنه يعلم ما تعجز الأيام عن مثله، فهي مع أنها تأتي بالعجائب - لا تحسن أن تكتب ما أُمِّلِيه؛ فكيف تعلمه؟ يريد تأكيد ما قدمه من حنكته وطبه بالأمر وما حضض عليه من عدم الاكتراث للولد وقفده. وعبرة العكبري: ما تسع الأزمان ما أعلمه من أمرها وأتقنه من شدة نكدها، يريد أنها تضيق عن علمه وتعجز عن الاشتغال عليه، وأن الأيام لا تحسن أن تكتب ما أُمِّلِيه وتضبط ما أعده؛ والمعنى أن الأيام التي تأتي بالحوادث لا تحسن أن تكتب ما أُمِّلِيه من الحكمة والكلام النادر؛ فكيف تعلمه؟

(٢) يقول: إن الدهر خوان ليس أهلاً أن ترجى عنده الحياة لأنه لا يحقق الرجاء في الحياة ولا يفي بالأمل، وليس أهلاً لأن يشتاق فيه إلى الولد، لأن الولد إذا عاش بعدك لقي من مكاره الدهر ما ينقص عيشه ويسأم معه الحياة، ولأنه لا يبقى على الولد بل ينفج به الوالد.

(٣) الحلم: النوم؛ والمثال: الصورة؛ والزيال: الزائلة والمفارقة. والضاير في البيت: للحبيب - وإن لم يجر له ذكر، لدلالة المقام - يصف شدة هجر الحبيب وأنه لا يلم به في النوم أيضاً وهم إذا وصفوا الخيال بالامتناع من الزيارة في النوم أرادوا بذلك شدة هجر الحبيب، كما قال أبو تمام:

* صَدَّتْ وَعَلَّتِ الصَّدُودَ خَيَالُهَا

ولا يتصور تعليم الخيال الصدود، ولكنهم لما يصفون الحبيب بشدة الهجر يجعلون هجر الخيال نوعاً من صدوده. يقول: لم يجد الحلم بالحبيب: أي لم أره في النوم ولا رأيت خياله لولا أنني أطلت تذكر وداعه ومفارقه وواصلت الفكر فيه ليلاً ونهاراً. يعني: تذكرى في اللحظة الوداع والفراق أرائي في النوم خياله، ولو أنا غفلت عن ذكره لم أره في النوم: أي أن موجب رؤية الخيال هي استدامة ذكر الوداع والفراق، قال

إِنَّ الْمَعِيدَ لَنَا لَلنَّامُ خَيَالُهُ كَانَتْ إِعَادَتُهُ خَيَالَ خَيَالِهِ (١)
 بِنَنَّا مُبْنَاوَلْنَا الْمَدَامَ بِكَفِّهِ
 مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أَنْ تَرَاهُ بِيَالِهِ (٢)

الواحدى ناقداً : جود الحلم بالحبيب هو جوده بمثاله ، وجعل أبو الطيب ذلك شبيهاً
 ظننا منه أنه يرى الحبيب فى النوم ويرى خياله . ورؤية الحبيب فى النوم هى رؤية خياله
 لا رؤية شخصه بعينه ؛ وقال بعض الشراح : يريد أنه بعدما ودعه الحبيب بقى يتذكر
 وداعه ورحيله ، فانقضت الرؤية وخلفها التصور حتى تجسست صورته فى وهمه ، وصار
 إذا رأى خياله فى الحلم انتقل إليه ذلك الخيال عن التصور ، لا عن العيان ، فهو يقول
 لولا استدامة هذا التذكر ما جاد على الحلم بمراى خياله ولا خيال صورته : وهذا تفسير
 وجهه ، وهو ينظر إلى قول القائل :

نَمَّ فَمَا زَارَكَ الْخِيَالَ وَلَكِنْكَ بِالْفَكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخِيَالِ
 (١) يقول : إن الذى أعاد المنام لنا خياله فأرانا فى النوم كان ذلك الذى أرانا
 خيال الخيال ؛ يعنى أنا كنا نصور لأنفسنا فى اليقظة خياله ؛ فالذى رأيناه فى النوم كان
 خيال ذلك الذى كان يتصور لنا فهو خيال الخيال ، وهذا البيت تأكيد لما قبله من
 أنه يدوم على ذكر الحبيب وذكر حال الوداع والفراق . والمنام - فى البيت - فاعل
 المعيد ؛ وخياله : مفعول به وقوله « كانت إعادته » لك أن تجعل « كانت » تامة ، بمعنى
 حصلت ؛ وخيال خياله : منصوباً بالإعادة ، ويجوز أن يكون أراد . بالإعادة : الشيء
 المعاد - على تسمية المفعول بالمصدر - فيكون « خيال خياله » خبر : كانت .

(٢) يصف الحال التى رأى خيال الخيال عليها فى النوم . يقول : رأيناه يعطينا
 الشراب بكفه وما كان يجرى فى خاطره أن نراه للبعد الذى بيننا ، والشاعر يجعل
 ما يراه فى النوم كأنما يراه فى اليقظة ، قال البحرى ؛
 أَرَدْتُ دُونَكَ يَقْظَانَا وَيَأْذُنُ لِي عَلَيْكَ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتَ وَسَنَانَا
 ولأبى نواس :

إذا التقى فى النوم طيفنا عادا إلى الوصل كما كانا
 ياقرة العين فما بالناس نشق ويلتذخي لانا

يَجْنَى الْكَوَاكِبَ مِنْ قَلَائِدٍ جِيدِهِ (١) وَنَنَالَ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ (٢)
بَنَتْكُمْ عَنِ التَّيْنِ الْقَرِيمَةِ فِيكُمْ ، وَسَكَنْتُمْ ظَنِّ الْقَمُودِ الْوَالِدِ (٣)
فَدَنُونُكُمْ وَدُنُونُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ ، وَتَمَحَّكُمْ ، وَتَمَاحُكُمْ مِنْ مَالِهِ (٤)
إِنِّي لَا أَبْغِضُ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانَ وَصَالِهِ (٥)

لَوْ شِئْتُ إِذَا أَحْسَنْتَ لِي نَائِمًا أَتَمَمْتُ إِحْسَانَكَ يَقْطَانَا

(١) التشبيه في البعد ، لا في الصورة . يقول : ما كنا نظن أن نراه فلما رأيناه صرنا كأننا نرى بقلائده الكواكب واخلخاله الشمس ، يعنى رأينا في المنام ما لم نصل إليه في اليقظة ، وقال العكبرى : ما فى قلاوته من الدر بالكواكب واخلخاله بعين الشمس ؛ يريد لمعان خلخاله ، وذكر أنه يجنى الكواكب من تلك القلائد بتناوله لها وينال عين الشمس من تلك الخلال بلسه إياها ؛ قال : فأحرز قصبته التشبيه فيما شبه به مما لا زيادة عليه فى حسن النظر ، وأشار إلى المعانقة واللامسة بأحسن إشارة فجعل مديده إلى تلك الفرائد جنباً للكواكب وإلى الخلال نيلاً لعين الشمس .

(٢) القرينة : التى بها قروح من طول البكاء . والوله : التحير ؛ أى ذهب العقل من جراء الحب . وهذا البيت تأكيد لما ذكره قبل . يقول : بعد تم عن مرأى التى قرحت بالبكاء فى سبيلكم وسكنتم فى ظنى وفكرى - أى فى قلبى - فليس يخلو القلب من ذكراكم ؛ وظن القمود : وبرى طى القمود ، وهذا كقول القائل .

لئن بعدت عنى لقد سكنت قلبى فسيان عندي غاية البعد والقرب
ومثله قول ابن المعتز المتقدم :

إنا على البعاد والتفرق لتلتقى بالذكر إن لم نلتقى

(٣) يقول : استدانكم القلب بتفكيره فالدنو من قبل القلب - لا من قبلكم - وسمحتكم بالزيارة لكثرة فكره فيكم ، والسباح - على الحقيقة - إنما هو منه لا منكم إذ لو خلا القلب منكم لم يحصل هذا الدنو ، وإذن : لأمته لكم فى هذا . ولما ذكر السباح ذكر المال لتجانس الصنعة ، فالضمير فى « عنده » وفى « ماله » ، للقمود .

(٤) الطيف : الخيال ؛ وأصل الطيف : الجنون ، ثم استعمل فى مس الشيطان ، قال تعالى « إذا مسح طائف من الشيطان » وقرئ « طيف من الشيطان » ؛ ومنه

مِثْلُ الصَّبَابَةِ وَالْكَأَبَةِ وَالْأَسَى فَارَقْتُهُ فَحَدَّثَنِي مِنْ تَرَاحَالِهِ ^(١)
وَقَدْ اسْتَقَدْتُ مِنَ الْهَوَى وَأَذَقْتُهُ مِنْ عِفَّتِي مَا أَذَقْتُ مِنْ بَلْبَالِهِ ^(٢)

طيف الخيال الذي يراه النائم ؛ يقال طاف الخيال يطيف طيفا ومطافا : أى ألم فى النوم . قال كعب بن زهير :

أنى ألم بك الخيالُ يطيف ومطافه لك ذِكْرَةٌ وشُعُوفٌ ^(١)

والضمير المستتر فى « يهجرنا » للحبيب . وضمير « وصاله » للطيف . يقول : إنه ييغض طيف الحبيب لأن رؤيته الطيف عنوان الهجر ، إذ لا يراه إلا حال فراق الحبيب ؛ وعبارة العكبرى : هو ييغض طيف محبوبه مع كلفه به ويكرهه مع ارتياحه له ، لأنه كان يهجره فى زمن الوصل ولا يطرقة مع التثام الشمل ، فيقول رؤيتى الطيف عنوان الهجر . قال ابن جنى : هذا يسمى الأَكْذَابُ لأنه قال فى الأول لا الحلم جاد به ، فزعم أن النوم لا يصل إلى أن يريه الخيال ، ثم ذكر أنه ييغض طيفه . وقال الواحدى : كان من حقه أن يقول إذ كان يوصلنى زمان الهجر ، لأن هجر الطيف زمان الوصل لا يوجب بغضاله ؛ إذ لا حاجة به إلى الطيف زمان الوصل ، ولكنه قلب الكلام على معنى أن هجره زمان الوصل يوجب وصله زمان الهجر .

(١) لك أن تقرأ « مثل » بالرفع على أنها خبر عن محذوف هو ضمير الطيف ؛ وبالنصب : على تقدير أبغضه بغضا مثل . والصبابة : رقة الشوق ؛ والأسى : الحزن ، والضمير من « فارقت » للمحجوب ؛ والجملة تفسير للمائلة ، أو حال من الصبابة وما يليها ، والى تعود إليها النون من قوله « فحدثنى » على حد قولك : جلس زيد تضحك الجماعة فيعيس . يقول : فارقت من أحبه فحدثت هذه الأشياء - الصبابة والكأبة والأسى - وكذلك الطيف إنما زار زمن الهجر .

(٢) استقدت : اقتنصت ، من القود ؛ وهو قتل القاتل بالقتيل . والأصل فيه أن يقاد القاتل إلى أهل المقتول ، فرجما قتلوه به ورجما عفوا عنه . والبلبال : الهم والحزن وهذا تمثيل . يريد : كان الهوى يؤذنى والحبيب غائب ، فلما حضر جعلت إعراضى عن إجابة داعية الهوى وتعفى عما يعجزنى إليه جزاء له . وبعبارة أخرى : لى استغتمت من الهوى بتعفى وإعراضى عن إجابة داعيه ، فأذقته بذلك من العيظ مثل ما أذاقنى من

(١) شعوف : يحتمل أن يكون جمع شعف ؛ ويحتمل أن يكون مصدرا وهو الظاهر والشعف والشعوف : إحراق الحب القلب مع لذة يمجدها .

وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أَرْضٍ سَاعَةً تَسْتَجِفُّ الضَّرْعَامَ عَنْ أَشْبَالِهِ (١)
تَلْقَى الْوُجُوهَ بِهَا الْوُجُوهَ وَبَيْنَهَا ضَرْبٌ يَجُولُ الْمَوْتُ فِي أَجْوَالِهِ (٢)
وَلَقَدْ خَبَأْتُ مِنَ الْكَلَامِ سُلَافَهُ وَسَقَيْتُ مَنْ نَادَمْتُ مِنْ جِرْيَالِهِ (٣)
وَإِذَا تَعَثَّرَتِ الْجِيَادُ بِسَنَنِهِ بَرَزْتُ غَيْرَ مُعْتَرٍ بِجِبَالِهِ (٤)
وَحَكَمْتُ فِي الْبَلَدِ الْعَرَاءِ بِنَاعِجٍ مُعْتَادِهِ مُجْتَابِهِ مُقْتَالِهِ (٥)

الحزن . قال ابن جني : قوله من الهوى يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون العرض - أى الهوى نفسه - فيكون هذا من مبالغة الشعر التي ليست لها حقيقة ، والآخر أن يريد المرأة التي شرب بها فيكون على حذف مضاف : أى ذات الهوى .

(١) تستجفل الضرعام : تستدعى إسراره في الحرب - من قولهم جفل الظليم وأجفل إذا أسرع - والضرغام : الأسد ؛ وأشبالة : أولاده . وقوله « لكل أرض » أى لافتح أو غزو أو قتال كل أرض . وكفى بالساعة عن قصر المدة التي يستولى عليها وسرعة تمكنه منها . يقول : ادخرت لفتح كل أرض ساعة مهولة شديدة لو رآها الأسد لأخذه من الروح ما يضطره إلى الفرار عن أشبالة لشدها وهولها .

(٢) الأجوال : النواحي ، واحدها : جول ، وجال ؛ والضمير في « بها » : للساعة ويجوز أن يكون للأرض . يقول : يتلاقى الأبطال في تلك الساعة وبينهم ضرب شديد يكثر الموت فيه ، يجول في نواحيه ؛ وفي البيت جناس بين « يجول » و « أجواله » .

(٣) السلاف : أجود الحمر ، وهو أول ما يجرى من ماء العنب من غير عصر ؛ والجريال : ما كان منه أحمر ، وهو دون السلاف . يقول : إن الذي سمعه الناس من كلامي ورأوه إنما هو بمنزلة الجريال من السلاف : أى لم أخرج لهم مختار شعري وجيد كلامي ، وإنما خبأته لسيف الدولة .

(٤) الجياد : الحيل الكريمة ؛ وبرزت : سبقت . يقول : إذا تعثر الشعراء المهيئون بالكلام السهل سبقتهم غير متعثر بحزنه ، يعنى إذا لم يقدرُوا على السهل القريب كنت قادراً على الصعب الممتنع ، فجعل الجياد مثلاً لفحول البلاغة ؛ والسهل والجيال مثلاً لسهل الكلام وصعبه .

(٥) العراء الأرض الواسعة الخالية ؛ والناعج : الأبيض الكريم من الإبل ؛ و « معتاده » نعت لناعج ؛ والضمير المجرور ؛ للبلد العراء ؛ والمجتاب : القاطع ، وهو الذي يقطع الأرض بالسير . والمقتال : المهلك - أى الذي يفنيه بالسير - يصف قوته على السير

يَمْشِي كَمَا عَدَتِ اللَّطَى وَرَآهُ ، وَيَزِيدُ وَقْتُ جَمَاهَا وَكَلَالَهُ ^(١)
وَتَرَاعُ غَيْرَ مُعَقَّلَاتِ حَوْلَهُ فَيَقُوتُهَا مُتَجَفِّلًا بِمِقَالِهِ ^(٢)
فَغَدَا النَّجَاحُ وَرَاحَ فِي أَخْفَافِهِ ، وَغَدَا الْمِرَاحُ وَرَاحَ فِي إِرْقَالِهِ ^(٣)
وَشَرِكْتُ دَوْلَةَ هَاشِمٍ فِي سَـيْفِهَا ،
وَشَقَقْتُ خَيْسَ الْمَلِكِ عَنْ رَبِّئَالِهِ ^(٤)

وقطع الفلوات . يقول : وحكمت في الفلوات أجوبها متى شئت يحمل قد اعتاد السفر وقطع الفلوات ، ومعنى حكمت فيه قطعت به ، على ما قدرت كما أردت ، لاعتمادى على قوة مطيقي .

(١) عدت : ركضت ؛ واللطى : الإبل ؛ والجمام : الراحة ؛ يقال جم الفرس يحجم ويجم جما وجماما وأجم : ترك فلم يركب ، فذهب إعياءه ؛ وفرس جوم : إذا ذهب منه إحضار - جرى - جاءه إحضار ؛ وكذلك الانقى ، قال النمر بن تولب :

جُومُ الشَّدِّ شَائِلَةُ الذَّنَابِي يَخَالُ بِيَاضَ غُرَّتِهَا سَرَاجَا ^(١)

والكلال : الإعياء . يقول : إن هذا الناعج يمشى على مهله فيسبق الإبل الراكضة خلفه : أى أنه يسبق عدو الإبل ماشيا ويزيد عليها سرعة إذا كان كالا من طول السير وهى مستريحة ، فما ظنك به إذا تساوت به الحال وذهب عنه الكلال ؟

(٢) ترع : تخوف ، ومعقلات : مشدودات بالعقال ، يقال عقل البعير وعقله واعتقله : إذا ثنى وظيفه مع ذراعه وشدها جميعا في وسط الذراع ، وذلك الجبل هو العقال ، والجمع عقل - والتجفل : للسرع . يقول : إذا طرأ على الإبل ما يروعها فنفرت فاختد عدوها - جريها - وهى غير معقولة سبقها هذا الناعج وهو في العقال فتصير وراءه .

(٣) الأخفاف : جمع خف ، جمع فرسن البعير ؛ والمراح : النشاط ؛ والإرقال : الإسراع . يقول : بسيره أدرك ما أطلب من النجاح ، فالنجاح في قوائمه ، وهو نشيط في عدوه لا نشاط إلا في إرقاله ؛ وبعبارة أخرى : نجاحى كله منوط بقوائمه لأنى أبلغ مطالبى عليه ، وهو نشيط لا نشاط إلا في إسراعه :

(٤) الخيس : أجمة الأسد ؛ والرئبال : الأسد . يقول : صرت مشاركا للخلافة في

(١) قوله شائلة الذنابي : يعنى أنها ترفع ذنبها في العدو - أى الجرى -

عَنْ ذَا الَّذِي حُرِّمَ اللَّيْثُ كَالَهُ يُنْسِي الْفَرِيسَةَ خَوْفَهُ بِجَمَالِهِ ^(١)
وَتَوَاضَعُ الْأَمْرَاءُ حَوْلَ سَرِيرِهِ ، وَتَرَى الْمَحَبَّةَ وَفِي مِنْ آ كَالَهُ ^(٢)
وَيُمِيتُ قَبْلَ قِتَالِهِ وَيَبْشُ قَبْلَ نَوَالِهِ وَيُنِيلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ ^(٣)
إِنَّ الرِّيَّاحَ إِذَا عَمَدْنَ لِنَاضِرٍ أَغْنَاهُ مُقْبِلُهَا عَنْ اسْتِمْعَالِهِ ^(٤)
أَعْطَى وَمَنْ عَلَى الْمُلُوكِ بِمَقْوَرِهِ حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فِي إِفْضَالِهِ ^(٥)

سيف الدولة : أى جعلته سيفاً لى ، كما هو سيف دولة هانم ووصلت إلى أسد الملك بشق الخيس إليه ؛ يعنى أن نظام أمرى من عطايه ، كما أن نظام الدولة من رأيه .

(١) يقول : شققت خيس الملك عن الليث - الأسد - الذى أعطى من الكمال ما لم تعطه الأسود ، لأنه يشركها بياسه ويفوتها بحسنه وجماله ، فهو لحسنه إذا بطش بعده شغله النظر إلى جماله عن خوفه ، وما يتوقمه من بأسه ؛ والأسود إذا افترست فريسة أفرعتها لقبح منظرها . ومن روى خوفه : فالخوف مضاف إلى المفعول ، لأنه المخوف ؛ ومن روى خوفها : فالمصدر مضاف إلى الفاعل ، لأن الفريسة هى الخائفة .

(٢) تواضع - بخذف إحدى التائين - أى تتواضع ؛ والآ كال : الأرزاق والأقوات يقول : إن الأمراء لرفعة شأنه يتواضعون له يقبلون الأرض حول سريرهم ويظهرون له المحبة وهى - المحبة - من جملة الأرزاق التى تجبى له من مملكته ؛ يعنى أنه محبوب إلى كل أحد .

(٣) النوال : العطاء . يقول : إنه يقتل العدو بخوفه وهيبته قبل أن يقاتله ، ويبش للسائل قبل أن يعطيه ، ويعطيه قبل أن يسأله .

(٤) عمدن : قصدن ؛ والناظر : بمعنى المنتظر ؛ ومقبلها - بكسر الباء - أى ما يستقبل منها . قال الواحدى : والرواية الصحيحة مقبلها - بفتح الباء أى إقبالها ، فيكون مصدرا وهذا مثل لعجلته فى العطاء وسبقه السائل . يقول : إن الرياح إذا قصدت من ينتظرها أغنته بسرعتها عن أن يستعجلها فى وصولها إليه ، كذلك هو لا يحتاج إلى محرك له فى الكرم والفضل .

(٥) يقول : لم يخل أحد من إفضاله عليه ، فمن كان دون الملوك ممن هم أهل للعطاء أعطاهم ، أما الملوك فقد من عليهم بالعمو عنهم وترك ما لكهم لهم ، فتساوى الجميع فى إفضاله عليهم ، قال البحرى :

وَإِذَا غَنُوا بِمِطَاطِهِ عَنْ هَزِهِ ، وَآلَى فَأَغْنَى أَنْ يَقُولُوا وَإِلَيْهِ ^(١)
وَكَأَنَّمَا جَذْوَاهُ مِنْ إِكْثَارِهِ حَسَدٌ لِسَائِلِهِ عَلَى إِقْلَالِهِ ^(٢)
غَرَبَ النُّجُومُ فَفَرْنَ دُونَ هُمُومِهِ ، وَطَلَعْنَ حِينَ طَلَعْنَ دُونَ مَنَالِهِ ^(٣)
وَاللَّهُ يُسَعِّدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ ، وَيَزِيدُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي آلِهِ ^(٤)
لَوْ لَمْ تَكُنْ تَجْزَى عَلَى أَسْيَافِهِ مَهْجَاتُهُمْ بَجَرَتْ عَلَى إِقْبَالِهِ ^(٥)

عَمَّتْ صَنَائِعُهُ الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا ، فَعَدَا الْقُلُوبُ عَلَى الْغَنَى الْمَكْرُ

(١) هزه: أى تحريكه للطاء بالسؤال ؛ ووالى : تابع . وأن يقولوا : مجرور بـ«عن» محذوفة صلة أغنى وواله: أمر من الموالاة ، والضمير للطاء . يقول: وإذا استغنى الناس بما يعطيهم عن أن يحركوه للطاء تابع عطاءه ؛ فأغناهم بذلك عن أن يكرروا السؤال .

(٢) الجدوى : العطية ؛ والإقلال : القلة والفقر . يقول : لإكثاره العطاء كأنما يحسد سائله على الفقر فيعطى عطاء كثيراً ليصير مثله فقيراً ، وكذلك قال المتنبي نفسه حين سألته ابن جنى عن معناه ، قال المتنبي : أردت إفراطه في الجود ، حتى كأنه يطلب أن يكون مفلاً - كسائله - فهو يفرط في إعطائه طلباً للإقلال ، فكأنه - لكثرة إعطائه - يحسد على الفقر والقلة حتى يصير فقيراً .

(٣) ففرن : أى ففرن ؛ والهموم : جمع هم ، بمعنى همة . يقول : إن النجوم تقرب وتغور في مكان أدنى من هممه وتطلع من مكان أدنى من الغاية التي ينالها ؛ أى أن همته تبلغ إلى ما هو وراء النجوم ، وينال أبعد منها ؛ وعبرة الشراح : إن همته بلغت أقصى من مغارب النجوم ، وتطلع النجوم من مشارقها وهي دون ما ناله بهيمته ؛ يعنى أن النجوم مع ارتفاع مواضعها وانزياح مغاربها ومطالعها تقرب مقصرة عما تبلغه همته وتطلع متواضعة عما يدركه تناوله . قال الواحدي : ويجوز أن يكون المعنى أن منال الممدوح أبعد من مطلع النجوم : أى لا يصيبه أعداؤه ولا يبلغون مناله .

(٤) الجد : الحظ ؛ وآل الرجل : أهله وأتباعه . يقول : يحدد الله له كل يوم سعادة ويحمله من أعدائه أولياء له ينضمون إليه ويوالونه رغبة أو رهبة ، فيزيد بذلك عدد صحبه وأشياعه .

(٥) يقول : لو لم يقتل أعداءه بسيفه ماتوا بقوة جده وإقبال سعده ، فكان سيف

لَمْ يَنْزُكُوا أُنْزَا عَلَيْهِ مِنَ الْوَعَى إِلَّا دِمَاءُهُمْ عَلَى سِرْبَالِهِ ^(١)
 فَلَمَّثْلِهِ جَمَعَ الْعَرْمَرَمُ نَفْسَهُ ، وَبِمِثْلِهِ انْفَصَمَتْ عُرَى أَقْتَالِهِ ^(٢)
 يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُبَاهِي وَجْهَهُ لَا تُكْذِبَنَّ فَلَسْتَ مِنْ أَشْكَالِهِ ^(٣)

إقباله يقتلهم . جعل مهجهم تجري على إقباله تشبيها له بالسيف من طريق التشاكلة .
 وللجهة : دم القلب والروح .

(١) الوعى : الحرب ؛ والسربال : الثوب . يقول : لما قاتل أعداءه لم يؤثروا فيه
 أنزاً غير تلطيخ ثوبه بدمائهم التي سفكتها منهم صوارمه .

(٢) العرمرم : الجيش الكثير . ويقال قصمه يقصمه قصا فانقصم : كسره من غير
 أن يبين ؛ أما التقصم - بالقاف - فهو الكسر فيه بينونة ، يقال قصمه يقصمه قصا فانقصم
 وتقصم . قال ذو الرمة يذكر غزالا شبهه بدملج فضة :

كَأَنَّهُ دُمْلَجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهُ فِي مَلْعَبٍ مِنْ جَوَارِي الْحَى مَفْصُومٍ ^(١)
 والعري - هنا - القوى ؛ والأقتال : الأعداء ، جمع قتل - بكسر القاف - أى المقاتل
 قال عبد الله بن قيس الرقيات :

وَإِغْتَرَابِي عَنْ عَامِرِ بْنِ لُؤَى فِي بِلَادٍ كَثِيرَةِ الْأَقْتَالِ

والضمير في «إقتاله» للمدح ، أو للجيش . يقول : مثل سيف الدولة - أى له
 لا لغيره - يجمع الجيش الكثيف نفسه ويسلم طاعته فهو - لأنه يغنمه ويسلبه - كأنه جمع
 نفسه له . ثم قال : وبمثلته من أولى الحزامة والتدبير انقصمت عرى أعدائه وانقرط عقدهم
 ولم يكونوا شيئا مذكورا . أو تقول : إن مثله من يجتمع الجيش الكثير لقتاله ودفع
 بأسه ولكن مثله من يقتل الجيش ويكسر قواه فلا يغنى أماءه شيئا .

(٣) الباهي : المفاخر . يقول : - للقمر - لا تسمعن الكذب ولا تكذبك نفسك
 لست من أمثاله فى الحسن والنور ؛ يعنى أن من قال لك إنك مثله فقد كذبك ، وجعل
 القمر مباهيا وجهه لانه بحسنه وزيادته كل ليلة كأنه يباهى وجهه

(١) شبه الغزال وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونسى ، وكل شيء سقط من إنسان
 بفسنيه ولم يهتد له فهو نبيه ، وقيل فى نبيه إنه المشهور ، وقيل النفيس الضال الموجود
 بمن غفلة لا عن طلب وإنما جعله مفصوما لتثنيه وانحنائه ، ولم يقل مقصوم - بالقاف -
 فيكون بائنا بائنين .

وَإِذَا طَمَأَ الْبَحْرُ الْمَحِيطُ قُلْنَ لَهُ دَعِذَا فَإِنَّكَ عَاجِزٌ عَنْ حَالِهِ ^(١)
 وَهَبَ الَّذِي وَرِثَ الْجُدُودَ وَمَا رَأَى أَفْعَالَهُمْ لِابْنِ بِلَا أَفْعَالِهِ ^(٢)
 حَتَّى إِذَا فَنِيَ التَّرَاثُ سِوَى الْعَمَلِ قَصَدَ الْعُدَاةَ مِنَ الْقَنَاءِ بِطَوَالِهِ ^(٣)

(١) طما البحر : ارتفع وزخر . يقول : قل للبحر - إذا امتلأ ماء - دع هذا الامتلاء والافتخار به ، فانك لن تبلغ مبلغه من الجود ؛ فالإشارة بقوله «ذا» إلى ما يفهم من قوله «طما» من العظمة والافتخار : وفي مثل هذا يقول البحري :

قَد قُلْتُ لِلْفَيْثِ الرُّكَامِ وَلَجَ فِي إِبْرَاقِهِ وَالْحُجَّ فِي إِرْعَادِهِ
 لَا تَعْرِضَنَّ الْجُمْفِرَ مُتَشَبِّهًا بِنِدَى يَدِيهِ فَلَسْتَ مِنْ أُنْدَادِهِ

(٢) ورث الجدود : أى ورثه من الجدود ، تقول ورثت زيدا مالا : أى من زيد ولابن : مفعول ثان لرأى ؛ والضمير فى «أفعاله» يعود إلى الابن ، و«لا» فى قوله «بلا أفعاله» فى معنى غير . يقول : وهب ما ورثه من جدوده من المال والمآثر كلها فوهب المال للعفاة وترك مفاخر آبائه لقومه غير مفتخر بها ، لأنه لا يفخر إلا إلا بفعل نفسه ولا يرى أفعال الجدود شرفا دون أن يبنى عليها . وبعبارة أخرى : وهب الذى ورثه من جدوده من المال ولم يفخر بأفعالهم ، لأنه يرى أن أفعال الجدود لا يثبت شرفها للابن مالم يشفعها هو بأفعال تماثلها . والأصل فى هذا المعنى قول المتوكل الليث .

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَبْنَا كَرُمْتَ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَكَلُّ
 نَبْنَى كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا نَبْنَى وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وقال كشاجم :

وَإِذَا افْتَخَرْتَ بِأَعْظَمِ مَقْبُورَةٍ فَالنَّاسُ بَيْنَ مُكَذِّبٍ وَمُصَدِّقٍ
 فَاقُمْ لِنَفْسِكَ فِي انْتِسَابِكَ شَاهِدًا بِحَدِيثِ مُحَمَّدٍ لِلْقَدِيمِ مُحَقِّقٍ
 وَقَالَ الشَّرِيفُ الرُّضَى :

فَخَرْتُ بِنَفْسِي لَا بِقَوْمِي مُوقِّرًا عَلَى نَاقِصِ قَوْمِي مَا نَزَّ أَمْرَتِي

(٣) التراث : المال الموروث . وقوله فى التراث سوى العلاء : لأن المال يفتى بالهبة ؛ والعلاء لا تفتى ، وإن ترك الافتخار بها . يقول : لما لم يبق من المال الموروث شيء قصد الأعداء بالرمح الطوال فامتلات يده بفنائهم : أو تقول : لما فى ما ورثه من الأموال

وَبَارِعَنِ لَبِيسَ الْعَجَاجِ إِلَيْهِمْ . فَوْقَ الْحَدِيدِ وَجَرَ مِنْ أَذْيَالِهِ ^(١)
فَكَأَنَّمَا قَذَى النَّهَارُ بِنَقْعِهِ . أَوْ غَضَّ عَنْهُ الطَّرْفُ مِنْ إِجْلَالِهِ ^(٢)
الْجَيْشُ جَيْشَكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ . فِي قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ^(٣)
تَرَدُّ الطَّلَعَانِ الْمُرَّ عَنْ فُرْسَانِهِ . وَتُنَازِلُ الْأَبْطَالَ عَنْ أَبْطَالِهِ ^(٤)

لا من العالي ، لأنه لم يضع شيئاً من مجد آباءه - ركب إلى العدا فأتسعت يده بغنائمهم .
وقوله بطوالة : أى طوال القنا ،

(١) الأرعن: الجيش العظيم المضطرب لكثرتة ؛ وقيل سمى الجيش العظيم «أرعن»
لأن له فضولا كرعان الجبال . شبه بالرعن من الجبل وهو الأنف العظيم من الجبل تراه
متقدماً ، ومن ذلك سميت البصرة رعناء : أى تشبها برعن الجبل ؛ قال الفردق :

لَوْ لَا أَبُو مَالِكٍ الْمَرْجُوءُ نَأَلَهُ مَا كَانَتْ الْبَصْرَةُ الرَّعْنَاءُ لِي وَطَنًا

والعجاج الغبار : يقول : قصد العدو بجيش عظيم قد لبس فوق ما عليه من الحديد
دروعاً من العجاج وجر أذيال ذلك العجاج خلفه ، والجيش كلما كثر كثرت الغبار ؛ ومن
في قوله من أذياله - زائدة ، كما تقول : جاء يهز من عطفه .

(٢) القذى : ما يقع في العين من الغبار ونحوه ؛ والنقع : الغبار ؛ وغض الطرف
كسره وخفضه ؛ والضمير في نقعه : للجيش . وفي عنه وإجلاله : للعبش ، أولسيف الدولة
يقول : أظلم النهار بشدة ذلك الغبار حتى كأنما وقع في ضوئه قذى من الغبار ، يعنى
أن الغبار غطى ضوء النهار فصار كالقذى في عينه ، أو كأن النهار غض طرفه لإجلاله .
قال الواحدي : وطرف النهار هو الشمس ، فالمعنى أن هذا الغبار نقص من ضوء الشمس
وسترها بتكاثفه .

(٣) قلب الجيش : وسطه . يقول : الجيش على الحقيقة جيشك ، فكل جيش سوى
جيشك ليس بجيش ، لكنك جيش جيشك ، لأنه بك يتقوى ، وقلبه وجناحه تقوى
بك ؛ أو تقول : الجيش جيشك يذود عنك وينزل على حركك ، ولكنك أنت في الحقيقة
جيشه الذى يقى قلبه وجناحه ويحتمى بك ، وإذا احتتمى الملوك بجيوشهم فانت تحمى
جيشك وتدافع عنه بشجاعتك وإقدامك . قال أبو تمام :

لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَغَى لَفَدَا مِنْ نَفْسِهِ وَخَدَهَا فِي جَحْفَلٍ لِحِبِ

(٤) هذا تبين لما ذكره في البيت السابق من أنه جيش جيشه . يقول : لأنك تقايل

كُلُّ يُرِيدُ رِجَالَهُ لِحَيَاتِهِ يَأْمَنُ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ (١)
 دُنَ الحَلَاوَةِ فِي الزَّمَانِ مَرَارَةً لَا تُخْتَطَى إِلَّا عَلَى أَهْوَالِهِ (٢)
 فَلِذَاكَ جَاوَزَهَا عَلَى وَحْدِهِ وَسَعَى بِمُنْصَلِهِ إِلَى آمَالِهِ (٣)

وقال وقد توسط سيف الدولة جبالا بطريق آمد :

يَوْمُكُمْ ذَا السَّيْفِ أَمَالَهُ وَلَا يَفْعَلُ السَّيْفُ أَفْعَالَهُ (٤)
 إِذَا سَارَ فِي مَنَمِهِ عَمَّهُ وَإِنْ سَارَ فِي جَبَلِ طَالَهُ (٥)

عن فرسان جيشك فيقع عليك الطعام المر دونهم ، وتقاتل أبطال أعدائك عن أبطال جيشك فكفهم القتال ومقاساة الطعام . وترد : من ورود الماء ؛ يريد تشبيه الطعام بالنهل ، ولذلك وصفه بالمرارة .

(١) يقول : كل الملوك يريدون رجالهم ليدافعوا عنهم ويحموهم من أعدائهم ليقوا ويسلموا ، وأنت تريد أن يبقى رجالك ويسلموا فتدافع عنهم وتحامي دونهم ، وهذا غاية الكرم والشجاعة . وقد بنى المتنبي هذا البيت على حكاية وقعت لسيف الدولة مع الأخشيد وذلك أنه جمع جيشاً وزحف به على بلاد سيف الدولة ؛ فبعث إليه سيف الدولة يقول : لا تقتل الناس بيني وبينك ، ولكن ابرز إلى فأينا قتل صاحبه ملك البلاد ؛ فامتنع الأخشيد ووجه إليه يقول : مارأيت أعجب منك ! أأجمع مثل هذا الجيش العظيم لأقبي نفسي ثم أبارزك ؟ والله لافعلت ذلك أبداً .

(٢) لا تختطى : لا تتجاوز . يقول : لا يوصل إلى حلاوة الزمان إلا بعد ذوق مرارته ، ولا تتجاوز تلك المرارة إلا بارتكاب الأهوال ، كما قال :

* ولا بدّ دون الشَّهْدِ من لَبْرِ النَّجْلِ *

(٣) على : اسم سيف الدولة ؛ والنصل : السيف . يقول لأن تلك المرارة على ما ذكر جاوزها — قطعها — المدوح وحده ، لأنه لا يركب الأهوال غيره ووصل بسيفه إلى ما كان يؤمله ، فأدركه حين طلبه بالسيف .

(٤) يؤم : يقصد . يقول : هو — سيف الدولة — سيف يقصد ويطلب ما يؤمله ، ولكنه أمضى من السيف في بلوغ آماله .

(٥) المهمة : المغازاة البعيدة . وطالاه — من قولهم طاولته فطلته : أى غلبته في الطول

وَأَنْتَ بَمَا نُلْتَنَا مَالِكٌ يُشْمَرُ مِنْ مَالِهِ مَالَهُ^(١)
كَأَنَّكَ مَا بَيْنَنَا ضَيْفٌ يُرْشَحُ لِلْفَرَسِ أَشْبَاهَهُ^(٢)

* * *

وقال يمدحه ويذكر الخيمة التي رمتها الريح ، وكان قد ضرب سيف الدولة خيمة عظيمة بميا فارقين وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها فهبت ريح شديدة فوقمت الخيمة فسكلم الناس في ذلك فقال :

أَيَقْدَحُ فِي الْخِيْمَةِ الْعَذْلُ وَتَشْمَلُ مَنْ دَهَرَهَا يَشْمَلُ^(٣)
وَتَعْلُو الَّذِي زَحَلَتْ تَحْتَهُ مُحَالٌ لِعَمْرُكَ مَا تُسْأَلُ^(٤)

يقول : إذا سار في الفلوات والأرض السهلة عمها بجنوده ، وإن سار في الجبل علاه فصار فوقه وليس هذا من أعمال السيف .

(١) نال ينول : إذا أعطى ؛ وثمر ماله : أحسن القيام عليه وأتماه . يقول : أنت بما تعطينا كالمالك الذي ينمي أمواله ، ولكنك تنمي بعضها ببعض .

(٢) الضيف : الأسد . ورشحه للأمر : هبأه وأهله ، والفرس بمعنى الاقتراس ؛ والشبل : ولد الأسد . يقول : أنت - لأنك تمرست بمقارعة الأبطال ، وتفردت دوننا بمنازلة الأقران - أسد ينهج لأشباهه ما يأتيه ويفعله ويضربها على ما يمثله ؛ يعني أنك تضرينا على الحرب وتعودنا القتال كما يرشح الأسد أشباهه للاقتراس فيعلمها ذلك .

(٣) أيقدح : أعييب ؛ والاستفهام إنكارى . والواو من « وتشمل » حالية ؛ والعذل : جمع عاذل ، اللائم . يقول : هؤلاء الذين يلومون الخيمة على السقوط أعييونها وعذرنا في هذا التقوض أنها اشتملت على من شمل الدهر فضاقت عنه فلم تثبت حوله ؟ قال الواحدى : وإضافة الدهر إلى الخيمة غير مستحسن ، ولو قال : من دهره يشمل لكان أحسن ؛ ومعنى شمل الشيء : أحاط به : أى أن الخيمة تحيط بمن أحاط بالدهر ؛ يعني علم كل شيء ، فلا يحدث الدهر شيئاً لم يعلمه ، ومن كان بهذا المحل لا يعلوه شيء ولا يحيط به شيء . هذا : وفي رواية * أينفع في الخيمة العذل * أى أينفع عذل العاذلين في سقوط الخيمة ؟ والرواية الأولى أوجه .

(٤) محال : خبر مقدم ؛ و« ما » من « ما تسأل » بمعنى الذى : مبتدأ مؤخر . يقول : وهل تعلو الخيمة الذى زحل تحتها في علو القدر والنسابة ؟ فالذى تسأله الخيمة أو تكلفه

فَلَمْ لَا تُلُومُ الَّذِي لَا مَهَا وَمَا فَصَّ خَاتَمِهِ يَذْبُلُ^(١)
تَضْيِيقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤُهَا
وَيَرَّ كُضُّ فِي الْوَاحِدِ الْجَحْفَلُ^(٢)
وَتَقْصُرُ مَا كُنْتَ فِي جَوْفِهَا وَتَرْكَزُ فِيهَا الْقَنَا الذَّبْلُ^(٣)

من الثبوت فوقه محال ؛ ومن روى « ماتسأل » بفتح التاء - المعلوم ؛ فالضمير للحيمة أو للمخاطب : أى أن ما تسأله هى أو ما نسألها أنت من ذلك محال .

(١) ما : بمعنى ليس ؛ ويذبل : جبل معروف . يقول : لم لا تلوم الحيمة من لامها على سقوطها قائلة له : لم لا يكون فص خاتمك يذبل ؟ أى فكما يستحيل لوم من لم يتخذ الجبل فصا ، فكذلك لوم الحيمة . وعبارة ابن جنى : إن جاز أن تلام هذه الحيمة على عجزها عن علوها الممدوح ، وهو غير ممكن - لعلوها عنها - فلم لا تلوم من لامها على أنه ليس فص خاتم يذبل ، وهو مستحيل أن يكون فص خاتم إنسان يذبل ، لأن هذا ليس فى طاقته ، فكذا هذه الحيمة لا تقدر أن تلعو الممدوح لقصورها عنه ، وقال ابن الإفلح : المعنى لم لا تلوم من لامها وتقول له إننى تهيت الرئيس وأعجزنى الاشتغال عليه بقصر يذبل مع عظمتها عن فص خاتم وخفته بجانب رزائته وقلته بالقياس إلى جلالته . فكيف أطيع الاشتغال على من هذه حاله ؟ وقال ابن القطاع : ما - من قوله وما فص خاتم يذبل - بمعنى الذى ؛ والضمير فى خاتم : لسيف الدولة ؛ والتقدير : لم لا تلوم لأنما ؛ وسيف الدولة الذى فص خاتم يذبل تحبها ؟ لحذف الخبر . . . وهذا - كما ترى - تعسف من ابن القطاع . وقد قال لنا ابن جنى : سألت اللتبي عن هذا البيت فقال « ما » بمعنى ليس ، والتقدير كما قلنا ، لم لا تلوم الحيمة من لامها ، على أنه ليس فص خاتم يذبل والضمير راجع إلى اللاتم . هذا : والخاتم - بكسر التاء وفتحها - لغتان فصيحتان .

(٢) الأرجاء : النواحي ؛ والجحفل : الجيش العظيم . يقول : إن هذه الحيمة واسعة كبيرة بحيث يركض الجيش الكثير فى أحد نواحيها ، ولكنها مع ذلك ضاقت جميعها بشخصك هية لك وإجلالا أن تلعوك .

(٣) « ما » مصدرية زمانية ؛ والقنا : الرماح ؛ والذبل : جمع ذابل بوصف به الرماح لينها ، لأنها طويلة . يقول : وتقصر عنك مادمت فى جوفها فلا تستطيع أن تلعوك إجلالا لك وهية لعلو مرتبتك مع أنها هى فى الحقيقة عالية حتى تركز فيها الرماح

وَكَيفَ تَقُومُ عَلَى رَاحَةٍ كَأَنَّ الْبَحَارَ لَهَا أُغْلُ^(١)
 فَلَيْتَ وَقَارَكَ فَرَّقْتَهُ وَحَمَلْتَ أَرْضَكَ مَا تَحْمِلُ^(٢)
 فَصَارَ الْأَنَامُ بِهِ سَادَةً وَسُدَّتْهُمْ بِالَّذِي يَفْضُلُ^(٣)
 رَأَتْ لَوْنَ نُورِكَ فِي لَوْنِهَا كَلَوْنَ الْغَزَالَةِ لَا يُفْسَلُ^(٤)
 وَأَنَّ لَهَا شَرْقًا بَادِخًا وَأَنَّ الْخِلَامَ بِهَا تَحْجَلُ^(٥)

(١) الراحة : راحة الكف ؛ والأنامل : أطراف الأصابع . يقول : وكيف تبقى الحيمة قائمة وتحمي راحتك الواسعة الجود ؟ فكأن البحار أنامل لها .

(٢) يقول : فليتك فرقت وقارك على الناس وحملت أرضك من باقى وقارك ما تنطبق حملة ، فإنك لو فعلت ذلك لحص الحيمة منه ما يوقرها ويثبتها فلا تسقط .

(٣) يقول : فصار الناس كلهم سادة بما أخذوا من الوقار وفضل لك منه ما تصير به سيد الناس . يصف رزاة حملة وكثرة وقاره ، وأنه لو فرق منه الكثير لبقى له ما يسود به الناس .

(٤) الغزالة : الشمس عند طلوعها ، يقال طلعت الغزالة ، ولا يقال غابت الغزالة ، وإنما يقال غربت الجونة ، وغزالة الضحى وغزالاته بعد ما تنبسط الشمس وتضحى ، يقال جاء فلا فى غزالة الضحى ؛ قال ذو الرمة :

فَأَشْرَقَتْ الْغَزَالَةُ رَأْسَ حُرُوزِ أَرَأَيْتَهُمْ وَمَا أَغْنَى قِبَالَ^(١)

يقول : صارت الحيمة بما اتصل بلونها من لون نورك كالغزالة التى لا يفارقها ذاتى نورها ، وأراد بقوله لا يفسل أن ذلك النور لا يزول عنها ولا يفارقها . والمعنى أن الحيمة اكتسبت من نورك ما صارت به موازية للشمس التى لا يزول نورها .

(٥) شرف بادخ : أى عال ؛ والبادخ والشامخ : الجبل الطويل ؛ وبذخ البحر يذخ

(١) يريد بقوله أرايتهم : الأعظماء ؛ ونصب الغزالة على الظرف ؛ ورأس حزوى : مفعول أشرفت على معنى علوت : أى علوت رأس حزوى فى غزالة الضحى ؛ ولك أن تقول : إن الغزالة - فى البيت - الشمس ، أى علوت رأس حزوى طلوع الغزالة : أى طلوع الشمس .

فَلَا تُنْكِرْنَ لَهَا صَرْعَةً فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ^(١)
وَلَوْ بُلِّغَ النَّاسُ مَا بُلِّغَتْ نَلَاتَهُمْ حَوْلَكَ الْأَرْجُلُ^(٢)
وَلَمَّا أَمَرْتَ بِتَطْنِيبِهَا أَشِيعَ بِأَنَّكَ لَا تَرَحُلُ^(٣)
فَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ^(٤)
وَعَرَفَ أَنَّكَ مِنْ هُمُ وَأَنَّكَ فِي نَعْرِهِ تَرْفُلُ^(٥)

بذخانا فهو باذخ وبذاخ : اشتد هدره فلم يكن فوقه شيء . يقول : ورأت أن لها شرفاً عظيماً إذ سكنتها ، وإذا رأتها الخيام خجلت ؛ إذ لم تبلغ ما بلغت من الاشتغال عليك .
(١) أنكر الشيء : استغربه ؛ والصرعة : السقطة ؛ ومن فرح النفس : خبر مقدم وما يقتل : مبتدأ مؤخر . يقول : فإذا سقطت الخيمة لم يكن ذلك تكراراً مستغرباً ، لأنها فرحت بذلك غاية الفرح ، والفرح قد يقتل إذا بلغ الغاية ، فكيف لا تصرع ؟ أى لا تسقط .

(٢) يقول : لو بلغ الناس العقلاء مبلغ هذه الخيمة من القرب منك والاشتغال عليك لحانتهم أرجلهم فلم تحملهم هيبة لك ، كما خانتها أطناها وعمدها .

(٣) التطنيب : مد الأطناب . يقول : لما أمرت بهذه الخيمة أن تنصب وتمد أطناها أشيع الخبر في الناس أنك لست راحلاً للغزو ، لأمردعك إلى الإقامة .

(٤) الاعتماد : معناه القصد ؛ والتقويض : الهدم يريد قلع الخيمة . يقول : لم يقصد الله سبحانه هدم الخيمة ، وإنما أراد بإسقاطها أن يشير عليك بما ينبغي أن تفعل من معالجة النهوض والتوجه للغزو ، وأن الأمر ليس على ما يقول الناس ؛ وأشار : بمعنى أمر ، من المشورة ، لا من الإشارة - لأنه وصله بالباء . وقال العكبري : أشار من الإشارة ، لا من المشورة في الرأي ؛ فإن قيل : الإشارة إنما تكون بالإيماء بالجارحة ، والله تعالى يرتفع عن الوصف بالجوارح ، قيل : إنما أراد بالإشارة : التنبيه ؛ أى فنبهك بوقوعها على الرحيل الذي أعرضت عنه ؛ فالخيمة المشيرة إليه بالوقوف . وقال الآخرون : وجه جوازه أن يكون الله أشار إليه بجسم من الأجسام يحتمل الحركة إما حى وإماموات ؛ إذ لا جارحة له تعالى .

(٥) من هم : مما يهتم به ويحتفل . ويقال رفل رفل : إذا تبختر وجر أذياله . يقول : وعرف الله الناس بتقويض الخيمة أنه لم يخذلك وإنما يعنى بك ؛ يريد إرشادك إلى

فَمَا الْعَانِدُونَ وَمَا أَتَلُّوا وَمَا الْخَاسِدُونَ وَمَا قَوَّلُوا^(١)
 هُمْ يَطْلُبُونَ فَمَنْ أَدْرَكُوا وَهُمْ يَكْذِبُونَ فَمَنْ يَقْبَلُ^(٢)
 وَهُمْ يَتَمَنُونَ مَا يَشْتَهُونَ وَمِنْ دُونِهِ جَدُّكَ الْمُقْبِلُ^(٣)
 وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ تَوْبُهَا وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَاءِ مُحْمَلٌ^(٤)

ما تفعل ، وأنت تمشى فى نصر دينه ، فجعل قلع الخيمة سبباً لسيرك وعلامة على أنه خار لك الارتحال .

(١) هذا استفهام تحقير وتصغير ، ولذلك استعمل بلفظ «ما» . وعند يعنبد عنود آفرو عائد : مال عن القصد ورد الحق وهو يعرفه ، وأصل العائد : البعير الذى يحور عن الطريق ويعدل عن القصد ؛ والجمع عند - مثل راصع وركع - وأنشد أبو عبيدة :
 إذا رحلت فاجعلونى وسطاً إني كبير لا أطيق العُنْدَا^(١)

يقول : هؤلاء الأعداء الذين يميلون عن الصدق إلى الكذب والחסدون مالم وما قولهم ؟ أى لا تأثير لعداوتهم وحدم فيك ولا لما يلفقونه من الأقوال أو يضربون لك من الفال بالنحوس عند سقوط الخيمة ، ومعنى ما أتلوا ما أصلا من الكلام وجلاوه أصلا لتكذابهم ؛ ويروى : ما أملا ويقال قولتى مالم أقل : أى نسبته إلى ؛ ومعناه ؛ أنهم يحكون أقوالا كاذبة ويفشونها فيما بين الناس ؛ وقال ابن جني : قولوا ، أى كرروا القول وخاضوا فيه .

(٢) فمن أدركوا : يروى «فما أدركوا» يقول : هم يطلبون رتبته . فمن الذين أدركوا منهم شأوك ؟ ووجه آخر : هم يطلبون بكيدهم فمن الذين أدركوه حتى يطمعوا فيك ، أو ماذا أدركوا من ذلك ، وهم يكذبون فى تلفيق الأحاديث عنك ، ولكن من يقبل كذبهم ويصدقهم ؟ .

(٣) الجد : البخت والإقبال . يقول : هم يتمنون الظهور عليك وإهلاكك ولكن إقبالك وسعادة جدك تحول دونهم ودون ما يشتهون .

(٤) وملمومة : عطف على جدك - فى البيت السابق - يريد كتيبة من الجيش مجموعة . وزرد : خبر مقدم ؛ وثوبها : مبتدأ مؤخر - أى اتخذت هذه الكتيبة الدروع ثياباً لها ؛ والزرد حلق الدروع ، وجعل رماحها كالحل لتلك الثياب ، وهو ما تدلى من

(١) جمع بين الطاء والذال وهو إكفاء ، ويقال هو عنى وسطاً لا عندا

يُفَاجِئُ جَيْشًا بِهَا حَيْنُهُ وَيُنْذِرُ جَيْشًا بِهَا الْقَسَطُ^(١)
 جَعَلْتَنكَ بِالْقَلْبِ لِي عُدَّةٌ لِأَنَّكَ بِالْيَدِ لَا تَجْعَلُ^(٢)
 لَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ مِنْ دَوْلَةٍ لَهَا مِنْكَ يَا سَيِّفَهَا مُنْصَلُ^(٣)
 فَإِنْ طُبِعَتْ قَبْلَكَ الْمُرْهَفَاتُ فَإِنَّكَ مِنْ قَبْلِهَا الْفَقْلُ^(٤)
 وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا فَإِنَّكَ فِي الْكَرَمِ الْأَوَّلِ^(٥)

التياب المحملة ؛ يعنى : وحال بينهم وبين ما يشتهون جيشك الذى اتخذ فرسانه الدروع لباساً لهم حتى كأنهم منها فى ثوب سابق إلا أن ذلك الثوب مخمل بالرمح ، وروى ابن الأثير : وملسومة - خفصاً - قال : أى ورب ملسومة الخ .

(١) الحين : الهلاك ؛ والقسطل : الغبار . يقول : يفاجئ هذه الكتية جيشاً هلاكه بها ، وينذر غبارها جيشاً آخر ؛ يعنى أنه تارة يسير بها ليلاً فياكر جيشاً من الأعداء لا يشعر به فيهلكه ، وتارة يسير بها نهاراً فتثير غباراً فينذر جيشاً آخر يرى ذلك الغبار فيهرب . وقيل المعنى : تحزن : أى تسير فى الحزن - فلا تثير غباراً ، وتارة تسهل : أى فى تسير فى السهل فتثير غباراً

(٢) العدة : ما أعدته لحوادث الدهر من مال وسلاح ونحوهما . يقول : اتخذتكَ عدة لى بقلبي وعزى : أى اعتقدت فيك أنك عدة لى فيما أحتاج إليه لأنك لست من العدد التى تعد باليد كالسيوف والأسلحة ، ويجوز أن يريد لست من العدد التى تعمل باليد : أى لا تتصرف فيك الجوارح ، وإنما تنال بالفكر والاعتقاد ، وعبارة بعض الشراح - وقد روى البيت فى القلب وفى اليد . اتخذت عدة لى فى القلب أتشجع بك فى الملمات وأجعل رجاءك سلاحاً لى على دفع غوائل الدهر لأنك أجل من أن تجعل فى اليد كسائر العدد (٣) المنصل : السيف ؛ ومن دولة : «من» زائدة ؛ يقول : لقد رفع الله دولة جعلتك سبيلها على سائر الدول ؛ يعنى دولة الخلافة .

(٤) المرهفات : جمع مرهف ، السيف الرقيق الحد ؛ وطبع السيف : صنعه والمقصود القاطع . يقول : إذا كانت السيوف قد سبقتك بأن طبعت قبلك فإنك قد سبقتها بالقطع لأنك تقطع بعقلك ورأيك وحكمك ما لا تقطعه السيوف . وقال ابن جنى : المعنى أنك لا تفراط قطعك وظهوره على قطع جميع السيوف كأنك أول من قطع ؛ إذ لم يرب قبلك مثلك وقال غيره يريد أن قطعها بسبكك ، ولولا قطعك ما قطعت .

(٥) يقول : إن كان السكرام الأولون جادوا قبلك ، فإنك زدت عليهم وأبدعت فى ذلك ما صرت به أولاً فى السكرم .

وَكَيفَ تُقَصِّرُ عَنْ غَايَةٍ وَأُمُّكَ مِنْ لَيْثِنَهَا مُشِيلٌ^(١)
وَقَدْ وَلَدَتْكَ فَقَالَ الْوَرَى أَلَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ لَا تُنْجَلُ^(٢)
فَتَبَّأَ لِلدِّينِ عَيْبِدِ النُّجُومِ وَمَنْ يَدَّعِي أَنَّهَا تَفْقِلُ^(٣)
وَقَدْ عَرَفْتِكَ فَمَا بَالُهَا تَرَكَ تَرَاهَا وَلَا تَنْزِلُ^(٤)

(١) الليث . الأسد ؛ ولبؤة مشيل : ذات أشبال ؛ والشبل : ولد الأسد . يقول :
كيف تقصر عن إدراك الغايات البعيدة في الكرم والفضل والشجاعة وقد ولدك الأسد ؟
فأمك أشبلت بك من أليك الذي هو الاسد ، وقد ضرب ذلك مثلاً لشجاعته ووضائه
كأن أبويه أسدان ، ومن روى من ليثا - بفتح ميم من - ف «من» عبارة : عن الأم ،
وهي خير المبتدأ ، وما بعدها مبتدأ وخبر صلة لها ، والشبل - على هذا - هو الليث ،
وهو الأب .

(٢) يقول : لما ولدتك أمك كنت شمسا في رفعة المحل ونباهة الذكر ، فقال الناس :
ألم تكن الشمس لا تنجل - أى لا تولد - فكيف ولدت هذه المرأة شمسا ؟ وهذا
ينظر إلى قول الأول :

لَأُمُّ لَكُمْ بَنَجَلَتْ مَالِكًا مِنْ الشَّمْسِ لَوْ نَجَلَتْ أَكْرُمُ

ومن روى لا تنجل - بالبناء للمعلوم - جعل أمه الشمس : أى فقال الناس ولدت
الشمس وهي لا تلد ، جعل الممدوح - لعلو قدره - كأنه نجل الشمس ؛ والرواية الأولى
أجود وأمدح . هذا : والورى : الخلق - تقول العرب : ما أدرى أى الورى هو ؟ :
أى الخلق هو ؟ ، قال ذو الرمة :

وَكَاثِنْ ذَعَرْنَا مِنْ مَهَاةٍ وَرَامِحِ بِلَادِ الْوَرَى لَيْسَتْ لَهُ بِيَلَادِ

قال ابن جني : لا يستعمل الورى إلا في النفي ، وإنما سوغ لذي الرمة استعماله
واجبا ، لأنه في المعنى منفي كأنه قال ليست بلاد الورى له بيلاد .

(٣) التب : الهلاك والخسار ، وهو منصوب على المصدر . يقول : ضللا وخساراً
للذين يعبدون النجوم ويدعون أنها عاقلة . وقد بين العلة في البيت التالى .

(٤) يقول : النجوم على زعم من يدعى أنها تعقل قد عرفتكم وعرفت أنك أجل منها
ندراً ، فما بالها لا تنزل إليك لتخدمك ، وهي تراك تنظر إليها ؛ يعنى أنها لا تعقل ولو
عقلت لَنَزَلَتْ إِلَيْكَ .

وَلَوْ بَئْتُمَا عِنْدَ قَدَرَيْنِ كَمَا لَبِئْتُ وَأَعْلَا كَمَا الْأَسْفَلُ^(١)
أَنْتَ عِبَادَكَ مَا أَمَلُوا أَنْتَ رَبُّكَ مَا تَأْمَلُ^(٢)

وقال يمدحه ويعتذر إليه وذلك في شعبان سنة إحدى وأربعين*:

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالْإِبِلِ^(٣)
ظَلَلْتُ بَيْنَ أَصْيَحَائِي أَكْفِكُهُ وَظَلَّ يَسْفَعُ بَيْنَ الْعُذْرِ وَالْعَذْلِ^(٤)

(١) يقول : لوبات كل منكما في الموضع الذي يستحقه قدره لبنت في موضع النجوم وبانت هي في موضعك لإربائك عليها في الشرف .

(٢) قال الواحدى : لو قال عبيدك كان أحسن ، لأن الأكثر في الاستعمال أن العباد تضاف لله سبحانه وتعالى ، فأما للمضاف إلى الناس فقلما يقال فيه العباد . يقول : أعطيت عبيدك - يعنى الناس ، جعلهم عبيداً لأنه ملك ما رجوه من عطائك ، ثم دعا له أن يكافئه الله بمثل فعله فينبه ما يؤمله .

(*) قال الواحدى : دخل أبو الطيب على سيف الدولة بعد تسعة عشر يوماً ، فلتقاه العلمان وأدخلوه إلى خزانة الأكسية ، فخلع عليه ونضح بالطيب ، ثم أدخل على سيف الدولة ، فسأله عن حاله وهو مستحى ، فقال أبو الطيب : رأيت الموت عندك أحب إلى من الحياة عند غيرك ؛ فقال : بل يطيل الله عمرك ، ودعاه ، ثم ركب أبو الطيب وسار معه خلق كثير إلى منزله ، وأتبعه سيف الدولة هدايا كثيرة ، فقال أبو الطيب يمدحه بعد ذلك ، وأنشده إياها في شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاث منه..

(٣) الطلل : ما شخص من آثار الديار ، والركب : القوم الراكبون . يقول استدعى الطلل دمعي بدثوره فأجابه الدمع وكنت أول من أجاب يبكاه قبل أصحابي وقبل الإبل . يريد أن الإبل . تعرف أيضاً ذلك الطلل وتبكي عليه كما قال التهامي :

بَكَيْتُ لِحَنَّتْ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جَوَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا

والعنى : أنه وقف على ديار محبوبه ، فشجاه ما شاهد من دروس رسومها وتغير طولها ، فاستدعى ذلك بكاءه ، فأجاب دمعه تلك الدعوة قبل أن يجيب ذلك سائر أصحابه بالتأسف والإبل بالحنين .

(٤) أصيحائي : تصغير تعظيم . وأكفكه : أكفه مرة بعد أخرى . ويسفع : يجرى ويسيل . يقول : ظللت أكف الدمع خوفاً من لوم الركب فظل الدمع يسيل

أَشْكُو النَّوَى وَلَهُمْ مِنْ عَذْرَتِي عَجَبٌ
كَذَلِكَ كُنْتُ وَمَا أَشْكُو سِوَى الْكَلِّ^(١)
وَمَا صَبَابَةٌ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ مِنْ اللَّقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بِلاَ أَمَلٍ^(٢)
مَتَى تَرْزُقُونِ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يَتَحَفُّوكَ بِغَيْرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ^(٣)

وأصحابي من بين عاذرلي وعاذل - لأثم - والدمع يسيل بين العذر والعذل في شاغل
عنهما . هذا : ويقال ظل نهاره يفعل كذا وكذا يظل ظلا وظلولا ، وظللت أنا وظلت
وظلت ، لا يقال ذلك إلا في النهار لكنه سمع في بعض الشعر ظل ليله ، وأصل ظلت ،
ظلمت ، إلا أنهم حذفوا فألقوا الحركة على الفاء . قال تعالى : « فظلمت تفكهنون » ومثله
مست ، في « مست » قال الجوهري : وربما قالوا مست الشيء : يحذفون منه السنين
الأولى ويحولون كسرتها إلى اليم ، ومنهم من يترك اليم على حالها مفتوحة ؛ وأنشد
الأخفش لابن مغراء :

مسنا السماء ففيلناها وطاء لهم حتى رأوا أحداً يهوى ونهلانا

والأصل مسنا السماء ، وهذا من شواذ التخفيف .

(١) النوى : البعد والفراق . والعبرة الدمع . والكلل : جمع كلة ، الستر الرقيق
يقول : أشكو الفراق وهم يتعجبون من بكائي للفراق ، ولا عجب في ذلك ، فإنني كنت
على مثل ما يرون من البكاء حين كانت المحبوبة بقربي لا يحجبها عن غير الستر ، فكيف
الآن وقد حجبها عن الفراق ؟ فالواو في قوله « وما أشكو للحال » أى حين لا أشكوسوى
الستر : أى في حال دنو المسافة ؛ ومن روى « كذلك كانت » فعناه كانت العبرة حين كان
الحاجب بيننا السكلة . والمصراع الثانى رد على أصحابه حين تعجبوا من بكائه أى لا
تعجبوا من بكائي على فراقها ، فلقد كنت أبكى في هجرها وما أشكو مانعاً دون
الستور التى تحجبها والمنازل متجاورة والدور متصابقة .

(٢) الصبابة : رقة الشوق ؛ وقوله « كمشتاق » أراد كصبابة مشتاق ، لحذف المضاف .
يقول : إن المشتاق الذى لا يأمل لقاء حبيبته أشد حالاً ممن يأمل ، لأنه إذا كان على أمل
خفف التأمل برح اشتياقه قال الواحدى : ويجوز أن يكون أخف حالاً لاسترواحه
إلى الإحساس ؛ والأول أوجه .

(٣) الإتحاف : الإطراف بالهدية ؛ والبيض : السيوف . والأسل الرماح يقول : -
مخاطباً نفسه - إن هذه الحبيبة سبعة في قومها بالسيوف والرماح . فإذا زار قومها

وَالْهَجْرُ أَقْتَلُ لِي مِمَّا أَرَا قَبَهُ أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ ^(١)
مَا بَالُ كُلِّ فَوَادٍ فِي عَشِيرَتِهَا بِهِ الَّذِي بِي وَمَا بِي غَيْرُ مُنْتَقِلٍ ^(٢)

لأجلها كانت تحفته من قبلهم السيوف والرماح : يعني أنه يخافهم على نفسه إن زار محبوبته
أى إن الوصول إليها متعذراً لما يعترضه من شوكة قومها وعزتهم . وقد أرجع ضمير « من »
على المعنى دون اللفظ ، فقال زيارتها ولورده على اللفظ لقال زيارته .
(٢) ما يراقبه : يعني ما يتوقعه من بأس قومها . يقول : إن هجرها أقتل له من
سلاحهم ، فإذا كان مقتولاً بالهجر لم يبال بعده بالسلاح ، لأن من غرق في الماء لم يغش
البلل . وهذا من قول بشار :

كَمْزِيلٍ رَجُلِيهِ عَنْ بَلَلِ الْقَطْرِ وَمَا حَوَّلُهُ مِنَ الْأَرْضِ بِحَرٍّ
وقال ابن وكيع — وأنت تعلم مقدار تحببه على اللئبي — : هذا مأخوذ من قول
دى بن زيد :

لَوْ بَغَيْرِ الْمَاءِ حَلَقِي شَرِقٌ كُنْتُ كَالْفَصَانِ بِالْمَاءِ اعْتَصَارِي ^(١)
قال العكبري : وليس كما قال وإنما نقله من قول الحكيم : من علم أن الفناء
مستول على كونه هانت عليه المصائب .

(١) قال الواحدى : كان حقه أن يقول ما بال فوادي لا ينتقل عن حبا
وبكل فواد من عشيرتها — أهلها وقرابتها — ما بى ؟ لأن التعجب إنما هو
من فواده ، لا من أفئدتهم ؛ يعنى لم لا ينتقل حبا عنى ولا أسلوها إذا كان
قومها وعشيرتها يحبونها كحبي ؟ يشير إلى أنها محبوبة في قومها منبئة فيها بينهم ،
وأنه في بأس من الوصول إليها ، واليأس من الشيء يوجب السلو عنه ، كما
قالوا : اليأس إحدى راحتين ، وأنه مع هذا اليأس لا ينتقل عنه حبا .
وذهب بعضهم إلى أن المعنى أنه يدعى بلوغة في حبا مبلغاً لا يبلغه أحد مالم
ينتقل إليه منه ؛ وهذا وجه التعجب في البيت . يقول : مالى أرى كل قلب من قلوب
عشيرتها فيه من حبا مثل ما في قلبى مع أن مالى قلبى باق فيه لم ينتقل عنه إلى غيره ؟

(١) الاعتصار : أن ينص الإنسان بالطعام فيعصر بالماء ، وهو أن يشربه عليه
قليلاً ؛ والنصان : الناص . ويقال : غصصت بالماء أغص غصصاً : إذا وقف في حلقك فلم
تكذب نسيه .

مُطَاعَةُ اللَّحْظِ فِي الْأَلْحَاطِ مَالِكَةٌ لِقُلَّتَيْنِ عَظِيمُ الْمُلْكِ فِي الْبَهْلِ (١)
تَشْبَهُ الْخَفَرَاتُ الْإِنْسَاتُ بِهَا فِي مَشْيِهَا قَبِيلُنَ الْحُسْنِ بِالْخَيْلِ (٢)
قَدْ ذُوقْتُ شِدَّةَ أَيَّامِي وَلَذَّتْهَا فَمَا حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ وَلَا عَسَلٍ (٣)

يعنى أنها قد بلغت مبلغاً من الجمال حببها إلى كل أحد ، حتى بلغ فيه كل قلب أقصى مبلغ من الغرام . وعبرة ابن جني : أجود ما يتأول في هذا أن يجعل الذي يحده من الشوق كأنه شخص ، والشخص إذا حصل في مكان لم يشغل غيره ، فإذا صح ذلك صح إنكاره لثبات وجده ، لأنه في أماكن كثيرة والشخص لا يشغل مكانين فأما العرض فلا يشغل مكاناً ، فإذا كان في قلب واحد جاز أن يكون في قلوب كثيرة . والمعنى يصفها بالحسن وأنها معشوقة الدل كل قلب في عشيرتها به الذي بأبي الطيب من حبها ، فما بال حبها في قلبه ثابت لا ينتقل ومقيم لا يرتحل ؟ يريد أن حب أهلها لها لبراعة حسننها غير حبه لها ، وأن حبهم يتغير وينتقل ، وحبه لا يتغير ولا ينتقل ، بل هو ثابت .

(١) يقول : هي مطاعة اللحظ من بين ألحاط الحسان ؛ إذا دعا لحظها إنساناً إلى هواها لمي مطيعاً فهي مالكة القلوب فتانة ؛ ولقلتها ملك عظيم في دولة القل ، لهما دونها الأمر النافذ . وقال ابن فورجة : أى إن العيون إذا نظرت إلى عينها لم تملك صرف ألحظها عنها ، لأنها تصير عقلة لها ، فكأن عينها مالكة العيون . وهو معنى قول أبي نواس :

كلَّ يَوْمٍ يَسْتَرْقُ لَهَا حُسْنُهَا عَبْدًا بِلَا ثَمَنِ

(٢) تشبه — بحذف إحدى التاءين — أى تشبهه : والخفرات : الحيات ، والإنسات : جمع آنسة ، ويقال جارية آنسة ؛ إذا كانت طيبة النفس تحب قربك وحديثك . يقول : إن النساء الحيات ذوات الانس يقصرن عن محاسنها فيقشبن بها في حسن المشية ويربن مثل دلهما ، فيكتسبن الحسن بالتشبه بها ، ويمتلن حتى يتلن ذلك وعبرة ابن جني والواحدى : إذا كان في حسن امرأة نقصير تشبهت بها في مشيها ، فيجبر حسن المشي نقصير الحسن حتى تكون قد نالت الحسن بالحيلة .

(٣) الصاب : شجر مر . يقول : مرت بي من الدهر حلاوته ومرارته ، فما حصلت من حلوه على عسل ، ولا من مره على صاب ، لانقضائهما وسرعة مرورهما ، فكأنى لم أذق شيئاً منهما : وهذا من قول البحترى :

مَ أَغْتَدَى وَبِهِ مِنْ رَدْعِهَا أَثَرٌ عَلَى ذَوَابَّتِهِ وَالْجَفْنِ وَالْخَلَلِ^(١)
لَا أَكْسِبُ الذِّكْرَ إِلَّا مِنْ مَضَارِبِهِ
أَوْ مِنْ سِنَانٍ أَصَمَّ الْكَعْبِ مُعْتَدِلِ^(٢)
جَادَ الْأَمِيرُ بِهِ لِي فِي مَوَاهِبِهِ فَرَانَهَا وَكَسَانِي الدَّرْعَ فِي الْخُلَلِ^(٣)

(١) الردع : التلطيح بالطيب ، يقال به ردع من زعفران : أى لطيح وأثر ، وردعه بالشئ ردعه ردعا فارتدع : لطيحه به فتلطيح ؛ قال ابن مقبل :

يَخْدِي بِهَا بَازِلُ قَتْلٌ مَرَّاقُهُ يَجْرِي بِدِيَابِجَتِهِ الرَّشْحُ مَرْتَدِعٌ^(١)
وروى من درعها : أى ثوبها . وذوابة السيف - هنا - حمائله . وجفنه : غمده .
والخلل : جمع خله - بكسر الخاء - وهى ما يغشى به القمد من الجلد النقوش بالذهب وغيره . يقول : ثم غدا السيف وقد تأثر بما كان عليها من الطيب وظهرت آثاره على حمائله وغمده ؛ والغلاف الذى فيه القمد ؛ يعنى أنه لصق بمحبوبته حتى لصق به الطيب الذى طيبت به .

(٢) المضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف والسنان : فصل الرمح ، والأصم : الصلب ، وهو صفة لمحدوف : أى سنان رمح أصم الكعب ، والكعب العقدة بين الأنبوتين . يقول لأطلب الشرف ولا أكسبه إلا من مضارب السيف أو من سنان الرمح ، يعنى أنه لا يكسب المجد إلا بإقدامه وبأسه . قال العكبرى : الرواية التى قرأنا بها الديوان بإضافة سنان إلى أصم بغير تنوين ورواه جماعة سنان - بالتنوين - والأجود الإضافة ، وإذا نون يكون المعنى : ومن سنان أصم كعبه ، والكعب للرمح لاللسنان ، وإذا جوزناه على الاستعارة كان للرمح أشبه ، وأيضاً فإن فى السنان نونين ، وإذا نون صار فيه ثلاث نونات ، وثلاثة حروف بمعنى فى كلمة ثقيل .

(٣) يقول : أعطانى الأمير هذا السيف فى جملة ما وهبه لى فزان بحسنه الهبات التى

(١) خدى البعير والفرس يخدى خدياً أسرع وزج بقوائمه مثل وخذ ، وجمل بازله بزل نابه : أى انشق وذلك فى السنة التاسعة ، وذلك أقصى أسنان البعير والقتل شدة عصب الذراع ، ومرفق أقتل بين القتل . وقوله يجرى الخ قال بعضهم معناه متصغ بالعرى الأسود كما يردع الثوب بالزعفران ، وقال آخرون : قوله مرتدع أى قد انتهت سنه .

- وَمِنْ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَعْرِفَتِي بِحِمْلِهِ مِنْ كَعْبِدِ اللَّهِ أَوْ كَعَمَلِي^(١)
مُعْطَى الْكَوَاعِبِ وَالْجُرْدِ السَّلَاحِ وَالْبِ
يَضِي الْقَوَاضِ وَالْمَسَالَةَ الذَّبْلُ^(٢)
ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجَّهَهُ الْأَرْضُ عَنْ مَلِكِ
مِلْءِ الزَّمَانِ وَمِلْءِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ^(٣)
فَنَحْنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبُرُّ فِي شُفْلٍ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ^(٤)
مِنْ تَغْلِبِ الْفَالِيبِينَ النَّاسَ مَنْصِبُهُ وَمِنْ عَدَى أَعَادِي الْجُبْنِ وَالْبَخَلِ^(٥)

وهينها وكسائي في جملة ما أعطاني من الثياب الدرع ؛ يعني أنه وهبه سيفاً ودرعا في جملة ما وهبه .

(١) على : هو سيف الدولة : يقول : منه تعلمت حمل السيف ، فهو واهبه لي ومعلى حمله ثم قال مستأنفاً : من مثله أو مثل أبيه ، يعني لا مثل لهما ؛ ومن على : خبر مقدم ومعرفة : مبتدأ مؤخر .

(٢) الكواعب : الجوارى الشابات ؛ أى التى كعبت - نبتت - ثديهن والجرد : الخيل القصار الشعر ، وذلك آية عتقها وكرمها . والسلاح : الخيل الطوال ؛ والبيض القواضب : السيوف القواطع للماضية . والمساللة : الرماح التى تضطرب للينها والذبل الرماح الضامرة . يقول : إنه يعطى سائليه هذه الأشياء التى تدل على أنه يستصحب كاة الفرسان وأعلام الشجعان فيعتمدون في هياته بما يوافقهم ويعضدوهم بما يشاكلهم .

(٣) يقول : ضاق عنه الزمان والمكان ، فإن همه وما يغلده من جليل المكارم ويتابعه من كثرة الوقائع كل أولئك يحمل الزمان مالا يطيقه ويحشمه مالا يعمله ، فيضيق عن غفامة قدره ، ويقصر عن جلالة مجده ؟ وكذلك تضيق الأرض عما يحملها من جيوشه : وإذن فهو قد ملأ الزمان بمكارمه ومجده ، وملأ السهل والجبل بكتائبه وجمعه .

(٤) الجذل الفرح ؛ والوجل الخوف . يقول : نحن المسلمين فرحون بانتصاره والروم في خوف منه لغاراته وغزواته والبر مشغول بمحيشه لا يتفرغ لغيره والبحر في خجل من ندى يديه .

(٥) تغلب : قبيلة المدوح ؛ وعدى ؛ رهطه . ومن تغلب : خبر مقدم ؛ ومنصبه

وَالْمَذْحُ لِابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ تُنَجِّدُهُ بِالْجَاهِلِيَّةِ عَيْنُ الْيُؤَى وَالْحَطَلِ^(١)
 لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوِي مَنَاقِبَهُ فَمَا كَلِيبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ^(٢)
 خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ
 فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُفْنِيكَ عَنْ زُحَلِ^(٣)
 وَقَدْ وَجَدْتَ بَحَالَ الْقَوْلِ ذَاسِمَةً فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلِ^(٤)
 إِنَّ الْهَمَامَ الَّذِي فَخِرُ الْأَنَامِ بِهِ خَيْرُ السُّيُوفِ بِكَفَى خَيْرَةِ الدُّوَلِ^(٥)

مبتدأ مؤخر ؛ والنصب : الأصل . وأعادى الجبن ، صفة لعدى . يقول : أصله من تغلب
 التي غلبت الناس نجدة وشجاعة ، ومن عدى الذين هم أعداء الجبن والبخل .

(١) أبو الهيجاء كنية والد سيف الدولة ، وجملة تنجده - أى تعينه - حالية ، وإلى
 العجز عن الكلام ؛ والخطل : اضطراب القول وفساده . قال الواحدى : هذا تعريض
 بأبي العباس النامى الشاعر ، فإنه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين كانوا
 فى الجاهلية . يقول : إذا مدحته بذكر آبائه الجاهليين كان ذلك عين الهمى ثم أكد هذا
 المعنى وتعمه فى الآيات التالية .

(٢) قوله فما كليب : أدخل ما على من يعقل ، لأنه أراد السؤال عن صفته مع
 الاحتقار لشأنه . وكليب : هو كليب بن ربيعة رئيس بنى تغلب فى الجاهلية . يقول : ليت
 ما مدح به من الشعر يستوفى ذكر فضائله ومحامده ، ومق يتفرغ الشعر لذكر كليب
 وأهل الدهور السابقة وأين هم منه ؟

(٣) يقول . امدحه بما تشاهد منه واترك ما سمعت به ، فإن الشمس تغنيك عن
 زحل ، جعله كالشمس ، وآبائه كزحل وهو نجم بعيد خفى - يعنى فيما قرب منك عوض
 عما بعد عنك لاسيما إذا كان القريب أفضل من البعيد : قال العكبرى . وهذا من قول
 الحكميم : البيان شاهد لنفسه ، والإخبار يدخل عليه الزيادة والنقصان فأولى ما أخذ
 ما كان دليلا على نفسه .

(٤) يقول : وقد وجدت من مآثر المدوح المتوافرة الشائعة مجالا واسعا للقول فإن
 وجدت لسانا يستطيع وصف تلك المآثر فافعل فإنك لن تعدم شيئا تقوله ؛ يعنى أنه لا
 ينقصه شيء بمدح به ، وإنما ينقصه لسان ينهض بمدح ما فيه .

(٥) الهمام ذو الهمة العالية ؛ وخيرة : تأتيت خير ، بمعنى أفضل ، لما ألقوا الهمزة

تُمنى الأمانى صرعى دون مبلغة
فما يقول لشيء ليت ذلك لي^(١)
أنظر إذا اجتمع السيفان في رهج
إلى اختلافيهما في الخلق والعمل^(٢)
هذا الممدد لربب الدهر منصلتا
أعد هذا لرأس الفارس البطل^(٣)

من أوله استسهلوا تأنيته بالناء لأنه قد أشبه الصفات : يقول : إن هذا الهمام الذى يفتخر الخلق كلهم به ، لأنه فيهم ، هو أفضل السيوف فى كف أفضل الدول . يعنى دولة الخلافة .

(١) الأمانى : جمع أمنية ، الشيء الذى تتمناه . وصرعه : طرحه على الأرض ، ويقال تركته صريعاً : أى قتيلاً يقول : إنه مسلط على العالم مالك للرقاب والأموال فلا ترتقى الأمانى إليه لأنه لا يحتاج إلى أن يتمنى شيئاً فلا يرى نفساً إلا أوله خير منه ، أو صار له ذلك الشيء ؛ وعبارة بعض الشراح : شبه الأمانى بالطرائد . يقول إذا سنحت له أمنية فطلبها سقطت دون مبلغ همته ، لأن همته أبعد شوطاً منها فلم يبق فى الدنيا شيء يستحق أن يتمناه ، لأن كل شيء فى قبضة إمكانه . وقد فسر بهذا البيت ما أغلقه البحترى فى قوله :

ومظفر بالجد إذ راكته فى الحظ زائدة على أوطاره
وهو ضد قول عنتره :

ألا قاتل الله الطلول البوالي
وقاتل ذكراك السنين الخوالي
وقولك للشيء الذى لا تناله
إذا ما حلا فى العين يا ليت ذالها

(٢) و (٣) يريد بالسيفين : سيف الدولة وسيف الحديد ؛ والرهج : الغبار وربب الدهر : حدثانه ؛ ومنصلتا - أى مجرداً - حال من ضمير الممدد . يقول إذا اجتمع السيفان فى رهج حرب اختلفا وبان تخلف أحدهما عن الآخر فأحد السيفين - وهو المددوخ - معد لدفع نوب الدهر وشدائده كما قال :

* وتقطع لزبات الزمان مكارمه *

وقد أعد السيف الآخر وهو سيف الحديد لضرب رءوس الأبطال فالأول موكل بدفع المكروه ، والثانى موكل بإحلاله ، وذاك عامل ذو إرادة بضرب بالثانى ، وهذا لا عمل له من تلقاء نفسه ؛ وإذن : كان الأول هو السكل فى السكل . ومن هنا كان اختلافهما .

فَالْعَرْبُ مِنْهُ مَعَ الْكَدْرِيِّ طَائِرَةٌ
وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ الْحَجَلِ^(١)
وَمَا الْفِرَارُ إِلَى الْأَجْبَالِ مِنْ أَسَدٍ تَمْشِي النَّعَامُ بِهِ فِي مَقِيلِ الْوَعْلِ^(٢)
جَازَ الدَّرُوبَ إِلَى مَا خَلْفَ خَرَشْنَةِ وَزَالَ عَنْهَا وَذَلِكَ الرَّوْعُ لَمْ يَزُلْ^(٣)
فَكَلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاهُ عَنْدهُمْ فَإِنَّمَا حَلَمَتْ بِالسَّبْيِ وَالْحَمَلِ^(٤)

(١) الكدري : ضرب من القطا ، وهو من طير السهل ؛ والحجل : طائر في حجم الحمام ، أحمر للنقار والرجلين ، وهو يعيش في الجبال ، والعرب بلادها المفاوز والصحارى والروم بلادها الجبال . يقول : العرب تفر منه مع القطا في الفلوات والروم تفر منه مع الحجل في جبالها .

(٢) من أسد : يروى من ملك ؛ والمراد سيف الدولة . والوعل : تيس الجبل ، ومقيله : المكان الذي يعتصم به في رؤوس الجبال : يقول : ما فائدة الفرار إلى الجبل من ملك تمشي به خيله في آثار الفارين ؟ أى أنها لا تعجز عن جوب الجبال في آثار الروم فالمراد بالنعام : خيله ، شبهها بها في سرعة العدو - الجرى وطول الساق - قال الواحدى وفيه نكتة ، لأن النعام لا توجد في الجبال فجعل خيله نعام الجبل ؛ وقال ابن فورجه : يعنى بالنعام خيله العرب لأنها من نتائج البدو ، وقد صارت تمشي بسيف الدولة في الجبال لطلب الروم وقتلهم واستئزال من اعتصم بالجبال منهم .

(٣) الدروب : جمع درب ، وهو كل مدخل إلى بلاد الروم ؛ وخرشنة بلد من بلاد الروم ، والروع : الخوف والفرع . يقول إنه تغفل في بلاد الروم حتى خلف الدروب وخرشنة وراءه وفارقها بالانصراف عنها ولم يفارقها الروع الذى ألم بأهلها منه .

(٤) يقول : لشدة ما لحقهم من الخوف منهم وكثرة مارأوا من السبي والغارة صاروا إذا نامت المرأة منهم رأَتْ في نومها السبي الذى تهذرو وقوعه والجمل الذى تتوقع ركوبه وذلك أن السبايا كن يحملن على الجمال ، يعنى أن ما استقر في قلوبهم من الخوف لا يفارقهم في النوم أيضا هذا : والحلم ما يراه النائم ، وتقول حلمت بكذا وحلمته أيضا ، قال الأخطل :

حَلَمْتُهَا وَبَنُورٍ فَيَدُهُ دُونَهَا لَا يَبْعُدُنْ خَيَالُهَا الْحُلُومَ^(١)

(١) قال الجوهري : يقال قد حلم الرجل بالمرأة إذا حلم في نومه أنه يياشرها ، وهذا البيت شاهد عليه .

إِنْ كُنْتَ تَرْضَى أَنْ يُعْطُوا الْجِزْيَ بَدَلًا
 مِنْهَا رِضَاكَ وَمَنْ لِلْعُورِ بِالْحَوْلِ ^(١)
 نَادَيْتُ بِمَجْدِكَ فِي شِعْرِي وَقَدْ صَدَرَا
 يَا غَيْرَ مُنْتَحِلٍ فِي غَيْرِ مُنْتَحِلٍ ^(٢)
 بِالشَّرْقِ وَالْقَرْبِ أَقْوَامٌ نُحِبُّهُمْ
 فَطَالِ الْعَامُ وَكُنَّا أَبْلَغَ الرُّسُلِ ^(٣)

أما الحلم - بالكسر - فهو الأناة والعقل . تقول : حلم - بالضم - يحلم حلما : أى صار حلما ، وتعلم : تكلف الحلم ، قال حاتم الطائي

تَحْلَمُ عَلَى الْأَذْنَيْنِ وَاسْتَبَقَ وَدُهُمُ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحَلْمَ حَتَّى تَحْلُمَا
 أما قولهم حلم الأديم : فالأديم : الجلد المدبوغ ، وحلم : أى أفسده الحلم ، وهو دود يقع في الجلد فيأكله ، قال الوليد بن عقبة بن أبى عقبة من أبيات يحض فيها هاروة على قتال على عليه السلام ، ويقول له : أنت تسمى في إصلاح أمر قد تم فساد كهنه المرأة التي تدبغ الأديم - الذى وقعت فيه الحلة فنبته ، وأفسدته فلا ينتفع به :

فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كِدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ

(١) الجزى : جمع جزية ، وهو ما يعطيه المعاهد ليدفع عن رقبتهم ويحفظ دمهم . يقول - مخاطبا سيف الدولة - : إن كنت ترضى منهم بأن يؤدوا الجزية وتنفقوا عن رقابهم قبلوها وأرضوك بها ، وذلك غاية أمنيتهن ، كالأعور يتمنى الحول ، والجول خير من العور يعنى أن الجزية خير لهم من القتل .

(٢) المنتحل : الدعى على غير حقيقة . يقول : ناديت بمجديك الموصوف في شعري وقد صدرا عنى وعنك : أى سارا في الآفاق وبعد ذكرهما بإجدا غير منتحل في شعر غير منتحل ؛ يعنى أن كلا منهما حقيقة لادعوى ، وفيه إشارة إلى أن مجده خلد ذكره في شعره وأنها يسيران معا ، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلى .

(٣) أبلغ : من التبليغ ؛ وأفعل لا يبنى من غير الثلاثي لإشذوذا . يقول - لشعره ومجد المدوح - أتما سائران في الدنيا شرقا وغربا ، ولنا فيهما أناس نحب مشاركتهم في أمرنا ومطالبهم بأحوالنا فتحملنا إليهم رسالتى وهم ما ذكره في البيت التالى .

وَعَرَفَاهُمْ بَأَنِّي فِي مَكَارِمِهِ أَقْلُبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْخَوَلِ (١)
يَا أَيُّهَا الْمُحْسِنُ الْمَشْكُورُ مِنْ جِهَتِي ،
وَالشُّكْرُ مِنْ قِبَلِ الْإِحْسَانِ لَا قِبَلِي (٢)
مَا كَانَ نَوَيْي إِلَّا فَوْقَ مَعْرِفَتِي بِأَنَّ رَأْيَكَ لَا يُؤْتِي مِنَ الزَّلَلِ (٣)
أَقِلْ أُنْثَى أَقْطِعْ أَتَحِلَّ عَلَى سَلٍّ أَعِذْ زِدْ هَشَّ بَشٍّ تَفَضَّلْ أُذِنِ سُرَّحِيلَ (٤)

(١) الخول : الخدم . يقول : عرفاهم أي متقلب في نعماء في سيف الدولة ، مغمور بمكارمه ، متصرف في فواضله ، أقلب الطرف - النظر - بين الخيل المسومة والخدم الحسنة القيام على الخدمة .

(٢) يقول : إنما أناك الشكر من جهة إحسانك لإحسانك هو الذي شكرتك ، لا أنا كأنه ينفي اللنة عليه بشكره ومدحه .

(٣) إلا فوق معرفتي : رواها ابن جني «إلا بعد معرفتي» وقال : ملحق السهو والتفريط إلا بعد سكون نفسى إلى فضلك وحملك . . . وقال ابن فورجه : أقام النوم مقام السهو والغفلة . يقول : ما تمت عما وجب على من صيانة مدحك عن خلطه بالعتاب إلا لثقت باحتمالك وسكونى إلى جزالة رأيك . . قال الواحدى - بعد أن أورد كلامهما - : وكلاهما قد بعد عن الصواب ، والمعنى : إنما أخذنى النوم أى إنما سكنت نفسى واطمأنت مع عتبك لثقت بحملك ولزوم التوفيق لرأيك ، وعلى أنك لا تعجل على ولا ترهق عقوبة ، وأن الحساد لا يستزلونك بوشاياتهم ، قال : وأراد النوم الحقيقي لا السهو والتفريط ؛ ألا ترى أنه قال فوق معرفتي ؟ فجعل المعرفة بمنزلة الحشية التى ينام فوقها ؛ وقوله لا يؤتى من الزلل ؛ أى أنت موفق فى كل ما تفعله لاتأتى الزلل .

(٤) أقل : من الإقالة من العثرة أى أقل من استنفضك من عثرته ؛ وأنثى : من الإنالة - الإعطاء - وأقطع : من قولهم أقطعهم أرض كذا : أى جعل له غلتها رزقا . واحمل : من قولهم حمله على فرس ونحوه : أى جعله ركوبة له . وعل : أى ارفع جاحى من التعلية . وسل : من التسلية ، وهى إذهاب التمسك ؛ وأعد : أى أعدنى إلى موضعى من حسن رأيك ؛ وزد : أى زدنى من إحسانك ؛ وهش : أمر من قولهم : هش إلى كذا يهش - وبش : من قولهم بش بالرجل ييش : أى ابتسم إليه وآسنه . ويحكى أن سيف الدولة وقع تحت أقل : قد أقلنا ، وتحت أنثى : يحمل إليه كذا وكذا من الدرام ، وتحت أقطع : قد أعطيناك الضيعة الفلانية - وهى ضيعة بياض حلب - وتحت «عل» : قد (١٤ - التذيى ٣)

لَعَلَّ عَتَبَكَ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ ؛ فَرُبَّمَا صَحَّحَتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَالِ (١)
وَمَا سَمِعْتُ ، وَلَا غَيْرِي بِمُقْتَدِرٍ أَذَبَ مِنْكَ لِزُورِ الْقَوْلِ عَنْ رَجُلٍ (٢)

رفعنا مقامك ، وتحت سل : قد فعلنا فاسل ، وتحت أعد : قد أعدناك إلى حالك من حسن رأيتنا ؛ وتحت زد : يزداد كذا وكذا ، وتحت تفضل - وهو من الأفضال - قد فعلنا ، وتحت أدن : قد أدنيناك منا ، وتحت «سر» قد سررناك ، فقال المتنبي : إنما أردت من التسري ، فأمر له بجارية ، وتحت صل : قد وصلناك وسنصلك ، وكان بحضرة سيف الدولة : حينئذ شيخ ظريف يقال له العقلي ، ففسد المتنبي على ما أمر له به فقال لسيف الدولة : قد أجبته إلى كل شيء سألك إياه فهلا وقعت تحت هش بش شيء هيء هيء؟ - يعني حكاية الضحك - فضحك سيف الدولة وقال له : ولك أيضا ما تحب ، وأمر له بصلة ، وأصل هذا المنهج قول امرئ القيس :

أفادَ وجادَ وسادَ وزادَ وذادَ وقادَ وعادَ وأفضلَ
ومثله لأبي العيثيل :

يَا مَنْ يُؤْمَلُ أَنْ تَكُونَ خِصَالُهُ كَخِصَالِ عَبْدِ اللَّهِ أَنْصِتْ وَاسْمِعْ
أَصْدُقْ وَعِفْ وَبَرَّ وَاصْبِرْ وَاحْتَمِلْ واحلم ودار وكاف وابذل واشجع
(١) يقول : لعل أحمد عاقبة عتبك وذلك أن ارتدع بعد عفوك ، فلا أعود إلى شيء أستوجب به العتب ، كمن يعتل ، فربما تكون علته أمانا له من أدواء أخرى ، فينجو جسمه بسبب هذه العلة مما هو أصعب منها ؛ أو تقول : لعل عتبك يكون سببا لتحقيق وفائي وإخلاصي في خدمتك ، ويقطع عني السنة الحساد فأحمد عواقبه ، كما أن من العلل ما قد يكون سببا لصحة الأجسام ، وانتفاض الدخل منها فتأمن عود غيره إليها . وفي هذا نظر إلى قول الآخر :

لَعَلَّ سَبَبًا يُفِيدُ حُبًّا فالشرُّ للخيرِ قد يجزُّ
وقريب منه قول ابن الرومي :

إِحْمَدِ اللَّهَ إِذْ رُزِقْتَ هِجَاءً هُوَ بَعْدَ الْخَوْلِ نَوَةٌ بِإِسْمِكَ
قد تذكرتُ مَوْبِقَاتِ ذُنُوبِي فرجوتُ الْخِلَاصَ مِنْهَا بِشْتَمِكَ
(٢) غيري : معطوف على ضمير المتكلم ، وهو جائز للفصل بـ «لا» كما في قوله تعالى « ما أشركننا ولا آباؤنا » وبمقتدر متعلق بسمعت . يقول : ما سمعت ولا سمع غيري بملك

لأنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكْلِفُهُ

لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ^(١)

وَمَا ثَنَّاكَ كَلَامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْمَهْطِلِ^(٢)

أَنْتَ الْجَوَادُ بِلَا مَنْزِلٍ وَلَا كَدَرٍ وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَغْدٍ وَلَا مَذَلٍ^(٣)

أَنْتَ الشَّجَاعُ إِذَا مَا لَمْ يَطَأْ فَرَسٌ غَيْرَ السَّنَوَرِ وَالْأَشْلَاءِ وَالْقُلُلِ^(٤)

قادر يقدر على كل ما يريد ثم يذب - يذود ويدافع - عمن يغتاب عنده زوراً وبهتاناً ولا يحمله ما يسمعه من الوشائات والتحريش على من يحرش عليه أن يوقع به وينفذ فيه حكم الغضب ، فقوله أذب : أفلت تفضيل ، من قولهم ذب عنه : أى ذاد ودفع . وقوله عن رجل - يعنى الغتاب - وقد بين علة ما ذكره هنا في البيت التالى .

(١) تكلفه بحذف إحدى التاءين - أى تكلفه ؛ والكحل : سواد فى أجفان العين خلقه * كأن بها كحلا وإن لم تكحل * يقال : رجل أكحل وامرأة كحلاء ، يقول : إنما ذلك لأن لك حلما طبعت عليه لا يعوزك أن تكلفه ومن ثم لا يستخفه الغضب ، ولا يؤثر فيه كلام الواشين ، ثم ضرب التكحل والكحل مثلا للتكلف والمطبوع .

(٢) ثناك : ردك وصرفك ؛ والعارض : السحاب ؛ والمهطل : الكثير المطر يقول : وما صرفك كلام الناس فى إفساد ما بيننا عن استعمال ما يوجه الكرم معى ، ثم قال : ومن يقدر على أن يسد طريق السحاب الهاطل ؛ أى كما أنه لا يستطيع هذا لا يستطيع صرفك عن مقتضيات الكرم .

(٣) الجواد : الكريم ، ومننت على فلان : إذا كدرت صنيعتك بتعديدها له ، كأن تقول له : أعطيتك كذا ، وفعلت لك كذا ، وعطف الكدر عليه للتأكيد : واللطال - بالكسر - الماطلة ؛ والذل : الضجر والقلق ، وكل من قلق بسره حتى يذيعه ، أو بمضجعه حتى يتحول عنه ، أو بماله حتى ينفقه فهو مذل . قال الأسود بن يعفر :

ولقد أروحُ على التجارِ مَرَجَلًا مَذِلًا بِمَالِي لَيْثًا أَجِيَادِي
وقال قيس بن الخطيم :

فلا تمذلُ بسرِّك كلَّ سِرٍّ إذا ما جاوزَ الإثنينِ قاشِي

يقول : لا تكدر عطاءك بالنى أو الماطلة أو الوعود أو اللل .

(٤) السنور : لباس من جلد كالدرع ، وسميت به دروع الحديد ؛ قال لبيد يرثى قتل هوازن :

وَرَدَّ بَعْضُ الْقَنَا بَعْضًا مُقَارَعَةً كَأَنَّهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ فِي جَدَلٍ ^(١)
لَا زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْ عَادَاكَ عَنْ عُرْضٍ بِعَاجِلِ النَّصْرِ فِي مُسْتَأْخِرِ الْأَجَلِ ^(٢)
ولما أنشد أقل أنل رآهم يعدون ألفاظه فقال وزاد فيه :
أَقِلْ أَنْلِ أَنْ ^(٣) صُنِ أَحْمِلْ عَلَّ سَلَّ أَعِدَّ زِدْ هَشَّ بَشَّ هَبَّ اغْفِرْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ ^(٤)

وجاءوا به في هَوْدَجٍ ووراء كتائب خُضْرٍ في نسيج السَّنَوَرِ ^(١)
والأشلاء : جمع شلو ، وهو العضو . والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس . يقول :
أنت الشجاع عند اشتداد القتال وتهافت القتلى ، فلا تطأ الخيل إذ ذاك إلا دروعهم
وأجسامهم ورءوسهم : أي أنت الشجاع في مثل هذه الحال التي تتخلع فيها
قلوب الأبطال .

(١) ورد : عطف على « لم يبطأ » ومقارعة : حال من انقنا أو مفعول ، والجدل
اللد في الخصومة ، أو مقابلة الحجة بالحجة ، أو المناظرة والخاصمة ، وقد جادله مجادلة
وجدالا ، والاسم الجدل ، ويقال جادلت الرجل لجدلته : أي غلبته ، ولله من قولهم
جدلت الرجل : أي ألقيته على الجدالة ، وهي الأرض قال الرازي :

قد أركبُ الآلةَ بعد الآلةِ وأتركُ العاجزَ بالجدالةِ

يقول : وحين تتشاجر الرماح فيرد بعضها بعضاً كأنها تجادل عن نفوس أصحابها .
وبعبارة أخرى : وأنت الشجاع حين يرد بعض القنا بعضا يتخالف الطعان وتقارع
الأقران حتى كأنه من شدة تلك المقارعة ، واتصال تلك المقاومة في جدل لا يقطع ،
وخصام لا ينقطع .

(٢) عن عرض : يريد كيفما اتفق ، يدعو له ، يقول : لا زلت ضارباً أعداءك كيفما
وجدتهم مقبلين ومدبرين بنصر عاجل في أجل مستأخر : أي معصوماً بأجل يستأخره ،
وهذا من قول بعضهم - وقد سئل في أي شيء تحب أن تلقى عدوك ؟ - قال في
أجل مستأخر .
(٣) أن : أي ارفق .

(١) قوله وجاءوا به : يعني قتادة بن مسيلة الخنفي ، وهو ابن الجعد ، وجعد : اسم
مسيلة لأنه غزا هوازن وقتل فيها وسبي .

فراهم يستكثرون الحروف فقال :

عِشْ أَبْقِ أَسْمُ سُدُّ قَدْ جُدْ مَرِ أَنَّهُ رِفِ أَسْرِ نَلْ
غِظِ أَرِمِ صِبِ أَحْمِ - أَغْزِ أَسْبِ رُغْ زَعْ دِلِ أَثْنِ نَلْ^(١)
وَهَذَا دُعَاءٌ لَوْ سَكَتُ كُفَيْتُهُ لِأَنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ فَيْكَ وَقَدْ فَعَلْتُ^(٢)

وقال وقد حضر مجلس سيف الدولة وبين يديه أنْزُجٌ وَطَلَعٌ وهو يمتحن
الفرسان ، فقال ابن حبيش شيخ المصيصة لا تتوهم هذا للشرب ، فقال أبو الطيب :
شَدِيدُ الْبُعْدِ مِنْ شُرْبِ الشُّمُولِ تَرُنْجُ الْهِنْدِ أَوْ طَلَعُ النَّخِيلِ^(٣)

(١) عِشْ : من العيش . وابق : من البقاء . واسم : من السمو ، وهو الارتفاع .
وسد : من السيادة . وقد : من قود الجيش ، أى قد الجيوش إلى أعدائك . وجد : من
الجود . ومر : من الأمر ؛ وانه : من النهى : أى كُنْ صاحب أمر ونهى . ور : من
الورى ، وهو داء فى الجوف ؛ يقال وراه الله . يريد أصب رئات أعدائك بأن توجهم
وف : من الوفاء ؛ أى ف لأوليائك بالإحسان إليهم . وسر : من سرى يسرى ؛ أى
أسر إلى أعدائك بجيوشك لتستأصلهم . ونل : من النيل ؛ أى نل ما تريد بسعدك وإقدامك
وتأيديك : وغظ : من الغيظ ؛ أى غظ حسادك . وارم : من الرمى ، أى ارم يأسك
من يكيدك ويغضك . وصب : من صاب السهم المهدف يصيبه صيبا : لغة فى أصاب :
أى أصب أعداءك برميك . واحم : من الحماية : أى احم حوزتك ؛ واغز : من الغزو :
أى اغز أعداءك ؛ واسب : من السبي : أى اسب أعداءك ؛ ورع : أى أفرع أعداءك ؛
وزع : من وزعه - أى كفه - أى كف بوقائعك مسلطهم ؛ ود : من الدية : أى تحمل
الدية عمن يجب عليه . ول : من الولاية : أى ل الأمصار والبلدان محمداً فى ولايتك .
واتن : من ثناه ، بمعنى رده : أى اصرف أعداءك عن مرادهم . ونل : من ناله ينوله
إذا أعطاه : أى أعط عفاتك وقصادك .

(٢) يقول : كل ما دعوت الله لك به لو لم أَدع به كنت مكفياً ذلك ، لأنى سألت الله
جده الأمور ، وهو قد فعلها فأغناك عن دعائى .

(٣) الشمول : من أسماء الحجر . والترنج . لغة فى الأنزج ، وهو ثمر من جنس
الليمون معروف . والطلع : نور النخلة مادام فى الكافور ، وهو أول ما يرى من عقد

وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ طِيبٌ لَدَيْكَ مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى الْجَلِيلِ^(١)
وَمِيدَانُ الْفَصَاحَةِ وَالْقَوَافِي وَمُمْتَحَنُ الْفَوَارِسِ وَالْخُيُولِ^(٢)

وأنكر عليه بعض الحاضرين قوله : شديد إلخ ، فقال :
أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ ، وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قِبَلِي^(٣)

النخلة . يقول : يقول : إن الأترج أو الطلع بعيد من أن تشرب الخمر على رؤيته ، يعني أن الأترج والطلع لم يحضرا لديك ليشرب عليهما وإن كان غيرك يتخذها لذلك . قال ابن فورجه : تقدير البيت : شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند لديك ، لحذف لديك وأتى به في البيت الثاني ، دالا على حذفه ، والظروف كثيراً ما تضر . وقوله من شرب الشمول : أراد من شرب الناس الشمول عليه وعلى رؤيته ، فهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول أى أن ترنج الهند بعيد من شرب الناس الشمول عليه .

(١) يقول : وإنما أحضر الأترج والطلع لأنهما طيبان ، ومجلسك مشتمل على كل شيء فيه طيب مما دق إلى ما جل ، أى أكان صغيراً أم كبيراً . فقوله : لديك خبر كل .
(٢) وميدان : عطف على كل - في البيت السابق - وممتحن : إما مصدر بمعنى الامتحان ، أو اسم مكان : أى المكان الذى يمتحن فيه الفوارس . يقول : ولديك يتبارى أهل الفصاحة والشعر وممتحن الفوارس والحيل بالتسابق والتجاول والطراد ، هذا هو الذى الذى ترزع إليه همتك ويفخر به مجلسك ، لا الشراب واللهو . قال الواحدى : عارض المتنبي بعض الحاضرين في هذه الأبيات ، وقال : كان من حقه أن يقول :

بعيدٌ أنت من شرب الشمول على الأترج أو طلع النخيل
لشفلك بالمعالي والعوالى وكسب المجد والذكر الجليل
وقدح خواطر العلماء فحصاً وممتحن الفوارس والخيول

فقال أبو الطيب هذه الأبيات مجيئاً له .

(٣) القيل والقول بمعنى واحد . يقول : إن الذى أتيت به هو كلام العرب الأصيل ، وكان يأتى فيه بقدر ما عاينته ، لأنه أراد : الذى عندك من الأترج بعيد من شرب الشمول عليه أى لم تستحضره ليشرب على رؤيته ، ولكنه بنى الكلام على ما عاين : أى إنما بنيت البيان على العيان فأغنانى عن أن أقول : أنت شديد البعد وفى مجلسك ترنج الهند .

فَعَارَضَهُ كَلَامٌ كَانَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ النَّسَاءِ مِنَ الْيُمُولِ^(١)
وَهَذَا الدُّرُّ مَأْمُونُ التَّشْطَى ، وَأَنْتَ السَّيْفُ مَأْمُونُ الْفُلُولِ^(٢)
وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ^(٣)
* * *

ودخل عليه في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، وعنده رسول ملك الروم
وقد جاء يلتمس الفداء ، وركب الفلمان بالتجافيف وأحضروا لبؤة مقتولة ومعهما
ثلاثة أشبال بالحياة وألقوها بين يديه ؛ فقال أبو الطيب مرتجلا :

لَقِيتَ الْعَفَاةَ بِأَمَالِهَا ، وَزُرْتَ الْعُدَاةَ بِأَجَالِهَا^(٤)
وَأَقْبَلْتَ الرُّومَ تَمْشِي إِلَيْكَ بَيْنَ اللَّيْثِ وَأَشْبَالِهَا^(٥)

(١) البعول : جمع بعول ، الزُّوج . يقول : إن كلام المعارض منزلته من كلامه منزلة
المرأة من الرجل : أى أنه ينحط عن درجة كلامى انحطاط المرأة عن درجة الرجل .
وهذا ينظر إلى قول أبي النجم :

إِنِّي وَكُلُّ شَاعِرٍ مِنَ الْبَشَرِ شَيْطَانُهُ أَتَى وَشَيْطَانِي ذَكَرُ

(٢) هذا الدر : مبتدأ ؛ ومأمون التشطى : خبر ؛ ومأمون الثانية : بدل من
السيف ، والتشطى : التكسر والتفرق : والفلول : جمع فل ، وهو الثلمة التى تصيب
السيف من الضرب به . يقول : إن شعره لا وهن فيه كالدر لا تنفتت أجزاؤه ولا يصير
قطعا لا كتنازه وصلابته ؛ وكذلك أنت السيف الذى لا يتلم حده ولا يخشى
عليه الانقلاب .

(٣) يقول : إن من لا يعرف النهار إلا بدليل يده عليه لم يصح في فهمه شيء لأنه
لا فهم له ، كذلك كلامى كان واضحا ، فمن لم يفهمه كان كمن لا يعلم النهار نهاراً
إلا بدليل .

(٤) العفاة : جمع عاف طالب المعروف . والعداة : جمع عاد ، الأعداء . يقول : إنك
تمطى سائلك ما أملاه وتزور أعداءك بما يحذرون من شدة بأسك . فتقرب بزيارتك
لهم آجالهم إذ تقتلهم .

(٥) الليوث : الأسود ، والأشبال أولادها .

إِذَا رَأَتْ الْأَسَدَ مَسْبِيَةً فَأَيْنَ تَفِرُّ بِأُطْفَالِهَا^(١)

* * *

ودخل عليه ليلا وهو يصف سلاحاً كان بين يديه ورُفِعَ فقال ارتجالاً :
وَصَفَّتْ لَنَا وَلَمْ نَرَهُ سِلَاحًا كَأَنَّكَ وَاصِفٌ وَقْتَ النَّزَالِ^(٢)
وَأَنَّ الْبَيْضَ صُفًّا عَلَى دُرُوعٍ فَشَوْقٌ مَن رَأَاهُ إِلَى الْقِتَالِ^(٣)
فَلَوْ أَطُفْنَا نَارَكَ تَأَلَّدِيهِ قَرَأْتَ اخْطُطَّ فِي سُودِ اللَّيَالِ^(٤)
إِنْ اسْتَحْسَنْتَ وَهُوَ عَلَى بَسَاطٍ فَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ عَلَى الرَّجَالِ^(٥)

(١) هو من قول الآخر :

وَمَنْ كَانَتْ الْأَسَدُ مِنْ صِيْدِهِ فَلَنْ يُفْلِتَ الدَّهْرَ مِنْهُ أَحَدٌ

(٢) يقول : وصفت لنا سلاحاً ولم نره - لأنه رفع من عنده قبل دخوله عليه - فكأنك تصف وقت النزال - الحرب - لأنه إذا وصف مضارب السيوف وبريقها كان ذلك كأنه وصف للقتال . هذا : والضمير في نره : عائد إلى السلاح لأنه في نية التقديم . قال العكبري : ونصب سلاحاً على إعمال الفعل الأول - وهو وضعت - على مذهبه - أى مذهب التنبي وهو كوفي مثل العكبري - في إعمال الفعل الأول ، ومثله لدى الرمة :

وَلَمْ أَمْدَحْ لِأَرْضِيهِ بِشَفْرِى لَيْثِيَّ أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَا لَا

(٣) البيض : جمع بيضة ، المغفر من الحديد يكون على الرأس . يقول : وذكرت أن البيض صفت على دروع فشوق من سمعه إلى الحرب . « أن » وصلتها عطف على سلاحاً .

(٤) تا : أى هذه . يعنى ناراً أوقدت بين يديه ، أو نار الشمع . أو السراج أو القناديل التى يستضيء بها . يقول : إن بريق هذه الأسلحة يغنى عن النار فى الإضاءة . حتى يقرأ ما خط فى الصحف فى الليالى الحالكه . قال العكبري : « تا » : نعت لـ « نارك » وهى فى موضع نصب ، كما تقول : ضربت زيدا هذا ، فهذا نعت لزيد : أى هذا المثار إليه ، ولو جعل بدلاً لجاز و « تا » إشارة للمؤنث الحاضر . كما يشار بـ « ذا » إلى المذكر الحاضر

(٥) استحسننت : أراد استحسنته ، غذف الماء للعلم به ؛ وعلى الرجال : حال سدت مسد الخبر . يقول : إن استحسننت هذا السلاح وهو ملقى على البساط فاحسن من ذلله إعماله فى الوغى ، وهو على الرجال .

وَأَنْتَ لَهَا النَّهْيَةُ فِي السَّكَالِ (١)
وَلَوْ لَخَطَّ الدُّمُسْتَقُ جَانِبِيهِ لَقَلَّبَ رَأْيَهُ حَالًا حِلَالِ (٢)

* * *

وقال يمدحه ، وأنشدها في جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة (*) :
لِيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طَوَالٍ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ (٣)
يُبِينُ لِي الْبَذَرُ الَّذِي لَا أُرِيدُهُ ، وَيُخْفِينُ بَذْرًا مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ (٤)

(١) يقول : وإن بالرجال وبالسلاح نقصا ، وكالمها بك .
(٢) الدمستق : قائد الروم . يقول : لو رأى الدمستق جانبي ذلك السلاح لأكثر من قلب رأيه في التوقي منه . وقوله « حالا لحال » حال ؛ واللام : بمعنى طى ، مثلها في قولهم :

* قلب أمره ظهراً لبطن

(*) كان سيف الدولة قد رحل من حلب إلى ديار مضر لاضطراب البادية بها ، فزل حران وأخذ رهائن بنى عقيل وقشير وبلغجلان ، ثم حدث له بها رأى في الغزو ، فعبر الفرات إلى دلولك إلى قنطرة مشجة إلى درب القلة ، فشن الغارة ، فعمطف عليه العدو فقتل كثيراً من الأرمن ورجع إلى ملطية ، وعبر قبايق حق ورد الخاض طى الفرات ، ورحل إلى ميساط ، فورد الخبر بأن العدو في بلد المسلمين ، فأسرع إلى دلولك وعبرها ، فأدركه راجعاً طى جيحان ، فهزمه وأسر قسطنطين بن الدمستق ، وخرج الدمستق على وجهه ، فقال أبو الطيب هذه الأبيات يمدحه ويذكر ذلك .

(٣) الظاعنين : جمع ظاعن ، المرتحل . وشكول : جمع شكل ؛ أى شبيه يقول : إن ليالى الناس تقصر وتطول حسب اختلاف الفصول ، أما لياليه هو فهي متشابهة في الطول لبعده الحبيب وامتناع النوم ، ولك أن تقول : إن مشا كلتها من جهة أنه لا يجد فيها روحاً ولا نوماً . يقول : لا يتغير حالى في ليالى بعد الأحبة ولا ينقض غرامى ووجدى هم : أى أنه لا يسو برغم تقادم العهد على الضد من قول القائل :

إذا ما شئت أن تسلو خليلاً فأكثر دونه عدد الليالى

ثم أخبر عن طول لياليه فقال هى طوال ، وكذا ليالى العشاق .

(٤) الضمير في « بين » و « يخفين » لليالى . يقول : يظهرن لى بدر السماء التي لا أريده ويخفين البدر الذى لا أجد إليه سبيلا ، وهو الحبيب :

وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الْأُحْبَةِ سَلَوَةً وَلَكِنِّي لِلنَّائِبَاتِ حُمُولٌ^(١)
وَأَنْ رَحِيلاً وَاحِداً حَالاً يَبْنِنَا ،

وَفِي الْمَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَحِيلٌ^(٢)
إِذَا كَانَ شَمُّ الرُّوحِ أَذْنَى إِلَيْكُمْ فَلَا بَرَحَتِي رَوْضَةً وَقَبُولٌ^(٣)

(١) يقول : ليس بقاى بعدهم سلوا عنهم ، ولكن لأنى صبور على النوائب
والشدائد ، حمول لها ، كما قال أبو خراش الهذلى :
فلا تحسبى أنى تناسيت عهدكم ولكن صبرى يا أميم جميل
وسلوة : مفعول له :

(٢) جملة « حال بيننا » خبر « إن » . يقول : إن ارتحال الأحبة عفى حال بينى وبينهم ،
لأننا افترقنا ، وفى الموت الذى يسببه الفراق ارتحال آخر : يعنى أنه لا يعيش بعدهم ،
أو تقول : إنه يريد أن يتصبر على بعدهم خوفاً من أن يتبع فراقهم بفراق الحياة
فيزداد بعداً عنهم .

(٣) الروح : نسيم الريح الشرقية . وبرحتى : فارقتى . والقبول : ربح الصبا .
يقول : إذا كان شم الرائحة الطيبة والتنسم بها يدينى إليكم - لأنها تذكرنى روائعكم
وطيب أيام وصالكم - فلا فارقتى روضة أتنتشق روائعها وريح قبول أتندم بها لأكون
أبدأ على ذكر منكم ؛ وفى هذا المعنى يقول البحرى :

يذكرنا ربنا الأحبة كلاً تنفّس فى جنح من الليل بارد
والأصل فيه قول الأول :

إذا هبَّ علوى الرياح وجدتنى كأنى لعلوى الرياح نسيب

هذا . وقوله أذننى : أى أشد إدناء ، فبى أفضل من الزيد . وقد ذهب ابن جنى فى
تفسيره هذا البيت مذهباً أثار عليه غبار الناقدين . قال : إذا كنتم تؤثرون شم الروح
فى الدنيا وملاقة نسيبها ، فلا زلت روضة وقبولا انجذاباً إلى هواكم ، ومصيراً إلى
ما تؤثرونه ، ويكون سبب الدنو منكم . أراد : فلا برحت روضة وقبولا ؛ فجعل
الاسم نكرة ، والخبر معرفة للقافية . قال الواحدى : ومن فسر هذا التفسير فقد فضح
نفسه وغر غيره : وقال ابن فورجه : الروح يؤثره من يأوى إلى هم وينطوى على شوق ،
فأما الأحبة - وإن كان إثارة الروح طبعاً فى الناس - فإنهم لا يوصفون بطلب الروح
وشم النسيم ، والتعرض لبرد الريح والتشنى بنسيم الهواء ، وأيضاً فما الحاجة إلى أن

وَمَا شَرَقَ بِالمَاءِ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَاءِ بِهِ أَهْلُ الحَبِيبِ نَزُولٌ^(١)
يُحَرِّمُهُ لَمَعُ الْأَسِنَّةِ فَوْقَهُ فَلَيْسَ لِظْمَانٍ إِلَيْهِ وَصُولٌ^(٢)
أَمَّا فِي النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا لَعْنِي عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيلٌ^(٣)
أَلَمْ يَرَهُ هَذَا اللَّيْلُ عَيْنِيكَ رُؤْيَى فَتَظْهَرُ فِيهِ رَقَّةٌ وَنُحُولٌ^(٤)
لَقِيتُ بِدَرْبِ القَلَّةِ الفَجْرُ لَقِيَةً شَفَتَ كَمْدَى وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلٌ^(٥)

يكون الاسم نكرة والخبر معرفة ؟ وليس هذا من أخوات كان ، وإنما هي من برح فلان مكانه : أى فارقه . يقول : إذا لم يكن لى من فراقكم راحة إلا التعلل بالنسيم وطلب روح الهواء وتشممى لطيبه بروائحكم ، وما كان ينالنى أيام اللهو والفرح بقربيكم فلا فارقتى روضة وقبول يسوق إلى روائح تلك الروضة وقال ابن القطاع : برح - هنا - بمعنى زال . يقول : إذا بعدتم ولا أصل إليكم إلا بشم الروح الذى يشبه رائحة نسيمكم ، فلا فارقتى روضة وقبول يأتينى برائحكم ؛ وقد دعا لنفسه بالحياة ، فإنه مادام حياً جاءته الرياح بروائح أحبته لأن قبله :

* وفى الموت من بعد الرحيل رحيل *

(١) الشرق : النسيم . وتذكرا : مفعول لأجله ، أو حال سدت مسد الخبر ، بمعنى منذ كرا ، فأقام المصدر مقام اسم الفاعل : ونزول : جمع نازل يقول : إني كلما شربت الماء غصصت به لأننى أتذكر الماء الذى نزل به أهل الحبيب فلا يسوغ لى الماء الذى أشربه

(٢) يقول : إن فلك الماء الذى نزل به الحبيب يحرم وردة لمع الرماح التى ركرها قومه حوله فلا يصل إليه عطشان ، يريد بذلك عزة أهله ومناعتهم ؛ وبالحرى مناعة حبيبه فيما بينهم : أى فلا سبيل إلى زيارته ، فحبيبه ممنوع منه على القرب والبعد .

(٣) فى النجوم : خبر مقدم ؛ ودليل - فى آخر البيت - مبتدأ مؤخر ؛ استطال ليله فقال : أليس فى هذه النجوم وغيرها مما يسترشد به دليل يدلى على ضوء الصبح فأستروح إليه من طول الليل وما أقاسيه فيه من الكمد واللوعة ؟

(٤) رؤيتى : مفعول مطلق . وقوله فتظهر : جواب الاستفهام . يقول : إن من رآها عشقها فينحل ويرق من عشقها ، فهل لم ينظر هذا الليل إلى عينيها كما نظرت إليهما فيفتن بهما افتتاني فيرق وينحل وتقل أجزاؤه فينكشف عني وينحسر ؟

(٥) درب القلة : موضع وراء الفرات . والكمد : الحزن . ويروى شفت كبكى

وَيَوْمًا كَانَ الْحَسَنُ فِيهِ عَلَامَةٌ بَعَثَتْ بِهَا وَالشَّمْسُ مِنْكَ رَسُولٌ^(١)
وَمَا قَبْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ أَثَارَ عَاشِقٍ وَلَا طَلِبَتْ عِنْدَ الظَّلَامِ دُحُولُ^(٢)

والليل فيه قتيل : جملة حالية . يقول : إنه بداله الفجر عند هذا المكان ، فاشتقت كبده بانصرام الليل كما يشتقي العدو بنكبة عدوه ، وجعل الليل قتيلاً لظهور حمرة الشفق عند انقضائه فشبها بالدم . قال ابن جني : سأله - المتنبي - عن معنى هذا البيت فقال : وافينا القلة وقت السحر ، فكأنني لقيت بها الفجر ، ثم سرنا صبيحة ذلك اليوم إلى العصر أربعين ميلاً وغننا الفارات وغنمنا ، وشفيت كددي لا نحسار الليل عني ، والليل قتيل في ذلك للوضع . فكان النهار لما أشرق بضوئه على الليل قتله وظفر به . . . وقد أخذ هذا المعنى بعضهم وكشف عنه فقال :

ولما رأيتُ الصبحَ قد سلَّ سيفه وولى انهزاماً ليله وكواكبه
ولاح احمرارٌ قلت قد ذبح الدُّجى وهذا دم قد ضمَّخَ الأرض ساكبه

(١) ويوما : عطف على الفجر - في البيت السابق - يقول : ولقيت بدوب القلة بعد ذلك الليل للسبتشع الكريه يوماً حسناً جميلاً ، فذكرت به محاسنك فكان حسنه علامة صدق بعثت بها ، وكانت الشمس هي الرسول لأنها لما طلعت حسن ذلك اليوم فكانها جاءت بحسنه والحيية بعثت ذلك الحسن . وقال ابن جني : لما ثار القبار ستر الشمس فكانها رسول من محبوبته مستخف . وهذا المعنى من أحسن الكلام ، وفي معناه قول الآخر :

إذا طَلَعَتْ شمسُ النهارِ فإنها أَمارةٌ تسليمي عليكِ فسَلِّمي

(٢) اثار : افعل ، من الثَّار ، وأصله الحمز . اثار يثر اثاراً : إذا أدرك الثَّار ، خلَّته . والدُّحول : جمع دحل ، الثَّار والعداوة والحقد . يقول : إنما حسن نهاري بما ناله سيف الدولة من ظفره بأعدائه ، وبه اشتفيت من ليلي وما قاسيته فيه ، فكأنني أدركت ثأري منه ، وهي أول مرة أدرك عاشق ثأره وطولب الليل بما يحصل منه ، لأن ذلك لم يعهد قبل سيف الدولة . ولا بن فورجه هنا كلام حسن يزيد انتقاماً إيضاحاً قال : قد خلط أبو الطيب في هذه الأبيات تشبيهاً بتقريظ وهي من محاسن هذه القصيدة ، وغرضه أن يصف يوم ظفر سيف الدولة بالحسن والطيب ، ويذكر سوء صنيع الليل عنده فيما مضى ، وأراد بقوله والليل فيه قتيل : حمرة الشفق ، وأنه كدم على صدر نحير ، ولما لقيه كذلك شمت به لطول ما قاسى من . . . جعل حسن اليوم وهو ظفر

وَلَكِنَّهُ يَأْتِي بِكُلِّ غَرِيبَةٍ تَرُوقُ حَتَّى اسْتَفْرَاهَا وَتَهْوُلُ^(١)
رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ إِلَى الْعِدَا وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السَّهَامَ خِيُولُ^(٢)
شَوَائِلَ تَشْوَالُ الْعُقَارِبِ بِالْقَنَا لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلُ^(٣)
وَمَا هِيَ إِلَّا خَطَرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ بِحِرَانٍ لَبَّتْهَا قَنَا وَنُصُولُ^(٤)

سيف الدولة لسرويه به كالملة التي جاءت من المحبوب، والشمس كرسوله لشدة الجذل بطلوها، ثم ادعى أن سيف الدولة قتل الليل وأثار لأبي الطيب على ماجرت به العادة من نسبة الغرائب إلى المدوحين وإن كانت من المحال. يدل على هذا البيت التالي.

(١) الغريبة: الأمر الغريب. وتروق: تعجب. وعلى استفراها: أى مع استفراب الناس لها. وتهول: تفزع وتخيف. يقول: ولكنه يأتي بأمور غريبة لا عهد للناس بها من قبل، وهى مع استفراب الناس لها تعجب التأمل فيها لحسنها وتوقع في نفسه الهبة استعظاما لقدرها.

(٢) الدرب: المدخل إلى بلاد الروم. والجرد: الخيل القصيرة شعر الجلد، وهو آية كرمها. يقول: رمى الروم بخيل أسرع إليهم من السهام ولم يعلموا قبل ذلك أن السهام تكون خيلا.

(٣) شوائل: حال من الجرد. في البيت السابق. وشالت العقر ذنبها: رفعتها؛ وتشوال: مفعول مطلق؛ وبالقنا: متعلق بشوائل؛ وأراد شوائل بالقنا تشوال العقارب بأذنانها. والمرح: لعب يتبعه النشاط والضمير في تحته: للقنا، ويجوز أن يكون للدوح. شبه الرماح على الخيل بأذنان العقارب إذا رفعتها، يشير إلى سرعة سيرها وكثرة جريها ورفعها الأذنان في ذلك الجرى، وهو دليل كرمها وقوتها، والتشوال أكثر ما يكون عند الجرى، ثم دل على نشاطها بمرحها وعلى عزة نفسها بصهيلها.

(٤) هى: ضمير الشأن أخبر عنه بمفرد؛ والخطرة: اسم مرة من خطر له: كذا: من يباله. وحران: بلد؛ ولبتها: أجابتها؛ والنصول: السيوف. يقول: لم تكن هذه الغزوة التي رمى بها أرض الروم إلا خاطراً عرض له، فأجابت خاطره الرماح والسيوف، أى أنها كانت مع عظمتها وجلالها. من غير استعداد ولا احتفال.

هُمَامٌ إِذَا مَا هَمَّ أَمْضَى هُمُومَهُ بِأَرْعَنَ وَطْءَ الْمَوْتِ فِيهِ ثَقِيلٌ^(١)
 وَخَيْلٌ بَرَاهَا الرَّكْضُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَرَّسَتْ فِيهَا فَلَيْسَ ثَقِيلٌ^(٢)
 فَلَمَّا تَجَلَّى مِنْ دَلُوكِ وَصَنْجَعَةٍ عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رَايَةً وَرَعِيلٌ^(٣)
 عَلَى طُرُقٍ فِيهَا عَلَى الطَّرْقِ رَفْعَةٌ وَفِي ذِكْرِهَا عِنْدَ الْأَنْبَسِ خُحُولٌ^(٤)
 فَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُفْـِـرَةً
 قَبَاحًا وَأَمَّا خَلْفُهَا فَجَبِيلٌ^(٥)

(١) الهمام : الملك العظيم المهمة . وهم : أراد فعل الشيء ؛ وأمضى : أنقذ ؛ والمهموم : المهم ؛ والارعن : الجيش الكثير المضطرب لكثرة . يقول : هو همام إذا هم بأمر فله وأنفذه بجيش حافل وطء الموت فيه ثقیل على من يحاول هلاكه من أعدائه ، أى أن أخذه شديد .

(٢) وخيل : عطف على أرعن ؛ أى وبخيل ؛ وبراهها : هزلها ؛ والتعريس : نزول الركب آخر الليل للاستراحة . وثقیل : أى تنزل وقت المهاجرة أى نصف النهار للنوم . يقول : إن خيله التى تضمنها ذلك الجيش هزلها لما يحشمها من العدو فهى لا تزال دائبة التسيار فى بلاد العدو ، فإذا نزلت ليلا فى بلد لم تقم به نهاراً بل ثقیل يبلد آخر .

(٣) دلوك : موضع وراء الفرات ؛ وصنعة : نهر بين ديار مضر وديار بكر ؛ والطود : الجبل العظيم ؛ والرعیل : القطعة من الخيل . يقول : لما فصل من هذين الموضعين وبان منهما تفرقت فرسانه فعمت راياتها وخيله الجبال .

(٤) على طرق : حال من فاعل علت - فى البيت السابق - والرفعة : الاسم من الارتفاع ؛ والخور : خفاء الذکر : أى سارت إلى الروم على طرق فى الجبال ، ومن ثم فهى مرتفعة على الطرق ، وهى خاملة الذکر عند الناس لأنها لم تسلك من قبل .

(٥) ضمير «شعروا» للعدو، و«قباحا» حال، وجاء بها لازمة لأنها على معنى مستقبحة وقال المكبرى : إنها صفة لمغيرة . يقول : لجأت الأعداء هذه الخيل فلم يشعروا بها إلا مغيرة عليهم ، فكانت قبيحة فى أعينهم لسوء فعلها بهم ، وهى مع ذلك جميلة الخلق، وهذا كقوله الآتى :

حَسَنٌ فِي عُيُونِ أَعْدَائِهِ أَقْدُ بَيْحٌ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السَّوَامُ

سَحَابٌ يَمْطُرُنَ الْحَدِيدَ عَلَيْهِمْ . فَكُلُّ مَكَانٍ بِالسُّيُوفِ غَسِيلٌ^(١)
وَأَمْسَى السَّبَايَا يَنْتَحِبْنَ بِعَرَقَةٍ . كَأَنَّ جُيُوبَ الثَّائِلَاتِ ذُبُولٌ^(٢)
وَعَادَتْ فَظَنُوهَا بِمُوزَارٍ قَفَلًا . وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الدُّخُولُ قَفُولٌ^(٣)
فَخَاضَتْ نَجِيعَ الْجَنَعِ خَوْضًا كَأَنَّهُ . بِكُلِّ نَجِيعٍ لَمْ تَخْضُهُ كَفِيلٌ^(٤)
تُسَايِرُهَا النَّيْرَانُ فِي كُلِّ مَسْلَكٍ . بِهِ الْقَوْمُ صَرَغَى وَالْدِّيَارُ طُلُولٌ^(٥)

(١) سحائب : خبر . مبتدأ محذوف ؛ أى هى - الحيل - سحائب ، ورواها ابن جنى بالنصب على أنها بدل من قباحاً . قال العكبرى : ويجوز أن تكون بدلا من ضمير رأوها ، وغسيل : بمعنى مغسول ، جعل خيله كالسحائب لما فيها من بريق الأسلحة وصياح الأبطال وجعل مطرها الحديد لأنها تنصب عليهم بالسيف والأسنة ، ولما جعل السيف مطراً جعل إفناءها لهم بمنزلة غسل الأرض منهم ، وقال ابن جنى : يجوز أن يعنى بالسحائب : الغبار الكثائر . يصف خيله بالكثرة يقول : سحائب تمطر الحديد عليهم وتعمل السلاح فيهم فكل مكان تغسله السيف بما تسفكه من الدماء .

(٢) عرقة : بلد بالشام ؛ والانتحاب : البكاء ؛ والجيب : ما انفتح من القميص على النحر . والثائلات : جمع ثكلى ، وهى التى فقدت ولداً أو بعلاً أو أباً أو أخاً . يقول وأمسى الجوارى اللأى سبين من الروم يسكنن بهذا الموضع فمجمعات قد شققن جيوبهن على من فقدن من قتلهن حتى انهطلت إلى الأرض فصارت كأنها ذبُول .

(٣) موزار ؛ حصن ببلاد الروم . والقفول : الرجوع . يقول : وعادت خيل سيف الدولة فظنها الروم راجعة إلى بلادها وليس لها رجوع إلا الدخول عليهم من درب موزار ؛ يعنى أن عودها الذى ظنوه رجوعاً كان دخولا عليهم .

(٤) النجيع : دم الجوف خاصة ؛ والضمير فى «كأنه» للخوض ؛ ويروى «نَجِيع» القوم يقول : فخاضت الحيل الدم الذى سفكت من الروم خوفاً وافتراً تاماً هائلاً حتى هان غره بالإضافة إليه ، فكأنه كفيل لمن رآه بأن خيله لا يتعذر عليها خوض كل دم لم تخضه بعد ذلك .

(٥) فى كل مسلك : يروى فى كل منزل . وصرعى . جمع صريع ، أى قتيل ، والطلول : ما بقى من آثار الديار ؛ يقول : تسير النيران مع الحيل أينما سلكت ، أى أنهم كانوا يحرقون كل موضع وطئوه من بلادهم ويقتلون أهلها فتخرب ديارهم وتبقى الآثار .

وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءِ مَلْطِيَّةٍ مَلْطِيَّةٌ أُمٌّ لِلْبَنِينَ فَكُولُ^(١)
وَأَضْمَقْنَ مَا كُلَّفْنَهُ مِنْ قُبَابٍ فَأَضْحَى كَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ عِلِيلُ^(٢)
وَرَعْنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كَأَنَّمَا تَحْرُ عَلَيْهِ بِالرَّجَالِ سَيُولُ^(٣)
يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجُهُ كُلُّ سَابِحٍ سَوَاءً عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ^(٤)
تَرَاهُ كَأَنَّ الْمَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ ، وَأَقْبَلَ رَأْسُ وَخَذَهُ وَتَلِيلُ^(٥)
وَفِي بَطْنٍ هَزِيطٍ وَسَمْنِينَ لِلْظُّيِّ ، وَصَمَّ الْقَنَا يَمْنُ أَبَدَنْ بِدِيلُ^(٦)

(١) كرت : عطفت ؛ وملطية : بلد بالروم معروف ، ولأنه اسم أعجمي ، والاسم الأعجمي إذا وقع إلى العرب تصرف فيه ، أسكن الطاء وخفف الياء ؛ ويريد أهل ملطية . والشكول : التي تفقد أولادها . يقول : وعادت الخيل ومرت في دماء أهل ملطية . أي سفتك دماءهم حتى خاضت فيها ، ثم جعل ملطية أمّاً لأهلها وجعلهم كالبنين لها ، وقد فقدتهم حين قتلوا .

(٢) قباب : اسم نهر عبرته خيل سيف الدولة ؛ وكلفنه : أي كلفن قطعه و«من» الداخلة على قباب لبيان « ما » . يقول : إن خيله أضعت هذا النهر عند عبوره بكثرة قوائمها وشدة تزامحها فأضحى ماؤه كالسيل الساقط القوة فجعلت جرى مائه ضعيفاً .
(٣) يقول : لما عبرت الخيل بنا الفرات راعته - أفزعته - كثرة الخيل - أي كثرة الجيوش - التي خاضته ، فكأنتما تنحدر عليه سيول بالرجال ، ولما جعل الفرات مروعا استعار له قلباً لأن الروع يكون في القلب .

(٤) السابح : الفرس الذي يمد يديه كأنه يسبح في جريه ، ويحتمل هنا سباحة للماء والغمرة : معظم الماء ؛ والسيل : مجرى الماء . يقول : إن الموج كان ينجفل عن قوائم الخيل ويمجرى أمامها وهي تتبعه ، فجعل ذلك كالطاردة ، ثم قال : إن هذه الخيل - لقوتها كانت لا تكثرث لغمرة الماء ، بل سواء لديها الغمرة والسيل ، فتسبح في الغمرة كما تسير في السيل الذي لا ماء فيه .

(٥) التليل : العنق : يقول : إذا سبح الفرس في النهر لم يظهر منه إلا الرأس والعنق لكثرة ماء النهر وتعذر خوضه ، فكأن الماء ذهب بجسمه وبقي الرأس والعنق وحدهما يسبحان .

(٦) هنريط وسمنين : موضعان ببلاد الروم . والظرف : خبر مقدم عن بديل . الظلي : جمع ظبة : حد السيف ؛ وصم القنا : الرماح الصلبة ؛ ومن أبدين . متعلق

طَلَعْنَ عَلَيْهِمْ طَلْعَةً يَفْرِفُونَهَا لَهَا غُرُرٌ مَا تَنْقُضِي وَحُجُولٌ^(١)
 تَمَلُّ الْحُصُونُ الشَّمَّ طُولَ زَيْلِنَا، فَتُلْقِي إِلَيْنَا أَهْلَهَا وَتَزُولُ^(٢)
 وَتَبْنِي بِمُخَضِّنِ الرَّانِ رَزْحَى مِنَ الْوَجَى
 وَكُلُّ عَزِيزٍ لِلْأَمِيرِ ذَلِيلٌ^(٣)
 وَفِي كُلِّ نَفْسٍ مَا خَلَاهُ مَلَالَةٌ، وَفِي كُلِّ سَيْفٍ مَا خَلَاهُ فُلُولٌ^(٤)
 وَدُونُ سُمَيْسَاطِ الْمَطَامِيرِ وَالْمَلَا، وَأَوْدِيَّةُ بَحْمٍ وَهَجُولٌ^(٥)

يبدل يقول : كانت السيوف والرماح قد أفنت أهل هذين الموضعين ، فلما عاودته بعد مدة وجدت قوما آخرين قد أدركوا بدلا من أفنتهم . يعنى أن إغارة هذه الخيل على هذين الموضعين متتابعة متواصلة على الروم ، فكلما أتتهما طائفة منهم أفنتها هذه الخيل .
 (١) الفرر : جمع غرة : البياض في وجه الفرس ؛ والحجول : بياض يكون في قوائمها . يقول : طلعت الخيل على أهل هذين الموضعين طلعة ، قد عرفوها لها شهرة كغمر الخيل وحجولها ، لأنها طالما طلعت عليهم وأغارت .

(٢) الشم ؛ الطوال المرتفعة في السماء . يقول : إن الحصون الشم تمل طول مقاتلتنا إياها فتزول هي عن أما لكنها بالخراب وتمكتنا من أهلها .

(٣) حصن الران : من حصون الروم ؛ ورزحى ؛ ساقطة هزالا من الإعياء . والوجى : الحفى . يقول : باتت الخيل معيبة بهذا الموضع مما أصابها في حوافرها ، ثم اعتذر لها فقال : لم يلحقها ذاك لضعفها ولكن الأمير كلفها من همته صعباً فذات له وإن كانت عزيزة قوية .

(٤) قوله وفي كل نفس الخ : حال من ضمير الخيل - في صدر البيت السابق - والفلول : الثلوم . يقول وقد أدرك كل نفس من نفوس جيشه الملل لطول القتال وشدة الملاقاة ما خلا سيف الدولة ، فإنه لا يفترو ولا يمل ، وكذلك كل سيف في ذلك الجيش قد فله - ثلته - الضرب ، أما هو فلم تسلك عزائمه عن متابعة القتال ، لأنه السيف لا ينبو عن ضريبته .

(٥) سميساط : بلد بشاطئ الفرات . والمطامير : جمع مطمورة ، حفرة غائرة في الأرض نخباً فيها الطعام والشراب والملا : جمع ملاء ، وهى الفلاة ذات الحروا والسراب .
 . الحجول : جمع هجل ، المطمئن من الأرض ، قال أبو زيد :

لَبِسْنَ الدُّجَىٰ فِيهَا إِلَىٰ أَرْضِ مَرْعَشٍ

وَالرُّومِ . خَطْبُ فِي الْبِلَادِ جَلِيلٌ ^(١)

فَلَمَّا رَأَوْهُ وَخَذَهُ قَبْلَ جَيْشِهِ دَرَوْا أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ فُضُولٌ ^(٢)

وَأَنَّ رِمَاحَ الْخَطِّ عَنْهُ قَصِيرَةٌ ، وَأَنَّ حَدِيدَ الْهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلٌ ^(٣)

فَأَوْرَدَهُمْ صَدْرَ الْحِصَانِ وَسَيْفَهُ فَنَىٰ بِأَسْهُ مِثْلُ الْعَطَاءِ جَزِيلٌ ^(٤)

تَحْنُ لِلظُّمْءِ مَا قَدْ أَلَمَ بِهَا بِالْهَجَلِ مِنْهَا كَأَصْوَاتِ الزَّانِبِ ^(١)

يقول : قبل الوصول إلى سيمساط هذه الأشياء .

(١) مرعش : بلد بائع قرب أنطاكية ؛ أى سارت الخيل في تلك الأودية إلى أرض مرعش ليلا ، فكأنها لبست الدجى حين سارت في الظلمة . وقوله وللروم خطب ذلك أن سيف الدولة لما تزن بمحصن الران ورد عليه الخبر أن الروم في بلاد المسلمين يعيشون ويقتلون ، فرجع إليهم مسرعا ، فقتل منهم خلقا كثيرا وأسر قسطنطين بن الدستق . ويجوز أن يكون المعنى : أن لأرض الروم خطبا جليلا لأن الوصول إليها صعب لتعذر الطريق إليها ولشدة شوكة أهلها وقد داسها سيف الدولة بمخواف خيله وذلل أهلها .

(٢) فضول : أى زوائد لا حاجة إليها . يشير إلى أنه لشجاعته تقدم الخيل وحده حتى رآه الروم قبل أن يروا جيشه ، ولما رآوه كذلك علموا أنه يغنى غناء الناس جميعا وأن من سواء من العالمين لا حاجة إليهم مع وجوده .

(٣) الخط : موضع باليمامة تنسب إليه الرماح الخطية . والكيل : الذى لا يقطع يقول : وعلموا أن الرماح لا تصل إليه وأن السيوف تسكل عنه فلا تقطعه : إما لأنها تندفع دونه لعزته ومنعته ، وإما لما يلقيه على الطاعن والضارب من الهية فلا يقدم عليه .

(٤) الحصان : المذكور من الخيل ، والجزيل : الكثير . يقول : إنهم قتلوا بحضرته وهو راكب ، جعلهم واردين صدر حصانه حين أحضروا بين يديه وهو راكب ، واردين سيفه حين قتلوا به . أو تقول : يشير إلى أنه لقيهم بنفسه وقتلهم بحد سيفه .

(١) قوله بالهجل : خبر مقدم ؛ وكأصوات - أى مثل أصوات - مبتدأ مؤخر . قال ابن برى : والذى في شعره الزانير - بالنون - وهى الحصى الصغار .

جَوَادٌ عَلَى الْعِلَاتِ بِالمَالِ كُلِّهِ وَلَكِنَّهُ بِالدَّارِعِينَ بِخَيْلٍ^(١)
فَوَدَّعَ قَتْلَاهُمْ وَشَعَّيَّ فَلَهُمْ
بِضَرْبِ حَزُونٍ التَّبْيِضِ فِيهِ سُهُولٌ^(٢)
عَلَى قَلْبِ قُسْطَنْطِينٍ مِنْهُ تَعَجُّبٌ، وَإِنْ كَانَ فِي سَاقِيهِ مِنْهُ كِبُولٌ^(٣)
لَمَلَّكَ يَوْمًا يَا دُمُسْتَقُ عَائِدٌ فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَتَوَلُّ^(٤)

فجعل صدر فرسه موردا لأسلحتهم كناية عن استقباله لهم مكافئة ، وجعل سيفه موردا لأرواحهم يستقبلونه فيهلكون به ، فهو فتي باسه شديد بالغ كما أن عطاءه جزل كثير .

(١) على العلات : على كل حال . والدارع : الذي عليه الدرع . يقول : يهود بماله على اختلاف أحواله . كيفما دار به الأمر كان جوادا ، ولكنه بخيل برجاله ، يعنى أنه يبذل المال ويصون الأبطال ، ولك أن تجعل الدارعين من الأعداء ، فيكون المعنى أنه يقتلهم ولا يجود بهم عليهم . وعبرة ابن جني : بخله بالدارعين من أعدائه أنه يقتلهم بنفسه أو يسلبهم أو يحميمهم اصطناها^(١)

(٢) الفل : النهزمون . والحزون : جمع حزن ما غلظ من الأرض ، ضد السهل . والبيض : جمع بيضة ، ما يلبس على الرأس من حديد . يقول : ترك الذين قتلهم وتبع الذين انهزموا بضرب يقطع الخوذ على رؤوسهم فيصبح مكانها مستويا بعد أن كانت ناتئة فوقه ، وقد طابق بين التوديع والتشيع والحزن والسهل .

(٣) قسطنطين : هو ابن الدمستق ، والكبول : جمع كبل ، القيد الضخم . يقول لم يشغله ما يعانى من القيد عن التعجب مما يرى من شجاعة سيف الدولة . وقال الخطيب التبريزي : لما أسر سيف الدولة قسطنطين أكرمه وأقام عنده بحلب مدة ، فهو يشير إلى تعجبه من حلم سيف الدولة وكرم أخلاقه وإن كان مقيدا عنده .

(٤) يقول : لعلك يوما تعود إلينا فيحقيق بك الهلاك الذى استدفقته بفراارك ، فقد يهرب الإنسان مما يعود إليه ، فهذا تهديد له : أى أنك تعود فتؤسر أو تقتل ، ولعله من قول ابن الرومى :

(١) من اصطناع المعروف

نَجَوْتَ بِأَخَذِي مُهْجَتِكَ جَرِيحَةً وَخَلَفْتَ إِحْدَى مُهْجَتِكَ تَسِيلٌ^(١)
 أَتَسْلِمُ لِلْخَطِيئَةِ ابْنَكَ هَارِبًا ، وَيَسْكُنُ فِي الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلٌ^(٢)
 بَوَاجِهَكَ مَا أَنْسَاكَهُ مِنْ مُرْشَةٍ نَصِيرُكَ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلٌ^(٣)
 أَغْرَاكُمْ طُولُ الْجِيُوشِ وَعَرَضُهَا عَلَى شَرُوبٍ لِلْجِيُوشِ أَكُولٌ^(٤)
 إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلْيَثِ إِلَّا فَرِيَسَةً غَذَاهُ وَلَمْ يَنْفَعَكَ أَنْكَ فِيلٌ^(٥)

وإذا خشيت من الأمور مقدراً وهربت منه فنفوّه تتوجه

(١) المهجة : الروح ، وأنت جريحة بالناء ضرورة ، وخلفت : تركت خلفك : أراد بمهجته الأولى - وهى الجريحة - نفس الدمستق ، وبالثانية : - التى تسيل - ابنه وجعل مهجته مجروحة وإن كانت الجراحة ليده لأن جرح البدن يسرى إلى الروح ، وكفى بسلطان المهجة الأخرى - وهى ابنه - عن الهلاك : أى أنه يقتل فيسيل دمه ، قال السموذ :

تسيل على حدّ الظُّبَاتِ نفوسنا وليست على غير الظُّبَاتِ تسيل

يقول : إنه هرب مجروحاً - لأن سيف الدولة جرح وجهه فى هذه الواقعة - فنجأ بنفسه وترك ابنه فى يد الهلاك ، فهو وإن نجا بسلامة إحدى مهجتيه إلا أنه يعد هالكا بهلاك مهجته الأخرى - ابنه - لأن ما يدرك ابنه كأنما يدركه .

(٢) أسلمه . خذله وتركه والاستفهام : استفهام إنكار وتوبيخ ، والخطية : الرياح ويسكن بمعنى يطمئن ويركن ، وهو جواب الاستفهام . يقول :. أنخذل ابنك وتركه للرماح وتهرب ويشق بك أحد بعد ذلك من خلانك ؟ أى لا يثق بك أحد بعد هذا .

(٣) المرشة : الطعنة ترش الدم ، والرنة : الصياح ، والعويل : البكاء . يقول : بوجهك جراحة أنستك ابنك وليس لك من ينصرك منها إلا الصياح والعويل ، يعنى أنك عاجز عن نصرة نفسك فكيف تنصر ابنك ؟

(٤) يقول : أغركم كثرة رجالكم ؟ لا تفرنكم الكثرة ، فإن علياً - اسم سيف الدولة - يطلبكم وإن كثر عددكم ، فالمراد بالشرب والأكل : الإفناء والإبادة حتى لا يبقى منهم أثر ، لأن ما شرب أو أكل لا ترى له عين ، وكأن هذا ينظر إلى قول أبى نواس :

فإن يك باقى إلفكِ فرعونَ فيكم فإن عصى موسى بكفّ خصيب

(٥) غذاه : صار له غذاء ، والضمير لليث : وأنتك فيل : فاعل ينفعك أو غذاه

إِذَا الطَّعْنُ لَمْ تَدْخِلْ فِيهِ شَجَاعَةً هِيَ الطَّعْنُ لَمْ يَدْخِلْ فِيهِ عَذُولٌ^(١)
 فَإِنْ تَكُنِ الْإَيَّامُ أَبْصَرْنَ صَوْلَهُ فَقَدْ عَمَّ الْإَيَّامُ كَيْفَ تَصُولُ^(٢)
 فَدَتِكَ مُلُوكُ لَمْ تُسَمَّ مَوَاضِيًا ، فَإِنَّكَ مَاصِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلُ^(٣)
 إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ
 فِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولٌ^(٤)

على طريق التنازع ، وهذا مثل ضربه . يقول : أتم وإن كنتم أكثر عددا فإن الظفر له دونكم ، فلا تغنيكم هذه الكثرة شيئا ، كالليل مع الأسد فإن الليل لا ينفعه عظمه إذا صار فريسة للأسد وبعبارة أخرى : إذا لم تكن إلا فريسة للأسد ، فكونك فيلا أى كونك ضخم الجثة ، يتوفر به غذاء الأسد ولا ينفعك في النجاة منه ، يعنى أن كثرة الروم لا تنفعهم إذا وقعوا في يد سيف الدولة ، ولكنها تكون سببا في شفافه بكثرة ما يقتل منهم .

(١) قوله هـى الطعن : نعت شجاعة يقول : إذا لم يدخلك فى الطعن شجاعة هى الطعن وبها يكون البطش والعمل لم يدخلك فيه اللوم ؛ يعنى أن التحريض لا يحرك الجبان (٢) صال عليه : وثب واستطال ، يقول : إن كانت الأيام قد أبصرت بطشه بأهل الروم فقد علمها من ذلك ما لم تعلمه ونهج لها سبيل الصول والغلبة ، يعنى أن الأيام تتعلم منه البأس .

(٣) مواصيا : سيوفا ، وشفرة السيف : حده . يقول : فدتك ملوك تروم مشاهبتك ولم تسم سيوفا ، إذ ليست أهلا لهذه التسمية لأنك أنت السيف اسما ومضاء .

(٤) البوقات : جمع بوق ، وهو ذاك الذى ينفخ فيه ويصر . وعنى يبعث الناس : سيف الدولة . يقول : إذا كنت سيف الدولة ، فإن غيرك من الملوك بالإضافة إليك للدولة بمنزلة البوق والطبل : أى لا يغنون غناءك ولا يقومون مقامك ؛ أو تقول : إذا كنت سيفا للدولة يذود عنها ويقاثل بنفسه فغيرك من الملوك للدولة بمنزلة الأبواق والطبول لا غناء عندهم ولا منفعة لهم إلا جمع الجيوش لتقاتل عنهم كما تجمع بصوت البوق والطبل وقال المروضى : أراد بالبوق والطبل ، الشعراء الذين يشيعون ذكره ويذكرون فى أشعارهم غزواته فينتشر بهم ذكره فى الناس ، كالבوق والطبل اللذين هما لإعلام الناس بما يحدث : قال ابن جنى : وقد عاب على أبى الطيب من لا خبرة له بكلام العرب جمع وق ، والقياس يعضده ، إذ له نظائر كثيرة : مثل حمام وحمامات ، وسرادق وسرادقات ،

أَنَا السَّابِقُ الْهَادِي إِلَى مَا أَقُولُهُ إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولٌ^(١)
وَمَا لِكَلَامِ النَّاسِ فِيمَا يُرِيدُنِي أَصُولٌ وَلَا لِلْقَائِلِينَ أَصُولٌ^(٢)
أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِي تَجَوْلٍ^(٣)
سِوَى وَجَعِ الْحَسَادِ دَاوٍ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ بِمَحُولٍ^(٤)
وَلَا تَطْمَعُنْ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ وَإِنْ كُنْتَ تُبْذِرُهَا لَهُ وَتُنْذِلُ^(٥)
وَأَنَا لَنَلْقَى الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسٍ كَثِيرُ الرِّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلٌ^(٦)
يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تَصَابَ جُسُومُنَا وَنَسْلَمَ أَغْرَاضُ لَنَا وَعُقُولُ^(٧)

وجواب وجوابات، وهو كثير في كلام العرب في جمع مالا يعقل من المذكر؛ إذ لا يوجد له مثال القلة

(١) الهادي : بمعنى المهتدي ، وإذ : ظرف مضاف إلى الجملة بعده . يقول : أنا الذي أتقدم غيري . وأسبقه إلى ما أقول ، يعني أنه مخترع المعاني الأبداء التي لم يسبق إليها إذا كان غيره من الشعراء يقول ما سبق إليه وقيل من قبله .

(٢) أرابه : جعل فيه ريبة ، والريبة الشك والتهمة . يقول : إن ما يتكلم به حسادي فيما يريدني لا أصل له لأنه كذب وباطل ، وكذلك هم لا أصل لهم ؛ أي ليس لهم نسب يعرف به أصلهم

(٣) يقول : أعادى على علي وفضلي وتقدمي في الشعر ، وذلك مما يوجب الحب ، لا العداوة ، وأسكن أنا والأفكار تجول في ولا تسكن : أي لا تعرض لهم ، أمامم فلا يفترقون عن تلمس ما يشنعون به على .

(٤) يقول : لا تشتغل بـمداواة حسد الحساد ، فإن الحسد داء عياء إذا حل في قلب فلا أمل في زواله ، فسوى : مفعول داو .

(٥) وتنيل : تعطى . يقول : لا تطمعن في مودة حاسد ، فهو لا يود محسوده ولو أظهر له المودة وبذل له من نعمته وأعطاه .

(٦) يصف نفسه بالجلد وقلة الجزع لنوب الدهر . يقول : وإنا لنلقى الحوادث بأنفس جلدة تهتقر الخطوب الجليلة وتستقل الرزايا الكثيرة .

(٧) هذا من قول أبي تمام :

لا يأسفون إذا هم سُمِنَتْ لهم أحسابهم أن تهزل الأعمار

فَتَيْهَا وَفَخَرَأَ تَغْلِبَ ابْنَةُ وَائِلٍ ، فَأَنْتِ تَحْلِيهِ الْفَاخِرِينَ قَبِيلُ^(١)
يَغْمُ عَلِيًّا أَنْ يَمُوتَ عَدُوُّهُ إِذَا لَمْ تَغْلُهُ بِالْأَسِنَّةِ غُولُ^(٢)
شَرِيكَ الْمَنَايَا وَالنَّفُوسُ غَنِيمَةٌ ، فَكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُمِتَّهُ غُلُولُ^(٣)
فَإِنْ تَكُنِ الدَّوْلَاتُ قِسْمًا فَإِنَّهَا لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً^(٤)
لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً وَلِلْبَيْضِ فِي هَامِ الْكُمَاةِ صَدِيلُ^(٥)

* * *

(١) أنت « تغلب » لأنها قبيلة . ويجوز رفعها على النداء المفرد ، وجعل ابنة وائل منصوبا بالنداء المضاف ونصبها على جعلها مضافة إلى وائل ؛ وابنة بدلا منها . يقول لتغلب : اغزى وتبى ، فإنك قبيلة خير من غز ، يعنى سيف الدولة . وتبها وغزاً : منصوبان على المصدر .

(٢) تغله : تهلكه وتذهب به ، يقال غاله يغوله ؛ إذا أهلكه والغول : المهلك ؛ يقال الغم غول النفس والغضب غول الحلم . يقول : إذا مات عدوه حنط أفه ولم يقبل برماحه غمه ذلك ، لأنه على يقين من الظفر به

(٣) ممات : مصدر ميمي ، والضمير في قوله لم يمته : مفعول مطبق مثله في قوله تعالى « عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين » والغلول : الحيانة في الغنم والسرقة من الغنيمة وكل من خان في شيء خفية فقد غل . جعله شريك المنايا لكثرة من يقتله . يقول : بينه وبين المنايا شركة في النفوس ، فكل منية لم تكن عن سيفه فقد خاتته المنايا فيها . يشير إلى كثرة وقائمه واتصال ملاحمه .

(٤) الدولات : جمع دولة - بضم الدال وفتحها - العقبة في المال والحرب سواء ، وقيل بالضم في المال ، وبالفتح في الحرب . وقيل بالضم اسم للشيء الذي يتداول به بعينه ، وبالفتح : الفعل ، وهى في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى ، يقال كانت لنا عليهم الدولة ، ويقال صار الفء دولة بينهم ، يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا ، والدولات هنا : بمعنى المصدر ، والموت الزوام : الوحي - العاجل - أو الكريه . يقول : إذا كانت الدولة قسما لبعض الناس فإنها قسمة من حضر الحرب وشهد مواقع القتال وورد الموت الزوام غير متهب ولا مكترث .

(٥) لمن : بدل من « لمن » في البيت السابق ؛ والبيض : السيوف : والهام : الرءوس ؛ والسكاة : الأبطال المدججون بالسلاح . يقول : إن الدولة تدول لمن وطئن نفسه على القتل ولم يمل إلى الدنيا بالنكوص عن الحرب وصبر على المكروه وهو يسرع هليل الحديد في رءوس الشجعان .

وقد جرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل فقال له سيف الدولة ماتقول
في هذا وما تحكم يا أبا الطيب ؟ فقال :

إِنْ كُنْتَ عَنْ خَيْرِ الْأَنْامِ سَائِلًا فَخَيْرُهُمْ أَكْثَرُهُمْ فَضَائِلًا
مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ يَا هُمَامَ وَائِلًا الطَّاعِينَ فِي الْوَعَى أَوَائِلًا^(١)
وَالْعَازِلِينَ فِي النَّدَى الْعَوَازِلًا قَدْ فَضَّلُوا بِفَضْلِكَ الْقَبَائِلَ^(٢)

وقال يمدحه عند دخول رسول الروم عليه في صفر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة :
دُرُوعُ الْمَلِكِ الرُّومِ هَذِي الرِّسَائِلُ يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَبِشَاغِلِ^(٣)
هِيَ الزَّرْدُ الضَّافِي عَلَيْهِ وَلَفْظُهَا عَلَيْكَ ثَنَاءٌ سَابِغٌ وَفَضَائِلُ^(٤)

(١) من : مبتدأ ، خبره قد فضلوا - في البيت التالي - والهام : الملك العظيم المحمّد .
ووائل ، أبو قبيلة الممدوح ، جعله اسما للقبيلة فلم يصرفه . والطاعنين : نعت وائلا .
والوعى : الحرب . وقوله أوائلا : مفعول به ، أى أوائل الأعداء ، ويجوز أن
تكون حالا أى أنهم السابقون إلى الطعان : ومن روى الأوائل : تعينت المفعولية .
أراد الطاعنين وجوه الأعداء وصدورهم وسادتهم .

(٢) العاذلين : جمع عاذل . أى اللأثم ؛ والندى : الجود ؛ والعواذل : جمع عاذلة ،
أى لائمة . يقول : إن قومك يلومون من يلومهم على جودهم ، ومن كان هذا شأنهم
فإنهم مع ذلك يفضلون القبائل بفضلك ، ويتفردون بالكارم بما زدتهم من مجدك .

(٣) هذى الرسائل : مبتدأ مؤخر ؛ ودروع : خبر مقدم ؛ وملك - بسكون اللام -
محفف ملك - بكسرهما . - يقول - مخاطبا سيف الدولة - : إن هذه الرسائل التى
أرسلها ملك الروم هى له بمنزلة الدروع يردك بها عن نفسه ويشغلك عن قتاله ، وقد
زاد ذلك بيانا فبا يلى : وقوله يشاغل : قال ابن جنى لفظة غريبة ، إلا أن العامة ابتدلها
فلو تجنبها كان أجود .

(٤) الزرد : الدرع المزرودة ، يدخل بعضها في بعض ؛ والضافى والسابغ بمعنى
الطويل التام . يقول : هذه الرسائل عليه درع سابغة : أى تقوم في الرد عنه مقام الدرع
ولكن ألفاظها فضائل لك وثناء مخلد عليك ، لأنها خضوع منه واستسلام إليك ، فهو
يخطب منك الصلح خوفا ورهبة .

وَأَنى أَهْتَدَى هَذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ

وَمَا سَكَنْتَ مُذْ سِرْتَ فِيهَا الْقَسَاطِلُ^(١)

وَمِنْ أَىِّ مَاءٍ كَانَ يَسْقَى حَيَّادَهُ وَلَمْ تَصِفْ مِنْ مَزِجِ الدِّمَاءِ الْمَنَاهِلُ^(٢)

أَتَاكَ يَكَادُ الرَّأْسُ يَجْحَدُ عُنُقَهُ وَتَنْقُدُ تَحْتَ الذُّعْرِ مِنْهُ الْمَفَاصِلُ^(٣)

يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السَّمَاطِينَ مَشْيَهُ إِلَيْكَ إِذَا مَا عَوَّجَتْهُ الْأَفَاكِلُ^(٤)

فَقَاسَمَكَ الْعَيْنَيْنِ مِنْهُ وَلَحَظَهُ سَمِيكَ وَالْحِلُّ الَّذِى لَا يُزَايِلُ^(٥)

وَأَبْصَرَ مِنْكَ الرِّزْقَ وَالرِّزْقُ مُطْمَعٌ

وَأَبْصَرَ مِنْهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ هَائِلٌ^(٦)

(١) أنى : بمعنى كيف ؛ والاستفهام : للتعجب ، والقساطل : جمع قسطل ، وهو الغبار الذى تثيره الخيل . يقول : كيف اهتدى هذا الرسول فى أرض الروم إلى الطريق وغبار جيشك منذ سرت فيها لغزوهم لا يزال منتشراً لم يسكن ؟

(٢) الجياد : الخيل ، والمناهل : الوارد . يقول : لكثرة من قتلت بأرض الروم لم يبق منهل إلا صار ممزوجاً بالدماء فمن أى ماء كان يسقى خيله ؟

(٣) يمحّد : ينكر ؛ وجملة يكاد وما يليه : حال من فاعل أتاكَ ؛ وتنقّد : تنقطع . يقول : أتاكَ هذا الرسول وقد ساوره من خوف الإقدام عليك ما مثل له السيف واقماً عليه حتى يكاد رأسه ينكر عنقه توها منه أنه قد انفصل عنه ، وتكاد مفاصله تنقطع هية لك وفرقا منك . وقوله تحت الذعر : يروى تحت الدرع .

(٤) السماطان : الصفان ، يريد صفين من الجند كانا بين يدي سيف الدولة . والأفاكل : جمع أفكل ، الرعدة تعرض عند الفزع . يقول : إذا عوجت الرعدة مشى الرسول إليك هية لك قومه تقويم السماطين عن جانبيه لضيق ما بينهما فر مستقيماً .

(٥) سميكَ : فاعل قاسمك ، ويعنى بسميه : السيف . وهو خليله الذى لا يزايله - لا يفارقه - يقول : إن سيفك قاسمك عني الرسول ولحظه ، فكان ينظر بإحدى عينيه إليك وبالأخرى إلى السيف ، يعنى أن رسول ملك الروم ملكه من هية سيف الدولة ماملكه من هية سيفه ، فأجال لحظه متبياً لها معا . وقد ذكر علة هذه المقاسمة فى البيت التالى .

(٦) الهائل : للفرع الخفيف . والضمير فى منه : للسيف . يقول : فأبصر منك

رَقِبَلْ كَمَا قَبْلَ التَّزْبِ قَبْلَهُ وَكَلْ كَمِيَّ وَاقِفْ مُتَضَائِلْ^(١)
وَأَسْعِدْ مُشْتَاقِي وَأُظْفِرْ طَالِبِ هُمَامٌ إِلَى تَقْيِيلِ كَمِّكَ وَاصِلْ^(٢)
مَكَانٌ تَمْنَاهُ الشَّيْفَاءُ وَدُونَهُ صُدُورُ الْمَذَاكِي وَالرَّمَاحُ الدَّوَابِلْ^(٣)
فَمَا بَلَّغْتَهُ مَا أَرَادَ كَرَامَةً عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَحِبْ لَكَ سَائِلْ^(٤)
وَأَكْبَرَ مِنْهُ هِمَّةً بَعَثَتْ بِهِ إِلَيْكَ الْعِدَى وَأَسْتَنْظَرْتَهُ الْجَحَافِلْ^(٥)
فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ مُرْسَلٌ ،
وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَ عَاذِلْ^(٦)

بعموم جودك الرزق المحي فاطمعه ، وتمثل من سيفك الموت الهائل فتجاذبه طرفان من الطمع والبأس ، وقسم عينيه بين شطرين : التأمل والخوف .

(١) الكمي : الشجاع المدجج بالسلاح ؛ والمتضائل . المتصاغر خوفاً يقول : وقبل الرسول كمك بعد أن قبل الأرض والأبطال من رجالك وقوف بين يديك متصاغرون هيتلك .
(٢) الهمام : الملك العظيم الهمة . يقول : إن أسعد مشتاق بنيل ما أمله ملك رفيع الهمة وصل إلى تقبيل كمك ، وإذن نال الرسول بذلك شرفاً عظيماً لأنه وصل إلى ما يتمنى مثله جلة الملوك .

(٣) المذاكي من الخيل : التي كملت أسنانها ؛ والدوابل من الرماح : اللينة لطولها .
يقول : كمك مكان تتمنى الشفاء أن تقبله ولكن يتعذر الوصول إليه لكثرة ما يحول دونه من الخيل والرماح .

(٤) يقول : لم يصل به إلى تقبيل كمك كرامته عليك ومنزلته الرفيعة لديك ولكنك سألك ذلك وأنت لا تخيب السائل .

(٥) أكبر . فعل ماض ؛ وفاعله : العدى ؛ ويقال أكبرته : أى استكبرته ، قال تعالى « فلما رأيته أكبرته » وهمة : مفعول به وقوله بعثت به : نعت همة ، وأراد بعثته ، فأدخل عليه الباء قالوا : كل شيء ينبعث بنفسه كالبعث ، فإن الفعل يتعدى إليه بنفسه ، فيقال : بعثته ، وكل شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية ، فإن الفعل يتعدى إليه بالباء فيقال بعثت به ، وهذا هو مراد قول أهل اللغة بعثه أرسله وحده وبعث به أرسله مع غيره والجحافل : الجيوش ، يقول : إن أعداءك الروم استعظموا همة هذا الرسول إذ حملته همته على أن يأتيك مع ما يعترضه من المهابة وقد لبثت جيوشهم - بعد أن طلبوا إليه أن يشغلك عن حربهم - تنتظر قدومه ليلغهم جوابك .

(٦) يقول : أقبل من عند أصحابه وهو رسول لهم مبلغ لكلامهم ، فلما عاد إليهم .

تَحْبِرُ فِي سَيْفِ رَبِيعَةَ أَصْلَهُ وَطَائِعُهُ الرَّحْمَنُ وَالْمَجْدُ صَاقِلُ^(١)
وَمَا لَوْنُهُ مِمَّا تَحْصُلُ مُقْلَةً ، وَلَا حَدُّهُ مِمَّا تَجَسُّ الْأَنَامِلُ^(٢)
إِذَا عَايَنْتَكَ الرُّسُلُ هَانَتْ نُفُوسُهَا عَلَيْهَا وَمَا جَاءَتْ بِهِ وَالْمُرَاسِلُ^(٣)
رَجَا الرُّومُ مَنْ تَرْجَى النُّوَابِلُ كُلُّهَا لَدَيْهِ وَلَا تَرْجَى لَدَيْهِ الطَّوَائِلُ^(٤)
فَإِنْ كَانَ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ سَاقِيَهُمْ
فَقَدْ قَمَلُوا مَا الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فَاعِلُ^(٥)

أزرى بهم ولا مهم على محاربتهم إياك وعدم خضوعهم لك حين تبين عظيم شأنك ، ورأى جنودك وكثرة عديك ، ووازن بين ذلك وبين ضعف أصحابه

(١) ربيعة : قبيلة سيف الدولة ؛ وطبع السيف : عمله ، يقول : رأى الرسول منك سيفاً ربيعة أصله والله عز وجل صانعه والمجد قد صقله فتحير إذ لم ير سيفاً قبلك بهذه الصفة

(٢) اللقطة : شحمة العين التي تجمع السواد والبياض ، والأنامل : رؤوس الأصابع ؛ ولون السيف : فرنده وجوهره ؛ والمراد به شرف سيف الدولة وكرم مناقبه ، وأراد بمجده عزيمته ، وكلا الأمرين لا يدرك بالحواس ، وعبارة الواحدى : إن العيون لا تحصل لونه لأنها لا تستوفيه بالنظر هيئة له كما قال :

كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ فَنِي أَبْصَارُنَا هُنَا انْكَسَارُ
وَلَا تَجَسُّ الْأَنَامِلُ حَدَّهُ كَمَا تَجَسُّ حَدَّ السَّيْفِ لِأَنَّهُ لَيْسَ سَيْفًا طَى الْحَقِيقَةَ . وَقَالَ ابْنُ
وَكَيْعٍ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

إِذَا أَبْصَرْتُ نَبِيَّيْ أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
(٣) يقول : إذا عاينتكم رسل الروم وشاهدوا ما أنت فيه من الفخامة والمهابة صاغرت عندهم أنفسهم وما أنوا به من الهدايا وتصاغرت لديهم الملوك الذين أرسلوهم إليك كما قال البحرى :

لِحَظُّكَ أَوَّلَ لِحَظَّةٍ فَاسْتَصَفَرُوا مِنْ كَانَ يُعْظَمُ عَنْدهُمْ وَيُجَلُّ
(٤) النوافل : جمع نافلة ، وهى العطية من حيث لا تجب ؛ والطوائل : الأحقاد ، واحداً منها . طائلة : أى عداوة وترة . يقول : رجا الروم عفو من ترجى كل العطايا عنده ولا يرجى أن يدرك لديه ثأر : أى لا يؤمل عدوه أن يبال عليه فيظفر بإدراك ترة .
(٥) يقول : إن كان الذى ساقهم إليك هو خوفهم القتل والأسر من جهتك فقد

فَخَافُوكَ حَتَّى مَا لَقَتْلِي زِيَادَةٌ وَجَاءُوكَ حَتَّى مَا تُرَادُّ السَّلَاسِلُ^(١)
أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ^(٢)
إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَابٌ فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلٌّ وَابِلٌ^(٣)
كَرِيمٌ مَتَى أَسْتَوْهَيْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ وَقَدْ لَقِيتَ حَرْبٌ فَإِنَّكَ بَاذِلٌ^(٤)
أِذَا الْجُودُ أَعْطَى النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ وَلَا تُعْطِيَنَّ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلٌ^(٥)

فعلوا بأنفسهم بما أظهروه من الذلة والافتقار ما لا يفعل القتل أكثر منه ، وقد فسر هذا في البيت التالي .

(١) يقول : خفاؤك خوفا ، لو قتلهم لم يزد خوفهم على ذلك ، وجاءوك طامعين حتى لا تحتاج في أسرهم إلى السلاسل ، وفي المثل : الحذر أشد من الوقعة
(٢) الجداول : جمع جدول ، النهر الصغير ، وإليك مصيره : أى انتهاء إلى الخضوع لك ووصل حباله بحبالك والتصرف حسب أمرك

(٣) الطل : المطر الضعيف ؛ والوابل : المطر الغزير ، يقول : إذا ساجلك هؤلاء الملوك وحاولوا أن يحتدوا حذوك في جودك فأمطروا وأمطرت فطل عطائك يستغرق وابلهم ؛ يعنى أن كثيرهم قليل بالإضافة إليك وقليلك كثير بالإضافة إليهم
(٤) كريم : خبر عن محذوف ضمير المخاطب : أى أنت كريم ؛ ولقعت حرب : اشتدت أو وقعت ؛ وحرب لاقع مثل بالأنثى الحامل ؛ قال الأعشى :

إِذَا شَمَّرَتْ بِالنَّاسِ شَهْبَاءٌ لَا قِحَ عَوَانٌ شَدِيدٌ هَمْزُهَا وَأَظْلَتْ^(١)
يقول : أنت كريم ما تسأل شيئا إلا أعطيته حتى لو سئلت فرسك وقد اشتدت الحرب لوهبته مع شدة حاجتك إلى الفرس ، يعنى لو سئلت شيئا فى أحوج ما تكون إليه لوهبته

(٥) يقول : أعط الناس أموالك ولا تعظم شعري ، أى لا تخوجنى إلى مدح غيرك ، وقال ابن جني : أى لا تعط الناس أشعارى فيسلخوا معانيها ، قال الواحدى : وهذا - أى كلام ابن جني - ليس بشيء لأنه لا يمكنه ستر أشعاره وإخفاؤها عن الناس ، وأجود

(١) حرب عوان قوتل فيها مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرا ، ويقال همزته بناب : أى عضته .

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضَنْبِي شُوَيْرٌ
 لِسَانِي يَنْطِقُ صَامِتٌ عَنْهُ عَادِلٌ
 وَأَتَعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ
 وَمَا التَّيْبَةُ طِبِّي فِيهِمْ غَيْرَ أَنِّي
 ضَعِيفٌ يُقَاوِنِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ^(١)
 وَقَلْبِي يَصْنَعُ ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلٌ^(٢)
 وَأُعِظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ^(٣)
 بَغِيضٌ إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَاوِلُ^(٤)

الشعر ماسار في الناس ، وقال المعري : يريد لا تعط الناس شعري فتجعلهم في طبق فتقول أنت مثل فلان

(١) الضبن : ما بين الأبط والكشح ؛ والشويعر تصغير شاعر ، والاستفهام : للتعجب والإنكار ، يقول : أفى كل يوم يتمرس بى شويعر صناعته فى صناعته قصير فى معرفته فأراه يباربى فى القوة وهو لا قوة له ويطاولنى وهو قصير أحمله تحت ضنبى ؟ يريد حقارة ذلك الشاعر حتى لو أراد أن يحمله تحت ضنبه لقدر على ذلك ، ثم هو مع حقارته يباهيه بمدح سيف الدولة

(٢) الباء - فى الشطرين - بمعنى « فى » أى إذا نطقت صمت لسانى عنه وعدل عن مخاطبته وقلبى يضحك منه ازدراء به ؛ وبعبارة أخرى يقول : يعدل عنه لسانى فلا أكله ولا أهاجيه لأنى لا أراه أهلاً لذلك ، وقلبى يضحك منه ويسخر وإن كنت صامتاً لأبدى الضحك والسخر ثم بين لم يفعل ذلك ؟ فيما يلى « هذا » والمزحل ضد الجد يقال : هزل يهزل قال الكسيت :

أَرَأَنَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وَطَوْلِهَا تَجِدُ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَهْزَلُ

(٣) يقول : إنما لا أجيهم لأنهم يترك الجواب كما أنهم يغيظونى بالمعاداة وهم غير أشكال لى . وتقدير البيت أتعب مناد لك من ناداك فلم تجبه لأنك لا تشفيه بالجواب فيجهد فى النداء ، كما أن أعيظ الأعداء لك من عاداك وهو دونك لأنك تترفع عن معارضته فلا تشفى منه .

(٤) التيه : الكبر ؛ والطب : العادة والديدن ؛ قال فروة بن مسيك المرادى :

فَإِنْ نَقَلِبْ فَعَلَّابُونَ قَدِمًا وَإِنْ نَقَلِبْ فَعِيرٌ مُغَلَّبِينَا

فَمَا إِنْ طَبْنَا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنَايَانَا وَدَوْلَةُ آخِرِينَا

كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سَجَالُ تَكْرُهُ صُرُوفُهُ حِينًا خِينًا^(١)

(١) قوله وإن نقلب فعير فغير مغلباً . يعنى إن كانت همدان ظهرت علينا فى يوم الردم

وَأَكْبَرُ تَبِيحِي أَنْفِي بِكَ وَائِقٌ^(١) وَأَكْثَرُ مَالِي أَنْفِي لَكَ آمِلٌ^(٢)
لَعَلَّ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْقَرْمَ هَبَّةٌ يَعِيشُ بِهَا حَقٌّ وَيَهْلِكُ بَاطِلٌ^(٣)
رَمَيْتُ عِدَاهُ بِالْقَوَافِي وَفَضْلِهِ وَهْنُ الْغَوَازِي السَّالِبَاتِ الْقَوَاتِلِ^(٤)
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوَالِدٌ وَلَوْ حَارَبَتْهُ نَاحَ فِيهَا الثَّوَاكِلُ^(٥)

وبغيض : خبر مقدم عن الرفع بعده ؛ والجملة خبر أن ؛ وإلى : بمعنى عندي . يقول ليس الكبر عاذني وديدي غير أنني أبغض الجاهل الذي يتكلف ويرى أنه عاقل ، يعني أن الذي يمنعني من تكليمهم إنما هو بغضي إياهم لا التكبر عليهم : أقول . ولوعكس المعنى وقال إني أعرض عنهم تكبرا واحتقارا لا بغضا واجتواء - لأنهم أقل من أن يبغيضوا - لكان أروع ، وما أجمل قول الطرماح .

لقد زادني حُبًّا لنفسِي أَنْفِي بغيض إلى كلِّ امرئ غير طائِل إذا مارأني قطع الطرف بينه وبينني كفعل العارف المتجاهل قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : إن الحكيم تربه الحكمة أن فوق علمه علما فهو يتواضع لتلك الزيادة والجاهل يظن أنه قد تناهى فيسقط بحمله وتعمقه النفوس (١) يقول : أكبر ما أتبه به أنني وائق بحميل رأيك في ، كما أن أكثر رأيي هو من ناحية تأملي لك ورجائي فيك .

(٢) القرم : السيد ؛ وأصله : الفحل الكريم من الإبل . وهبة . أى انتباهة . يقول . لعل سيف الدولة ينتبه لما يقال له ويمدح به فلا يستجيز من الشعراء ما يأتونه به من القول الركيك ، فهلك باطلهم - يعني شعرهم - ويبقى الحق - يعني شعره - . (٣) المراد بالقوافي : القصائد ؛ والغوازي : من الغزو يقول : مدحته بإذاعة فضائله - فكأنني رميت بتلك القوافي التي ذكرت فيها فضائله أعداءه فقتلتهم غيظاً وجسداً ، وجعل القوافي غوازي قواتل لأنها قتلت أعداءه بالغيظ والحسد ، وجعلها سلطات لأنها تصيب ولا تصاب .

(٤) الثواكل : جمع ثاكل ، الفاقدة ابنها أو أباه أو أخاها . يقول : لو كانت

فعلبتنا فغير مغلبين ؛ والمغلب . الذي يغلب مراراً . أى لم تغلب إلا هذه المرة . وقوله فما إن طبتنا إلخ : أى ما عادتنا وشأنا ؛ وقيل الطب ههنا . العلة والسبب أى لم يكن سبب قتلنا الجبن وإنما كان ماجرى به القدر من حضور المنية واتقاء الحاد عا والدولة ، والسجال - بالكسر - مصدر ساجل يساجل بمعنى ناوب .

وَمَا كَانَ أَذْنَاهَا لَهُ لَوْ أَرَادَهَا وَالْطَفَهَا لَوْ أَنَّهُ الْمُتَنَاوِلُ^(١)
قَرِيبٌ عَلَيْهِ كُلُّ نَاءٍ عَلَى الْوَرَى إِذَا لَشَمْتُهُ بِالْفُبَارِ الْقَنَابِلُ^(٢)
تَذَبُّرُ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كَفُّهُ وَلَيْسَ لَهَا وَقْتَانِ الْجُودِ شَاغِلُ^(٣)

النجوم جيوشاً ثم حاربه لقامت عليها النوايح ، يعنى أنها وإن قيل إنها خالدة لا تنفى
لو حاربه لأتى عليها وأفناها .

(١) يقول : ما كان أقربها له لو قصدتها والطفها - أخفها - لو حاول تناولها ، يعنى
أن سعدة يقرب له البعيد ، وقال الواحدى : فى جميع النسخ والطفها برد الكناية
- الضمير - إلى النجوم ، ولا معنى له ؛ والصحيح : والطفه ، برد الكناية إلى
المدح : أى ما أطفه لو تناول النجوم على معنى ما أحذقه وأرققه بذلك تناول ،
من قولهم فلان لطيف بهذا الأمر : أى رفيق ، يعنى أنه يحسنه وليس بأخرق ، وبعد ،
فإن النجوم فى البيتين مثل يريد البعيد من الأشياء الذى يستحيل على غيره بلوغه وقد
بين ذلك فى البيت التالى .

(٢) النأى : البعيد ؛ والورى : الخلق ؛ والقنابل : الجماعات من الخيل . واحدها
قنبلة ، قيل القنبلة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه ، والقنبلة من الناس
الطائفة منهم ، وقدر قنبلاية تجمع القنبلة من الناس : أى الجماعة . يقول . قريب عليه
كل بعيد على غيره من المطالب إذا حاوله بمحيشه فانهقد عليه الغبار من كثرة الخيل حتى
حتى يصير له كاللثام . وبعبارة أوضح : إذا قاد جيشه وأنتد نحو العدو خيله ولثمت
كتابه بما تشبه من الغبار فكل ما يبعد على غيره فإن مرامه قريب منه وتناوله غير
مستعص عليه .

(٣) وقتا : ظرف ؛ ولها : خبر ليس ؛ وشاغل ؛ اسمها يقول : إن تدبير ممالك
الشرق والغرب بكفه ، فإنه بسيفه وقوة يده يديرها ومع كل هذا الشغل العظيم ليس
لها شئ يشغلها وقتاً عن الجود ، أى لا يغفل عن الجود وإن عظم شغله ، كما قال البحرى :
تَبَيَّتْ عَلَى شُغْلٍ وَلَيْسَ بِضَائِرٍ لِحَدِّكَ يَوْمًا أَنْ تَبَيَّتَ عَلَى شُغْلٍ
وروى ابن فورجه . وقت بالرفع ، على أنه اسم ليس وشاغل : نعت له . قال
الواحدى : تهوس ابن فورجه فى هذا البيت فروى وقت بالرفع قال : وفيه معنى لطيف
ليس يؤديه اللفظ إذا نصب وقت وذلك أنه يريد لهذه الكف الشرق والغرب وم
محوياته وليس لها وقت يشغلها عن المجد ، وكف تملأ الشرق والغرب كان بأن تملأ

يَتَّبِعُ هُرَابَ الرَّجَالِ مُرَادُهُ فَمَنْ فَرَّ حَرْبًا عَارِضَتُهُ الْفَوَائِلُ^(١)
وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسَانِهِ حَسَدًا لَهُ تَلَقَّاهُ مِنْهُ حَيْثُمَا سَارَ نَائِلُ^(٢)
فَتَى لَا يَرَى إِحْسَانَهُ وَهُوَ كَامِلٌ لَهُ كَامِلًا حَتَّى يَرَى وَهُوَ شَامِلُ^(٣)
إِذَا الْعَرَبُ الْعَرَبَاءُ رَازَتْ نُفُوسَهَا فَأَنْتَ فَتَاهَا وَالْمَلِكُ الْخُلَاحِلُ^(٤)
أَطَاعَتِكَ فِي أَرْوَاحِهَا وَتَصَرَّفَتْ بِأَمْرِكَ وَالتَفَّتْ عَلَيْكَ الْقَبَائِلُ^(٥)

ما هو أحقر منهما أولى ، قال الواحدى وهذا الذى قاله - ابن فورجه - باطل محال لا يقوله إلا غمر جاهل ، والوجه : النصب لأنه نظرف لشاغل .

(١) هراب . جمع هارب . ومراده : فاعل يتبع ، ولك أن تجعله مفعولا ثانيا ليقع ؛ وحربا : نصب على الحال ؛ أى محاربا - يقال فلان حرب لفلان إذا كلن معاديا له ، ولك أن تجعل حربا منصوبا بنزع الخافض : أى من الحرب . والفوائل : جمع غائلة ، وهى الداهية تقول : أى تهلك . يقول : إن جده يسعده وينفذ مراده فى أعدائه ، فمن فر منه محاربا جرى مراده فى أثره فهلك بسبب من الأسباب ، واستقبلته غائلة تآنى عليه .

(٢) النائل : العطاء . يقول : من فر من إحسانه وأزمع مجانبته حسداً له استقبله حينما توجد عطاء منه ، وذلك لعموم نائله الأرض ؛ وبعبارة أخرى : إن جوده يشمل الولى والחסد ويعم المحسن والمسيء ؛ وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

وَإِذَا سَرَحْتَ الظَّرْفَ حَوْلَ قِيَابِهِ لَمْ تَلَقْ إِلَّا نِعْمَةً وَحُسُودًا

(٣) وهو كامل : حال من إحسانه ؛ وكاملا مفعول ثان لـ « يرى » وقوله : له الضمير للمدح ، والظرف حال من الضمير فى « كاملا » : أى كاملا فى حقه وبالنسبة إليه يقول : هو مع كون إحسانه كاملا قد بلغ الغاية لا يراه كاملا بالإضافة إليه وإلى علوهته حتى يكون عاما يشمل الناس جميعاً .

(٤) العرب العرباء : القديمة الخالصة التى لم تشبها هجنة ؛ ورازت : جربت واختبرت ؛ وفتاها : كريمها وسخها ؛ والخلاجل : السيد . يقول : إذا اختبروا نفوسهم عند الجود والشجاعة علموا أنك فتاهم وسيدهم لأنك أجودهم وأشجعهم .

(٥) يقول : هم لك مطيعون حتى لو أمرتهم يذل أرواحهم لبذلوها فى طاعتك ، وقد تصرفوا فى إيرادهم وإصدارهم حسب أمرك واجتمعت قبائلهم على نصرتك ودانوا أجمعين بالخضوع لطاعتك ، ويجوز أن يكون معنى التفت عليك القبائل : أحاطت أنسابها بنسبك . فأنت وسيط بينهم .

وَكُلُّ أُنَابِيْبٍ الْقَنَاءَ مَدَدٌ لَهُ وَمَا يَنْسُكُ الْفُرْسَانُ إِلَّا الْعَوَامِلُ^(١)
رَأَيْتَكَ لَوْ لَمْ يَفْتَضِ الطَّعْنُ فِي الْوَعَى إِلَيْكَ أَنْقِيَادًا لَا فُتَضَّتْهُ الشَّمَائِلُ^(٢)
وَمَنْ لَمْ تَعْلَمْهُ لَكَ الدَّلُّ نَفْسُهُ مِنَ النَّاسِ طُرًّا عِلْمَتُهُ الْمَنَاصِلُ^(٣)

* * *

(١) الأنايب : جمع أنبوب ، العقدة الناشزة في القناة ؛ والقنا : عيدان الرماح ؛
والعوامل : جمع عامل ، وهو ما يلي السنان من الرمح . والنسكت : الوخز . ويقال
طعنه نسكته : أى القاه على رأسه . شبه قبائل العرب بأنايب الرمح وسيف الدولة
بالعامل قال الواحدى : هذا مثل يقول : إن الطعن إنما يتأتى بالرمح كله وما لم يعاون
بعض الرمح بعضاً لم يحصل الطعن ، ولكن العوامل هى التى تصيب الفرسان لأن
السنان فيها . كذلك القبائل : كلهم مدد لك والعمل منك ، فأنت منهم كالعوامل من
الرمح ؛ وهذا من قول بشار :

خُلِقُوا سَادَةً فَكَانُوا سُوءًا كَكُمُوبِ الْقَنَاةِ تَحْتَ السِّنَانِ
وقال البحرى :

كَالرَّمْحِ فِيهِ بَضْعٌ عَشْرَةٌ فَقَرَّةٌ مُنْقَادَةٌ تَحْتَ السِّنَانِ الْأَضْيَدِ
وبعبارة أخرى : يقول له - مؤكداً لما ذكره من انقياد العرب لأمره - كل أنابيب
الرمح مما تمده وتعينه ، ولكن العامل منها هو الذى به يكون الطعن وصرع الفرسان .
جعل موضع سيف الدلة من العرب - وإن كانوا مدداً له - موضع العامل من الرمح
الذى به يكون الطعن ، وإليه ينسب الفعل من دون سائر الأنايب . وقال ابن جنى :
اللعنى أن أصحابك وإن كانوا أعواناً لك فأنت الذى تتولى الحرب بنفسك وتتقدم إليها
كتقدم السنان .

(٢) الوعى : الحرب ؛ وإليك : صلة انقياداً ؛ والشمائيل : الأخلاق ؛ والمفعول الثانى
لرأيت : محذوف سد مسده شرط ، « لو » وجوابها . يقول : إن لم يطعك الناس خوفاً
من طعنك أطاعوك حباً لشمائلك ، أى إن كرمك وحسن أخلاقك أدعى إلى طاعتك
من الطمان فى القتال .

(٣) المناصل : جمع منصل ، وهو السيف . يقول : من لم تعلمه نفسه الخضوع لك
وترشده سعادته إلى الاعتلاق بك أجبرته على ذلك سيوفك ؛ أى إن من لم يخضع لك
طوعاً ورغبة خضع لك خوفاً ورهبة .

وقال يعزبه بأخته الصفري ، ويسليه بالكبرى ، وأنشدها في رمضان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة :

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرِّزْيَةِ فَضْلاً تَكُنِ الْأَفْضَلَ الْأَعَزَّ الْأَجْلاً^(١)
أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعْزَى عَنِ الْأَخْبَابِ فَوْقَ الَّذِي يُعْزِيكَ عَقْلاً^(٢)
وَبِالْفَاظِكَ أُهْتَدَى فَإِذَا عَزَّ أَكَّ قَالَ الَّذِي لَهُ قُلْتُ قَبْلاً^(٣)

(١) يقول : إن كان صبر صاحب المصيبة على ما أصيب به يعد فضلاً له فأنت الأفضل الأجل لإرباء صبرك على صبر غيرك ؛ يعني أنت أصبر ذوى الرزايا وأفضلهم . والرزية والرزينة - بالهمز وبتركة - المصيبة .

(٢) يقول : أنت أجل من أن تعزى عنمن ترزا به من الأحاب لأنك أعقل من الذى يعزبك وأهدى منه إلى معانى التعزية . قال ابن جنى : فوق - الأولى - نداء مضاف إلى أن تعزى ، والثانية : ظرف ، وعلى هذا تكون « أنت » مبتدأ ؛ و« فوق » الثانية : خبر . وقال التبريزى : يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون حذف للمنادى : أى أنت يا حبيب الدولة وعلى هذا تكون فوق - الأولى والثانية - ظرفين ، وتكون الأولى : خبراً أول ؛ والثانية : خبراً آخر ؛ والوجه الثانى أن تكون « فوق » : نعتاً له وقد أخرجها من باب الظرفية إلى الأسماء ؛ وعقلاً : نصب على التمييز .

(٣) اهتدى : أى الذى يعزبك . ونصب « قبلاً » على الظرفية وجعله نكرة على حد قولك : جئتك أولاً وآخرأ ، كما قال :

وساغ لى الشرابُ وكنت قبلاً أكادُ أغصُ بالماء الفُراتِ^(١)

(١) روى عجز هذا البيت : أكاد أغص بالماء الحميم وروى أيضا بالماء المعين ، وروى : أغص بنقطة الماء الحميم ؛ قال البغدادى : وهو آخر أبيات خمسة ليزيد ابن الصق وهى :

ألا أبلغ لديك أبا حُرَيْثٍ وعاقبة السلامة للمُليمِ
فكيف ترى معاقبتى وتسعى بأذواد القُصَيْبَةِ والقُصيمِ
وما برحتَ قلوصى كلِّ يومٍ تكسر على الخالفِ والمقيمِ

قَدْ بَلَوْتَ أَخْطُوبَ مُرًّا وَحَلَوًّا وَسَلَكْتَ الْأَيَّامَ حَزَنًا وَسَهْلًا^(١)
وَقَتَلْتَ الزَّمَانَ عِلْمًا فَمَا يُغْرِبُ قَوْلًا وَلَا يُجَدِّدُ فِقْلًا^(٢)

يقول : إن الذي يعزبك ، منك تعلم ألفاظ التعزية . فهو يقول لك في التعزية ما قلته قبل ذلك واستفاده منك . وعبرة العكبرى الإنشائية الانيقة : المعزى لك إنما يهتدى بألفاظك ويخاطبك بما تعلمه من قولك فقدرك مرتفع عن التعزية . فإن حقائق الأمور مستفادة منك ، وجواهر الكلام مأثور عنك ، إنما يقابلك بما أنت أعلم به ويذكرك بما أنت أحفظ له ، فهو كمن جلب إلى حجر القطيعاء (١) وإلى الفرات الماء ، وإلى البدر الضياء .

(١) بلوت ؛ خربت . وأخطوب ؛ حوادث الدهر . والحزن ؛ ضد السهل ، وهو ماخشن من الأرض وارتفع ؛ والنصوبات - في البيت - أبدال . يريد ؛ حلوها ومرها وحزنها وسهلها . وتفسير العكبرى الجليل ؛ قد خربت طوارق الدهر بمعرفتك ، وعرفت حلوها ومرها بتجربتك ، وسرت في الأيام مالكا صعبها تسلك منها ماصعب وسهل ، وتعانى ما بعد وقرب ، ناهضا بنفسك ، مكتفيا بملك .

(٢) يغرب ؛ ينجى . شئ غريب ؛ وعلما وقولا ؛ كلاهما تمييز ، يقول ؛ عرفت الزمان وألوانه وصوره معرفة تامة ، فلا يأتي شئ غريب ولا فعل جديد لم تره ولم تعرفه ، وقتلت الزمان علما يعني علمت منه كل شئ حتى أذلت به بملك ولينتهك ، ومعنى القتل في اللغة ؛ إزالة الحركة ، ومنه يقال شراب مقتول ؛ إذا كسرت سورت به بالاء .

فَنِمْتُ اللَّيْلَ إِذَا وَقَعْتُ فِيكُمْ قَبْلَ لَيْلِ عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمٍ

وساغ لى الشراب . . . البيت . الليم : من ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه ؛ والمعاقبة ؛ المناوبة - من العقبة ، وهى النوبة - والدود من الإبل ؛ ما بين الثلاث إلى العشر ؛ والقصيبة والقصيم ؛ موضعان ؛ والمخالف من الخلوف ، وهم المقيمون فى الحى حينما يذهب الرجال للغزو . وقوله وساغ ؛ عطف على نمت . والحميم ؛ الماء الحار ، وليس بمراد ، وقيل هو من الاضطداد يطلق على الماء البارد أيضا ؛ وأغص ؛ مضارع غصصت بالطعام ، والغصة ؛ ماغص به الإنسان من طعام ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق .

(١) حجر : بلد بالبحرين ، مذكر مصروف ، مشهور بتمره ؛ والقطيعاء - محدود ، مثل الغبيراء - صنف من التمر .

أَجِدُ الْحُزْنَ فِيكَ حِفْظًا وَعَقْلًا وَأَرَاهُ فِي الْخَلْقِ ذُعْرًا وَجَهْلًا^(١)
لَكَ الْإِلْفُ يَجْرُهُ وَإِذَا مَا كَرُمَ الْأَصْلُ كَانَ لِلْإِلْفِ أَصْلًا^(٢)
وَوَفَاءً نَبَتْ فِيهِ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ لِلْوَفَاءِ أَهْلُكَ أَهْلًا^(٣)
إِنَّ خَيْرَ الدُّمُوعِ عَوْنًا لَدَمْعُ بَعَثَتَهُ رِعَايَةُ فَاسْتَهْلًا^(٤)

(١) الذعر؛ الخوف قال ابن فورجه . يقول؛ أنت إذا حزنت على هالك فإنما تحزن حفاظا منك لوده وصحبته ووفاء له ، والحفاظ والوفاء مما يدعو إليه العقل؛ وغيرك يحزن خوفا من ألم الفراق وجبنا منه وجهلا من غير معرفة بالسبب الموجب للحزن ؛ قال الواحدى ، وتفسير الحفظ على ما ذكره ؛ وأما تفسير العقل والذعر والجهل فلم يصعب فيه . والوجه أن يقال أراد بالعقل ؛ الاعتبار بمن مضى ، فإن العاقل إنما يحزن على الميت اعتباراً به وعلما أنه عن قريب يتبعه على أثره ؛ وحزن غير العاقل يكون ذعراً من اللوت ، وهو جهل لأنه ميت لا محالة وإن حزن .

(٢) الإلف : السكون إلى الشيء والأنس به . يقول : لك إلف يجر هذا الحزن ويجلبه عليه ، ثم ذكر أن الإلف من كرم الأصل وأن الكريم ألوف ، وإذا كان ألوفاً حزن على فراق من ألفه ؛ وعبرة المكبرى : لك إلف لكريم صحبتك يجر الحزن إليك بمن تفقده من أحتبك ، ويوجب الإشفاق منك على مواصلك ، وكذلك الأصل إذا كان كريماً كأصلك متمكناً في مثل نصاب شرفك ، كان أصلاً لكريم المواصلة والمؤالفة ، وباعثاً على مشكور العاملة ، فمنزلتك من الشرف تضمن الفضل عنك ، ومحلك من الكرم يوجب حسن المؤالفة . « ويجره » : رواها ابن جني : تجره - بالتاء - قال : أى تسجبه وتحمل ثقله .

(٣) ووفاء : عطف على إلف - في البيت السابق - . يقول : ولك وفاء نبت فيه وسقيت ماءه صغيراً ونشأت عليه ، فلا تعرف غير الوفاء للأحباب ؛ ولا بدع : فإنك من عشيرة هم أهل الوفاء فأنحدر إليك منهم ، وهذا الذى جر إليك الحزن على من فقدت . وقوله ولكن : هو استثناء معروف في كلام العرب ، يقولون فلان شريف غير أنه سخي ؛ وفي الحديث : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش » أى فلا عجب في كونى أفصحهم . وقالوا :

فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقَى مِنَ الْمَسَالِ بَاقِيَا

(٤) الرعابة : حسن المحافظة ؛ والاستهلال : الانسكاب . يقول : إن الدمع الذى

أَيْنَ ذِي الرِّقَّةِ الَّتِي لَكَ فِي الْحَرْبِ بَ إِذَا اسْتُكْرِهَ الْحَدِيدُ وَصَلًا^(١)
أَيْنَ خَلَقْتَهَا غَدَاةَ لَقِيَتِ الرُّومَ وَالْهَامُ بِالصَّوَارِمِ تُنْفَى^(٢)

سببه رعاية العهد هو خير الدموع عوناً على الحزن والرزية ، وذلك أن الدمع يخفف
بحر الوجد ، كما قال ذو الرمة :

لعلَّ انْخِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْمَ الْبَلَابِلِ
وقوله عوناً : يروى «عندي» وروى ابن جني : عينا ، قال : وهو منصوب على التمييز
كقولك : إن أحسن الناس وجهاً لزيد ، والمعنى أن عينه خير الأعين ، لأن موجب دمه
حتى استهل وفاض هو الرعاية والحفاظ .

(١) استكره الحديد : أى أكره على الضرب ، وهو بدل من قوله في الحرب ؛
وصل الحديد : صوت . يقول : هذه الرقة والرحمة التى نشاهدها منك الآن أين هي
في وقت الحرب حين يكره الحديد على الضرب ويصل بقرع بعضه البعض عند تجالده
الأبطال ؟ قال البخترى :

لَمْ يَكُنْ قَلْبُكَ الرَّقِيقَ رَقِيقًا لَا وَلَا وَجْهُكَ الْمَصُونُ مَصُونًا
وقوله إذا استكره الحديد وصلًا : قال العكبرى . فيه نظر إلى قول لبيد :

أَحْكَمَ الْجَنْثَى مِنْ عَوْرَاتِهَا كُلُّ حَرْبَاءَ إِذَا أُكْرِهَ صَلَّ^(١)

(٢) خلفتها : رواها ابن جني : غادرتها ، وهما بمعنى ؛ والغداة البكرة ، وهى مضافة
إلى الجملة التى بعدها . والهام : الرءوس . والصوارم : السيوف ؛ وتنفى : من فليت رأسه
إذا فصلت القمل منه ، وأصله من فلوت الفلوة عن أمه : إذا أنت فصلته عنها . يقول :
أين تركت رقتك هذه ساعة لقيت الروم في الحرب والرءوس تطلب بالسيوف في جميع
الجهات كالغالى يتبع كل موضع من الرأس . هذا هو تفسير الواحدى ، وقد أبعد في
تفسيره «تنفى» بما قال ؛ ولم هذا وقد جاء في كتب أهل اللغة أنه يقال فى رأسه بالسيوف
فليا : ضربه وقطعه ، قال الشاعر :

تُخَاطِبُهُمْ بِالسِّنَةِ الْبَلْبَايَا وَتُنْفَى الْهَامُ بِالْبَيْضِ الذَّكُورِ

فيجب أن يكون التفسير على هذا الوجه : أين تركت هذه الرقة ساعة لقيت الروم
في الحرب والرءوس تضرب بالسيوف ، والنفوس تخترم بالخشوف ؟

(١) الجنثى : السيف بعينه ؛ وأحكم : أى رد الحرباء - وهو مسار الدرع - من

عوراتها ، سيف .

قَاتَمْتِكَ النَّوْنُ شَخْصَيْنِ جَوْرًا جَعَلَ الْقِسْمُ نَفْسَهُ فَيْكَ عَدْلًا^(١)
فَإِذَا قِيسَتَ مَا أَخَذَنَ بِمَا أَغْدَرَنَ سَرَى عَنِ الْفَوَادِ وَسَلَى^(٢)
وَتَيَقَّنْتَ أَنَّ حَظَّكَ أَوْفَى وَتَبَيَّنْتَ أَنَّ جَدَّكَ أَعْلَى^(٣)

(١) للنون : النية ؟ ويجوز تذكره وتأنينه ، وقد يراد به الجمع ، وهو ما يقصده المتنبي - كما يدل على ذلك البيت التالي - وجوراً : حال ؛ والقسم - بالكسر - الاسم من قسمه . يعزیه بأخته الكبرى الباقية . يقول : قاسمك الموت شخصين - يعنى أخته - فذهب بإحداهما - الصغرى - وترك الأخرى - الكبرى - وكانت هذه المقاسمة جوراً - ظلاً - لأنه كان من حقك أن يتركهما ، ولكن هذا الجور عدل فيك حيث تركت حياً وكانت المقاسمة معك في الاختين : يعنى إذا كنت أنت البقية فالجور عدل ، هذا إذا نصب القسم وجعل الفعل للجور ، وروى « جعل القسم نفسه فيه عدلاً » يعنى أن القسم جعل نفسه عدلاً في الجور ؛ لأنه وإن أخذ الصغرى فقد أبقي الكبرى فأترك بأفضل النصيبين لأنك أفضل المتقاسمين . ولترجع إلى النون فنقول ؛ قال علماء اللغة : النون الموت لأنه عن كل شيء أى يقطعه ويضعفه وينقصه ، وقيل للنون : الدهر ؛ وجعله عدى بن زيد جمعاً فقال :

من رأيت النون خلدنَ أم من ذا عليه من أن يُضام خفيرٌ
وهو يذكر ويؤنث ، فمن أنت حمل على النية ، ومن ذكر حمل على الموت قال أبو ذؤيب الهذلي :

أَمِنَ الْمُنُونُ وَرَيْبُهُ تَتَوَجَّعُ وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ يَجْزَعُ

وقد روى : ورَيْبُهَا حَمَلٌ عَلَى النِّية ، وقيل إنما أنت على معنى الدهور فردده على عموم الجنس ، كقوله تعالى « أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » ، وقوله تعالى « ثم استوى إلى السماء فسواهن » لأن الألف واللام في الطفل بمعنى الأطفال ؛ والهاء بمعنى السموات : وقال أبو العباس : النون يحمل معناه على الناياء فيعربها عن الجمع ، وأنشد بيت عدي بن زيد : من رأيت النون الخ أراد الناياء ، فلذلك جمع الفعل .

(٢) أغدرن كغادرن : تركن . وسرى عنه : فرج . وسلى : عزى ؛ والضمير في سرى وسلى : للقياس ، أو لما أغدرن : يقول : إذا قست الصغرى التى أخذتها النية بالكبرى التى أبقتها لك وجدت في ذلك ما تتعزى به لأنها أبقت لك أحبهما إليك .
(٣) أى حين بقيت الكبرى . وأوفى : أتم . وجدك : أى سعدك .

وَأَعْمَرِي لَقَدْ شَغَلَتِ النَّيَا بِأَلْعَادِي فَكَيْفَ يَطْلُبُنِ شُغْلًا^(١)
وَكَمْ أَنْذَشْتَ بِالشُّيُوفِ مِنَ الدَّهْرِ أُسِيرًا وَبِالنَّوَالِ مُقْلًا^(٢)
عَدَهَا نُصْرَةً عَلَيْهِ فَلَمَّا صَالَ خَتْلًا رَأَاهُ أَدْرَكَ تَبْلًا^(٣)
كَذَبَتْهُ ظُنُونُهُ أَنْتَ تُبْدِلُ ۖ وَتَبْقَى فِي نِعْمَةٍ لَيْسَ تَبْلَى^(٤)
وَلَقَدْ رَامَكَ الْعُدَاةُ كَمَا رَا مَ فَلَمْ يَجْرَحُوا شَخْصَكَ ظِلًّا^(٥)
وَلَقَدْ رُمْتَ بِالسَّعَادَةِ بِمَقْضَا
مِنْ نَفُوسِ الْعِدَا فَأَدْرَكَتَ كَلًّا^(٦)

(١) يقول : لقد شغلت الناي بما تواصله في أعدائك من القتل في الحرب فكيف
تطلب الناي شغلا بغيرهم فتفرغ إلى ذى قرابتك ؟
(٢) انتاشه : تناوله وانتشله . ويقال انتاشه من صرعه : إذا استنقذه ؛ والنوال :
العطاء ؛ والمقل : الفقير . يقول : كم نصرت أسيراً للدهر لا ناصر له استنقذته من أسر
الدهر ، وكم من فقير معدم نصرته بمطائك فأنقذته من أنياب الإقتار ، والفاقة .
(٣) فاعل عدها : ضمير الدهر ؛ والهاء : ضمير النصرة : أى عد نصرتك لهذين
نصرة عليه ، ولك أن ترجع الهاء لأفعال سيف الدولة ، وصال : وثب واستطال ؛ والختل
الغدر ؛ والتبل : التأثر . يقول : عد الدهر أفعالك - من انتياشك الأسير والمقل من
يده - نصرة عليه ومراغمة له ، فلما استطال عليك بأخذ أختك رأى نفسه قد أدرك
نأره منك لأنه حقد عليك بما فعلته ، فقوله رآه : أى رأى الدهر نفسه وهى من رؤية
القلب : أى ظن نفسه واعتقد .

(٤) يقول : ليس الأمر كما ظن الدهر من أنه أدرك منك ثأراً لأنك تبلى الدهر
بقطعك أيامه وطول سلامتك وتبقى في نعمة لا تفنى ، إذ آتاك الله من السعد مالا تقوى
عليه غير الدهر وصروفه . ويقال كذبه ظنه : إذا خدعه وزين له الباطل .

(٥) رامك : طلبك . يقول : ولقد حاول أعداؤك كما حاول الدهر أن ينالوا منك
ويدركوا ثأرهم فلم يستطيعوا أن يصيبوا ظل شخصك فضلاً عن أن ينالوا خاصة نفسك
والعنى لم يقاربوك بسوء ، وذلك أن ظله يقرب منه . وحاصل معنى البيتين أن الله قد
صرف عنه كيد الزمان وأهله فلا يصلون إليه بسوء .

(٦) يقول : طلبت بعض أعدائك فأدركت السكل بما أعطيت من السعد والإقبال

قَارَعَتْ رُمْحَكَ الرِّمَاحُ وَلَكِنْ تَرَكَ الرَّامِحِينَ رُمْحَكَ عَزْلًا^(١)
لَوْ يَكُونُ الَّذِي وَرَدَتْ مِنَ الْفَجْأَةِ طَعْنًا أَوْرَدَتْهُ اِخْتِلَالٌ قُبْلًا^(٢)
وَلَكَشَفَتْ ذَا الْحَنِينِ بِضَرْبٍ طَالَمَا كَشَفَ الْكُرُوبَ وَجَلَّى^(٣)

في الظفر بالأعداء ، يعني أن سعدة يقا تل أعداءه عنه ويؤثمه من الظفر بهم زيادة على ما يطلب ؛ فقوله : بالسعادة ، متعلق بـ «رمت»

(١) الرامحين : أى حاملى الرماح . وعزلا : جمع أعزل ، وهو الذى لا سلاح معه يقول : قارعت رمحك رماح الأعداء ، ولكنك ظهرت عليهم وغلبتهم وسلبت أرواحهم فكأنك سلبت رماحهم وتركهم عزلا لا سلاح معهم . يشير إلى حذقه بالطن والاعتدار على التصرف فى الحرب .

(٢) وردت : استقبلت . والفجأة : المرة من فجعه : إذا أوجعه بعزير لدية والقبل جمع أقبل ، وهو الذى يقبل بإحدى عينيه على الأخرى عزة وتشاوسا . وقال بعض اللغويين : الأقبل الذى أقبلت حدقتاه على أنفه ؛ والأحول : الذى حولت عيناه جميعاً . وقال آخرون : إذا أقبل سواد العين على الأنف فهو أقبل ، وإذا أقبل على الصدغين فهو أخزر ، وقد قبلت عينه وأقبلتها أنا ، ورجل أقبل بين القبيل ، وهو الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه ؛ قالت ليلى الأخيلية فى فائض بن عقيل - وكان قد فر عن توبة يوم قتل - ؛

ولما أن رأيت اِخْتِلَالَ قُبْلًا تبارى بالخدودِ شبا العوالى^(١)
يقول : لو كان الذى أصابك من هذه الرزية طعنا لدفعته عنك بالخيال والسلاح ؛ أو تقول : لو يكون الذى ألم بك من الرزية طعنا ومنازلة وقتالا لأوردت ذلك الوطن خيلك قبلا مقدمة ولا تقمعتها على الموت كل الإقحام .

(٣) الحنين : ما يجده الإلف إذا فارق إلفه ، وهو فى معنى الشوق . يقول :

(١) بعده :

نسيت وصاله وصددت عنه كما صدَّ الأزبُ عن الظلال
« الأزب : الكثير الشعر فى الأذنين والحاجبين ، وفى المثل : كلُّ أزب نفور ، لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات ، فإذا ضربته الريح نقر »

خِطْبَةُ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدٌّ وَإِنْ كَانَتْ السَّمَاءُ تُكَلَّلًا^(١)
وَأِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفُوءًا ذَاتُ خِذْرِ أَرَادَتْ الْمَوْتَ بَغْلًا^(٢)
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِي النَّفْسِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى^(٣)
وَأِذَا الشَّيْخُ قَالَ أَفَّ فَمَا مَلَّ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفُ مَلًا^(٤)

ولكشفت عن نفسك هذا الحنين الذي تجده إلى المفقود بضرب طالما كشف الكروب وجلاها عن أوليائك . أو تقول : لو كان هذا الحنين للتصل على رزيتك مما يستدفع بمغالبة ويستكشف بمكاثرة ، لكشفته بضرب بالغ وإقدام على الموت صادق ، فطالما كشفت الكروب اللوحة ، ولكن الموت لا يدفع بشدة ولا يعتصم منه بقوة .

(١) خطبة : أى هذه خطبة ، وأصل الخطبة : طلب المرأة للزواج : والحمام : الموت والشكل : فقد من يعز من ولد أو حبيب أو قريب . جعل الشكل خطبة لها لأنها كانت بكرًا : أى لما استأثر بها الموت صار كأنه خاطب لها وإن كانت هذه الخطبة هى المساة بالشكل وعبارة الواحدى : إن هذه الوفاة جرت مجرى الخطبة من الحمام للميتة وإن كانت تلك الخطبة تسمى ثكلا ؛ هذا إذا نصبت السماء على أنها خبر كان ونصب ثكلا بالسماء ، كما تقول ضربت المعطاة درهما ؛ وإن رفعت السماء فالمعنى : وإن كانت هذه التى سميتها أى ذكرتها ثكلا ، فتكون « ثكلا » خبر كان . هذا : وقد وصف الخطبة بأنها لا ترد ، لأنه إذا كان الخاطب الحمام لم يستطع رده كغيره من الخطاب .

(٢) الكفو والكفو : المثل ، وبغلا - أى زوجا - حال . يقول : إذا لم تجد المرأة الشريفة كفوءاً لها من الناس تزوج منه اختارت الموت بغلا لها ؛ قال الواحدى : لأنها إذا عاشت وحدها لم تنتفع بالدنيا وبشبابها فاخترت الموت على الحياة . . والأوجه أن يقال لأنها تأبى أن تمس كرامتها وصيانتها إذا هى تزوجت من غير أكفائها ، ومن ثم تؤثر الموت الذى يكمل صيانتها ويوفىها حق جلالها .

(٣) يقول : إن الحياة للذاتة أنفوس فى نفوس ناسها وأشهى إليهم من أن تملى وتستكره لعله يريد أن يقول إن ذات الحذر إنما تؤثر الموت خوفاً من أن تصير إلى غير كفوفتهم ، لا بقضا فى الحياة .

(٤) أف : كلمة يقولها المتضرع الكاره للشئ ، وهى بثلاث الفاء وبالتنوين وتركه يقول : إذا ضجر الشيخ فقال أف فإن ذلك الضجر والللال إنما هو من ضعف الشيخوخة لا من طول الحياة ، لأن الحياة حبيبة إلى النفوس فى الشبية والكبر . هذا : وقوله

آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فَإِذَا وَلَّيَا عَنِ الْبَرِّ وَلَّى^(١)
أَبَدًا نَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنْيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلًا^(٢)
فَكَفَتْ كَوْنُ فَرْحَةٍ تُورِثُ الْغَمَّ وَخِلٌ يُفَادِرُ الْوَجْدَ خِلًا^(٣)
وَهِيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لَا تَحْفَظُ عَهْدًا وَلَا تُتَمِّمُ وَصْلًا^(٤)

وإنما الضعف ملا : فالضعف مفعول مقدم ، وهو في مثل هذا الموضع غير جائز التقديم لأنه مقصور بـ «إنما» ، ولكن قدمه للضرورة .

(١) يقول : إنما يحلو العيش ويطيب بالصحة والشباب ، فإذا لم يكن هناك صحة وشباب فسد العيش وتنقص وذهب ؛ أو تقول : آلة العيش وقوامه وحقيقته الشباب والصحة ، فإذا هما وليا وذهبا ولي العيش وذهب
(٢) يقول : إن الدنيا تعود على ما تهب فتأخذ . فليتها بخلت وما جادت ، كما قال الجلاح :

وَلَلْمَنْعُ خَيْرٌ مِنْ عَطَاءٍ مُكْدَّرٍ

وقال الأول :

الدَّهْرُ آخِذٌ مَا أُعْطِيَ مُكْدَّرٌ مَا أُصْنِيَ وَمُفْسَدٌ مَا أَهْوَى لَهُ بِيَدٍ
فَلَا يَفْرُكُكَ مِنْ دَهْرٍ عَطِيتُهُ فَلَيْسَ يَتْرُكُ مَا أُعْطِيَ عَلَى أَحَدٍ

وقال حكيم : الدنيا تطعم أولادها وتأكل أولادها . هذا : وقد قال العلامة العكبري النحوي الكوفي : « الدنيا » مرفوعة بـ « تسترد » عندنا ، وبـ « تهب » عند البصريين لأنهم يعملون الثاني .

(٣) هذا جواب التمني في قوله « فياليت » . وكفيته الشيء : أغنيته عنه ، والكون : بمعنى الحصول ، والفرحة - بالضم والفتح - اسم بمعنى السرور ، ويفادر : يترك ؛ والوجد بمعنى الحزن ؛ والحل : الخليل . يقول : لو بخلت ولم تجد لأغنت عن حصول فرحة تعقب بزوالها الغم ، وعن وجود صاحب يموت فيصير الحزن بعده صاحباً لمن فقدته . فالدنيا مثل رجل وهب لرجل شيئاً ، فلما فرح به واغبط أخذه منه ؛ فكان أسفه عليه أكثر من اغتيابه به .

(٤) على الغدر : أى معه ؛ والظرف حال من نائب معشوقة يقول : وهى - أى الدنيا - مع غدرها بالناس - فلا تحفظ لأحد عهداً ولا تدوم على العهد ورجوعها - على ما تهب - معشوقة محبوبة .

كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا وَبِفِكَ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تُخَلَّى^(١)
 شِيمُ الْغَائِيَاتِ فِيهَا فَلَا أَذْرَى لَدَا أَنْتَ أَتَمَّهَا النَّاسُ أَمْ لَا^(٢)
 يَا مَلِيكَ الْوَرَى الْمُفَرَّقَ نَحْيًا وَتَمَاتًا فِيهِمْ وَعِزًّا وَذُلًّا^(٣)
 قَلَدَ اللَّهُ دَوْلَةً سَيُفْهِمُ أَنْتَ حُسَامًا بِالْمَكْرُمَاتِ مُحَلَّى^(٤)
 فِيهِ أَغْنَتْ الْمَوَالِي بَذْلًا وَبِهِ أَفْنَتْ الْأَعَادَى قَتْلًا^(٥)
 وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْوَغَى كَانَ نَصْلًا^(٦)

(١) يسيل : صفة لدمع ؛ ومنها : متعلقة بـ «يسيل» وعليها : خبر كل ؛ والحرفان للتعليل . أى كل دمع يسيل من جرائها هو عليها : أى كل من أبكته الدنيا فإنما يبكى أسفا على فوت شيء منها ولا يخلى الإنسان يديه منها إلا قسراً حين تفك يدها عنها بالموت .

(٢) الشيم : الطباع ؛ والغايات : الحسان اللاتي غنبن بحسنهن وجمالهن . وقوله لذا : أى ألذا ؟ لحذف الاستفهام . يقول : شيمة الدنيا كشيمة النساء فالنساء لا يدمن على الوصل ولا يحفظن العهد ؛ وكذلك الدنيا ، ثم قال : ولست أدري أهذه المشابهة جعل الناس اسمها مؤنثا ؟ وهذا من تجاهل العارف ، لأنه يعلم أن الدنيا لم تؤنث لأنها تشبه الغواني ، كما قال زهير :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حِصْنٍ أَمْ نِسَاءٍ
 هو يدري أنهم رجال ، ولكنه تجاهل هذا ، لأن فيه ضربا من الهزل بهم .

(٣) الورى : الخلق . والمحيا : الحياة . يقول : إنه ملك عظيم الشأن يفرق الحياة والموت والامر والنذل فيمن والاه وأطاعه وخالفه وعاداه .

(٤) سيفها أنت : نعت « دولة » وحساما : أى سيفاً قاطعاً ، مفعول قلد . يقول : إن الله سبحانه قد قلد دولة جعلك سيفها الدائد عن يضتها سيفاً قاطعاً حلاه بالكارم ، فهو حامى الدولة وزينتها وعزها .

(٥) أغنت وأفنت : أى الدولة ؛ وبذلا وقتلا : تمييز . والموالى : الأصدقاء والحلفاء والأعداى : جمع أعداء ، جمع عدو ، يشدد ويخفف : أى بذلك الحسام أغنت هذه الدولة أولياءها بذلا . وبه أفنت أعاديتها قتلا ، فهو يحيى الموالى بماله ، ويميت الأعادى بسيفه ورجاله .

(٦) اهتز : ارتاح ؛ والوغى : الحرب ؛ والنصل : السيف ؛ أى إذا اهتز للعطاء

وَإِذَا الْأَرْضُ أُظْلِمَتْ كَانَ شَمْسًا
وَإِذَا الْأَرْضُ أُتَحَلَّتْ كَانَ وَبَلًا^(١)
وَهُوَ الضَّارِبُ الْكُتَيْبَةُ وَالطُّغْيَانُ تَفْلُو وَالضَّرْبُ أَغْلَى وَأَغْلَى^(٢)
أَيُّهَا الْبَاهِرُ الْعَقُولَ فَمَا تَذَرُّكَ وَصَفًا أُنْعَبْتَ فِكْرِي فَمَهْلًا^(٣)

كان كالبحر في كثرة مواهبه وعموم فواضله ، وإذا اهتز للحرب كان كالسيف في نفاذ
عزمه وقوته فيما يحاول من أمره .

(١) المحل : الجذب وقلة النبات في الأرض لقلة المطر . والويل : المطر الكثير ؛
أى إذا أظلمت الأرض وأعمت خطوطها كان كالشمس المشرقة ، وإذا أجذبت كان جوده
كالسحاب الغدقة ، فهو ينير إذا استبهم الأمر ويجود إذا بخل الدهر .

(٢) الكتيبة : الطائفة من الجيش ؛ وتفلو - من غلاء السعر - أى يعز وجودها
والجلمة : حال . وقوله أغلى وأغلى : كأنه يريد التوكيد ، والعاطف زائد . يقول : هو
الضارب الكتيبة من الجيش بسيفه حين يكون الطعن غالباً عزيز النال لصعوبة الموقف
واشتداد الحال ، وإذا كان الطعن غالباً كان الضرب أغلى منه لحاجة الضارب إلى فضل
إقدام ؛ لأن الضارب أقرب من الطاعن . والمعنى أنه يقدم على الضرب حين لا يقدم
غيره على الطعن ، وقال ابن فورجه : يريد أنه إذا لم يقدر على الدنو من العدو قيد رمح -
أى مقدار رمح - فالدنو إليه قيد سيف أصعب . والمعنى أنه يضرب بسيفه حين لا يقدم
الطاعن والضارب . وقال ابن جني : يريد إن كان الطعن صعباً على الطاعن فهو
أسر من الضرب ، لأن بعد الطاعن عن عدوه أكثر من بعد الضارب ، والرامى
أبعد من الطاعن ، وقد رتبته زهير فقال :

يَطْمَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا

ضَارِبٌ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقُوا

وعبارة العكبري : هو الضارب الكتيبة من الجيش والحرب متوقدة ونيرانها
مضطرمة ، والطعن بين الفرسان يفلو ويشدد ، والضرب أغلى وأشد فدل على أن
سيف الدولة عند اشتداد الحرب يقتحم الكتائب بنفسه ، ويستخف ذلك بشدة بأسه .
(٣) بهر : غلبه ؛ ووصفاً تميز . وقوله فما تدرك : يروى بالتاء على الخطأ
للمدوح . وبالياء عوداً على لفظ النادى ؛ والعقول : قال العكبري بالنصب هو الأصل ،
وبالحذف تشبيهاً بالحسن الوجه . يقول : يامن غلب العقول بما أظهر من بدائع الأفعال

مَنْ تَعَاطَى تَشَبُّهًا بِكَ أَغْيَا ۖ وَمَنْ دَلَّ فِي طَرِيقِكَ ضَلَالًا^(١)
فَإِذَا مَا أَشْتَهَى خُلُودَكَ دَاعٍ ۖ قَالَ لَا زُلْتَ أَوْ تَرَى لَكَ مِثْلًا^(٢)

وقال يمدحه ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثلثمائة (*)

فما يدرك وصفك أتعبت فكرى إذ لم يبلغك . فمهلا : أى ارفق . وعبارة العكبرى : أيها الملك الذى بهر العقول بكثرة فضائله وأعجز الأوصاف بتتابع مكارمه : مهلا على فكرى فقد أتعبت ، ورفقاً بما أنظم فيك فقد أعجزته .

(١) التعاطى : التناول . ويقال فلان يتعاطى كذا : إذا غنى به وتفرغ له ؛ وأعياء أعجزه . يقول : وكيف لا يكون ذلك ومن حاول أن يتشبه بك فى كرم أخلاقك أعجزه ذلك فلم يندر على التشبه بك لان كرمك لا ينال بالتكلف ، ومن سلك طريقك ضل فيه : أى لم يقدر على مجاراتك فيما تسلكه لبعده مذهبك واتساعه .

(٢) زلت : من الزوال وقوله أو ترى : أى إلى أن ترى . يقول : إذا اشتئى أحد أن يدعوك بالخلود فدعاؤه هو أن يقول لك . لا زلت - أى لامت - كما فى رواية - حتى ترى لك مثيلا ، وإذا كان ذلك كذلك بقيت إلى الأبد ، لأنه لن يكون لك مثيل .

* قال الشراح : سبب عمل هذه القصيدة أن سيف الدولة ورد عليه أن الدمستق وجيوش الروم قد نزلوا على حصن الحدث ونصبوا عليه مكابد وقدروا أنها فرصة فيه لما تدخل أهله من الانزعاج والقلق ؛ وكان ملكهم قد ألزمهم قعده وأنجدهم بأصناف من البلغم والروس والصقالبة ، وأنفذ معهم العدد الكثير والعدد ، فركب سيف الدولة باقرا ؛ وانتقل إلى غير الوضع الذى كان فيه ، ونظر فيما يجب أن ينظر فيه ، وسار عن حلب فى جمادى الأولى ، فزل رعبان وأخبار الحدث عليه مستعجبة ، لأنهم ضبطوا الطرق ليخفى عليه خبرهم ، فلما ضجر لبس سلاحه وأمر أصحابه بمثل ذلك ، وسارزحفا فلما قرب من الحدث عادت الجواسيس تعلمه أن العدو لما أشرفت عليه خيول المسلمين من عقبه يقال لها العبرى رحل ولم تستقر به دار ، وامتنع أهل الحدث من البدار بالخبر خوفاً من كمين يترص الرسل . فزل سيف الدولة بظاهره وأنتمهم طلائعهم تخبر سيف الدولة بانصرافهم إلى حصن رعبان ووقعت الضجة ، وظهر الاضطراب ، وولى كل فريق

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَمْلُونْ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا^(١)
شَرَفٌ يَنْطِیحُ النُّجُومَ بِرَوْقِيهِ وَعِزٌّ يُقْلِقُ الْأَجْبَالَ^(٢)
حَالُ أَعْدَائِنَا عَظِيمٌ وَسَيْفُ الدِّ وَلَةِ ابْنُ السُّيُوفِ أَعْظَمُ حَالًا^(٣)

على وجهه ، وخرج أهل الحدث فأوقعوا ببعضهم ، وأخذوا آلة سلاحهم وأعدوه في حصنهم ،

(١) ذى : أى هذه اسم مبهم : يشار به إلى اللؤث كما يشار به « ذا » إلى الذئب ؛ وهكذا خبر عن محذوف : أى هكذا المعالي ، والكلام استئناف ، ويجوز أن تكون نائب مفعول مطلق ، عامله فليعلون : أى فليعلون علواً هكذا ، أو محذوف العامل : أى هكذا فليعلون ، وإلا هى « إن » الشرطية و « لا » النافية ، والشرط والمافى محذوفان يقدران بحسب ما يقدر قبلهما ، وكرر « لا » تأكيداً . يقول : هذه المعالي التى نراها لك هى المعالي حقيقة ، ومن تعالى فليعلون كما علوت ، وإلا فليدع تعالى ؛ وبعبارة أخرى يقول مشيراً إلى ما فعله سيف الدولة فى بداره إلى جيوش الروم وانهمزاهم من بين يديه ومنعه لهم مما كانوا عليه من حصار الحدث - : هذه هى المعالي التى تؤثر والمكارم التى تخلد فمن حاول تعالى ، فلينهض بمثلهما فهذا سبيلها ، وإلا فلا يتعرض الرؤساء لها :

(٢) شرف : مبتدأ محذوف الخبر : أى لك شرف ؛ والروق : القرن . واستعار للشرف روقين لما استعار له النطح على سبيل الترشيع ، وهو معلوم أن القرنين فى الحيوان من أسباب القوة ودواعى الإقدام واللعة ، يفسر معاليه أو ما أشار إليه بقوله هكذا ، بهذا البيت . يقول : لك شرف يزاحم النجوم فى العلو وعز أثبت من الجبال وأرسى حتى صارت الجبال بالإضافة إليه قلقاً ، أو تقول قد بلغت شرفاً باذخاً يس أعلاه النجوم وعزاً راسخاً لوصادم الجبال لأقلقها وبقي راسخاً لا يزعزع : أو تقول : وبلغت عزاً تتقلقل الجبال هبة له وإجلالا . قال الواحدى : ويجوز أن يريد أن سلطانه ينفذ فى كل شئ حتى لو أراد أن يزيل الجبال لأقلقها .

(٣) قوله : ابن السيوف : ذهب إلى مافى السيف من معنى المضاء والقهر : أى كلمهم ملوك قاهرون . يقول : حالهم عظيمة فى كثرتهم ومنعتهم ، ولكن سيف الدولة ابن الملوك القاهرة والسيوف الماضية على الأعداء أعظم وأنفذ وأمنع ؛ والحال : تذكر وتؤنث .

كَلَّمَا أَفْجَلُوا النَّذِيرَ مَسِيرًا أَفْجَلَتْهُ جِيَادُهُ الْإِعْجَالَا^(١)
فَأَتَتْهُمْ خَوَارِقُ الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُ إِلَّا الْحَدِيدَ وَالْأَبْطَالَا^(٢)
خَافِيَاتِ الْأُلْوَانِ قَدْ نَسَجَ النَّقْعُ عَلَيْهَا بَرَاقِمًا وَجِبِلَالَا^(٣)

(١) قال ابن جني : أى كلما عاد إليهم نذيرهم سبقوه بالهرب قبل وصوله إليهم ثم تلتهم جياذ سيف الدولة فسبقت سبقهم النذير : أى لحقتهم وجاوزتهم . قال ابن فورجه : يقال أَعْجَلَتْهُ بمعنى استعجلته ، فأما سبقته ، فيقال فيه عجَلته . يقول : كلما استعجلوا النذير بالمسير إليهم وإخبارهم بقدوم جيش سيف الدولة طلعت عليهم خيله قبل ورود النذير عليهم . أقول : وهذا كله تخبط من الشراح ، وإنما النذير نذير سيف الدولة . يقول : كلما باغت الروم قلعة الحدث وأرادوا أن يسبقوا إليها قبل مسير النذير إلى سيف الدولة جاءهم سيف الدولة وسبقهم إليها وهزمهم عنها قبل أن يسبقوا الاستيلاء عليها ؛ وهذا ما أشار إليه الواحدى : قال : ويجوز أن يريد أن العدو كلما أعجلوا النذير بهم وبأدروا المتقلدين لأعمال سيف الدولة في الأطراف والمتصرفين في أقاصى بلاده ورجوا أن يصيبوا منهم غرة وينتهزوا فيهم فرصة بادرهم خيوله ولحقهم جيوشه وأعجلتهم عن ذلك الأعجال فصرفتهم على أسوأ الأحوال . هذا : ويقال أعجله عن الأمر إذا بادره قبل أن يتمكن منه ، ومسيرا : منصوب بنزع الخافض : أى عن مسير ؛ وكذا قوله الإِعْجَالَا - فى آخر البيت - والنذير : الذى ينذر أصحابه ويحذرهم .

(٢) فَأَتَتْهُمْ : أى الجياذ ؛ وخوارق : حال ، وما تحمل - ويروى لا تحمل - حال أخرى . يقول : فَأَتَتْهُمْ خيل سيف الدولة تقطع الأرض سرعة . وعليها الأبطال مدججين بالسلاح . ويقال خرق الأرض يخرقها : أى قطعها حتى بلغ أقصاها ؛ وفى التنزيل : « إِنَّكَ لَن تَخْرُقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلَا » وقد روى العسكبرى « خوارق » بالرفع على أنها فاعل أتهم ؛ وليس بوجه ، وزاد على ذلك أن قال : خوارق الأرض : الخيل ، لشدة وطئها ؛ وهذا عمر ك الله تخطيط أى تخليط ، وإنما الخوارق التى تجوب الأرض وتقطعها بسرعة - هذا : والحصر فى البيت - فى قوله ما تحمل إلا الحديد - لمجرد التأكيد ، كما تقول ما أمامك إلا الأسد : أى المعروف بهوله وقوة بطشه

(٣) خَافِيَاتِ الْأُلْوَانِ : حال أخرى ؛ والنقع : الغبار ؛ والجلال جمع جل وهو ما كان على ظهر الدابة تحت السرج . يقول : أتهم وقد خفى لونها فلا يعرف الأدم من الكمية والأشهب والأشقر لما علاها من الغبار ، فقد تكاثف

حَافَتُهُ صُدُورُهَا وَالتَّوَالِي لَتَخْرُضَنَّ دُونَهُ الْأَهْوَالُ^(١)
وَلَتَمْضِينَ حَيْثُ لَا يَجِدُ الرُّمَحُ مَدَاراً وَلَا الْحِصَانُ مَجَالاً^(٢)

ذلك النبار عليها حتى صار على وجوها كالبراقع وعلى متونها كالجلال . وكان هذا المعنى من قول عدى بن زيد بن الرقاع العاملي :

يتعاوران من النبار ملاءةً دكناء مُحدثةً هـا نَسَجَها^(١)
قال العكبري : وفيه نظر إلى قول عرف بن الخرج :

كَأَنَّ الطَّبَاءَ بِهَا وَالنِّعَا جَ يُكْسِنُ مِنْ رَازِقِي شِعَارَا^(٢)

(١) المحالفة : المعاهدة ؛ والعوالى ؛ الرماح ؛ واللام - من قوله لتخوضن - للقسام . يقول ؛ إن صدور خيله وعوالى رماحه عاهدته على أن تخوض الأهوال والحروب دونه : أى تكفيه إياها ، كما قال :

فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ الْمُهْجَ الْعَوَالِي وَحَلَّ هَمَّهُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَا

وقد روى ابن جني لتخوضن ، ليخوضن ، ثم قال ؛ طال الكلام بيني وبينه أى - المتنبي - ؛ في قوله : ليخوضن ، فقال - أى المتنبي - هو مثل قولي ؛ وقلنا السيوف هلمن - بضم اليم - . وذلك أنه لما وصفها بالمخالفة أجراها مجرى من يعقل مثل الجماعة المذكرين ، وتأييده قوله تعالى ؛ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم « وقوله « وكل في فلك يسبحون » وقوله جل شأنه ؛ « ورأيتم لى ساجدين » كل هذا أجرى مجرى من يعقل لما خوطب وأخبر عنه بالسجود والسباحة ، والأفعال فى الأكثر إنما تكون لذوى العقل ، لأن كل ذى عقل يصح منه الفعل ، وما ليس من ذوى العقول وإنما يصح الفعل من بعضه كالفرس ونحوه ، ومنه ما لا يصح منه الفعل كالدار وشبهها مما ليس فيه روح ، فأحراق النار لما وقع فيها ليس بفعل لها فى الحقيقة ، وإنما هو فعل الله تعالى ، وهذا يعرفه أهل الكلام . انتهى كلام ابن جني مضافاً إليه العكبرى .

(٢) يقول : وحالفته صدور الخيل والرماح على أن تفضل ما عجز سه غيرها ؛ وقوله حيث لا يجد الرمح الخ : أى فى مضايق الحرب التى لا يجد فيها الرمح مداراً لشدة المجادلة ولا الحصان مجالاً لكثرة المزاحمة ، قالوا : وكان الوجه أن يقول :

(١) يصف ثورين وما يثيران فى عدوها من الغبار ؛ وبعده :

تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً وإذا السفابك أسهلت نشرها

(٢) الرازق هنا : الكتان نفسه ؛ والرازق أيضاً : ثياب يفض من الكتان .

لَا أَلُومُ ابْنَ لَأَوْنِ مَلِكِ الرُّومِ . وَإِنْ كَانَ مَا تَمَنَّى مُحَالًا^(١)
أَفْلَقْتُهُ بِنَيْفَةٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ . وَبَانَ بَغْيُ السَّمَاءِ فَنَالَا^(٢)
كُلَّمَا رَامَ حَطَّهَا اتَّسَعَ الْبَنَى فَفَطَى جَبِينَهُ . وَالْقَذَالَا^(٣)
يَجْمَعُ الرُّومَ وَالصَّقَالِبَ وَالْبُلْفَرَ فِيهَا وَيَجْمَعُ الْأَجَالَا^(٤)

ولتمضين ، كما تقول : حلفت هند لتقومن ؛ وقد أجاز الكوفيون حذف الياء في مثل هذا ، فيقال : حلفت هند لتمض لسكونها وسكون النون بعدها - ولم تحرك الياء بالفتح ، وكان ممكنا أن يقول : وليمضين - بالياء دون توكيد . هذا : والحصان : الفحل من الخيل ؛ والجمع : حصن ؛ وسمى الفرس الذكر حصانا قيل لأنه ضئ من بئائه فلم ينز إلا على كريمة ، ثم كثر ذلك حتى سموا كل ذكر من الخيل حصانا ، وقيل مشتق من الحصانة ، لأنه محرز لفارسه ، والعرب تسمى الخيل حصونا . وسئل بعض الحكماء عن رجل جعل مالا له في الحصون ، فقال اشتروا خيلا واحملوا عليها في سبيل الله .

ذهب إلى قول الجعفي :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ حَتَّى تَوَفَّى الرَّدَى أَنَّ الْحِصُونَ أَخْلِيلُ لَا مَدْرُ الْقُرَى
(١) يقول : لا ألووم ملك الروم على تمنيه محالا من تخريب هذه القلعة ، وذلك أن ملك الروم كان قد قصد حصن الحدث طلبا لفرسة سيف الدولة ثم بين حين عدم اللوم فيما يلي .

(٢) البنية : بمعنى المبنية ، يريد القلعة ، وبين أذنيه ، صفة لبنية . وبغى : طلب . يقول : أفلقت ملك الروم هذه القلعة التي بناها سيف الدولة وهي من ثقلها عليه كأنها على رأسه وقفاه ، وأفلقه بانيتها - يعني سيف الدولة - الذي بغى أن ينال السماء فنالها علوا وعزة ، أى أن ملك الروم العذر في محاولته تخريبها لذلك .

(٣) رام : طلب ؛ وحطها : إزالتها . والبني : مصدر كالبناء ؛ والجبين : ناحية الجهة من محاذاة الزرعة إلى الصدغ ، وهما جبينان عن يمين الجهة وشمالها ، فتكون الجهة بين جبينين : والقذال مؤخر الرأس ، وهو ما بين جنبتي القفا . يقول : كلما أراد ملك الروم إزالتها عن رأسه اتسع بناؤها فازداد ثقلها فغشى الجبين والقذال ، وهذا مثل ، يريد أن سيف الدولة كلما زادها توثيقا وسعة ازداد مضى ملك الروح وغيظه .

(٤) فيها : أى في نواحيها وجوانبها : أى يجمع هؤلاء لهدمها بهم وتجمع أنت أحاطهم إذ تاتيهم فقتلهم .

وَتَوَافِيهِمْ بِهَا فِي الْقَنَاءِ الشُّرَكَاءَ وَافَتِ الْعِطَاشُ الصَّلَاةَ^(١)
 قَصَدُوا هَذِمَ سُورَهَا فَبَنَوْهُ وَأَتَوْا كَنِي يُقَصِّرُوهُ فَطَالَا^(٢)
 وَأَسْتَجَرُوا مَكَائِدَ الْحَرْبِ حَتَّى
 تَرَكَوْهَا لَهَا عَلَيْهِمْ وَبَالَا^(٣)
 رَبِّ أَمْرٍ أَتَاكَ لَا تَحْمَدُ الْفَقَا لَ فَيَدُ وَتَحْمَدُ الْأَفْعَالَا^(٤)
 وَقَسَى رُمِيَتْ عَنْهَا فَرَدَّتْ فِي قُلُوبِ الرَّمَاةِ عَنْكَ النَّصَالَا^(٥)

(١) توافيهم : تأتيهم ؛ وبها : أى بالآجال . والصلال : جمع صلة ، وهى الأرض التى أصابها مطربعين أرضين لم تمطرا . يقول : وتأتيهم بأجلهم ومناياهم فى الرماح وهى ظامئة إلى دمائهم ، أى تسرع إليهم إسراع العطاش إلى الأرض الممطرة
 (٢) يقول : لما قصد الروم هدمها بثوا سيف الدولة على إتمام بنائها ، فكان قصدهم إلى الهدم والتقصير سببا لبنائها وإطالته .

(٣) الضمير فى « لها » للقلعة . والمراد بمكايد الحرب : آلاتها . والوبال : الشدة . يقول : جروا آلات الحرب إلى القلعة ثم انهزموا عنها وتركوا هذه الآلات لها فكانت وبالا عليهم ، لأن أهل قلعة الحدث لما هرب الروم تعقبهم وأخذوا معهم ما تركوه من السلاح وحاربهم مستعينين على قتلهم به .

(٤) الفاعل هنا : هم الروم الذين جلبوا آلات الحرب ، وفعلهم حملهم إلى القلعة للمكايد والآلات ، وهم الروم - غير محمودين لأنهم أعداء للمسلمين ، أما أفعالهم - وهى جلبهم آلات الحرب إلى القلعة - فهى محمودة فى العاقبة لأنهم لو لم يجلبوها لما ظفر بها المسلمون وكانت عوناً عليهم .

(٥) قسى : جمع قوس على القلب ، وهو معطوف على أمر . يقول : ورب قسى ترمى عنها السهام فترتد على رامها . يريد السلاح الذى حمله الروم لقتال المسلمين ، فلما هربوا وأخذ المسلمون سلاحهم قاتلوهم به ورموهم بالسهام عنك ، فكان ذلك وبالا على الروم قال ابن وكيع - وأنت تعلم تخنى هذا ابن وكيع دائماً على المتنبي - : هذا البيت هو من قول القائل :

قَوْمِيْ هُمْ قَتَلُوا - أَمِيْمَ - أَخِي فَإِذَا رَمِيْتُ يَصِيْبُنِي سَهْمِيْ^(١)

فقوله فردت الخ : تقديره فردت عنك النصال فى قلوب الرماة الذين كانوا يرمونك

(١) أخى : مفعول « قتلوا » ؛

أَخَذُوا الطَّرِيقَ يَقْطَعُونَ بِهَا الرُّشْدَ

لَـ فَكَانَ انْقِطَاعُهَا إِزْسَالًا^(١)
وَهُمُ الْبَحْرُ ذُو الْغَوَارِبِ إِلَّا أَنَّهُ صَارَ عِنْدَ بَحْرِكَ آلَا^(٢)
مَا مَضَوْا لَمْ يُقَاتِلُوكَ وَلَكِنَّ الْقِتَالَ الَّذِي كَفَاكَ الْقِتَالَ^(٣)
وَالَّذِي قَطَعَ الرَّقَابَ مِنَ الضَّرِّ بِ بِكَفِّكَ قَطَعَ الْآمَالَ^(٤)
وَالثَّبَاتُ الَّذِي أَجَادُوا قَدِيمًا عَمَّ الثَّابِتِينَ ذَا الْإِجْفَالَ^(٥)

(١) يقول : أخذوا الطريق ليقطعوا الرسل عن النفاذ إلى سيف الدولة فلا يبلغه الخبر أنهم يقصدون قلعة الحدث ، فلما أبطلت الأخبار وتأخرت عن عاداتها تطلع سيف الدولة لما وراء ذلك فوقف على جلية الأمر فسار إليهم مسرعا ، فكان انقطاع الرسل عنه كأنه إرسال ، وهذا كقوله السالف .

* قَصِدُوا هَذِمَ سُورَهَا فَبَنَوْهُ *

(٢) الغوارب : أعلى الأمواج ، جمع غارب . والآل : ما تراه في أول النهار وآخره كالسراب . يقول : هم كالبحر المائج نوافرا وكثرة ، إلا أنهم اضمحوا أمام جيوشك فصاروا كالآل ، يعنى أن شأنهم يتلاشى عندك ، وإن جل وعظم .

(٣) « ما » نافية . ولم يقاتلوك : حال . يقول : ما انهزموا عنك غير مقاتلين ولكن القتال الذى قاتلتهم قبل هذا كفاك القتال الآن ، يعنى أنهم قد بلوك قبل هذا فأشعرت قلوبهم الرعب وخافوك الآن فانهزموا ومضوا ؛ وعبارة العكبرى : ما مضوا غير مقاتلين لجيشك ولا ولوا غير متيقنين لأمرك ، ولكن القتال عند التأمل ما أسكنت وقائعك قلوبهم من الهية وأودعها من الخافة ، حتى صار اسمك يهزم عساكرهم ، وذكرك يشفى عزانهم .

(٤) يقول : إن السيف الذى قطع رقاب إخوانهم من قبل قطع آمال هؤلاء من الظفر بك فتركوك وهربوا .

(٥) الإجفال : الإسراع فى الهزيمة . يقول : إن الأولين منهم أجادوا الثبات فى الحرب فلم يخن عنهم وأدى إلى هلاكهم ، فعلم ذلك الثبات هؤلاء أن يفروا منك خشية أن يجل بهم ماحل بالذين سبقوهم . قال الواحدى : يريد بهذه الآيات أن يبين أن أهل الروم شجعان أهل للحرب ولكنهم لا يقاومونك ، ولك الفضل عليهم ، فيكون هذا أمداً لهم .

نَزَلُوا فِي مَصَارِعَ عَرَفُوهَا يَنْدُبُونَ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالَ^(١)
تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَ آلِهَاتٍ وَتُنْذِرُ عَلَيْهِمُ الْأَوْصَالَ^(٢)
تُنْذِرُ الْجِسْمَ أَنْ يُقْسِمَ لَدَيْهَا وَتُرِيدُ إِكْلَافَ عَضْوٍ مِثْلًا^(٣)
أَبْصَرُوا الطَّنَّ فِي الْقُلُوبِ دِرَاكًا
قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرِّمَاحَ خَيَالًا^(٤)

(١) يقول : نزلوا في الأماكن التي قتلت فيها أقباءهم فلما نظروا إليها عرفوها
فذكروهم فبكوا عليهم . وتمثلوا هذه الحال في أنفسهم وتوقعوا أن يحل بهم ما يشبهها ؛
وللمصارع : جمع مصرع ، وهو اسم مكان من صرعه ، إذا طرحه على الأرض .
(٢) الأوصال : جمع وصل - بالضم والكسر - وهو العضو . والهام : الرؤوس .
وتندري : تنذر وتفرق . تقول ذرا يذرو ، وذرا يذري ، وأذري يذري ، يريد : لم
يبعد عهد ذلك المكان بالقتل ، فشعور القتلى وأعضاؤهم لا تزال باقية هناك تحملها
الريح وتلقيها عليهم فيفرزعهم ذلك فينزعجون ويهربون .
(٣) يقول : إن تلك المصارع تنذرهم الإقامة بها إذ تربهم لكل عضو منهم عضواً
من القتولين . قال العسكري : ويجوز أن يكون الضمير في تنذر للأوصال ، قال : والمعنى
تنذر الأوصال ، الجسم بأن يصير مثلها ويقيم لديها في مثل حالها وترية لكل عضو من
أعضائها مثلاً شاهداً ؛ ونظيراً حاضراً . قال : وأشار بذلك إلى وقعة سيف الدولة على
الروم عند بناءه الحدث وقد وصفها في قوله :

* على قدر أهل العزم تأتي العزائم *

ولم تكن بعيدة من هذه الوقعة ، فلما أشرفوا على موضع تلك الوقعة وذكروا
عظم تلك البلية أشفقوا من أن يعاودهم سيف الدولة بمثلها فولوا مدبرين .

(٤) في القلوب : صلة الطعن ؛ ودراكا متتابعاً ، وخيالا : متخيلاً ، وهما حالان
من الطعن ؛ وفي البيت تقديم وتأخير ؛ والتقدير : أبصروا الطعن في القلوب دراكا
خيالاً قبل أن يبصروا الرماح ، يعني ؛ لشدة خوفهم منك وتصورهم ما صنعت بهم قديماً
وأوا الطعن متداركا متتابعاً في قلوبهم تخيلاً قبل أن يروا الرماح حقيقة ؛ وقال الخطيب
التهريزي : اعتبر المتأخرون - أي من الروم - بالمتقدمين - منهم - فكأنهم تخيلوا
الطعن دراكا وبينهم وبين من يطلبهم مسافة بعيدة ففروا قبل أن ينظروا إلى خيال الرماح

وَإِذَا حَاوَلْتَ طَعَانَكَ خَيْلٌ أَبْصَرْتَ أَذْرُعَ الْقَنَا أُمَيَّالًا^(١)
 بَسَطَ الرُّعْبُ فِي الْيَمِينِ يَمِينًا ، فَتَوَلَّوْا ، وَفِي الشَّامِلِ شِمَالًا^(٢)
 يَنْفُضُ الرُّوْعُ أَيْدِيًا لَيْسَ تَدْرِي أَسْيُوفًا حَمَلْنَ أَمْ أَعْلَالًا^(٣)
 وَوُجُوهًا أَخَافَهَا مِنْكَ وَجْهٌ تَرَكْتَ حُسْنَهَا لَهُ وَالْجَمَالَ^(٤)

(١) القنا : عيدان الرماح ، والحيل ، يريد بها الفرسان ، يقول : إذا أرادت جيوش الأعداء طعانك خيل إليهم الرعب وشدة الخوف أن الذراع من رماحك ميل فتوقعوا أن تدركهم رماحك ولو كانوا على أميال ؛ ومن غريب التفسير ماذهب إليه بعضهم من أن المراد بالقنا قنا الأعداء الذين يحاولون الطعان ، قال ، وللعنى أنهم كلما حاولوا طعانك برماحهم استطالوها فرأوا أذرعها أميالا ؛ أى أنها تتقل عليهم جبنًا وخوفًا منك ، (٢) يعنى أن الرعب - الخوف - شاع فيهم وعمهم حتى كأنه بسط يمينه في ميعة جيشهم وشماله في ميسرته فتولوا هاربين ، وقال ابن الأقلبي : العنى بسط الرعب في أيديهم أيديا مثلها تمنعها من البطش فولوا مخذولين وهذا ضد قول الآخر :

إِنَّا وَجَدْنَا بَنِي جَلَّانَ كَلَهُمْ كَسَاعِدِ الضَّبِّ لَا طُولَ وَلَا قِصَرَ

(٣) الروع : الخوف والفرع ؛ والأغلال : جمع غل ، القيد ، يقول : أثر فيهم الخوف حتى ارتعدت أيديهم فلا تقدر على الضرب كأن السيوف التي في أيديهم أغلال لها وعبرة بعض الشراح : يرعش الخوف أيديهم فصارت في قلة الغناء وإن كان فيها سيف - بمنزلة الأيدي المغلولة وعبرة العكبري : ينفذ الفزع من أيديهم السلاح فيسقط ، ويسلبهم إياه الذعر فيذهب ، حتى كأن سيوفهم في أيديهم أغلال وموانع تمنعهم من التصرف بها وهو من قول جرير في الفرزدق :

ضَرَبْتَ بِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ فَأَرْعِشَتْ يَدَاكَ فَقَالُوا مُحَدَّثٌ غَيْرُ صَارِمٍ

(٤) وجوها : عطف على أيديا - من جهة اللفظ ، لامن جهة المعنى - لأنه لا يريد ينفذ وجوها : والمعنى يغير وجوها : أى يغير ألوانها بأن يورثها صفرة ، فهو من باب :

وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحْمًا

يقول : ويغير الروع وجوهاً تمتع وتصفر وتكلح ويذهب بجمالها الذعر قد أخافها منك وجه طلق نصير ، أحرز غايات الحسن وغلبها على الجمال ، فالحسن والجمال لوجهك. لا لها ، إذ سلها الخوف حسنًا فانحاز إلى حسنك فتضاعف جمالك ونصرتك.

وَالْعِيَانُ الْجَلِيُّ يُحْدِثُ لِلظَّنِّ زَوَالًا وَلِلْمَرَادِ انْتِقَالَ (١)
وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّمَنَ وَحَدَهُ وَالزَّالَا (٢)
أَفْسَمُوا لَا رَأُوكَ إِلَّا بِقَلْبٍ طَالَمَا غَرَّتِ الْعَيُونُ الرِّجَالَ (٣)
أَيُّ عَيْنٍ تَأْمَلَتْكَ فَلَا قَتْلَكَ وَطَرْفٍ رَنَا إِلَيْكَ فَلَا (٤)

(١) يقول : كانوا يظنون أنهم يقدرون على قتالك فلما قصدوا محاربتك انهزموا وعابنوا قصورهم عنك ، فأزال العيان ما كان الظن يحدث لهم ، وانتقل ذلك المراد القدى كانوا يريدونه من محاربتك .

(٢) هذا كما تقول العرب في أمثالها :

كلُّ مُجْرٍ فِي الْخِلَاءِ يُسَرُّ *

أى إذا أجرى الإنسان فرسه وحده سر بجريه ، فإذا قاربته مثله ذهب سروره . يقول المتنبي : إن الجبان - والجبان ضد الشجاع - إذا كان وحده منفرداً يحس من نفسه شجاعة ، ويظن عنده غناء ويطلب الطمان والمنازلة ، يريد أن الروم شجعاء مالم يروك . وقوله وحده : فى موضع نصب على الحال ؛ أى منفرداً . والنزال فى الحرب : أن يتنازل الفريقان . وفى الحكم أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا ، ونزال مثل قظام ، بمعنى انزل ، وهو معدول عن المنازلة ، ولهذا أنه زهير فى قوله :

وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيتَ نَزَالَ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ

(٣) إلا بقلب : أى إلا والقلب معهم و «ما» من قوله «طالما» : مصدرية ، والجملة استئناف . يقول : حلفوا ليحضرن عقولهم وليعلمن أفكارهم فى قتالك ، ثم قل : طالما غرت العيون الرجال : أى كذبهم عنك كثيراً ما رأوه بعيونهم مما يوهمهم أن فى مكتهم محاربتك ؛ أو تقول : لما امتحنوا بأسك وعابنوا أفاعيلك علموا أن عيونهم غرتهم قبل ذلك وأطمعتهم فى مقاومتك ، وحينئذ بطل اعتمادهم على رؤية العيون واعتمدوا على رؤية القلب : أى صاروا يرجعون فى الرأى إلى ما علموه بقلوبهم وعقولهم من قوة بطشك ، لا إلى ما يرون من كثرة عددهم وأحلافهم . قال الواحدى : ولا تناقض بين قوله غرت العيون الرجال وبين قوله والعيان الجلى ، لأن قوله غرت العيون : أى قبل التجربة ، وأما ذاك فإنما يعنى بعد التجربة .

(٤) لاقتك : من اللقاء ؛ والطرف : العين ؛ ورنا إليه يرنو رنوا : إذا أدام النظر وسنعود إلى توفية مادة «رنا» حقها بعد شرح البيت ؛ وآل : رجع . يقول : إن العين التى تأملتك لا يجترى صاحبها على ملاقاتك ومواقعتك لما يرى من هيبتك وأفعالك .

مَا يَشْكُ اللَّعِينُ فِي أَخْذِكَ الْجَيْشَ فَهَلْ يَبْعَثُ الْجُيُوشَ نَوَالًا^(١)

وإذا رنت إليك وأدامت النظر لم يجترأ صاحبها على العود إليك خوفا ورهبا ؛ وهنا يقول الواحدى : هذا متناقض الظاهر ، لأنه أنكر أن تديم عين النظر إليه في الصراع الأول ، وأنكر في الثانى أن يعود طرف رنا إليه ولم يشخص ، ثم قال : لعل هذا يحمل على عيون الأعداء والأولياء ؛ فعين العدو لا تديم النظر إليه هية له ، وعين الولى تتحير فيه وتبقى شاخصة ، فلا ترجع إلى صاحبها . وقال فى لا تكتك : إنه من لاق الشيء وألاقه إذا أمسكه ، ثم قال : وهذا بما لم يتكلم فيه أحدمن الشراح . وما أعرف ما علق العكبرى على كلام الواحدى هذا ، قال العكبرى : وصدق الواحدى فى قوله ، لأن أحدا من الشراح لا يستحسن أن يقول مثل هذا . ولعمد بعد هذا إلى «رنا» ؛ قال الجوهري : يقال أرناى حسن ما رأيت . أى حملنى على الرنو ، أى إدامة النظر ، ومن هذا يقال كأس رنونة أى دأمة على الشرب ساكنة ووزنها فعلمة ؛ قال ابن أحمر :

مدت عليه الملك أطنا بها كأس رنونة وطرف طمر^(١)

(١) اللعين : يعنى ملك الروم ، والنوال : العطاء ، وهو حال . وقوله فهل يبعث الجيوش نوالا : هو استفهام تجهل ، لأنه علم أنه لا يبعث الجيوش نوالا ، لكن لما

(١) قبل البيت :

إن امرأ القيس على عهدِهِ في إرثٍ ما كان أبوه حُجْرُ
وأول الشعر :

قد بكرت عاذلتى بمكرّة تزعمُ أنى بالصبا مُشْتَهَرِ

وإنما العيشُ برُبّانِهِ ، وأنت من أفنائه مقتفرِ

ومنها :

إن الفتى يُقترُ بعد الغنى ويفتنى من بعد ما يفترِ

والحى كالميت ويبقى التقي ، والعيشُ فنان : فخلو ومُرّ

قوله : وإنما العيش الخ : يريد أن عاذلتك قالت له قد شهرت بالصبا وأنت مسن به ؛ وإنما الصبا والعيش بأوله وجدته أزمان أنت من أفنائه أى من نواحيه واحدها فنن - مقتفر ؛ أى واجد ما طلبت ، يقال خرج فلان فى طلب إبله فاقتر آثارها ؛ أى وجد آثارها فاتبعها . وقوله مدت عليه الملك الخ ؛ أراد مدت كأس نوناة عليه أطناب الملك ، فذكر الملك ثم ذكر أطنابها ، وفى اللسان أبيات غير ما ذكرنا من هذا الشعر فانظرو

مَا لَمْ يَنْصَبِ الْحَبَائِلَ فِي الْأَرْضِ وَمَرَجَاهُ أَنْ يَصِيدَ الْهَلَالَ^(١)
إِنَّ دُونََ النَّبِيِّ عَلَى الدَّزْبِ وَالْأَخْدَبِ وَالنَّهْرِ مَخْلُطًا مِزْيَالًا^(٢)

كانت الحالة توجب هذه الشبهة قال ذلك . يقول : إن كل جيش يبعث إليك تغنمه وتأتي عليه لا محالة ، فهل يبعث الجيوش إليك لتأخذها وتكون عطاء لك ؟ أى ليس لإرسالها معنى إلا هذا . وهذا مثل قوله :

* وهادٍ إليه الجيش أهدى وما هدى *

(١) ما : استفهام تعجب مبتدأ ، والخبر : الظرف بعده ، والحبال : جمع حبال ، وهى الشرك ، ومرجاه : مصدر ميمي : أى ورجاؤه . والواو : واو الحال . يقول : ما لهذا الذى ينصب فى الأرض حباله ورجاؤه أن يصيد الهلال ؟ وهذا استفهام تعجب ، يتعجب من حماقة من يفعل هذا ، وهذا مثل يريد به امتناع سيف الدولة عليه وبعده من أن تتأله يد وأن من يبعث إليه الجيوش طمعا فى الظفر به كمن يروم صيد الهلال بحباله ينصبها فى الأرض .

(٢) الدرب : الدخلى إلى بلاد الروم ، ولكنه هنا موضع بعينه ، والأخدب : جبل قرب حصن الحدث ، والنهر : موضع قرب الحصن المذكور ، ويقال رجل مخلط مزيل ومخلط مزيل : يخالط الأمور ثم يزِيلها - أى يفارقها - إلى غيرها ، يوصف به الشجاع الداهية ، وقد وصفوا به الفرس إذا طلبت الحيل الفارة خالطها ، وإذا طلبته وجده مزِيالا لانحاقه ، قال أبو داود الأيادى :

مَخْلُطٌ مَزِيلٌ مَكْرُهُ مِفْرَةٌ أَجُولِيٌّ ذُو مِيعَةٍ إِضْرِيحٌ^(١)

ويريد بالتي على الدرب والأخدب والنهر : قلعة الحدث . يقول : إن دون الوصول إليها رجلا هذه صفته ، يعنى سيف الدولة ؛ وعبارة العكبرى : هذه القلعة دونها ودون الوصول إليها رجل مخلط مزيل كثير المخالطة للأمور يخالطها ثم يزِيلها يحمى حريمها ويقاتل الأعداء عنها ، أو دونها ملك مقتدر مزيل عن أطراف بلاد ، فهو يثق بما يحمىها من هيئته ، مخلط بالأعداء فيها عند قصدهم لها ، سريع لا يتوانى فى سطوته ، فهو وإن بعد أدنته منهم قوته . . .

(١) أجولى : من الجولان فى الحرب . والميعة : النشاط . والإضريح : الجواد الشديد العدو - الجرى -

غَضَبَ الدَّهْرَ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا، فَبَنَاهَا فِي وَجَنَةِ الدَّهْرِ خَالًا^(١)
 فَهِيَ تَمْشِي مَشَى الْعُرُوسِ اخْتِيَالًا^(٢)
 وَتَنْشَى عَلَى الزَّمَانِ دَلَالًا^(٣)
 وَحَمَاهَا بِكُلِّ مُطَرِّدٍ الْأَكْر^(٤) مُبِ جَوْرِ الزَّمَانِ وَالْأَوْجَالِ^(٥)
 وَظَلِي تَعْرِفُ الْحَرَامَ مِنَ الْحِلِّ لَقَدْ أَفْنَتِ الدِّمَاءَ حَلَالًا^(٦)

(١) يقال غصبه على كذا أى قهره عليه . وخالا : حال : أى شبيهة بالخال . يقول إنه استنقذها من أيدى الدهر والملوك وبنهاها ، فكانت خالا فى وجنة الدهر ، فكان الدهر تزين بها كما يزين الوجه بالخال . وقال الواحدى : يجوز أن يريد الشهرة كشهرة الخال فى الوجه ويجوز أن يريد ثبوتها ورسوخها ، فيكون كقول مزرد بن ضرار أخى الشاعر :
 فمن أزمه منها بسهم يُلحُح به كشامة وجه ليس للشام غاسل
 وعبارة العكبرى يقول إنه بناها فى وجه الدهر كالخال الذى يزين به الوجه مع مخالفته للونه ويمحسه مع ما ثبت فيه من حسنه ؛ يعنى أن هذه المدينة قد جل قدرها فكان الدهر زين بها وجهه ووسم برفعها نفسه ، وهى استعارة حسنة .

(٢) اختيالا ودلالا : حالان أو مفعول لهما ، والاختيال : الزهو ، والتكبر وتنشى : محذف إحدى التائين - أى تنشى . والدلال : الشكل والفتج من دلال المرأة : أى تدللها على زوجها ، وذلك أن تزيه جراءة عليه فى تنفج وتشكل كأنها تخالفه ، وليس بها خلاف ؛ لما شبهها بالعرس - لحسنها - جعلها تمشى اختيالا وتنشى دلالا . يقول : لو كانت هذه القلعة تمشى لا ختالت فى مشيها عزة وتكبرا ولتدلت على الزمان ، إذ لم يقدر الزمان على إصابتها بسوء والمراد أنها فى عز ونعيم بسيف الدولة .

(٣) المطرد : المتصل الذى لا عوج فيه . والأكعب : العقد التى تكون بين أنابيب الرمح . والأوجال : المخاوف ، جمع وجل ، وهو الخوف والفرع يقول : ذاد العدو عنها بالرماح فخاها بذلك من ظلم الزمان ومخاوفه .

(٤) وظي ؛ عطف على كل - فى البيت السابق - والظبي ؛ جمع ظبة ، طرف السيف وطرف السهم ، قال بشامة النهشلى :

إذا الكأمة تنحوا أن ينالهم حدُّ الظبابة وصلناها بأيدينا

وأصل الظبة ؛ ظبو - بوزن صرد - فحذفت الواو وعوض منها الماء ، بالجمع ظبابة وظبون . يقول ؛ وحماها بسيف لا يقتل بها إلا من حل دمه . يعنى الهجوم

فِي خَمِيسٍ مِنَ الْأَسْوَدِ يَبِئْسَ يَفْتَرِسُنَ النَّفُوسَ وَالْأَمْوَالَ^(١)
 إِنَّمَا أَنْفُسُ الْأَنْبِيسِ سِبَاعٌ يَتَفَارِسُنَ جَهْرَةً وَأَغْتِيَالًا^(٢)
 مَنْ أَطَاقَ التَّمَّاسَ شَيْءٌ غَلَابًا ، وَأَغْتَصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُوءًا^(٣)
 كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْفَضَنْفَرُ الرَّثْبَالًا^(٤)

* * *

وأشباههم من للعادين ، ونسبة التميز بين الحرام والحلال إلى السيوف مجاز ، إذ الذي يميز بينهما في الحقيقة هم أصحاب السيوف . وقال ابن جني ؛ هذا مثل ضربه ؛ أي سيوفه معودة الضرب ، فهي تعرف - بالدربة - الحلال من الحرام ، وقد رد عليه ابن فورجة قال : العادة والدربة ليستأما يعرف به الحلال والحرام من الناس ، فكيف فيما لا يعقل ؟ وإنما يعنى المتنبي أن سيف الدولة غاز للروم فلا يقتل إلا كافراً قد حل دمه فنسب ذلك إلى سيوفه .

(١) الخميس : الجيش العظيم ، سمى بذلك قيل لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والليعة والميسرة والساق ، وقيل لأنه يخمس ما يجمد : أى يأخذه . والبئس : الشديد ذو البأس . وقوله والأموال : أى وينتهن الأموال ، فهو من باب * علقها تبناً وماءً بارداً * كما تقدم ، ولما جعل الخميس من الأسود قال يفترسن ، دون يفترس .

(٢) أراد بالأنيس - الذى معناه الموانس - الأنس ، خلاف الوحش ، ويتفارسن : يتقاتلن ، والاغتيال : القتل بالحديعة أو أخذ الإنسان من حيث لا يدرى ، جعل الناس كالسباع - وهى الحيوانات المفترسة - لوجود الاقتراس منهم فى الحالين ، مجاهرين ومغتالين ، والبيتان التاليان تأكيد لهذا .

(٣) غلاباً : مغالبة . والاعتصاب : الأخذ بالقهر . يقول : من أمكنه أن ينال من الناس شيئاً غلبة وقهراً لم يتكلف أن يناله بذل السؤال ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكم : الغلبة طبع الحياة ؛ والسألة طبع الموت ، والنفس لا تحب الموت فلذلك تحب أخذ الشيء بالغلبة .

(٤) غاد - فى الأصل - ذاهب غدوة ، والمراد هنا : مطلق الذهاب ، أى وقت كان فى الفضنفر والربال : من أسماء الأسيد ، وجعل الربال وصفا للفضنفر مبالغة كأنه قال : الأسد الشديد : يقول : كل غاد منهم لحاجته يود لو أنه أشد بأساً وقوة ليتناول ما يريد من يأسه وأيده . قال العكبرى : يشير بهذا إلى أن الروم لم يفروا من بين يدي سيف الدولة أنفاً ومكارهه وإنما كان فرارهم فرقا ومحاذرة ، لأن طبائع البشر أن يستعملوا فيما يطلبونه غاية قوتهم ، وأن يتناولوا ذلك بأبلغ قدرتهم .

وأنفذ إليه سيف الدولة ابنه من حلب إلى الكوفة ومعه هدية ، وكان ذلك بعد خروجه من مصر ومفارقه كافوراً ، فقال : يمدحه ، وكتب بها إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة :

مَالَنَا كُلُّنَا جَوِيٌّ يَا رَسُولُ أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ لَلتَّبُولِ^(١)
كُلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثَتْ إِلَيْهَا غَارَ مِنِّي وَخَانَ فِيمَا يَقُولِ^(٢)
أَفْسَدَتْ بَيْنَنَا الْأَمَانَاتِ عَيْنًا
هَآ ، وَخَانَتْ قُلُوبُهُنَّ الْعُقُولِ^(٣)
تَشْتَكِي مَا اشْتَكَيْتُ مِنَ أَلَمِ الشَّوِّ
قِ إِلَيْهَا وَالشَّوْقُ حَيْثُ النَّحْوِلِ^(٤)

(١) كلنا جو : مبتدأ وخبر ، والجملة حالية ، والجوى : الذى أصابه الجوى ، وهو الحرق في القلب من حزن أو عشق . وللتبول . الذى هيمه الحب وأفسده وأسقمه ؛ يهتم رسوله الذى أرسله إلى الحببية بشاركته إياه في حبا . يقول : مالنا أيها الرسول كلانا جو مجها فأنا الوامق العاشق ، وأنت الرسول قد ملك عليك الحب قلبك ، فما لك تشبهني فيما ألقاه وأقاسيه ؟

(٢) يقول : كلما عاد إلى الرسول من عندها غار منى عليها لأنه رأى حسنها وافتتن مجها . فحمله ذلك على الغيرة وخان فيما يؤدي من الرسالة إلى منها وإلها منى (٣) الضمير في قلوبهن : يعود إلى العقول ، أى وخانت العقول قلوبهن ، أضمر قبل الذكر ، كما تقول لبس ثوبه زيد ، يقول : أفسدت على عينها بسحرها أمانة الرسول حتى ترك الأمانة في الرسالة حبا لها وحتى خانت العقول قلوبها : أى فارقت العقول القلوب بسببها قال الواحدى : ومعنى خيانة العقول أنها لا تصور للقلوب وجوب حفظ الأمانة لأن الرسول إذا نظر إليها غلبه هواها على الأمانة وغلب عقله ، وهذا كقوله : وما هي إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت في قلبه رحل العقل

(٤) قوله من ألم الشوق : يروى من طرب الشوق ؛ والطرب : خفة تحدث عند الفرح والحزن ، يقول : إن الحببية تشكو من الشوق إلى مثل ما أشكوا إليها ، ثم كفى عن تكذيبها في تلك الشكوى فقال : والشوق حيث النحول ، يعنى أن للشوق دليلا من النحول ، فمن لم يكن ناحلا لم يكن مشتاقا ، يعنى أن نحولى يدل على شوق ، أما أنت فلا نحول ، وبالحرى : لا شوق ، وقال ابن الأثير : «تشتكى» للرسول ، يقول

وَإِذَا خَامَرَ أَلْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ ، قَلْبَهُ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلٌ^(١)
زَوَّدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ مَا دَا

مَ فَحُسْنُ الْوُجُوهِ حَالٌ تَحْوِلُ^(٢)

وَصَلِينَا نَصْلَكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلٌ^(٣)

لرسوله - وهو يعاتبه أنت تظهر من شكوى الحب ما أظهره ، وليس كذلك ، وإنما الشوق على حقيقته النحول ، قال بعض الشراح : والأظهر على هذا التفسير أن الاشتكاء هنا بمعنى التألم والتوجع دون الإظهار لأنه لا يتصور من الرسول أن ييوح له بهواها : أى أرى بك من الشوق إليها مثل ماى لأنك نازل والنحول يدل على الشوق ، وهذا كالإثبات لما يتهمة به من حبها ، هذا وقوله «حيث النحول» فالنحول مبتدأ ، خبره محذوف ، تقديره موجود ، لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل

(١) خامر : خالط ولابس ؛ والصب : العاشق ؛ والبيت : تأكيد للبيت السابق : أى كل من يراه يستدل برؤيته على أنه عاشق ، وعبرة العكبرى : إذا خالط قلب محب هوى من محبه فملكه واستولى عليه وغلبه فما يظهر من تغير حاله ، وتبين من تشتت باله ، دليل لكل عين على ما يضره ، وغبر على ما يحبه ويستره

(٢) ما دام ههنا تامة بمعنى ما ثبت ، وتحول تغير وتبدل ، أى زودينا من حسن وجهك غير معرضة ، ومتعينا بالنظر إليه غير مخيبة ، فحسن الوجوه حال تذهب وتحول ويتبدل جمالها ويزل ، لأن الشبيهة يتلوها الكبر ، والاقبال يعقبه التغير والمهرم (٣) نصلك : جواب الأمر ؛ والمقام : مصدر ميمي بمعنى الإقامة ، وقالوا المقام - بالضم والفتح - كل واحد منهما قد يكون بمعنى موضع القيام ، لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح ، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم ، فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم النيم لأنه مشبه بينات الأربع نحو دحرج ، وهذا مدحرجنا وقوله تعالى « لا مقام لكم » أى لا موضع لكم ؛ وقرئ « لا مقام لكم » - بالضم - أى لا إقامة لكم « وحسنت مستقرا ومقاما » : أى موضعا ، وقول لبيد :

عَفَّتِ الدِّيَارُ تَحْلَهَا فَمَقَامُهَا بَمَنْ تَأْبَدَ غَوُّهَا فَرِجَاهُ^(١)

(١) محلها : أى ماحل فيه لأيام معدودة ؛ ومقامها : ما طالت الإقامة به ، و« منى » هنا موضع غير « منى » الحرم ، وتأبد توحش ؛ والقول والرجام جبلان ، والضبير فيهما : للديار .

مَنْ رَأَاهَا بَعَيْنِيهَا شَاقَهُ الْقَطَا نُ فِيهَا كَمَا تَشُوقُ الْحُمُولُ^(١)
إِنْ تَرَيْنِي أُدِمْتُ بَعْدَ بَيَاضٍ فَحَمِيدٌ مِّنَ الْقَنَاءِ الذُّبُولُ^(٢)

يعنى الإقامة ، وقوله عز وجل «كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم» قيل المقام الكريم : هو المنبر ، وقيل المنزلة الحسنة ،

(١) بعينها : أى بعين الدنيا ؛ والقطان : السكان المقيمون ؛ والحول المرتحلون المتحملون ، يقول : من نظر إلى الدنيا بالعين التى ينبئ أن ينظر بها إلهارق للباقيين لقلة مقامهم ووشك فراقهم رفته للماضين الفانين ، أى من عرف الدنيا حق معرفتها يتيقن أن أهلها راحلون - لا عمالة - فلم يجد بين المقيم والراحل فرقا ، فهذا يشوقه : أى يستدعى رفته ، وهذا يشوقه لأن الرحيل قد شملها ، وقد كفى عن الرقة بالشوق لأن الشوق رقة القلب ، وعبرة بعض الشراح : إن المقيم فى الدنيا على وشك تخلّيها والرحيل عنها ، فمن رآها بعينها أى من صور نفسه فى مكانها ورأى أهلها على أهبة فراقها : شاقه النظر إليهم ، كما يشوقه النظر إلى حمول الراحلين ، وقد فسرنا الحول بالمحمّلين الراحلين ، ولكن الحول فى الأصل : الإبل عليها الهوداج والانتقال ، وهى أيضا الهوداج ، كان فيها النساء أو لم تكن ، وتطلق الحول أيضا على النساء المتحملات كقول معمر :

أَمِنْ آلِ شَتَاءِ الْحُمُولُ الْبَوَاكِرُ مَعَ الصُّبْحِ قَدْ زَالَتْ بَيْنَ الْأَبَاغِرِ
وإذا أبقيت الحول على معنى الإبل عليها الهوداج ، أو الهوداج ، كان الكلام على حذف مضاف : أى ذوو الحول .

(٢) آدم : شحب لونه وتغير ونزع إلى السواد ظاهره ، من الأدمة ، وهى السمرة ويقال آدم وأدم بكسر الدال وضما . والقناة : عود الرمح : والذبول اليبس والدقة . يقول : إن غيرت الأسفار وجهى حتى صرت آدم بعد يياض الوجه ، فليس ذلك بعاد فى ، كما أن الذبول وإن كان مذموما فى غير القناة فإنه محمود فيها ، لأنه آية صلاحها كما قال أبو تمام :

لَأَنْتَ مَهْزَنَةٌ فَعَزَّ وَإِنَّمَا يَشْتَدُّ رَأْسُ الرُّمَحِ حِينَ يَلْبِثُ

وعبرة بعض الشراح : يمدح نفسه بقلة الفكرة فى تغير لونه بعد يياضه ونضرتة : أى تغيرت بعد حسن وشبية وذلك لما عاينته من الأسفار وتقلبت فيه من الأحوال ، وأنا فى ذلك مثل الرمح الذى تعرب سمرته عن عتقه ، وتدل ذبولته على صلاحته وصدقه .

صَحِبْتَنِي عَلَى الْفَلَائِ فِتَاةٌ عَادَةُ الْأَوْنِ عِنْدَهَا التَّبْدِيلُ^(١)
 سَتَرْتُكَ الْحِجَالَ عَنْهَا وَلَكِنْ بِكَ مِنْهَا مِنَ اللَّمَى تَقْبِيلُ^(٢)
 مِثْلُهَا أَنْتِ لَوْحَتْنِي وَأَسْقَمْتِ وَزَادَتْ أَبْهَأُ كَمَا الْمُعْطَبُولُ^(٣)
 نَحْنُ أَذْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدٍ أَفْصِيْرُ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُولُ^(٤)

(١) أراد بالفتاة : الشمس ، وجعل الشمس فتاة لأن طلوها يتجدد ، فهي بكر كل يوم ، أو لأن الدهر لا يؤثر فيها ، كبرا ، والشمس من عاداتها أن تبدل بضوئها الألوان فتحيل البياض إلى سواد . يقول : صحبتني على الفلاة التي قطعها في سيري والأسباب التي عاينتها وتشمستها فتاة لا يهرم شخصها ولا ينتقص حسننها ، عاداتها في الألوان أن تبدلها وتقلها إلى الأدمة - السمرة - وتغيرها . هذا : وجعلهم الشمس فتاة كما يقال للدهر : الأزم الجذع ، يريدون أن الدهر باق على حاله لا يتغير على طول إناء فهو أبداً جذع لا يسن ،

(٢) الحجال : جمع حجلة ، وهي الستر وبيت العروس . واللمى : سمرة في الشفة . يقول : - لمحبوبته - سترتك الحجال عن هذه الفتاة - الشمس - التي غيرت لوني : لأنك في كني عنها لا يصيبك حرها ، ولكن بك منها تقبيل لما في شفئك من الأدمة - السمرة - كأنها قبلتك فأورثتك هذا اللمي الذي في شفئك . وبعبارة أخرى : أنت محجوبة عن الشمس بالستور فلا يصيبك شعاعها إلا أن في شفئك سواداً من قبيل السواد الذي تحدثه حتى لكانها قبلتك فأك فأكثرت في موضع التقبيل .

(٣) مثلها : خبر مقدم ؛ وأنت : مبتدأ مؤخر ؛ ولوحتني : غيرت لوني ؛ وأسقمت أراد وأسقمتني ؛ وأبها كما : من البهاء وهو الحسن . والمعطبول : الطويلة العنق التامة الجسم ؛ والمعطبول : بيان لـ « أبها كما » . يقول : أنت مثل الشمس في تغير جسمي فهي لوحتني وسقمتني وغيرت لوني وأنت أسقمت جسمي ، وزادت تأثيراً في أبها كما التي هي المعطبول ، وهي أنت . وبعبارة بعض الشراح : أنت مماثلة لها بحسبك وغير بعيدة منها في فعلك ، وكلا كما له في جسمي فعل غيره وتأثير بدله ؛ فالشمس لوحتني وأنت أسقمتني وأذهبت نضرتي وأعطلته ، وزدت أنت في قوة التأثير ، وأفرطت فيما أوجبته من التغيير . وهذا إشارة إلى أن محبوبته زيادتها على الشمس في حسننها زادت عليها في فعلها .

(٤) يقول : كننا أعلم بمقدار الطريق ولكننا سألنا تمللاً بذكر الطريق

وَكَثِيرٌ مِّنَ السُّؤَالِ أَشْدِيْقٌ وَكَثِيرٌ مِّن رَّدِهِ تَفْلِيلٌ^(١)
لَّا أَفْمَنًا عَلَى مَكَانٍ وَإِنْ طَا
بَ وَلَا يُمَكِّنُ الْمَكَانَ الرَّحِيلُ^(٢)

إليه — كما قال في البيت التالي — فإن الإنسان إذا أحب شيئاً أكثر السؤال عنه وإن كان يعرفه ، كما قال بشر بن أبي خازم :

أَسْأَلُ صَاحِبِي وَلَقَدْ أَرَانِي بِصِيرًا بِالظُّعَامِ حَيْثُ صَارُوا
وَمَا قَالَ الْآخَرُ :

وَحَبَّرَنِي عَنْ مَجْلِسِ كَفْتِ زَيْنِهِ بِخَضَرَةٍ قَوْمٍ وَالْمَلَاءِ شُهُودُ
فَقُلْتُ لَهُ كَرَّ الْحَدِيثِ الَّذِي مَضَى وَذَكَرَكَ مِنْ كَرِّ الْحَدِيثِ أُرِيدُ
أَنَاشِدَهُ إِلَّا أَعَادَ حَدِيثَهُ كَأَنِّي بَطِئْتُ الْفَهْمَ حِينَ يُعِيدُ
ورواية ابن جني :

* أطويل طريقنا أم يطول *

يعنى أطويل طريقنا في الحقيقة أم يطول من الشوق ؟

(١) علله بالشئ : الهاء به ، يقول : إن كثيراً من السؤال يكون سببه الاشتياق ، وكثيراً من رد السؤال يكون تطييباً للسائل ، يريد أن الذي حملني على السؤال عن الطريق هو الاشتياق وترقب جواب أتعلم به عن طول الطرق .

(٢) لا أقمنا : معناه لم نقم ، كقوله تعالى « فلا صدق ولا صلى » . يقول : لم نقم في الطريق إليه بمكان وإن طاب ذلك للمكان لثلا يؤخرنا عن الوصول ، ثم قال : ولا يمكن المكان أن يرحل معنا لنتمتع بطييه . يريد لم نبال براحة ولا لذة حتى نصل إلى المكان الذي نقصده ، وإليك بعد هذا تعليقات سائر الشراح على هذا البيت ، قال ابن القطاع وقد دخل فيه كلام العكبري : المعنى لا نقيم على مكان وإن طاب ولا يمكن المكان الرحيل : أى لا نقيم ألبتة لأن المكان لا يرحل معنا فلا نقيم على مكان أبداً حتى نلقاه إلا أن يسير المكان معنا ، فكذلك نحن لا نقيم في مكان وإن طاب ، وقيل نفي النفي إثبات في كلام العرب ، فكأنه : قال : لا نقيم في مكان إلا أن يرحل معنا ، وهذا مثل قول الفرزدق :

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشْمِيُوا سَيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتِ^(١)
 قيل معناه لم يشموا سيوفهم إلا بعد أن كثرت القتلى ، وفي البيت معنى آخر ، وهو
 وهو على التقرير بأن تقرر صفة الشيء ، والمراد ضده ، فكأنه قال : لم يشموا ولم
 تكثر القتلى : أي كثرت جدا ، ومنه قول الشنفرى :

صَلَيْتُ مِنْهُ هُذَيْلٌ بِحَرَقٍ لَا يَمَلُ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوا^(٢)

معناه على مذهب التقرير لا يمل الشر وإن ملوه ، وقد جاء في الحديث « إن الله
 لا يمل حتى تملوا »^(٣) معناه لا يجازيكم جزاء اللئيم وإن ملتم ؛ وجاء في الحديث
 « وإن صهييا لو لم يخف الله لم يعصه »^(٤) معناه لو لم يخف : أي آمن ، فكأنه قيل لو آمن
 الله ما عصاه ، وفيه معنى آخر وهو أن نفي النفي إيجاب فيكون التقدير : إن صهييا لو آمن
 الله ما عصاه : أي لم يعصه ، وعلى مذهب التقرير : لو لم يخف الله ما عصاه : أي لم يعصه
 أبداً ، وفيه معنى آخر ، وهو أن « لو » في الكلام تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره
 فيكون المعنى : العصيان امتنع لأجل الخوف : أي لما خاف لم يعص ، والمعنى الأول
 وما بعده أبلغ من هذا ، لأن معناه لو آمن الله ما عصاه . ومعنى هذا الآخر أن العصيان
 امتنع من أجل الخوف .. وقال الواحدي : قوله « لا أقنأ » يجوز أن يكون على الدعاء
 كما تقول : لافض الله فاك ، وقال ابن جني : يجوز أن يكون على القسم : أي والله

(١) لم يشموا سيوفهم - هنا - لم يعمدوها ، قال ابن بري : الواو في قوله « ولم »
 واو الحال : أي لم يعمدوها ، والقتلى بها لم تكثر ، وإنما يعمدونها بعد أن تكثر القتلى بها .

(٢) الحرق ؛ النار وصلى بالنار : قاسى حرها : والمراد : لاقت منى شدة .

(٣) الحديث هو : « اكلفوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا »
 قيل معناه : إن الله لا يمل أبداً : ملتم أو لم تملوا ؛ جري مجرى قولهم حتى يشهب
 الغراب ويبيض الفارس ؛ وقيل معناه . إن الله لا يطرحكم حتى تتركوا العمل وترهضوا
 في الرغبة إليه ، فسمى الفطين ملأ وكلاهما ليس بملل كمادة العرب في وضع الفعل
 موضع الفعل إذا وافق معناه ، نحو قول عدي بن زيد :

نَمِ أَصْحَوَا لَعِبَ الدَّهْرُ بِهِمْ وَكَذَاكَ الدَّهْرُ يَوْدِي بِالرِّجَالِ

(٤) هو صهيب بن سنان : مولى عبد الله بن جدعان التيمي ، صحابي ، من أولاد
 النمر ابن قاسط .

كَلَّمَا رَحَّبْتَ بِنَا الرُّوضُ قُلْنَا حَلَبٌ قَصْدُنَا وَأَنْتِ السَّبِيلُ^(١)
فِيكَ مَرْعَى جِيَادِنَا وَالْمَطَايَا وَإِلَيْهَا وَجِيفُنَا وَالذَّمِيلُ^(٢)
وَالْمُسَمُونِ بِالْأَمِيرِ كَثِيرٌ وَالْأَمِيرُ الَّذِي بِهَا الْمَأْمُولُ
الَّذِي زُلْتُ عَنْهُ شَرْقًا وَغَرْبًا وَنَدَاهُ مُقَابِلِي مَا يَزُولُ^(٣)
وَمَعِيَ أَيْنَمَا سَلَكَتُ كَأَنِّي كُلُّ وَجْهِ لَهْ بَوَجْهِهِ كَفِيلُ^(٤)

لا أقنأ ، وقالا تعليقا على قوله « ولا يمكن المكان الرحيل » : أى لو أمكنه لا ارتحل
منا شوقا إليه : أى إلى سيف الدولة .

(١) يقول : كلما طاب لنا مكان كأنه يرحب بنا بما يبدى من حسنه وما يستميلنا به
من وروده وأزهاره ، فكأنه يدعونا للنزول به ، اعتذرنا إليه وقتلنا له
لا نقيم عندك ، لأن قصدنا حلب — مقام سيف الدولة — وأنت المر فلا تقدر أن
تقيم عندك وإن كنت طيبا ؛ ورحب به : قل له مرحبا ؛ والروض : جمع روضة ،
المكان فيه خضر .

(٢) الجياد : الخيل : والمطايا : الإبل . والضمير في « إليها » حلب . والوجيف :
ضرب من سير الخيل سريع ، والذميل : ضرب من سير الإبل . يقول — مخاطبا
الروض — : فيك مرعى مطايانا وبك نستعين على ما نحاوله من سيرنا ، وإلى حلب
نوجف مسرعين ؛ وإليها نبادر غير متوقفين :

(٣) زلت عنه : فارقت . يقول : الذى سافرت عنه شرقا وغربا ولم يفارقني عطاؤه
فهو مقابلي حينما كنت ، وإنما قال هذا لأن سيف الدولة أنفذ إليه هدية عند وروده
للعراق — كما تقدم — وهذا مثل قوله فيه :

وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسَانِهِ حَسَدًا لَهُ تَلْقَاهُ مِنْهُ حَيْثَا سَارَ نَائِلُ

(٤) الوجه : ما توجهت إليه ، والضمير في « له » لندى . والكفيل : الضامن .

جعل إهلاكه إياهم لعبا ؛ وقيل معناه . إن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا
سؤاله ، فسمى قبل الله ملاطى طريق الازدواج في الكلام ، كقوله تعالى « وجزاء
سيئة سيئة مثلها » وقوله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » وهو باب واسع في العربية
كثير في القرآن .

وَإِذَا الْعَدْلُ فِي النَّدَا زَارَ مَتَمَّا فَعِدَاهُ الْعَدُولُ وَالْمَعْدُولُ^(١)
وَمَوَالٍ تَحِيَّهِمْ مِنْ يَدَيْهِ نَعَمٌ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ^(٢)
فَرَسٌ سَابِقٌ وَرُمَحٌ طَوِيلٌ وَدِلَاصٌ زُغْفٌ وَسَيْفٌ صَمِيلُ^(٣)

يقول : ونداء ممي في أى طريق سلكته ، فكان كل جهة من الأرض ضامنة لنداء في وجهي : أى أمامي ، وهذا فيمن يعدى « كفل » بنفسه ، فتكون السلام من « له » « للتقوية » والباء بمعنى في ؛ كذا يروى هذا البيت ؛ ولعل الرواية الصحيحة : به لوجهي أى كأن كل جهة كافلة لوجهي بقاء نداء . وقال الواحدى : يريد لزوم عطائه إياه وأنه لا يتوجه وجهها إلا واجهه جوده ، فكان كل طريق يتوجه إليه كفيل لنداء بوجهه ، وهذا محمول على القلب ؛ أراد كفيل لى بوجه نداء يرينيه ويأتينى به ، والقلب شائع في الكلام كثير في الشعر . يقول : كل وجه توجهته كفيل لى بوجه نداء ويصح المعنى من غير حمل اللفظ على القلب ، وذلك أن من واجهك فقد واجهته ، ومن استقبلك فقد استقبلته ، والأفعال المشتركة فيها يستوى المعنى في إسنادها إلى الفاعل وإلى المفعول ، كما تقول لقيت زيدا ، ولقينى زيد ، وأصبت مالا ، وأصابنى مال ؛ وإذا كان للندى كفيل بوجهه كان لوجهه كفيل بالندى . وقال ابن الأفلح : يقول : كل وجهة أقصدها تتكفل بى لسيف الدولة مزعجة لى إليه وتضمننى له بكثرة الحض عليه .

(١) العدل : اللوم . يريد أنه لا يسمع العدل على الجود ، أما غيره فإنه يسمع : يقول إذا عدل جواد على الجود فسمع ذلك ووعاه فعداه هذا المدوح الأجواد والعاذلون . وقال ابن فورجه : يريد فداؤك كل من عدل في جوده فسمعه أو رده لأنك فوقه جوداً . وعبارة بعض الشراح : أى فداء كل عاذل ، لأنه مردود عنده ، وكل معذول ؛ لأنه فوقه في الجود .

(٢) وموال : عطف على العدول ؛ والموالى : العبيد ، والأولياء . يقول ؛ وفدته موال حياتهم من إنعامه عليهم ، وغيرهم مقتول بذلك الإنعام ، لأن مواله يستخدمون نعمه في قتل أعدائه ، وقد بين تلك النعم في البيت التالى ؛ وعبارة العكبرى : وفداء موال شملتهم مكارمه وأحيتهم مواهبه ، ومن جملة تلك المواهب ما غيرهم من أعاديهم مقتول بها ، يريد أنه يسلبها من الأعداء ويعطيها الأولياء ؛ فالموالى : الأولياء . وقال ابن جنى : الموالى ههنا العبيد ؛ أى ينعم على العبيد وغيرهم بتلك النعم مقتول حسداً .

(٣) فرس سابق : بدل من نعم ؛ ويروى « سابع » بدل « سابق » ؛ والسابع : السريع الجرى كأنه يسبح . والدلاص : الدرع البراقة للمساء . والزغف : اللينة

كَلَمَّا صَبَحَتْ دِيَارَ عَدُوِّهِ
 قَالَ تِلْكَ الْغُيُوثُ هَذِي السُّيُولُ^(١)
 دَهَمَتْهُ تَطَايِيرُ الزَّرْدِ الْمُحْكَمِ عَنْهُ كَمَا يَطْمِيرُ النَّسِيلُ^(٢)
 تَقْنِصُ الْخَيْلَ خَيْلَهُ قَنْصَ الْوَحْشِ وَيَسْتَأْسِرُ الْخَمِيسَ الرَّعِيلُ^(٣)
 وَإِذَا الْحَرْبُ أَغْرَضَتْ زَعَمَ الْهَوِ
 لُ لِعَيْنَيْهِ أَنَّهُ تَهْوِيلُ^(٤)

الحكمة النسيج : يقول : إنه يعطى عبيده هذه الأشياء فتصير عوناً لهم على قتل أعدائه قال العسكري : فهو معنى قوله : غيرهم بها مقتول : فين ما يهبه بأنه من الخيل والسلاح مما يؤذن للذي يهبه له بمقارعة الأعداء ؛ والتوطين على الصبر عند اللقاء .

(١) صبحت : جاءت صباحاً ؛ وفاعل قال : تلك ؛ والغوث : الأمطار ؛ وهذه السيول : مبتدأ وخبر ؛ والجملة : مقول القول ؛ أى كلما صبحت مواله ديار عدو فصبت عليهم الغارة قالت غيوث مواهبه : هذه سيولنا ، شبه مواهبه المذكورة بالمطر ، والغارة بها على العدو بالسيل الذى يكون عن المطر ؛ وقال الواحدى : أى كلما أتت مواله ديار عدو صباحاً للغارة ، قال العدو تلك التى رأيناها قبل ، كانت بالإضافة إلى هؤلاء غيونا بالإضافة إلى السيول ؛ يريد كثرة مواله . وقال ابن جني : هذا مثل ، وعنى بالغوث سيف الدولة ؛ وبالسيول : مواله ، وذلك أن السيل يكون عن الغيث ، وكذلك مواله به قدروا وعزوا .

(٢) دهمته : فاجأته ، والهاء : للعدو . والزرد : حلق الدرع ؛ والمحكم : الوثق الصنعة . والنسيل ما يتساقط من ريش الطير ووبر البعير وغيره . وغيره . يقول : فاجأت الموالى العدو بقوة من الضرب تهتك الدرع فيتطاير زردها كما يطير الريش إذا سقط من الطير .

(٣) قنص الوحش : مفعول مطلق ، ويستأسر : يأسر ، والخميس : الجيش العظيم من خمس فرق القلب والجناحين والمقدمة والساقة . والرعي : القطعة من الخيل بين العشرين والثلاثين ، يقول : إن خيله تصيد خيل العدو كما تصيد الوحش ؛ والقتيل من جيشه يأسر الجيش الكثير . يشير إلى أنه سعيد موفق وأن توفيقه كثير له بذلك .

(٤) أعرضت : ظهرت وقامت . والحرب : فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور

وَإِذَا صَحَّ فَالزَّمانُ صَحِيحٌ وَإِذَا أَعْتَلَّ فَالزَّمانُ عَلِيلٌ^(١)
وَإِذَا غَابَ وَجْهُهُ عَنْ مَكَانٍ قَبِيهِ مِنْ ثَنَاهُ وَجْهُ جَمِيلٍ^(٢)
لَيْسَ إِلَّاكَ يَا عَلِيُّ هَامٌ سَيْفُهُ دُونَ عِرْضِهِ مُسْلُولٌ^(٣)
كَيْفَ لَا يَأْمَنُ الْعِرَاقُ وَمِصْرُ وَسَرَائِكَ دُونَهَا وَأَنْخِيلُ^(٤)
لَوْ تَحَرَّفَتْ عَنْ طَرِيقِ الْأَعَادِي رَبَطَ السِّدْرُ خَيْلَهُمْ وَالنَّخِيلُ^(٥)

بعده ؛ والهلول : الفرع ؛ والتهويل : التفريع ؛ والضمير في أنه : للهلول . يقول : إذا قامت الحرب وظهرت لم تهله ؛ وزعم الهول لعينه أنه تهويل لا حقيقة له ، يعني أنه لا يفزعه شيء يراه ، فكأن الهول يقول له : لا يهولك ما ترى ، وذلك أن التهويل يكون بالكلام ؛ وبعبارة أخرى : إذا قامت الحرب لم يبال بها يرى من أهوالها ، فكأن الهول يظهر لعينه في صورة التهويل ؛ يعني أنه يستخف بالهول ويقدم عليه كأنه تهويل لا حقيقة له . ويروى بدل « أنه » أنها ، فيكون الضمير للحرب :

(١) يقول : هو الزمان فصحته صحة الزمان وكذلك علته ؛ يريد أن الزمان تابع لحاله ، صائر إلى مثل مآله . وهذا كما يروى عن معاوية أنه قال : نحن الزمان فمن رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع . وروى أنه سمع رجلا يذم الزمان ، فقال : لو يعلم ما يقول لضربت عنقه ، إن الزمان هو السلطان :

(٢) ثناه : يروى ثاه ؛ والثنا : الخبر ، وهو ما ينفي — أى ينثر — من حديث ، وهو بمعنى الثناء ، يقول : بكل مكان يسمع له خبر جميل ، وبعبارة العكبرى ؛ إذا غاب عن مكان وجهه وانتقل إلى غيره شخصه ، ففي المكان الذي يفارقه من طيب خبره وكرم أثره وجه جميل لا يعدم ، وذكر كريم لا يفقد :

(٣) الهمام : الملك العظيم : يقول : ليس أحد من الملوك بقي عرضه بسيفه غيرك : أى أمت الشجاع دونهم ، هذا : وكان الأجود أن يقول إلا إياك ، ولكنه أتى بالضمير للتصل في موضع المنفصل وهو جائز في ضرورة الشعر :

(٤) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش مابين خمس وتسعين إلى ثلاثمائة ، وقوله ودونها : أى دون بلاد العراق وبلاد مصر ، يقول : كيف لا تأمن ديار المسلمين وأنت في وجه الروم تدفعهم عنها بجيوشك وخيولك ، ولولاك لا ستميجت تلك الديار :

(٥) تحرّفت : انحرفت وملت ، والسدر : شجر النبق ، يقول : لو ملت عن

وَدَرَى مَنْ أَعَزَّهُ الدَّفْعُ عَنْهُ فِيهِمَا أَنَّهُ الْحَقِيرُ الدَّلِيلُ^(١)
 أَنْتَ طُولَ الْحَيَاةِ لِلرُّومِ غَايَ فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقُنُوقُلُ^(٢)
 وَسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ قَتَلَى أَىَّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ^(٣)
 قَمَدَ النَّاسِ كُلَّهُمْ عَنْ مَسَاعِيكَ وَقَامَتْ بِهَا الْقَنَا وَالنُّصُولُ^(٤)

طريق الروم لساووا فأو غلوا في ديار العرب دون أن يقف في طريقهم أحد حتى ربطون خيولهم بالسدر والنخيل التي بالعراق ومصر ؛ يعنى : لولا ذودك عن هذه الممالك للمكنتها الأعداء ، يريد بهذا : الغض عن العراق ومصر من الملوك والرفع من شأن سيف الدولة ، هذا : وقد أسند الفعل للسدر والنخيل توسعاً ، لأنها هي المسكة إذا ربطت الخيل إليها ، فكأنها ربطتها ، وهذا كما تقول أحلى بلد كذا : أى حلت فيه ؛ وعبرة ابن جنى : هو من باب القلب كقولك ساءنى أمر كذا أى وقع السوء فيه ، وفيه معنى آخر وهو أنه وصف سيف الدولة بالسعادة حتى لو تحرف عن طرق من يعاديه لربط السدر والنخيل خيولهم كقول الآخر :

تَرَكَوا جَارِمَ يَأْكُلُهُ ضَبَّعُ الْوَادَى وَيَرْمِيهِ الشَّجَرُ

(١) درى : عطف على ربط ؛ وفيهما : أى في العراق ومصر ، يقول : ولو تحرفت عن طريق الأعداء لعلم من أعزّه دفعك عنه من ملوك العراق ومصر - يعنى كافوراً وآل بويه - أنه حقير ذليل بغلبة العدو إياه ، فلولاك لأتاه العدو فرأى نفسه حقيراً ذليلاً :

(٢) أن يكون : أى بأن يكون - أى يحصل - القنوقل ، أى الرجوع ؛ فد «يكون» : تامة يشير إلى أن غزواته لا تنقطع

(٣) سوى : استثناء مقدم ؛ وخلف ظهره روم : مبتدأ وخبر ، أى أن خلف ظهره روما سوى الروم - يريد آل بويه - أى أن هناك أعداء لك كالروم ، فليس أعداؤك الروم حسب ، وإنما أعداؤك كثير فأبهم تقاتل ؟

(٤) المساعى : جمع مسعاة ، المكreme والمعلقة فى أنواع المجد والجود والقنا : الرماح والنصول : جمع نصل ، حد السيف ، يقول : لم يبلغ أحد من الملوك مساعيك التى قامت بها رماحك وسيوفك

مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشَّمُولُ^(١)
لَسْتُ أَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ جَوَادًا وَزَمَانِي بِأَنْ أَرَاكَ بِخَيْلٍ^(٢)
تَفْصِلُ الْبَعْدُ هُنَاكَ قُرْبَ الْعَطَايَا مَرَّتَيْنِ مَخْصِبٌ وَجَسَنِي هَزِيلٍ^(٣)
إِنْ تَبَوَّأْتُ غَيْرَ دُنْيَايَ دَارًا وَأَتَانِي نَيْلٌ فَأَنْتَ الْمُنِيلُ^(٤)
مِنْ عَبِيدِي إِنْ عِشْتُ لِي أَلْفُ كَافُو
رِي وَلِي مِنْ نَدَاكَ رِيْفٌ وَنَيْلٌ^(٥)
مَا أَبَالِي إِذَا انْقَطَعَتِ الرَّزَايَا مِنْ دَهْنَتِهِ حُبُولُهَا وَأَحْبُولُ^(٦)

(١) المنايا : جمع منية ، وهى الموت . والشمول : الحمر ، يقول : إن غيره من الملوك يشغلون باللهو وشرب الخمر . أما هو فشغله الشاغل الحرب .

(٢) وزمانى الخ : حال . وبأن أراك : متعلق بـ «خيل» . يقول : لا أَرْضَى بِأَنْ يَصِلَ إِلَى عَطَاؤِكَ وَأَنَا بَعِيدُ عَنْكَ لَا أَرَاكَ .

(٣) المرتع ؛ المرعى ؛ والتنقيص : التسكير ؛ والهزِيل : ضد السمين ، يقول : أَنَا فِي قُرْبِ عَطَائِكَ مِنِّي وَبَعْدِي عَنْكَ كَمَنْ يَرْتَعُ فِي مَكَانٍ مَخْصِبٍ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَهْزُولٌ : أَيْ لَسْتُ أَهْنَأُ بِعَطَائِكَ مَعَ الْبَعْدِ عَنْ لِقَائِكَ :

(٤) تبوأ المسكن ، نزل به ، والنيل : العطاء ؛ والمنيل : المعطى . يقول : إن عطاياه تتبعه حيثما سار . فلو هو اتخذ دارا غير الدنيا ووصلت إليه عطية لكان سيف الدولة هو معطيها

(٥) يقول : إِذَا عِشْتُ وَبَقِيتُ حَيًّا كَانَ لِي مِنَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ تَهْتَمُّ لِي أَلْفُ عَبْدٍ مِثْلُ كَلُورِ الَّذِي رَغِبْتَ عَنْهُ وَاحْتَوَيْتَ الْبَقَاءَ فِي جَمَلَتِهِ ، وَكَانَ لِي مِنْ نَدَاكَ وَجُودِكَ عَوْضٌ مِنْ رِيْفِ مِصْرٍ وَنَهْلِهَا الَّذِينَ بِهِمَا شَرَفَ بِلَدِهِ وَفِيهِمَا بَسَطَتْ يَدَهُ

(٦) انقطعت : اجتبتك ؛ والرزايا ، جمع رزية ، وهى المصيبة ؛ والحبول : الدواهي ، جمع حبل - بكسر الحاء - أنشد المفضل :

وقال في صباه وقد قيل له وهو في المكتب ما أحسن هذه الوفرة :

لَا تَحْسُنُ الْوَفْرَةَ حَتَّى تَرَى مَنَشُورَةَ الضَّفَرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ^(١)
عَلَى فَتَى مُعْتَمِلٍ صَعْدَةً يَعْلَمُهَا مِنْ كُلِّ وَاقٍ السَّبَّالِ^(٢)

* * *

فَيَا عَجَبًا لِلْخَوْدِ تُبْدِي قِنَاعَهَا تَرَأَى بِالْعَيْنِينَ لِلرَّجُلِ الْحَبْلِ^(١)
وقال الأخطل :

وكنت سليم القلب حتى أصابني من اللامعات المبرقات حُبُول
وقال كثير :

فلا تعجلي يا عَزَّ أَنْ تفهمي بنصح أتى الواشون أم بحُبُول
والحبول : جمع خبل ، مصدر خبله : إذا أفسد من أعضائه أو عقله ، والخابل :
الشیطان ؛ والخابل : للفسد ؛ والخابلان : الليل والنهار لأنهما لا يأتیان على أحد إلا
خبلاه بهرم ؛ وفي الحديث « وبطانة لا تألوه خبالا » أى لا تقصر فى إفساد أمره ؛
وقالوا خبل خابل : يذهبون إلى البالغة ، قال :

نُدَافِعُ قَوْمًا مُفْضِينَ عَلَيْكُمْ فَعَلِمْتُ بِهِمْ خَبْلًا مِنَ الشَّرِّ خَابِلًا
يقول : إذا خطتلك الرزايا ولم تصبك الأقدار بسوء فلا أبالي من أصابته دواهيته
وآفاته ، لأن أملى إنما هو معقود بك .

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ؛ والضفر : الشد ، ويسمى ما يشد على
الرأس من الذوائب : الضفائر ، ومن سماها الضفر : فقد سمى بالمصدر .

يقول : إنما يحسن الشعر يوم القتال إذا نشرت ذوائبه ؛ يعنى بهذا أنه شجاع
صاحب حروب يستحسن شعره إذا انتشر على ظهره يوم القتال ، وكانوا يفعلون ذلك
تهويلا للعدو .

(٢) على فتى : متعلق بـ « منشورة » - فى البيت السابق - وهو عاب فى الشعر يسمى
التضمين . والصعدة : الرمح القصير ، يقال اعتقل الرمح وتنسكب القوس وتقلد السيف
إذا حمل كلا منها حمل مثلها : ومعنى يعلمها : يسقيها الدم مرة بعد أخرى ، ومن كل وافي

(١) يقال : رأأت بهينها : إذا أدارتها ، تعمر الرجل :

وقال في صباه :

مُحِبِّي قِيَامِي مَا لِذَا لِكُمُ النَّصْلِ بَرِيئًا مِّنَ الْجُرْحِ سَلِيمًا مِّنَ الْقَتْلِ ^(١)
أَرَى مِنْ فِرْنَدَى قِطْعَةً فِي فِرْنَدِهِ
وَجَوْدَةُ ضَرَبَ الْهَامِ فِي جَوْدَةِ الصَّقْلِ ^(٢)
وَحُضْرَةُ ثَوْبِ الْعَيْشِ فِي الْحُضْرَةِ الَّتِي
أَرْتِكَ أَحْمَرَارَ الْمَوْتِ فِي مَدْرَجِ النَّثْلِ ^(٣)

السبال : أى يعلها من كل رجل تام السبلة وهى ما استرسل من مقدم اللحية . يقول :
إنما يحسن شعرى إذا كنت على هذه الحالة .

(١) بريئاً وسلياً : حالان ؛ ومحبي قيامى ، منادى والنصل . السيف ، يقول : يامن
يحب مقامى وتركى الأسفار كيف أفيم ولم أرح بنصلى أعدائى . وقال الواحدى :
القيام هنا قيام إلى الشيء أو بالشئ . يقول : أيها المحبون قيامى إلى الحرب أو بالحرب
ما لنصلكم لا يقتل ولا يجرح وليس فيه آثار الضرب : أى لم لا تعينونى بالسيف إن
أحببتم قيامى ؟

(٢) فرندى : يروى بفتح الراء وكسرهما ، معرب معناه ، ما يستدل به على جودة
الحديد كالآثار والنقط ؛ والهام : الرؤوس ؛ والنصل ، السيف يقول ، أرى من قوتى
ونشاطى قطعة فى فرند هذا السيف : أى أن له حدة ومضاء كحدتى ومضائى ، ثم قال إن
جودة الضرب فى جودة الصقل ؛ أى إذا لم يكن السيف جيد الصقل لم يحد به الضرب ، وهذا
تمثيل يريد كثرة الأسفار وتمرسه بالخطوب وأنها تصقل الهمم وتورثها مضاء كالصقل للسيف
(٣) المراد بخضرة ثوب العيش : النعمة والحصب ، استعارة من خضرة النبات ،
والنبات إذا كان أخضر كان رطباً ناعماً . وقوله فى الخضرة الح : يعنى خضرة السيف ،
ويحمد من السيوف ما كان مشرباً خضرة ؛ قال الشاعر :

مُهَنْدٌ كَأَنَّمَا طَابِعُهُ أَشْرَبُهُ بِالْهِنْدِ مَاءُ الْهِنْدِ بَا ^(١)

وقال البحتري :

حَمَلَتْ حَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بِقَلَّةٍ مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَذُبْلِ

(١) ما - بفتح الدال - مقصور ، نبت معروف يؤكل

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِيَ بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي ^(١)
وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطَرَفِي وَذَائِلِي
نَكُنْ وَاحِدًا يَلْقَى الْوَرَى وَأَنْظُرَنْ فِئْلِي ^(٢)
* * *

واحمرار الموت : شدته ، يقال موت أحمر : أى شديد ، وأصله من القتل وسيلان الدم . ومدرج النمل : مدبه ، وهو حيث درج فيه بقوائمه فأثر فيه آثاراً دقيقة . جعل النصل مدرج النمل لما فيه من آثار الفرند . يقول : طيب العيش وهناؤه في السيف ، أى في استعماله والضرب به .

(١) الإماطة : الرفع والتنحية والإزالة ، ومنه إماطة الأذى عن الطريق ولعل الأقرب أن يكون مراده بقوله بما وكأنه : قول القائل ما أشبه بكذا وكأنه كذا . يقول : لا تشبهني بأحد ولا تقل كأنه فلان وما أشبه بفلان ، لأنه ليس فوقى أحد ولا مثلى أحد فتشبهني به ، وهناك أقوال أخرى للشرح في قوله « بما وكأنه » نورد منها أهمها : قال ابن القطائع : الصحيح من معنى هذا البيت أن « ما » نكرة بمعنى شيء موضوعة للعموم كأنه قال أمط عنك تشبيهي بشيء من الأشياء كما أنك تقول مررت بما معجب لك : أى بشيء معجب لك ؛ وقال أبو بكر الخوارزمي : « ما » ههنا اسم بمعنى الذى ، يقال لمن يشبه بالبحر : كأنه ماهو نصف الدنيا ، يعنون البحر ، لأن الدنيا بر وبحر ويقولون كأنه ما هو سراج الدنيا ، يعنون الشمس والقمر ، ولما كان لفظها في المشبه به ذكره للنهي مع كان . وقال ابن جني : إنه يعتبر كأن قائلاً قال بما يشبه فيقول الآخر : كأنه الأسد ، فقال هو معرضاً عن هذا القول : أمط عنك تشبيهي بما وكأنه ، فلما جاء بحرف التشبيه — أى كأن — ذكر « ما » .

(٢) وإياه : يعنى النصل ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والذابل : مالان واهتز من الرماح . وقوله « نكن » جواب الأمر . يقول : دعنى وهذا السيف وفرنقى ورعى حتى نجتمع فسكون فى رأى العين شخصاً واحداً يلقي الورى — أى يحاربهم — فانظر بعد ذلك إلى ما أفعله من قتل الأعداء ، قال ابن جني : وقد لاذ فى هذا البيت اللفظ ذى الرمة ، ومعناه فى قوله :

وليل كجلباب العروس أدرغته
أحم غدافى وأبيض صارم
بأربعة والشخص فى العين واحد
وأعيس مهري وأزوع مناجد

وقال في صباه يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسن الكلابي النبطي :
 حَيًّا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا وَالْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا^(١)
 وَالْوَجْدُ يَقْوَى كَمَا تَقْوَى النَّوَى أَبَدًا
 وَالصَّبْرُ يَنْحَلُ فِي جِسْمِي كَمَا نَحَلَا^(٢)
 وَلَا مُفَارَقَةَ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ
 لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلَا^(٣)

هذا : وقوله يلقي الوري : نعمت « واحدًا » ؛ وبروي نلق : مجزوما على البدل من نكن .

(١) أحيا : فعل التكميم ، وجملة « وأيسر » : حالية : يخبر عن نفسه بأنه حي باق ، مع أن أقل ما يقاسيه من شدائد الهوى قاتل . يقول أقل وأهون ما قاسيت قاتل وأنا مع ذلك أحيا ، والفراق جار على ضعفي حين فرق بيني وبين أحبي وكنت ضعيفا بمقاساة الهوى فلم يعدل حين ابتلاني ببعدهم .

وقال بعض الشراح : يحتمل أن يكون أحيا في معنى أفعل التي للتفضيل : أي أعدد ما يكون في الإنسان وأيسر ما قاسيت شيء قاتل ، فكأن الكلام على التقديم والتأخير أي الشيء الذي يقتل أحيا وأيسر ما لاقيت ، أو ما ألقاه ، وإذا حمل على هذا الوجه فقد حذف المضاف إليه : أي أحيا ما لاقيت وأيسر ما لاقيت . قال : وهم يستعملون هذا في الشعر ، ولو قلت في النثر أفضل وأكرم الناس زيد ، يريد أفضل الناس وأكرمهم لقبح ، وإنما الفصيح أفضل الناس وأكرمهم ، وقال بعض الشراح تعليقا على قوله وما عدلا : كرر المعنى فقال جار وما عدلا والمفهوم أن جار علم منه أنه لم يعدل ، قل وإنما كرهه لأن الجائر في وقت قد يعدل فيوصف بالجور إذا جار وبالعديل إذا عدل ، وهذا جار عليه وما عدل ، ومثله في القرآن الكريم « أموات غير أحياء » والمعنى أنها أموات لا تحيا في المستقبل كما يحيا الناس عند البعث .

(٢) الوجد : الحزن والشوق ؛ والنوى : البعد ، يقول : إن الحزن يزداد قوة كما يزداد البعد كل يوم ، والصبر يضعف ويقل كما يضعف جسمي .

(٣) المنايا : جمع منية ، الموت ، يقول : لولا الفراق لما كان للمنايا طريق إلى أرواحنا : أي إنما توصلت إلينا بطريق فراق الأحباب كما قال أبو تمام :

لو حار مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى الْنفُوسِ دَلِيلًا

بِمَا بِحَفْنِكَ مِنْ سِحْرِ صِلَى دَنَفًا يَهْوَى الْحَيَاةَ وَأَمَّا إِنْ صَدَدَتْ فَلَا^(١)
إِلَّا يَسْبُ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ شَيْبًا إِذَا خَضَّبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلًا^(٢)

ولابن القطاع تأويل حسن . قال : إن « لها » جمع لهاة واللعن ما وجدت لهوات
النايا الخ ، فلها : فاعل وجدت ؛ والنايا : في موضع جر بالإضافة ؛ واللهاة : اللحمة
الشرقة على الحلق في أقصى سقف الفم . والسبل : جمع سبل ؛ والسيل : الطريق ،
تذكر وتؤنث .

(١) الدنف : الذى أثقله المرض ؛ وقال علماء اللغة الدنف : المرض اللازم الخامر
ويقال رجل دنف ودنف ومدنف ومدنف : أى براه المرض حتى أشفى على الموت ؛
فمن قال دنف : لم يشنه ولم يجمعه ولم يؤنثه ، كأنه وصف بالمصدر ؛ ومن كسر النون ثنى
وجمع وأنث لا محالة فقال رجل دنف - بالكسر - ورجلان دنفان ، ورجال أدناف .
وأمرأة دنفة ، ونسوة دنفات . ومن المجاز والاستعارة قول العجاج .

والشمسُ قد كادت تكون دنفًا أذفعا بالراح كى تَزَحْلِفَا^(١)

يقول : أقسم عليك بحق ما بحفنيك من سحر أن تصلى مرصفاً بحب الحياة فى وصالك
فإن هجرت ، وأعرضت فليس بحب الحياة ؛ وعنى بسحر جفنيها أنها بنظراتها تصيد القلوب
وتسبى عقول الرجال ، فكأنها سحرتهم ، واللعن من قول دعبل :

ما أطيّب العيش فأما على أن لا أرى وجهك يوماً فلا

لو أن يوماً منك أوساعةً تباعُ بالدُّنيا إذن ما غلا

وقوله يهوى الحياة : نعت دنفًا ، ويروى : يهو - بدون ياء على أنه جواب للأمر -
وقال العكبرى - تعليقاً على قوله « وإما إن صددت فلا » : الفاء جواب « أما » لأنها
أسبق وجواب الشرط محذوف دل عليه الجواب المذكور ؛ ومثله قولك : والله إن تزرنى
لأكرمك يجعل الجواب للقسم لتقدمه وسد جواب القسم مسد جواب الشرط . وإذا
قدمت الشرط جعلت الجواب له فتقول : إن تزرنى والله أكرمك .

(٢) نصل الخضاب : ذهب ؛ والسلوة : الاسم - من سلا عنه سلواً - والسلو :
طبيب نفس الإلف عن إلفه ، ويقول الرجل لصاحبه سقيتنى سلوة وسلوانا : أى طيبت
نفسى عنك ، قال :

(١) يريد : حين اصفرت ودانت الغروب ، فكأنها دنف حينئذ ، يقال دنفته
الشمس وأدنفته : إذا دنت للمغيب واصفرت .

يُجْنُ شَوْقًا فَلَوْلَا أَنَّ رَاحِمَةً تَزُورُهُ فِي رِيَّاحِ الشَّرْقِ، مَا عَقَلَا^(١)
هَآ فَا نَظَرِي أَوْ فَطَقِي بِي تَرَى حُرْقًا مَنِ لَمْ يَذُقْ طَرَفًا مِنْهَا فَلَا^(٢)
عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعَ لِي إِلَى الَّتِي تَرَكَتْنِي فِي الْهَوْلِ مَثَلًا^(٣)

جَعَلْتُ لِمِرَّافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعِرَّافٍ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي
فَمَا تَرَكَامِنْ رُقِيَةٍ يَغْلَسَانِي وَلَا سُلُوءَةٍ إِلَّا بِهَا سَقِيَانِي

يقول : إن لا يشب هذا الدنف - يعني نفسه ، لأنه لا يزال شابا - فلقد شاب كبده
لشدة ما يقاسى من حرارة الوجد والشوق ؛ فإن خضبت السلوة ذلك الشيب ذهب ذلك
الحضاب ، لأن سلوته لا تبقى ولا تدوم ، فإذا زالت السلوة زال حضاب كبده وعاد
شبيهه . يريد إذا سلا حيناً لم يلبث الشوق أن يعود ، وما أروع قول أبي تمام :

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مُشِيبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفَوَادِ
والتنبي نقل شيب الفؤاد إلى الكبد ، وهو مما استقبح من استعاراته .

(١) يجن : من الجنون ، ويروى يجن - من الحنين ، وهو الصبوة والطرب - ورواية
يجن أليق ليطابق قوله عقلا - في آخر البيت - يقول : إن هذا الدنف يصير مجنونا
لشدة شوقه ، فلولا أنه يجد راحة من حبيبه إذا هبت الرياح من ناحية الشرق لما كان
له عقل ولكن يخف جنونه إذا وجد ريح الشرق من قبل أحبابه :

فَإِنَّ الصَّبَّارِ يَحْ إِذَا مَا تَنَسَّمَتْ عَلَى كِبْدٍ تَحْزُونُ تَجَلَّتْ هُمُومَهَا

وقد نظر المتنبي في هذا إلى قول عبد الله بن الدمينه :

وَأَسْتَشِيقُ النَّسَاءَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ كَأَنِّي مَرِيضٌ وَالنَّسِيمُ طَلِيبٌ

(٢) ها : للتغية . أى ها أنا ذا فانظري : وترى : جواب الأمر ؛ ووأل . نجا
يقول : ها أنا ذا فانظري إلى أو فكرى فى إن لم تنظري ترى فى حرقا من حبك ، من
لم يحرب القليل منها ، فقد نجا من بلاء الحب ، وقد أجل المتنبي ما فصله البحرى فى
بيتين قال :

أَعِيدِي فِي نَظَرَةٍ مُسْتَنِيْبٍ تَوَخَّى الْأَجَرَ أَوْ كَرِهَ الْأَنَامَا

تَرَى كِبْدًا مُحَرَّقَةً وَعَيْنًا مَوْرَقَةً وَقَلْبًا مُسْتَهَامَا

(٣) عل : كعل ؛ ويشفع - بالنصب - جواب الترجى ؛ وبالرفع : عطف على يري

أَيْقَنْتُ أَنَّ سَعِيداً طَالِبٌ بِدَيْي لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالزَّمْعِ مُتَقَفِلاً^(١)

يقول : لعل الممدوح يرى ما أنا فيه من ذل الهوى فيكون شفيعاً لى إلى الحبيبة - التى جعلتنى بحيث يضرب بى المثل فى العشق - لتواصلنى بشفاعته ، قال الواحدى : وهذان قول أبى نواس :

سَأشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَاهَا لَعْلَ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
قال : وهذا أحسن من قول المتنبي لأن الجمع بينهما يمكن بأن يعطيه من المال ما يتوصل به إلى محبوبته ، والشفاعة تكون باللسان ، وذلك نوع من القيادة ... قال : على أنى سمعت العروضى يقول : سمعت الشعراى يقول : لم أسمع المتنبي ينشده إلا فيشفقنى - من قولهم كان وترأ فشفعه بآخر وإلى آخر : أى صيره شفيعاً . فيكون كما قال أبو نواس .

وقال المكبرى - تعليقا على قوله عل - : « عل » حرف ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لامه الأولى أصلية ، وذهب البصريون إلى أنها زائدة . وحببتهم أنها حرف ، والحروف كلها حروفها أصلية ، لأن حروف الزيادة العشرة التى يجمعها « اليوم تنساء » إنما تختص بالأسماء والأفعال ؛ فأما الحروف فلا بدخلها شيء من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، بل يحكم على حروفها كلها بأنها أصلية فى كل مكان على كل حال . ألا ترى أن الألف لا تكون فى الاسم والفعل إلا زائدة أو منقلبة ولا يجوز أن يحكم عليها فى « ما » و « لا » بأنها زائدة أو منقلبة بل يحكم عليها بأنها أصلية ؛ فدل على أن اللام الأولى فى « لعل » أصلية ، والذى يدل على ذلك أيضاً أن اللام خاصة لا تكاد تزداد إلا على سبيل الشذوز ، فكيف يحكم عليها بزيادة فيما لا يجوز فيه الزيادة بحال ؟ ووجهة البصريين أنهم وجدوها فى كلام العرب وأشعارهم ، كقول نافع الطائى :

وَلَيْسَتْ سُبُلًا إِمَّ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَمَا يَقُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أُنْقَدَّ مَا
وكقول الآخر :

لَا تَهِنَنَّ فَفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا وَالْدَهْرُ قَدْ رَفَعَهُ^(٢)

(١) بصرتكم به : أى أبصرتكم . واعتقل رجمه : جعله بين ركابه وساقه . يقول : أبى

(٢) لا تهين . أراد لا تهينن ، لحذف النون الحفيفة لما استقبلها ساكن ، والبيت للأصمط بن قريع السعدي .

وَأَنْتَنِي غَيْرُ مُخْصٍ فَضْلَ وَالِدِهِ وَنَائِلٌ دُونَ نَبِيلٍ وَصَفَهُ زُحَلًا^(١)
 قِيلَ بَمَنْبِجٍ مَثْوَاهُ وَنَائِلُهُ فِي الْأَفْقِ يَسْأَلُ عَمَّنْ غَيْرُهُ سَأَلًا^(٢)
 يُلَوِّحُ بِدُرِّ الدُّجَى فِي صَحْنِ غُرَّتِهِ
 وَيَحْمِلُ الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَاءِ إِنْ حَمَلًا^(٣)

أيقنت بأن المذروح يطلب بدى إن سفكته الحبيبة وأخذ منها تارى لأنى رأيت قد
 اعتقل رحمه متوجها لقتال الأعداء فعلمت أنه يدرك نأر أوليائه .

(١) فضل والده : يروى فضل نائله ، والنائل ، العطاء . وزحل ، الكوكب المعروف
 وقد كان الظن أنه أبعد الكواكب السيارة من الأرض . يقول : وأيقنت أنى لأستطيع
 عد عطائه لكثرتيه وأننى أدرك زحلا قبل أن أدرك وصف عطائه أو وصف
 فضل والده .

(٢) القيل ؛ الملك - بلغة حمير - أو الرئيس دون الملك الأعلى . ومنبج : بلد
 بالشام . والمثوى . المنزل والمقام . والافق ، القطر والناحية ؛ وقيل ؛ خبر مبتدأ محذوف
 أى هر قيل ؛ وبمنبج خبر مقدم ، ومثواه ، مبتدأ مؤخر ؛ ونائله ، مبتدأ ، خبره ؛ فى الأفق ؛
 يسأل ؛ فى موضع الحال . يقول . هو مقيم بمنبج وعطاؤه يطوف فى الأفاق يسأل عمن
 يسأل غيره من الناس ، يعنى أن جوده ذاع حتى صرف العفاة عن غيره إليه ، وفى مثل
 هذا يقول أبو تمام .

فَأُضْحَتْ عَطَايَاهُ نَوَازِعَ شُرَدًا تَسَائِلُ فِي الْأَفَاقِ عَنْ كُلِّ سَائِلٍ
 ويقول :

وَفَدَتْ إِلَى الْأَفَاقِ مِنْ مَعْرُوفِهِ نَعْمٌ تَسَائِلُ عَنْ ذَوَى الْإِفْتَارِ
 ويقول أبو العتاهية :

وَمَنْ نَحْنُ لَمْ تَبْغِ مَعْرُوفَهُ فَمَعْرُوفُهُ أَبَدًا يَيْتَغِينَا

(٣) الغرة : غرة الوجه ؛ وصحنها : وسطها ؛ والهيجاء : الحرب . يقول : إن
 وجهه لحسنه يضئ كالبدر فى ظلام الليل ، وإذا صال على أعدائه فإن الموت يعمل معه
 ويصول عليهم فيقتلهم ، فالموت من أعوانه ، ويروى : الموت - بالنصب - أى أنه إذا حمل
 على أعدائه أصعب الموت حاملا إياه إليهم .

تَرَابُهُ فِي كِلَابٍ كَحُلٍّ أُعْيِنَهَا وَسَيْفُهُ فِي جَنَابٍ يَسْبِقُ الْعَدْلَ (١)
لِنُورِهِ فِي سَمَاءِ الْفَخْرِ مُخْتَرَقٌ
لَوْ صَاعَدَ الْفِكْرُ فِيهِ الدَّهْرَ مَا نَزَلَ (٢)
هُوَ الْأَمِيرُ الَّذِي بَادَتْ تَمِيمٌ بِهِ قَدَمًا وَسَاقَ إِلَيْهَا حَيْنَهَا الْأَجَلَ (٣)
لَمَّا رَأَتْهُ وَخَيْلُ النَّصْرِ مُقْبِلَةٌ وَالْحَرْبُ غَيْرُ عَوَانٍ أَسْلَمُوا الْخِلَلَ (٤)
وَضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا (٥)

(١) يقول : إن كلابا - وهم قبيلة المدوح - لشدة حبهم إياه يكتحلون بالتراب الذي يمشى عليه - كناية عن اعتباطهم بولائه ، وسيفه في جناب - وهم قبيلة عدوه - يسبق ملامة من يلومه في فعلهم - كناية عن شقاوتهم بعداوتهم - وهذا مثل يقال سبق السيف العدل وأصل ذلك أن الحارث بن ظالم ضرب رجلا فقتله ، فأخبر بعذره ، فقال : سبق السيف العدل ؛ قال الواحدى : وروى هنا بيت منحول ليس في روايات الديوان وهو :
مهذب الجدد يستسقى الغمام له حلو كأن على أخلاقه عسلا

أى هو طيب الأصل لأن جده كان مبرا من العيوب ، وهو مبارك يستنزل به القطر من الغمام فيسقى الله به وهو عذب الأخلاق يستحلى خلقه كأنه معسول : ممزوج بالعسل .
(٢) استعمار للفخر « سماء » لعلو الفخر ، يقول : له نور يصعد في سماء الفخر لوصعد فكره واصفا في مخترقه طوال الدهر ما نزل ، لأنه يبقى يرقى في أثر ذلك النور فلا يلحقه والمخترق : موضع الاختراق ، ويريد به : المصعد في الهواء ، كأنه يشق الهواء شقا ، ويريد بالنور : ما اشتهر وذاع في الناس من ذكره وصيته : أى أنه عال علوا لا يدرك بالوهم والفكر .

(٣) بادت : هلكت ، وقدم : بمعنى قديما : أى زمانا قديما ، ولم يصرف تميم لأنه أراد القبيلة ، فاجتمع فيه التعريف والتأنيث . والحين : الهلاك . يقول : إن هلاكهم سيفه ساق إليهم الاجل قبل وقته .

(٤) الحرب العوان : التي قوتل فيها المرة بعد المرة والحلل جمع الحلة وهى النازل الى حلوها . يقول : لما رأت تميم هذا المدوح وخيله المنصورة قد أقبلت عليهم ولم يقاتلهم بعد : تركوا منازلهم وهربوا في أول الأمر .

(٥) قال الواحدى : يعنى لشدة حالقهم من الخوف ضاقت عليهم الأرض فلم يجدوا مهربا - كقوله تعالى « ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » - وهاربهم إذا رأى مالىس

فَبَعْدُ وَإِلَىٰ ذَا الْيَوْمِ لَوْ رَكَضَتْ بِالتَّخِيلِ فِي لَهَوَاتِ الطُّفْلِ مَا سَعَلَ^(١)
فَقَدْ تَرَكَتِ الْأَلَى لَا قِيَتُهُمْ جَزْراً
وَقَدْ قَتَلَتِ الْأَلَى لَمْ تَلْقَهُمْ وَجَعلاً^(٢)

شيء يعبأ به أو توهم ما ليس بشي شيئاً ظنه إنساناً يطلبه ، وكذا عادة المحارب الخائف كقول جرير :

ما زلت تحسبُ كلَّ شيءٍ بَعْدَ خيلا تَكُرُّ عليهمِ ورجالا
قال أبو عبيد : لما أنشد الأخطل قول جرير هذا قال : سرقة والله من كتابهم - يريد القرآن الكريم - : « يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو » قال : ويجوز حذف الصفة وترك الموصوف دالا عليها ، كقوله عليه الصلاة والسلام « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » أجمعوا على أن المعنى لا صلاة كاملة فاضلة ، ويقولون هذا ليس بشيء يريدون شيئاً جيداً - وقال بعض المتكلمين : إن الله خلق الأشياء من لا شيء . فقل هذا خطأ ، لأن لا شيء لا يخلق منه شيء ، ومن قال . إن الله خلق من لا شيء جبل لا شيء شيئاً يخلق منه ؛ والصحيح أن يقال : يخلق لا من شيء لأنه إذا قال لا من شيء : نفى أن يكون قبل خلقه شيء يخلق منه الأشياء .
(١) اللهوات : جمع لهواة ، وهى لحمة في الحلق عند أصل اللسان . يقول : فبعد اليوم الذى بادت فيه تميم إلى يومنا هذا الذى نحن فيه لور كضت خيلهم في لهوات صبي صغير ما شعر بهم حتى يسعل لقلتهم وذلتهم . وقد بالغ في هذا حتى أحال . . . قالوا : وهذا مأخوذ من قول الشاعر :

لو أنه حرَّكَ الجُرْدَ الجِيَادَ عَلَى أَجْفَانِ ذِي حِلْمٍ لَمْ يَنْتَبِهْ فَرَقاً
وفيه نظر إلى قول بعضهم :

وَمَرَّ بِفِكْرِي خَاطِراً فَجَرَحْتُهُ وَلَمْ أَرْ شَيْئاً قَطُّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ

وقل بعض الشعراء : ويجوز أن يجعل الطفل منهم - أى من تميم - أى ماجسر الطفل منهم أن يستغل خوفاً وإشفاقاً مع أنه لا عقل له ، فكيف الظن بكبيرهم في أمر الخوف وله عقل ؟ وعلى هذا : « ركضت » فعل خيل النصر وقيلته وقوته .

(٢) أى : أى الدين ، والجزر : اللحم الذى يلقي للسباع ، يقال ما كانوا إلا جزراً أسيفونا : أى الدين تقتلهم فنلقهم للسباع ، والوجل : شدة الخوف يقول : إن الدين ليقولك منهم فقتلهم وجعلهم جزراً للسباع . والدين لم يلقوك ما توا خوفاً منك .

كَمْ مَهْمَةٍ قَذَفَ قَلْبُ الدَّائِلِ بِهِ قَلْبُ الْمَحِبِّ قَضَانِي بَعْدَ مَا مَطَّلَا^(١)
عَقَدْتُ بِالنَّجْمِ طَرَفِي فِي مَقَاوِزِهِ وَحُرٌّ وَجْهِي بِحَرِّ الشَّمْسِ إِذَا أَفْلَا^(٢)
أُنْكَمَحْتُ صُمٌّ حَصَاهَا خُفٌّ يَفْعَلُهُ تَفَشَّمَرْتُ بِي إِلَيْكَ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا^(٣)
لَوْ كُنْتُ حَشَوَ قَمِيصِي فَوْقَ مُنْمَرِقِهَا سَمِعْتَ لِلْجِنِّ فِي غِيْطَانِهَا رَجَلَا^(٤)

(١) المهمة : الفلاة الواسعة ، والقذف : البعيد . يقول : كم فلاة بعيدة مترامية الأطراف قلب الدليل فيها - أى الذى يدل على الطريق - مضطرب خائف كقلب المحب ، قطعها بعد أن طال السير فيها ، وهذا معنى قوله : قضانى بعد ما مطلا ، وهو استعارة جميلة ، لأن المهمة كالمطلوب منه انقطاعه بالسير فيه وهو - بطوله وتأخير انقطاعه - كالماطل بما يقتضى منه ، فالضمير فى « قضانى » عائد إلى المهمة .

(٢) المفاوز : الفلوات ، والطرف : العين ، وحر الوجه : أشرف موضع فيه أو ما بدا منه . وأفل : غاب . يقول كنت أنظر إلى النجم دائما فى مسيرى ليلا حتى كأن أجفانى معقودة به مخافة أن أضل الطريق ، وإذا غاب النجم - أى فى النهار - كنت أنصب وجهى للشمس دائما حتى كأنه معقود بها ، وإنما يهتدى فى الفلوات إلى الطريق ليلا بالنجم ونهارا بالشمس ، والمراد أنه سافر فيه ليلا ونهارا حتى بلغ ما أراد .

(٣) الصم : الصلاب الشداد من كل شيء ، واليعة : الناقة القوية . وتفشمرت : تعسفت وركضت على غير قصد . يقول : أو طأت خف ناقتى حجارة المفاوز حتى وطئتها وسارت بى فى السهل والجبل متعسفة حتى وصلت إليك .

(٤) حشو قميصى : يريد بدلى وفى مكانى ، والنمرق : وسادة يعتمد عليها الرாகب ، والغيطان : جمع غائط ، وهو ما اطمأن من الأرض وانخفض . والزجل : الصياح والضجيج . يقول : لو كنت مكانى فوق نمرق ناقتى لسمعت أصوات الجن فى وهاد هذه المفاوز . أى أنها مسكن الجن بعدها عن الإنسان ، والعرب إذا وصفت المكان بالبعد جعلته مساكن للجن ، كما قال الأخطل :

مَلَاعِبُ جِنَّانٍ كَأَن تَرَاهَا إِذَا اطَّرَدَتْ فِيهَا الرِّيحُ مُفْرَبِلٌ
وَبَيْتُ الْمُتَنَبِّىِّ مِنْ قَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ :

لِلْجِنِّ بِالْمِيلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلٌ كَمَا تَجَاوَبَ يَوْمَ الرِّيحِ عَيْشُومُ
« العيشوم : شجرله صوت مع الريح »

حَتَّى وَصَلْتُ بِنَفْسِي مَاتَ أَكْثَرُهَا وَلَيْتَنِي عَشْتُ مِنْهَا بِالَّذِي فَضَّلَا^(١)
أَرْجُو نَدَاكَ وَلَا أَخْشَى الْمِطَالَ بِهِ يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا^(٢)

* * *

وقال في صباه - وقد أهدى له عبيد الله بن خلكان من خراسان هدية فيها سمك من سكر ولوز في عسل :

قَدْ شَغَلَ النَّاسَ كَثْرَةُ الْأَمَلِ وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ فِي شُغْلٍ^(٣)
تَمَثَّلُوا حَاتِمًا وَلَوْ عَقَلُوا لَكُنْتَ فِي الْجُودِ غَايَةَ الْمَثَلِ^(٤)

(١) يقول : وصلت إلى المدوح بنفس مات أكثرها : أي ذهب أكثر لحمها وقوتها لما قاست من هول الطريق ومشقته ، ثم تمنى أن يعيش بما بقي من نفسه ليقضى حق المدوح بخدمته له . وعبرة بعض الشراح : لما جعل ما قاساه من مشقة الطريق موتاً : سمى الإقامة والراحة عيشاً . والمعنى : ليتني أصادف عيشاً بما بقي من عمري قبل أن أموت ، فقلوله ليتني عشت : أراد ليتني أعيش ، فعبّر بالماضي عن المضارع .
(٢) يقول : لو وهبت الدنيا بأسرها كنت بخيلاً لعلو همتك ، فالدنيا حقيرة بالإضافة إلى همتك ، وهذا من قول حسان :

يعطى الجزيل ولا يراه عنده إلا كبعض عطية المذموم
ومن قول أبي العتاهية :

إِنِّي لَا يَأْسُ مِنْهَا ثُمَّ يُطْمِعُنِي فِيهَا احْتِقَارُكَ لِلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
(٣) يقول : إن الناس مشغولون بآمالهم فيك والطمع فما يأخذون من أموالك وأنت مشغول بتحقيق آمالهم وتصديق أطعاهم ، والبيت في ذاته يحتمل أن يكون معناه أن الناس مشغولون بطمعهم وحرصهم على حطام الدنيا ، أما أنت فقد شغلت بتبديد هذا الحطام بكرماً .

(٤) أراد : تمثّلوا بحاتم ، خذف الباء ضرورة . يريد أن الناس ضربوا المثل بحاتم فقالوا : أكرم من حاتم وأجود من حاتم ، وهم لو نظروا بعين العقل لضربوا المثل بك ، لأنك الغاية في الجود .

أَهْلًا وَسَهْلًا بِمَا بَعَثَ بِهِ إِلَيْهَا أَبَا قَاسِمٍ وَبِالرُّسُلِ ^(١)
 هَدِيَّةٌ مَا رَأَيْتُ مُنْهَدِيهَا إِلَّا رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِي رَجُلٍ ^(٢)
 أَقْلٌ مَا فِي أَقْلَهَا سَمَكٌ يَلْعَبُ فِي بَرْكَتِهِ مِنَ الْعَسَلِ ^(٣)
 كَيْفَ أَكْفَى عَلَى أَجَلٍ يَدٍ مَنْ لَا يَرَى أَنَّهَا يَدٌ قَبْلِي ^(٤)

* * *

وقال أيضاً في صباه :

قَفَا تَرِيًّا وَذَقِي قَهَاتَا الْمَخَالِ وَلَا تَخْشَى خُلُقًا لِمَا أَنَا قَائِلٌ ^(٥)

(١) وبالرسل : عطف على بما بعث . وإيها : اسم فعل بمعنى كف ودع ؛ أما إليه - بالخفض - فهي الاستزادة من التكلم . يقول : أهلا وسهلا بهديتك ورسولك فكف ، فقد أكثر الهدايا وغمرني إحسانك .

(٢) هدية : خبر مبتدأ محذوف ؛ أي هديتك هدية ما رأيت صاحبها الذي أهداها - يعني المدحوح - إلا رأيت الناس كلهم في شخص واحد ، يعني أنه جمع فيه جميع ما في الناس من معاني الفضل والكرم ، وهذا كما قال أبو نواس :

وليسَ على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحدٍ
 وقد قرر المتنبي هذا المعنى فقال :

* أم الخلقُ في شخصٍ حيٍّ أعيداً *

وقال :

* ومنزلك الدنيا وأنتَ الخلائقُ *

(٣) أراد بالبركة : الوعاء الذي كان فيه العسل ؛ يعني أن هذه الهدية عظيمة أقل شيء اشتمل عليه أقل ما في هذه الهدية سمك بهذه الصفة .

(٤) أكافئ : من المكافأة ، وهي أن يقابل الشيء بمثله ، فأصلها الهمزة . واليد : النعمة . يقول : كيف أكافئ من لا يعتقد في أعظم نعمة له عندي أنها نعمة احتقاراً لها وتصغيراً ؛ أو تقول : بماذا أكافئ الذي أسدى إلى نعمة عظيمة وهو يستصغرها حق يرى أنها لا تعد نعمة له عندي .

(٥) الودق : المطر . وهانا : بمعنى هذه . والمخايل جمع الخيلة - بضم الميم وكسر الخاء - السحابة الخليقة بالمطر . والخلف : اسم من الإخلاف في الوعد . يقول

رَمَانِي خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبِ أَسْتِهِ
وَأَخَرُ قَطْنٍ مِنْ يَدَيْهِ الْجَنَادِلُ^(١)
وَمِنْ جَاهِلٍ بِي وَهُوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ وَيَجْهَلُ عَلَيَّ أَنَّهُ بِي جَاهِلٌ^(٢)
وَيَجْهَلُ أَنِّي مَالِكُ الْأَرْضِ مُفسِّرُ
وَأَنِّي عَلَى ظَهْرِ السَّمَاءِ كَيْنَ رَاجِلٌ^(٣)

— لصاحبه - : اصبر قليلا تريا من أمرى شأنا عظيما فقد ظهرت مخايله وما يشهد لى بتحقيق ما كنت أعدك من نفسى من قتل الأعداء وبلوغ الآمال ، وإنى لا أقول شيئا أعد به ولا أفعله .

(١) الصائب : بمعنى المصيب ؛ يقال : صابه يصوبه ، وأصابه يصيبه . وآخر بالنصب - عطف على لفظ صائب ، وبالرفع : عطف على الموضع من « صائب » وقطن : خبر مقدم ؛ والجنادل : مبتدأ مؤخر . يقول : عابى أخساء الناس وأراذلهم من بين من يصيب استه ما يرمى به : أى يلحقه ما يعينى به ، وآخر لا يؤثر فى ما يرمى به ولا يعلق بى ما يقوله فى كأنه يرمى بقطعة قطن ، فقوله من صائب استه : كقولهم جاءنى القوم من فارس وراجل ؛ يعنى أنهم من هذين الجنسيتين .

(٢) أى ومن رجل آخر لا يعرفنى ولا يعرف أنه جاهل بى ، فهاتان جهالتان ، ويجهل أنى أعلم أنه جاهل بى . فعلى : مفعول يجهل ، وأنه : مفعول على : أى يجهل معرفتى بجهله بى . ومما يتصل بهذا المعنى قول الخليل بن أحمد صاحب علم العروض :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى أو كنتُ أجهل ما تقول عذلتك
لكن جهلت مقالتي فعذلتنى وعلمتُ أنك جاهل فعذرتك
وقول الآخر :

جهلتَ ولم تعلم بأنك جاهل فَمَنْ لِي بِأَنْ تَدْرِي بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي
(٣) مالك الأرض : نصب على الحال ، وعلى ظهر السماء كين : فى موضع الحال . يقول : ويجهل هذا الجاهل أنى فى الحال التى أملك فيها الأرض أعد نفسى معسراً بالقياس إلى مقتضى همى ، وأنى إذا علوت السماء وركبت السماء كين عدت نفسى راجلا ، لاقتضاء همى ما فوق ذلك .

تُحَقَرُ عِنْدِي هَمَّتِي كُلَّ مَطْلَبٍ وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ^(١)
وَمَا زِلْتُ طَوْدًا لَا تَزُولُ مِنَّا كَيْبِي إِلَى أَنْ بَدَتْ لِلضَّمِيمِ فِي زَلَّازِلُ^(٢)
فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَلَ الْحُشَا قَلَّاقِلَ عَيْسٍ كُلُّهُمْ قَلَّاقِلُ^(٣)

(١) يقول : إن همتي تربي كل شيء أطلبه حقيراً ، والغاية البعيدة قصيرة في عيني .
(٢) الطود : الجبل العظيم ؛ ومناكبه : أعاليه . والضميم : الظلم . يقول : لم أزل
ثابتاً ذا وقار كالطود لا يحركني شيء إلى أن ظلمت فلم أطق الظلم وإنما تجردت
لدفعه عن نفسي .

(٣) القلاقلة : التحريك ؛ ويريد بالحشا : ما في داخل الجوف . والقلاقل - الأولى -
جمع قلقل ، وهي الناقة الخفيفة ؛ ويقال أيضاً : رجل قلقل ، وفرس قلقل : إذا كانا
سريعَي الحركة . والقلاقل - الثانية - جمع قلقلة ، وهي الحركة . يقول : حركت
- بسبب الهم الذي حرك نفسي - إبلاً خفافاً في السير ، يعني سافرت ولم أعرج بالمقام
الذي يلحقني فيه الضم . ويجوز أن تكون القلاقل الثانية أيضاً بمعنى الأولى ، وإذن :
يعود الضمير من كلهن على العيس ، لا على القلاقل . يقول : خفاف إبلاً كلهن خفاف ،
يعني أنهن خفاف الخفاف وسراع السراع كما يقال : أفضل الفضلاء . هذا : وقد عاب
الصاحب بن عباد أبا الطيب بهذا البيت قال : ماله قلقل الله أحشاءه وهذه القلاقات
الباردة ؟ قال الواحدى : ولا يلزمه في هذا عيب فقد جرت عادة الشعراء بمثله - قال
الشماعلي : قال لي أبو نصر بن الرزبان : ثلاثة من رؤساء الشعراء : شلشل أحدهم .
وسلسل الثاني ، وقلقل الثالث ؛ أما الذي شلشل فالأعشى - وهو من رؤساء شعراء
الجاهلية - قال :

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَاوِتِ يَنْبَغِينِي شَاوٍ مِشَلٍّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوْلٌ

« الشاوى : الذى شوى ؛ والمشلل : المطرّد ؛ والشلول : الخفيف ؛ والشلشل :
الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والألفاظ متقاربة . أريد بذكرها والجمع بينها :
المبالغة » . وأما الذى سلسل فمسلم بن الوليد إذ يقول :

سَلَّتْ وَسَلَّتْ نَمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولًا

وأما الذى قلقل فهو المتنبي الذى . يقول : البيت - ثم قال : لى قبلل أنت أيضاً .
قلقل : أخشى أن أكون رابع الشعراء ، أعنى قول من قال :

إِذَا اللَّيْلُ وَارَنَا أَرْتَنَا خِفَافَهَا بِقَدْحِ الْخَمَى مَا لَا تُرِينَا لِشَاعِلٍ^(١)
كَأَنِّي مِنَ الْوَجْنَاءِ فِي ظَهْرِ مَوْجَةٍ رَمَتْ بِي بِحَارًا مَا لَهَا سَوَاحِلُ^(٢)
يُخَيِّلُ لِي أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِي ، وَأَنْتَى فِيهَا مَا تَقُولُ الْقَوَازِلُ^(٣)
وَمَنْ يَنْفِ مَا أَبْنَى مِنَ الْمَجْدِ وَالْمَلَا
تَسَاوَى الْمَحَايِ عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ^(٤)

الشعراء - فاعلمن - أربعة فشاعر يجزى ولا يجزى معه
وشاعر يُنشدُ وسط المصممة وشاعر من حقه أن تسمعه
* وشاعر من حقه أن تصفحه

قال ثم قلت بعد حين من الدهر :

وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بِلَفَاتِهَا فَانْفِ الْبَلَابِلَ بِاحْتِسَاءِ بَلَابِلِ

قال الثعالبي : وفي هذا ما يبطل إنكار ابن عباد على أبي الطيب .

(١) وارانا : سترنا . والشاعل : جمع مشعلة - بفتح الميم - النار الموقدة ، وبكسر الميم : الآلة التي تحمل فيها النار ، يقول : إذا سترنا الليل بظلامه أسرعت هذه الإبل حتى تصطك الحجارة بعضها ببعض وتتقدح النار فيها فترى مالا نراه بضوء للشاعل .
(٢) الوجناء : الناقة الشديدة . جعل الناقة لشدة عدوها كاللجج ، وجعل المغازة كالبحار في سعتها . يقول : كأني منها إذا ركبته في هذه المغازة في ظهر موج ترميني في بحر لا ساحل له .

(٣) يقول : يخيل إلى أن البلاد تلفظني فلا أستقر فيها . كما لا يستقر في مسامي كلام العذال . يريد أنه دائم الأسفار لا يلقى عصاه يلد حتى ينتقل إلى غيره ، وهذا للعنى من قول القائل :

* كَأَنِّي قَدْ ذِي فِي عَيْنِ كُلِّ بِلَادٍ *

وقد قال البحرى .

تَقَادَفُ بِي بِلَادٌ عَنْ بِلَادٍ كَأَنِّي بَيْنَهَا عَيْرُ شُرُودٍ

(٤) العلا : جمع العليا ، تأنيث الأعلى - كالكبر في جمع الكبرى - وتساووى : إذا كان ماضياً ثبت الياء في آخره ، وهو في موضع جزم ؛ وإن كان بمعنى تتساوى - بحذف إحدى التامين - فلا ياء ، لأنه مجزوم لوقوعه جواباً للشرط والحايي والمقاتل جمع الحيا والمقتل : مصدرين ميمين بمعنى الحياة والقتل يقول : من يطلب ما أطلب

أَلَا لَيْسَتْ الْحَاجَاتُ إِلَّا نُفُوسُكُمْ وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفُ وَسَائِلُ^(١)
فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ أَمْرِي رُوحَهُ لَهُ

وَلَا صَدَرْتُ عَنْ بَاخِلٍ وَهُوَ بَاخِلٌ^(٢)
غَثَاثَةُ عَيْشِي أَنْ تَفِثَ كَرَامَتِي وَلَيْسَ يَفِثُ أَنْ تَفِثَ الْمَا كِلُ^(٣)

* *

وقال لصديق له في صباه :

أُحْبِبْتُ بَرِّكَ إِذْ أُرَدْتُ رَحِيلًا

فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ مَا وَجَدْتُ قَلِيلًا^(٤)

وَعَلِمْتُ أَنَّكَ فِي الْمَكَارِمِ رَاغِبٌ صَبُّ إِلَيْهَا بُسْكَرَةٌ وَأَصِيلًا^(٥)

فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِي إِلَيَّ هَدِيَّةً مِنِّي إِلَيْكَ وَظَرَفَهَا التَّأْمِيلًا^(٦)

من الشرف والرتب العالية استوى لديه الحياة والقتل ، لأنه علم أن معالي الأمور فيها المخاوف والهلاك ، فيكون قد وطن نفسه على الهلاك ، فهو يصبر عليه ولا يكثر له (١) نصب السيوف لأنها استثناء مقدم كبيت الكميث :

ومالي إلا آل أحمد شيعه ومالي إلا مذهب الحق مذهب

والوسائل جمع الوسيلة ، وهي الوساطة بين الطالب وللطوب . يقول : - للملوك عصره - : لا نطلب إلا أرواحكم ولا تتوسل إلا بسيفنا .

(٢) قال ابن جني : يعني إذا وردت السيوف روح امرئ كانت أملك بها منه وإذا صدرت عنه صار وإن كان بخيلا غير بخيل ، لأن السيف ينال منه ما يطلب منه أو يفقد روحه بماله :

(٣) الغث : الرديء من كل شيء ؛ وأصله من غث اللحم : إذا كان مهزولا . يقول رداءة عيشي في رداءة كرامتي لا في رداءة مطاعمي

(٤) الرحيل : اسم بمعنى الارتحال . يقول : لما أزمعت أن ترحل مسافراً أحببت أن أبرك ، فوجدت أكثر ما عندي قليلا بالإضافة إلى عظم قدرك .

(٥) الصب : المشتاق ؛ ورغب في الشيء : أراحه وطلبه : ورغب عنه : لم يردده : والبكرة : أول النهار : والأصيل : آخره .

(٦) قال الواحدي : قال ابن جني . هذا البيت يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون

بِرٍّ يَخْفُ عَلَى يَدَيْكَ قُبُولُهُ ، وَيَكُونُ تَحْمِلُهُ عَلَى ثَقِيلًا^(١)

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجى :
عَزِيزُ أَسَى مِنْ دَاوُدَ الْخَدَقُ النَّجَلُ

عَيَّاءَ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلِ^(٢)

أهدى إليه شيئاً كان أهدها إليه صديقه المدوح ، والآخر : أن يكون أراد جعلت ما كان من عادتك أن تهديه إلى وتزودنيه وقت فراقك هدية مني إليك ، أى أسألك أن لا تتكلفه لى ، ثم قال الواحدى : قال العروضى فيما أملاه على مما استدركه على ابن جنى : أراد - أى التنبي - أنك تحب أن تعطى فجعلت قبول هديتك إلى هدية مني إليك لحبك ذلك . وقول العروضى أمدح وأليق بما قبله من رغبته فى المكارم واشتياقه إليها . وقوله وطررها التأميلاً : فالظرف وعاء الشيء . يقول : جعلت تأميلي مشتملاً على قبول هذه الهدية كاشتال الظرف على مافيه .

(١) قال ابن جنى : أى لا كلفة عليك فيه ، لأنى لم أتكلف لك شيئاً من مالى ، وإنما هو مالك عاد إليك أو بقى بحاله لديك ، ويكون تحمل شكرك على قبوله ثقيلاً على لتكامل صنيعك به ، وقال العروضى : هذا البيت تأكيد لما فسرته ، فتأمله ، لأنه يقول : هذه الهدية برحبته فيخف عليك قبوله لأنه إعطاء لى ، وأنت تخف إلى الإعطاء ولا منة عليك فيه وإنما المنة لك ، وتحمله إنما يثقل على لا عليك ، لأنك إذا أعطيتني أنقلت رقبتي بالشكر .

(٢) للعزير : الشيء الذى يقل وجوده ، ويجوز أن يكون بمعنى شديد صعب غالب للصبر ، والأسى : العلاج ، يقال : أسوت الجرح أسوه أسوا وأسى إذا دوايته وأصاحته قال الأعشى :

هَذِهِ الْبِرُّ وَالْثَقِي وَأَسَا الشَّقُّ وَحَمْلُ الْمَضْلِعِ الْأَنْقَالِ^(١)

وعزير : حبر مقدم ، وهو مضاف إلى أسى ، ومن دوائه : مبتدأ مؤخر . والنجل جمع النجلاء ، الواسعة . والعياء : الداء الذى لا علاج له قد أعيا الأطباء . وهو خبر عن ضمير محذوف يرجع إلى الداء أو إلى الخدق ، يقول : يعز علاج من داؤه هو الخدق النجل وهو داء عيأ به مات العشاق من قبلنا ويروى عزير أسى من داؤه - بتنوين عزير -

(١) الشق : الصدع ، ويروى : الصدع . ، والمضلع : المنقل للأضلاع ، أى الأنقال الأحمال المضلعة .

فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَى فَمَنْظَرِي
نَذِيرٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْهَوَامَّ سَهْلٌ^(١)

وإضافة أسي إلى « من » ورفعها بالابتداء لتخصصه بالإضافة، وعزير : خبره، والتقدير أسي من داؤه الحدق النجل عزير . وروى عزير أسي — على أن أسي تمييز كما تقول : عزير دواء ، فيكون عزير خبراً مقدماً ، ومن داؤه : مبتدأ مؤخر ، قال العكبري : وهذا إذا جعلت « من » معرفة ، أما إذا جعلت « من » نكرة كان عزير مبتدأ . وذهب بعض النحويين إلى أن المبتدأ والخبر إذا كانا نكرتين فالمبتدأ هو الأول لا غير ؛ وقد يكون المبتدأ والخبر نكرتين وأحدهما أخص من الآخر ، كقولك : ذهب خاتم في أصبعه ، فخاتم هنا أخص من ذهب ، وهو ثان ، فيكون مبتدأ أولى من ذهب . و« من » توصف . على وجهين بالجملة والفرد ، فوصفها بالجملة نحو :

رُبٌّ مَنْ أَنْضَجَتْ غَيْظًا قَلْبَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَ^(١)
وبالفرد نحو قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

فَكُنِي بِنَا فَضلاً عَلَى مَنْ غَيْرِنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَانًا^(٢)

فن : نكرة في البيتين ، لأن « رب » لا يليها المعرفة . وقول حسان : على من ؛ أي على قوم أوناس ؛ ويجوز رفع « غيرنا » على أنه خبر مبتدأ محذوف . يريد من هو غيرنا ، كقراءة الأعمش « تماماً على الذي أحسن » بالرفع ، فيجعل « من » موصولة ؛ ويجوز لمن نون أسي — أي ونون عزير — أن يرفع من رفع الفاعل بفعله على رأى السكوفيين والأعمش من إعمال اسم الفاعل ، والصفة المشبهة باسم الفاعل من غير اعتماد ، كقولك قائم غلامك :

(١) منظرى : أي موضع النظر منى ، ويجوز أن يكون مصدرًا مضافاً إلى المفعول

(١) من أبيات لسويد ابن أبي كاهل اليشكري : وبعده :

وَيُرْزَلُ كَالشَّجَاوِ، حَلَقَهُ عَسِيرًا مُخْرَجُهُ مَا يُنْتَزَجُ

وَيُحْيِيْنِي إِذَا لَاقَيْتِهِ وَإِذَا مُكِّنَ مِنْ لَحْيٍ رَتَعِ

وقوله رب من : أي رب رجل أنضجت قلبه من الغيظ : أي أكدته . والشجا : ما يعترض في الحلق ؛ ومخرجه : إخراجه ؛ ورتع : أكل فيه كيف شاء .

(٢) فضلا : يروى شرفاً ، وهو تمييز ؛ وحب : فاعل كفي ؛ والباء زائدة في

للمفعول ، وهو « بنا » .

وَمَا هِيَ إِلَّا نَخْطَةٌ بَعْدَ نَخْطَةٍ إِذَا نَزَلَتْ فِي قَلْبِهِ رَسَلِ الْعَقْلِ^(١)
 جَرَّتْ حُبُّهَا تَجْرِي دَمِي فِي مَفَاصِلِي
 فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلٌ^(٢)
 وَمِنْ جَسَدِي لَمْ يَتْرُكِ الشَّقْمُ شَفْرَةً^(٣)
 فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا وَفِيهَا لَهُ فِقْصَلٌ^(٤)
 إِذَا عَاذَلُوا فِيهَا أَجَبْتُ بَأَنَّهُ حُبِّيَّتَا قَلْبًا فَوَادَا هِيََا جُمْلٌ^(٥)

والنذير : المنذر ؛ وعدها يالئ على تضمينه معنى الرسول . يقول : من أراد أن يعرف حال الهوى فلينظر إلى فنظري منظر من ظن أن أمر الهوى سهل .

(١) الضمير : للقصة والشأن . يقول : ماهي إلا أن يلحظ العاشق مرة بعد أخرى فإذا تمكنت النظرة من قلبه رحل عقله وطار ، لأن الهوى والعقل لا يجتمعان .

(٢) يقول : جرى حب هذه المحبوبة في عروقي مجرى الدم لشدة امتزاجه بي ، فشغلي عن كل ماسواها ، وروى به - أي بالحب - ؛ وقوله حبها : الضمير للمحبة وإن لم يجر لها ذكر لدلالة المقام ، وهو كثير في كلامهم . قال الواحدى : وروى بعد هذا البيت بيتان منحولان وهما :

سَبَقَنِي بِدَلٍّ ذَاتُ حُسْنٍ بَرَيْنَا تَكْحُلُ عَيْنَهَا وَلَيْسَ لَهَا كَحْلُ

كَأَنَّ لِحَاطَ الْعَيْنِ فِي فَتْكِهَا بَنَى رَقِيبٌ تَعْدَى أَوْ عَدُوٌّ لَهُ دَخَلُ

« سبقتني أسرتي ؛ والدل : الدلال ؛ واللحاط : مؤخر العين ؛ والدخل : الريبة »
 (٣) فما فوقها : أى فما هو أعظم منها ، ويجوز أن يريد فما دونها فى الصغر ، يقول : قد أثر سقم الهوى فى كل شئ من بدنى فظهر فيه فعله . وما أبدع قول القائل فى مثل هذا المعنى :

خَطَرَاتُ ذِكْرِكَ تَسْتَفِزُّ مَدَامِعِي فَأَحْسُ مِنْهَا فِي الْفَوَادِ دَيْبَا

لَا عُضْوٌ لِي إِلَّا وَفِيهِ صَبَابَةٌ فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قُلُوبَا

(٤) عذلوا : لاموا . وأنة : فلة من الأنين ، يكون من شدة الوجع . تقول أن يئن أئينا : إذا اشتكى وجعا ، وهيا : حرف نداء - كيا وأيا وأى والهمزة - والحبيبة : الحبيبة . قال العسكبرى : قوله حبيبتا : الفواد حبيبة فصغرها للتقريب من قلبه ،

كَانَ رَقِيْبًا مِنْكَ سَدَّ مَسَامِييْ
عَنِ الْعَذْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُهَا الْعَذْلُ^(١)

يَا بْنَ أُمِي وَيَا حَبِيْبَ نَفْسِي أَنْتَ خَلَقْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدٍ
وَتَصْغِيرِ التَّعْظِيمِ كَقَوْلِ لَبِيدٍ :

وَكُلُّ أَنْاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُؤَيْبِيَّةٌ تَصْفِرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ
وَكَقَوْلِ الْحَبَابِ بْنِ مَنْذَرٍ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ «أَنَّهُ جَذِلُهَا الْحَكَّكَ وَعَذِيْقُهَا الْمَرْجَبُ»^(١)
وَتَصْغِيرِ التَّحْقِيرِ مِثْلَ أَنْيْسَانَ وَنَحْوِهِ . قَالَ ابْنُ جَنَى : وَالْأَلْفُ فِي «حَبِيْبَتَا» وَفِي «قَلْبَا»
وَفِي «فُؤَادَا» : بَدَلٌ مِنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ ، وَكُلُّهَا فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ ، لِأَنَّهُ نَدَاءٌ مُضَافٌ ،
أَرَادَ : يَا حَبِيْبَتِي ، يَا قَلْبِي ، يَا فُؤَادِي ، يَا جَمْلَ - وَجَمْلُ اسْمِ الْحَبِيْبَةِ - وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ : يَجُوزُ
أَنْ تَكُونَ الْأَلْفُ فِيهَا لِلنَّدْبَةِ أَرَادَ يَا حَبِيْبَتَا ، يَا قَلْبَا ، يَا فُؤَادَا ، خَذَفَ الْهَاءَ لِلدَّرَجِ
قَالَ : وَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ فُورَجَةَ ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ فُورَجَةَ : قَلْبَا فُؤَادَا يَدْعُوهَا لِأَنَّهُ يَتَشَكَّاهَا
شَكْوَى الْعَلِيلِ ، كَمَا قَالَ دَيْسَمُ بْنُ شَاذِلَوَيْهِ الْكُرْدِيُّ :

أَنِبْنِي أُنَيْسِي ، وَشَجْوِي وَسَادِي ، وَعَيْنِي كَيْلٌ بِشَوْكَ الْقَتَادِ
إِذَا قِيلَ دَيْسَمٌ مَا تَشْتَكِي أَقُولُ بِشَجْوِ فُؤَادِي فُؤَادِي
فَهَذَا أَيْضًا يَقُولُ قَلْبِي فُؤَادِي : أَيْ هُوَ الَّذِي أَتَشَكَّى ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنِّي إِذَا عَذَلْتُ
فِي حَبَا أَجَبْتُهُمْ بِأَنَّهُ ثُمَّ قُلْتُ قَلْبِي فُؤَادِي يَا جَمْلَ . يَرِيدُ أَنِّي لَا أَلْتَفِتُ إِلَى الْعَذْلِ وَلَا أَزِيدُ
عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَدَعَاءِ الْمَحْبُوبِ لِيُعِيقَ مِمَّا أَفَاعِيهِ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّرَاحِ : قَلْبًا فُؤَادًا فِي حَمَلٍ
رَفَعَ عَلَى تَقْدِيرِ حَبِيْبَتِي قَلْبِي فُؤَادِي : أَيْ هِيَ لِي بِمَنْزِلَةِ الْقَلْبِ ، وَهِيَ هَذَا «جَمْلُ»
اسْمٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الْعَوَاضِلِ : أَيْ أَقُولُ لَهَا هِيَ قَلْبِي فَلَا أَفَارِقُهَا وَلَا أَسْمَعُ عَذْلَكَ فِيهَا :
(١) الْمَسَامِعُ : جَمْعُ مَسْمَعٍ - كَمَنْبَرٍ - الْأُذُنُ . يَقُولُ - لِمَحْبُوبَتِهِ - : كَأَنَّكَ أَقَمْتَ رَقِيْبًا

(١) عَنَ بِالْجَذِيلِ - هُنَا - الْأَصْلُ مِنَ الشَّجَرَةِ تَحْتَكُ بِهِ الْإِبِلُ فَتَشْتَفِي بِهِ : أَيْ قَدْ
جَرَبْتَنِي الْأُمُورَ وَلِي رَأْيٌ وَعِلْمٌ يَشْتَفِي بِهِمَا كَمَا تَشْتَفِي هَذِهِ الْإِبِلُ الْجَرَبِي بِهَذَا الْجَذَلِ ؛
وَصَغَرَ عَلَى جِهَةِ الْمَدْحِ ؛ وَعَذِيْقُ : تَصْغِيرُ الْعَذْقِ ، وَهُوَ النَّخْلَةُ ؛ وَالتَّرْجِيْبُ : إِبْرَاقُ
النَّخْلَةِ مِنْ جَانِبٍ لِيَمْنَعَهَا مِنَ السَّقُوطِ : أَيْ أَنْ لِي عَشِيرَةٌ تَعْضُدُنِي وَتَمْنَعُنِي وَتَرْفُدُنِي ؛
وَالْتَصْغِيرُ لِلتَّعْظِيمِ .

كَأَنَّ سَهَادَ الْأَنْثَرِ يَفْشَقُ مُقَلَّتِي ، فَبَيِّنَهُمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصْلُ^(١)
أَحِبِّ الَّتِي نَبْذُرُ مِنْهَا مَشَابِهَهُ ،
وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لَا يُصَابُ لَهُ شَكْلُ^(٢)

على مسامى يحول دون العذل فليس يدخلها ؛ وأول هذا البيت من قول العباس
ابن الأحنف :

أقامت على قلبي رقيباً وناظري فليس يؤدّي عن سواها إلى قلبي
وقول الآخر :

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَرَعَى خَوَاطِرِي ، وَآخَرَ يَرَعَى نَاطِرِي وَلِسَانِي
هذا : والرقيب الحافظ ، والرقيب : المنتظر ، رقبه رقبه رقبه ورقباناً - بالكسر فيهما -
ورقوبا ، وترقبه وارقبه : انتظره ورصده ، ورقيب القداح : الأمين على الضرب ،
وقيل هو أمين أصحاب اليسر ، وهو أيضاً اسم السهم الثالث من قداح اليسر ؛ والرقيب
الذي في المشرق يراقب الغارب ومنازل القمر ، كل واحد منها رقيب لصاحبه ، كلما طلع
منها واحد سقط آخر ، مثل الثريا رقيبها الإكليل : إذا طلعت الثريا عشاء غاب الإكليل ،
وإذا طلع الإكليل عشاء غابت الثريا ؛ قال : -

أَحَقّاً عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لِأَقِيَا بَنِيَّةَ أَوْ يَلْقَى الثَّرِيّاً رَقِيبُهُمَا
(١) السهاد : الأرق ، وقد سهد الرجل - بالكسر - يسهد سهدا وسهدا وسهدا :
لم ينم . ورجل سهد : قليل النوم ، قال أبو كبير الهذلي :

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفَوَادِ مُبْطِناً سُهْداً إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهُوجَلِ^(١)
والضمير في « بينهما » : للسهاد والمقلة . يقول : إذا تهاجرنا واصل السهاد عيني ،
أى لم أنم وجداً لفقد من أحبه ، وهذا كقولهم - أى للتنبي - :

إِنِّي لِأُبْفِضَ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانٌ وَصَالُهُ
يُفْجِعُ الطَّيْفَ يَهْجُرُ عِنْدَ الْوَصَالِ ، كما أن السهاد يصل عند المهرجان .

(٢) المشابه : جمع الشبه - بفتحين - على غير قياس . ويصاح : يوجد . والشكل
للمشاكل ، أى الشبيه والنظير . تخلص في هذا البيت من النسب إلى اللدج مفضلاً

(١) رجل حوش الفؤاد : حديده ، والهوجل : الرجل الأهوج ، والبطن :
الضامر البطن .

إِلَى وَاحِدِ الدُّنْيَا إِلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ شُجَاعُ اللَّهِ؟ اللَّهُ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ^(١)

الممدوح بالكمال على العشوق في الجمال ، فذكر أن في البدر أنواعا من شبه الحبيبة منها الحسن والضياء والعلو والبعد عن الناس ؛ ثم قال : وأشكو هواها إلى من لا يوجد له نظير ، وإنما يشكو إليه ليعطيه من المال ما يتوصل به إليها .

(١) شجاع الذي : أراد شجاع الذي ، بالتنونين ، خذفه لسكونه وسكون اللام الأولى من «الذي» وذلك كثير في الشعر . وعبارة العكبري : شجاع بدل من ، «ابن» وحذف منه التنوين على مذهبه ، وبمثله كثير في الشعر القديم والحديث ، ومنه ما ذكر مسلم والبخاري وابن إسحاق في المغازي من قول عباس بن مرداس السلمي بالجعرانة للنبي صلى الله عليه وسلم حين أعطى الأقرع ابن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري من أموال هوازن كل واحد منهما مائة من الإبل وأعطى العباس دونهما فقال :

أَجْعَلُ نَهْجِي وَنَهْجَ الْغُبَيْدَيْنِ عَيْنَةً وَالْأَقْرَعَ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْجَمْعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهَا وَمَنْ تَخْفِضُ الْيَوْمَ لَا يَرْفَعُ^(١)

فترك تنوين مرداس ، وهو اسم منصرف ، ومثله :

عَمَرُوا الْعُلَا هَشْمَ الثَّرِيدِ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافٌ^(٢)
فهذا حجة الكوفيين في ترك صرف ما ينصرف ضرورة ، والقياس إذا كان يجوز حذف الواو للتحركة للضرورة في قول الشاعر - وهو بيت الكتاب - :

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَلَّ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبٌ^(٣)

(١) النهب - ههنا - بمعنى المنهوب ، والعبيد - مصغر - اسم فرسه .

(٢) هو لابنه هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى عمراً ، وهو أول من رُد الثريد وهشمه فسمى هاشماً ، فقالت فيه ابنته هذا البيت ؛ وقيل هو لا بن الزبيري ، ومستنون ، أصابته سنة وقحط ، وأجدبوا ؛ والمعجاف : من العجف ، وهو المزال وذهاب السموت .

(٣) هو للعجير السلوي ، وصف بغيراً ضل عن صاحبه ، فيئس منه ، وجاء يبيع رحله ، فبينما هو كذلك سمع منادياً يبشر به ، وإنما وصف ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن ؛ والملاط : ما ولي العضد من الجنب . ويُقال

إِلَى الثَّمَرِ الْخُلُو الَّذِي طَيَّ لَهُ فُرُوعٌ وَقَحْطَانُ بْنُ هُودٍ لَهُ أَصْلٌ^(١)
إِلَى سَمْعٍ تَوَّ بَشَرَ اللَّهُ أُمَّةً
بِفَيْرٍ نَبِيٍّ بَشَرْنَا بِهِ الرُّسُلَ^(٢)

فلواز جذف التنوين للضرورة أولى ، لأن الواو من « هو » متحركة ، والتقدير فينا هو ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من المتحرك ، وحجة بعض نحاة البصريين أن الأصل في الأسماء الصرف ، فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل إلى غير الأصل ، وإلا التبس ما ينصرف بما لا ينصرف . وقد تقدم ما هو أوفى من ذلك فيما أسلفنا من هذا الشرح

(١) طيء : قبيلة المدوح ، وقحطان بن هود : أبو قبائل اليمن ، وعدنان أبو قبائل العرب . وجعل المدوح كالثمر الخلو في جوده وحسن خلقه . وقوله له : أى للثمر ، ومن روى « لها » : فالضمير للفروع ، أو لطيء . يقول : إنه ثمر قد خرج من غصون هي طيء ، وهذه الغصون قد خرجت من أصل هو قحطان .

(٢) يقول : إن الله سبحانه لا يبشر عباده بأحد من الخلق إلا أن يكون نبياً ، فلو كان يبشر بغير نبي لبشرنا به على لسان الرسل ، ويروى : لو بشر الله خلقه . هذا : وقال الجوهري : يقال بشرت الرجل أبشره بالضم بشرا وبشوراً من البشرى ، وكذلك الإخبار والتبشير ، والاسم البشارة - بكسر الباء وضمها - يقال بشرته بمولود فأبشر إنشأ : أى سر ، وبشرت بكذا - بالكسر - أبشر : استبشرت به ، قال عبد القيس ابن خفاف البرجمي :

وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعَلَا غَبْرًا أَكْفَهُمِ بَقَاعٍ مِمَّحِلْ

فَأَعْنِهِمْ وَأَبْشِرْ بِمَا بَشَرُوا بِهِ وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا بِضْنِكَ فَانْزِلْ

وقال بعض علماء اللغة : البشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير ، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة ، كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » ، وقد يكون هذا على حد قولهم : تحيتك الضرب ، وعتابك السيف .

للعضدين : ابنا ملاط ، ووصفه برخاوته لأن ذلك أعيد لتجافى عضديه عن كركرته . وأبعد له من أن يصيبه ناكث أو ماسح أو ضنب ، وهذه كلها آفات تلحقه إذا حك بعضده كركرته - زور البعير - ومعنى يشرى : يبيع ، وهو من الأضداد .

إِلَى الْقَابِضِ الْأَزْوَاحِ وَالضَّيْفَمِ الَّذِي
تُحَدِّثُ عَنْ وَقْفَاتِهِ أَخْيِلُ وَالرَّجُلُ^(١)
إِلَى رَبِّ مَالٍ كُلَّمَا شَتَّ شَمْلُهُ تَجَمَّعَ فِي تَشْنِيتِهِ لِلْعَمَلِ شَمْلُ^(٢)
هُمَا إِذَا مَا فَارَقَ الْغِمْدَ سَيْفُهُ وَعَايَنْتَهُ لَمْ تَذَرِ أَيُّهُمَا الْفَضْلُ^(٣)
رَأَيْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّ بَأْسَهُ
فَشَايِنَ أَهْلِ الْأَرْضِ لَا تَقَطَّعَ النَّسْلُ^(٤)
عَلَى سَابِغٍ مَوْجِ الْمَنَايَا بِنَحْرِهِ
غَنَدَاةً كَأَنَّ النَّبْلَ فِي صَدْرِهِ وَنَبْلُ^(٥)

(١) الضيفم : الأسد . وسكن القاف - في وقفاته - للضرورة . وقوله تحدث الخيل :
يعنى أصحابها ؛ أى الفرسان . والرجل : الرجلة وهم المشاة . وإلى القابض الأزواح :
أى أشكو إلى قابض الأزواح . يريد لكثرة غزواته ووقائعه وقتله الأعداء .
والأزواح تروى بالنصب على أنها مفعول القابض ، وبالحذف على الإضافة ، مثل
الحسن الوجه .

(٢) شت : تفرق ، والشم : الاجتماع . يقول : كلما تفرق جمع ماله اجتمع بمحل
معاليه ؛ وعبارة بعض الشراح : كلما جمع مالا من غزواته أو فرقه على أولياء تجمع له
شمل المعالي

(٣) من خفض هام : فعلى البدل مما تقدم ، ومن رفعه : فعلى إضمار مبتدأ محذوف ،
والهام : الملك الرفيع الهمة . والغمد : جفن السيف . يقول : إنه يعضى فى الامور
مضاء السيف ، فإذا جرد سيفه من غمده لم تذر أيهما السيف كما قال أبو تمام :

يَمْدَوْنَ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيًا وَهُنَّ سِوَالِ السِّيُوفِ الْقَوَاطِعِ

(٤) ابن أم الموت : يعنى أخا الموت ، جملة أخا الموت لكثرة قتله أعداءه والبأس :
الشدة . ولشأ شاع . يقول : لو كان لكل أحد من الناس بأسه لكانوا كلهم شجعانا
وإذ ذاك يقتل بعضهم بعضا فينقطع النسل لكثرة القتل

(٥) السابغ : الفرس الذى كأنه من حسن جريه يسبح ، ولما سمى فرسه سابغا :
استعار المنيا موجاً ، ونصب « موج المنيا » على الظرفية : أى فى موج المنيا و« بنحره »
صلة سابغ ، وهذا كقول مالك بن خالد الحناعى :

وَكَمْ عَيْنٍ قَرْنٍ حَدَقَتْ لِنِزَالِهِ فَلَمْ تُقْضِ إِلَّا وَالسَّيِّئَاتُ لَهَا كُحُلٌ^(٢)

بِأَسْرَعِ الشَّدِّ مَنِ يَوْمَ لَا نِيَّةٌ لَمَّا عَرَقْتَهُمْ وَاهْتَزَّتِ اللَّمَمُ^(١)

أراد بأسرع في الشد مني ، خذف ونصب ؛ و يروي موج المنايا - بالرفع - فيكون « موج » : مبتدأ ، خبره : بنجره : أى أن موج المنايا صار عند نجره . وأضاف « غداة » إلى الجملة التي بعدها لأن ظروف الزمان تضاف إلى الجمل ؛ تقول : رأيتك يوم قدم زيد . والمراد بالغداة هنا : مطلق الحين ؛ لا وقت بعينه ؛ كما يقال : أصبح وأمسي ؛ يراد بهما مطلق الكون أو الصيرورة ؛ والوبل : المطر الكثير . يقول : رأيت المدوح على فرس يسبح في موج بحر الحرب : أى يسرع الجرى فيه يوم كثرت سهام الأعداء في صدر فرسه كما يكثر الوبل ؛ وذلك لإقدامه وشجاعته ؛ فهو لا يبالي لذلك ويمضى قدما .

(١) القرن : الكفو في الحرب ؛ والتحديق : شدة النظر ؛ والنزال : القتال ؛ وكانوا إذا اشتد القتال نزل بعضهم إلى بعض بالسيوف ؛ وقيل كانوا يركبون الإبل ويحبسون الخيل إذا غروا ؛ فإذا وصلوا إلى العدو تداخوا : نزال فينزلون عن الإبل ويركبون الخيل ؛ ومنه قول الحماسي :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها يسلم أو ظفة القوائم هيكل
فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل^(١)

(١) نية : لغة في نية ؛ واللمم : جمع لمة ؛ شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة . هذا وقد روى البيت : بأسرع الشد مني . يريد بأسرع شدا مني ؛ فزاد اللام ؛ كزيادتها في بنات الأوبرا .

(٢) إذا جعلت « نزال » بمعنى النزول إلى الأرض : كان المعنى : وعلام أركبه حين لم أنزل إلى الأرض ، ومعلوم أنه حين لم ينزل هو راكب ، فكأنه قال : وعلام أركبه في حين أنا راكب ؟ أما إذا جعلت نزال بمعنى المنازلة - لا بمعنى النزول - كان المعنى : وعلام أركبه إذا لم أنازل الأبطال عليه ؟ أى ولم أركبه إذا لم أقاتل عليه ؟ أى في حين عدم قتالي عليه ، والشعر لربيعة ابن مقروم الضبي . والأوظفة جمع وظيف ، وهو مستند الذراع والساق من الخيل وغيرها والقوائم : الأرجل ؛ والهيكل : العظيم ، وصف به الفرس . يقول : شهدت الفرسان يوم تطاردهم بالرماح ، وأنا على فرس ضخم سليم الأوظفة من العيوب .

إِذَا قِيلَ رَفَقًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلٌ^(١)
وَلَوْلَا تَوَلَّى نَفْسِهِ حَلَّ حِلْمِهِ
عَنِ الْأَرْضِ لَأَنهَدْتُ وَنَاءَ بِهَا الْحِمْلُ^(٢)

ثم سمي القتال نزالا ، والمقاتلة منازلة ، وإن لم يكن هناك نزول ، وأغضت العين : غمضت ، والسنان : طرف الرمح . يقول ، كم عين قرن حددت النظر نحوه قصداً لقتاله فلم تطرف عينه إلا وقد أدخل فيها سنانه ، فجعله لعينه بمنزلة الكحل .

(١) يقول : إذا طلب إليه الرفق بالأقران ، وقيل له ارفق رفقا ، قال موضع الحلم غير الحرب : يعنى أن الرفق والحلم إنما يكونان في السلم ، أما الحرب فلا رفق فيها ، والتحمل فيها جاهل - أحق - يضع الشيء في غير موضعه .

وهذا المعنى قد طرقة كثير من الشعراء ، ومنه قول الفند الزماني :

* وبعض الحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلدَّلَّةِ إِذْعَانُ *

وقول سالم بن وابصة :

إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذِلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قَدَرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ
وقال الحريري :

أَرَى الْحِلْمَ فِي بَعْضِ الْوِطَانِ ذِلَّةٌ وَفِي بَعْضِهَا عِزٌّ يُسَوِّدُ صَاحِبَهُ
وقال الأعور الشني :

خَذِ الْقَفْوَاً وَاغْفِرْ أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنِّي أَرَى الْحِلْمَ مَالَمَ تَخْشَ مَنْقَصَةً غِنًى
والحلم : نقيض السفه ، وهو الأناة والتثبت والعقل .

(٢) ناء به الجمل : أنقله ؛ ويقال ناء بالجمل : إذا نهض به مثقلا ؛ والمرأة تنوء بها عجيزتها أى تثقلها ؛ وهى تنوء بعجيزتها : أى تنهض بها مثقلة . والجمل - بكسر الحاء - أما حمل على ظهر أوراس ، وأما الحمل - بفتح الحاء - فهو ما يحمل في البطن من الأولاد في جميع الحيوانات ؛ أما ما تحمله الشجرة من الثمر فمنهم من يفتحه تشبيها بحمل البطن . ومنهم من يكسره يشبه بما يحمل على الرأس ، فكل متصل حمل - بالفتح - وكل منفصل حمل - بالكسر - يصف حمله بالرزانة يقول : لولا أنه باشر بنفسه حمل حمله عن الأرض ونهض به دونها لعجزت الأرض عن حمله واندكت لثقله ، ولما كان الحلم بوصف بالرزانة والثقل والحليم يشبه بالطود - الجبل - ساغ في وصف حلم المدوح هذا الكلام ، والمعنى أنه لو كان الحلم جسما لكان من الثقل بهذه الصفة .

تَبَاعَدَتِ الْأَمَالُ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ وَضَاقَ بِهَا إِلَّا إِلَى بَابِكَ الشُّبْلُ^(١)
وَنَادَى النَّدَى بِالنَّائِمِينَ عَنِ الشَّرَى فَأَسْمَعَهُمْ هُبُوا فَقَدْ هَلَكَ الْبُخْلُ^(٢)
وَحَالَتْ عَطَايَا كَفَعُ دُونَ وَعْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ إِنْجَازُ وَعْدٍ وَلَا مَطْلُ^(٣)

(١) يقول : تباعدت آمال الناس عن جميع المقاصد ، يعنى أنها قصدتك وتوجهت نحوك دون غيرك ، وهو قوله «وضاق بها إلّا إلى بابك» أى لا سبيل لها إلّا إلى بابك ويروى إلى بابك على الغائب .

(٢) الندى : الجود ، والسرى : السير ليلاً ، و«هبوا» وما بعدها إلى آخر البيت - حكاية - . يقول : إن شيوخ نداء يستحث القاعدين عنه على طلبه ، فكانه يناديهم ويقول لهم : استيقظوا من نومكم ، واسرؤا إليه ؛ فقد هلك بجوده البخل . هذا : ويقال هب الرجل من نومه إذا استيقظ ، وهو فعل موضوع لقوة الشيء ونشاطه ، فقد قالوا : إن الهباب النشاط ما كان ، قال ليلى :

فَلَهَا هِبَابٌ فِي الزَّمَامِ كَأَنَّهَا صِهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جَهَامُهَا^(١)
ومنه هب النائم لأنه يزايل السكون ، وهبت الريح إذا جاءت بعد سكون وهب التيس هاج ، وأراد السفاد ، وهب السيف : إذا اهتز للقطع .

(٣) حالت اعترضت . يقول : إن عطاياه لم تدع مجالاً للوعد لأنه يعطيها معجلة ومن ثم لا يعزى إليه إنجاز ولا مطل ، لأنه إذا لم يكن ثم وعد لم يكن هناك إنجاز ولا مطل ، كما قال أشجع السلى :

يسبق الوعد بالنوال كما يسبق برق الفيض صوب الغمام

هذا : ويقال نجزت الحاجة إذا قضيت ؛ وإنجازكها : قضاؤها ؛ ونجز حاجته ينجزها - بالضم - نجزاً : قضاها ونجز الوعد ؛ ويقال أنجز حرماً وعد . ومن أمثالهم إذا أردت المحاجة قبل المناجزة . يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال^(٢) وكل ذلك من نجز الشيء : فنى وذهب فهو ناجز .

(١) الهباب : النشاط ؛ وصهباء : يريد كأنها سحابة صهباء : أى حمراء . وخف أسرع ؛ والجهايم ، السحاب الذى لا ماء فيه : أى لهذه الناقاة فى مثل هذه الحال نشاط فى السير ، فكانها فى سرعة سيرها سحابة حمراء قد ذهبت الجنوب بقطعها التى هراقت ماءها فانقردت عنها ، وتلك أسرع ذهاباً من غيرها

(٢) تناجز القوم : تسافكوا دماءهم ، كأنهم أسرعوا فى ذلك

فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ وَأَيْسَرُ مِنْ إِحْصَائِهَا الْقَطْرُ وَالرَّمْلُ ^(١)
وَمَا تَنْقِمُ الْأَيَّامُ يَمَنَ وَجُوهَهَا لِأَخْمَصِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ ^(٢)
وَمَا عَزَّهُ فِيهَا مُرَادُّ أَرَادِهِ وَإِنْ عَزَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ ^(٣)
كَفَى مُعْلَاً فَخْراً بِأَنَّكَ مِنْهُمْ وَدَهْرٌ لِأَنْ أَمْسَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ ^(٤)

قال النابغة الذبياني :

وَكُنْتُ رِبِيماً لِلْيَتَامَى وَعِصْمةً فَمَلِكُ أَبِي قَابُوسٍ أَضْحَى وَقَدْ نَجَزَ ^(١)

(١) يقول : إن عطاياه لا يقدر أحد على تحديدها : أي أن يجعل لها حداً تنتهي إليه ، كما لا يقدر أحد على رد ما فات ، بل رد الفائت أقرب من تحديدها ، وأيسر من إحصائها إحصاء المطر والرمل وهما لا يحصيان .

(٢) ما تنقم : ما تعيب ، والاستفهام : معناه الإنكار ، ويجوز أن يكون نفيّاً وإخباراً . والضمير في وجوهها : للأيام ؛ وفي أخمصه : للمدوح ؛ والأخص : باطن : القدم ، وجوهها : مبتدأ ؛ ونعل : خبر ؛ ولأخصه : متعلق بنعل . يقول : إنه غلب الأيام بعزه ، وذلك له الأيام ذل من يطؤه بأخصه حتى يصير تحت رجله كأنه في الذل فالأيام لا تقدر أن تخالفه . أو تعيب فعله .

(٣) عزه : غلبه وأعجزه . وقوله « وإن عز » أي قل وجوده . يقول : أنه لا يعجزه أمر يحاوله وإن قل وجوده إلا أن يكون ذلك الأمر المراد وجدان نظيره . فإنه يعجز عنه لعدم نظيره ، وهذا كما يقول البحترى :

كُلُّ الَّذِي تَبَغَّى الرِّجَالُ تَصْيِيهَهُ حَتَّى تَبَغَّى أَنْ يُرَى شَرَوَاهُ
« شرواه : أي مثله » ويقول أيضاً :

وَلَيْتَنِي طَلَبْتُ شَبِيهَةَ إِنْى إِذَا لِمَسْكَفٍ طَلَبَ الْحَالِ رِكَابِي

(٤) نعل : بطن من طيء ، وهم رهط المدوح ، وهو مفعول كفى ، وغرا تمييز ، وأنتك منهم : فاعل كفى ؛ والباء زائدة ، مثلها في قوله تعالى « وكفى بالله شهيداً » . يقول كفاهم غرا أنتك منهم : وارتفع دهر بفعل مضمر دل عليه أول الكلام ، كأنه قال

(١) أبو قابوس : كنية النعمان بن النذر . يقول : كنت لليتامى في إحسانك إليهم بجزلة الربيع الذي به عيش الناس ، والعصمة ما يعتصم به الإنسان من الهلاك ونحوه : فنى ويذهب ، أي انقضى وقت الضحى لأنه مات في ذلك الوقت

وَوَيْلٌ لِّلنَّفْسِ حَاقَتْ مِّنْكَ غُرَّةٌ ۚ وَطُوبَىٰ لِّمَنِ سَاعَةٌ مِّنْكَ لَا تَخْلُوُ^(١)
فَمَا بَقِيْعِر شَامٌ بَرَقَتْ فَاَقَّةٌ ۚ وَلَا فِي بِلَادٍ أَنْتَ صَيِّبُهَا تَحْمِلُ^(٢)

وليفخر دهر أهل لأن أمسيت من أهله ، فأهل : صفة لدهر ؛ يعنى وليفخر دهر
قد استحق أن تكون من أهله ، ولك أن تحمل دهر مبتداً محذوف الخبر : أى وكذلك
دهر . ويجوز رفع دهر عطفاً على فاعل كفى ، وهو المصدر المقدر ، لأن « أن » مع
خبرها بمعنى الكون لتعلق منهم باسم الفاعل المقدر الذى هو كائن تقدره كفى ثملا
غراً كونك منهم ودهر مستحق لان أمسيت من أهله : أى وكفاهم غراً دهر أنت فيه
أى أنهم غفروا بكونك منهم وغفروا بزمانك لنضارة أيامه ، كما يقول أبو تمام :

* كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جَمْعٌ *

وروى ابن فورجه ودهرا عطف على ثملا ، قال : وأهل رفع لأنه خبر مبتداً
محذوف : أى هو أهل لأن أمسيت من أهله . وبعد فالعنى : كفى ثملا غراً على سائر
العرب كونك منهم ، وكذلك الدهر كفاه غراً على سائر الأئمة كونك من أهله .

(١) حاولت : طلبت ذلك بالحيلة ، وغرة : أى غفلة . يقول : ويل لنفس طلبت
منك غفلة وطوبى لعين لا تخلو من إصارك . وطوبى : فعلى من الطيب فقولهم طوبى
لفلان أى العيش الطيب له ، وقيل طوبى له : حسنى له ، وقيل خير له ، وقيل طوبى :
اسم الجنة بالهندية ، وقيل بالحبشية . وويل قال الجوهري : « ويل » كلمة عذاب ، وويج :
كلمة رحمة ، وقيل هما بمعنى واحد ، وهما مرفوعان بالابتداء : يقال ويل لزيد وويج لزيد ، ولك
أن تقول ويل لزيد وويج لزيد ، فتنصبهما بإضمار فعل ؛ وكأنك قلت ألزمه الله ويحيا وويلا
ونحو ذلك . ولك أن تقول ويحك وويج زيد . وويلك وويل زيد . - بالإضافة -
فتنصبهما أيضاً بإضمار فعل ، وعبرة الزجاج : الويل كلمة تقال لكل من وقع في عذاب
أو هلكة . قل : وأصل الويل في اللغة العذاب والهلاك ؛ والويل : الهلاك يدعى به
لمن وقع في هلكة يستحقها . ومنه : « ويل للمطففين » فإن وقع في هلكة لم يستحقها .
قلت : ويح لزيد يكون فيه معنى الترحم . ومنه قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
« ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية »

(٢) شام ابرق : نظر إليه وتطلع إلى سحابه يؤمل إبطاره ، والفاقة : الحاجة .
والصيب : المطر الشديد . والهل : الجذب . يقول : لافاقة بفقير يرجى عطاءك لأنك
تحقق مرجوه ، ولا جذب حيث كنت لأن جودك خصب حيث كان ، وشام برقك :
مثل لتوجيه الأمل إليه كما يشام برق السحاب .

وقال يمدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي :
صِلَّةُ الْهَجْرِ لِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ

نُكْسَانِي فِي الشَّقْمِ نُكْسَ الْهَلَالِ (١)
فَقَدَا الْجَنْسُ نَاقِصًا ، وَالَّذِي يَنْقُصُ مِنْهُ يَزِيدُ فِي بَلْبَالِي (٢)
قِفْ عَلَى الدَّمْنَتَيْنِ بِالْذَوْ مِنْ رِيَا كَغَالِرٍ فِي وَجْنَةٍ جَنْبَ خَالِرٍ (٣)
بَطُولٍ كَأَهْنٍ نَجْمُ فِي عِرَاصٍ كَأَهْنٍ لِيَالِي (٤)
وَنُؤَى كَأَهْنٍ عَلَيْهِنَّ خِدَامٌ خُرْسٌ بِسُوقٍ خِدَالٍ (٥)

(١) نكس الرريض نكسا ونكسا ونكاسا : هاوته العلة بعد النقص والبراء : قال
أمية بن أبي عائذ الهذلي :

خَيْالٌ لَزِينٌ قَدْ هَاجَ لِي نُكْسًا مِنْ الْحُبِّ بَعْدَ انْدِمَالِ

يقول : إن مواصلة هجر الحبيب لي وهجر وصاله إياي قد أعاداني إلى السقم بعد الصحة
كما أعاد الهلال إلى المحاق بعد تمامه .

(٢) البلبال : الهم والحزن . يقول : إن جسمه ينقص بالهزال وبمقدار نقصان
الجسم تكون زيادة الحزن : أي كلما نقص من جسمه شيء زاد بلباله بمقدار ذلك النقص
(٣) الدمنة : ما اسود من آثار الديار ، والدو الصحراء . وقوله من ريا : أي من
دمن ريا ، فـ «من» يائية ، كقول زهير :

• أَيْنَ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ •

يريد من دمن أم أوفى . وريا : اسم المحبوبة . والحال : شامة ، أي بثرة سوداء
ينبت حولها الشعر غالبا ، وتكون في الخد . شبه دمنتها في الصحراء بمخالين في خد
يقول : قف بدمنتي هذه المحبوبة لتنظرها وتذكر من كان فيهما من أهلها ، فقد
بقينا كأنهما خالان في خد .

(٤) الطلول : ما بقي من آثار الديار وبطلول : متعلق بقف . والعراص : جمع
عرصة ، ساحة الدار . يقول . قف بطلول لأثبات في العراص كما تلوح النجوم في الليالي .
يعني أن الطلول الشاخصة الباقية من ديار الأحباب تلوح في عراص خالية كما تلوح
النجوم في الليالي المظلمة .

(٥) النؤى : جمع نؤى ، وهو ما يحفر حول الجباء يقيه ماء المطر أن يدخله

لَا تَلْنِي فَإِنِّي أُعْشِقُ الْمُسَاقِ فِيهَا يَا أَعْدَلَ الْعَدَالِ (١)
مَا تُرِيدُ النَّوَى مِنَ الْحَيَةِ الذَّوَا قِ حَرَّ الْفَلَا ، وَبَرَدَ الظَّلَالِ (٢)
فَهُوَ أَمْضَى فِي الرُّوْعِ مِنْ مَلَكِ الْمَوْتِ
تِ ، وَأَسْرَى فِي ظُلْمَةِ مِنْ خَيَالِ (٣)
وَلَحْنَفٍ فِي الْعَزِّ يَذْنُو مُحِبًّا ، وَلِعُمُرٍ يَطُولُ فِي الذَّلِّ قَالِي (٤)

كالخندق . والخدام : جمع خدمة - بفتحين - الخللخال . وخرس : يريد لاصوت لها ؛
والسوق : جمع ساق ، والخدام : الغلاظ السمان . شبه النوى حول آثار الاخبية في
استدارتها بالخلاخيل حول الأسواق الغليظة ، وإذا غلظت الساق لم يتحرك فيها الخلخال
فلم يسمع له صوت ، ومن ثم وصف الخلاخيل بالخرس . وهذا إخبار بأن النوى لم
تدفن في التراب ، وأن ما أحدثت به ملاءها كما تملأ الساق الغليظة الخلخال ، وهذا
من قول أبي تمام :

أَنَافٍ كَالْخُدُودِ لُطْمَنَ حُزْنًا ، وَنَوَى مِثْلُ مَا انْقَصَمَ السَّوَارِ
فَنَقَلَ اللَّفْظَ مِنَ السَّوَارِ إِلَى الْخُدَامِ ، وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

نَوَى كَمَا نَقَصَ الْهَلَالُ بِحَاقِهِ أَوْ مِثْلُ مَا قَصَمَ السَّوَارَ الْمَعْصَمُ

(١) فيها ، في المحبوبة ، أى في هواها : متعلق بتلنى : أى لا تلنى في هواها فإننى
أعشق العشاق وإن كنت أنت أعذل العذال .

(٢) النوى : البعد والفراق وعنى بالحية نفسه ، والحية تطلق على الذكر والأنثى . يريد :
أنه قد تفرس ببحر الفلوات في النهار ويبرد الليل ، والليل ظل كله ، يعنى أنه تعود السير في
الحر والبرد فلا تؤثر فيه الأسفار ، قال الواحدي : وهذا شكاية من الفراق وأنه
مبتلى به .

(٣) أمضى : أنفذ . والروع . الفزع والهلول وأسرى من السرى ، وهو السير ليلا ،
شبه نفسه بملك الموت لأنه يخوض غمار الحروب لأخذ الأرواح من غير خوف ،
والخيال يوسف بالشرى ولا يكثر بعد المسافات .

(٤) الحنف : الهلاك ؛ واللام الداخلة عليه للتقوية متعلقة بمحب ، ويدنو : صفة
الحبيب ، ومحب : عطف على أمضى - في البيت السابق - والقالي : المبلغض يقول إنه
محب للحنف القريب إذا كان في العز ، ومبغض للعمر في الذل وإن طال ذلك العمر ،
يعنى أن الموت في العز أحب إليه من الحياة في الذل .

نَحْنُ رَكْبٌ مُلَجِّنٌ فَرَى نَاسٍ فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصِ الْجَمَالِ (١)
 مِنْ بَنَاتِ الْجَدِيلِ تَمْشِي بِنَا فِي السَّبِيلِ مَشَى الْأَيَّامِ فِي الْأَجَالِ (٢)
 كُلُّهُ هُوَ جَاءَ لِلدَّيَّامِيمِ فِيهَا أَثَرُ النَّارِ فِي سَلِيطِ الذَّبَالِ (٣)
 عَامِدَاتٍ لِلْبَدْرِ وَالْبَحْرِ وَالضَّرَّ غَامَّةُ ابْنِ الْمُبَارَكِ الْمِفْضَالِ (٤)
 مَنْ يَرْزُهُ يَرْزُ سُلَيْمَانَ فِي الْمُلْكِ جَلَالًا وَيُوسُفًا فِي الْجَمَالِ
 وَرَبِيعًا يُضَاحِكُ الْفَيْثُ فِيهِ
 زَهَرَ الشُّكْرُ مِنْ رِيَاضِ الْمَعَالِي (٥)

(١) الركب : جمع الركاب . وقوله ملجن : أراد من الجن ، غذف التون لسكونها وسكون اللام من الجن ، وهذا كقولهم بلعبر في « بنى العنبر » وبلقين في بنى القين والزى : الهبة . يقول : إنهم كالجن في إلفة الجاهل والغلات وركابهم كالطير في سرعة قطع المسافات . وهذا من قول أبي تمام :

فِي ثُبَّةٍ إِنْ سَرَوْا فَجَنُّ أَوْ يَمْمُوا شُقَّةَ فَطِيرٍ

« الثبة : الجماعة ؛ والشقة : السفر البعيد »

(٢) الجدِيل : فحل كريم كانت العرب تنسب إليه الإبل . والبيد . الصحراوات . يقول : إن هذه الجمال التي هي كالطير في السرعة من بنات هذا الفحل الكريم تقطع بنا المفاوز قطع الأيام للأجال حتى تغنينا . وهذا من قول صريع الغواني :

مُوفٍ عَلَى مَهْجِجِ الْيَوْمِ ذُو رَهْجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ

(٣) الهوجاء : الناقة التي لا تستوى في سيرها لنشاطها وخفتها كالريح الهوجاء والدياميم :

جمع ديمومة ، وهي المفازة لا ماء بها ؛ والسليط : الزيت ؛ والذبال جمع ذبالة وهي الفتيلة . يقول : كل ناقة قد أثرت فيها الغلات تأثير النار في دهن الفتيلة ، وللعن قد أفتناها السير كما تفتى النار دهن الفتيلة ، وعبارة بعض الشراح . إن المفاوز قد ألهبتها بالظمأ والحر فأثرت فيها أثر النار في دهن الفتيلة .

(٤) عامدات : قاصدات ؛ والضرغامة : الأسد : شبه الممدوح بالبدر في الحسن والشرف والعلو ، وبالبحر في الجرد والكرم . وبالأسد في البأس والشجاعة ، ثم قال نه ! مفضل أي كثير الفضل .

(٥) وريعا : عطف على مفعول يزر - في البيت السابق - جعل الممدوح ريعا -

نَفَحْنَا مِنْهُ الصَّبَا بِنَسِيمٍ رَدَّ رُوحًا فِي مَيِّتِ الْأَمَالِ^(١)
 هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَفْعُ الْمَوَالِي وَبَوَارُ الْأَعْدَاءِ وَالْأَمْوَالِ^(٢)
 أَكْبَرُ الْعَيْبِ عِنْدَهُ الْبُخْلُ وَالطَّمَعُ
 نُ عَلَيْهِ التَّشْبِيهُ بِالرُّبَالِ^(٣)

وهو الزمن المعروف ويطلق على الحصب ، وجعل عطاءه غيثا - مطرا - لذلك الربيع ،
 وجعل شكر الشاكرين زهرا يضاحك الغيث ، لأن الزهر إنما يتفتح ويحسن بعد مجيء
 الغيث كالشكر يكون بعد العطاء ، ثم استعار لمعاليه رياضا لتجانس الألفاظ ، وكأن هذا
 الزهر قد طلع من رياض معاليه لأنه لولا كرمه وحبه للبود ما أثنى عليه الشاكرون
 يقول : إن جوده يمطر على السائلين فتبتسم له ثغور الشتاء ابتسام الزهر بعد المطر .
 (١) نفحت الريح : هبت أو نسمت ، ونفح الرياح : هبوبها في البرد ؛ واللفح :
 هبوبها في الحر . ونفح المسك ينفع : فاحت ريحه ؛ والصبا : ريح مهبها جهة الشرق .
 وقوله منه : أى من الربيع المذكور . لما شبه المدحوح بالربيع شبه ما انتشر من ذكر
 مكارمه بالنسيم الذى يهب فى الربيع . يقول : هبت علينا نسمة من أخبار كرمه أحييت
 مامات من آمالنا .

(٢) الموالى : جمع مولى . وهو الحليف والصدق ، والبوار : الهلاك
 (٣) عنده أى فى رأيه واعتقاده ، والرئبال : الأسد . يقول : هو يرى أن أكبر
 العيوب : البخل ، ومن ثم يتجنبه ويتحاماه ، وإذا شبهه أحد بالأسد كان ذلك كالطعن
 عليه لأن الأسد دونه بأسا وإقداما ، وقال العكبرى - تفسيرا لصدر البيت - أكبر
 عيب يعيب به أحدا عنده البخل لأنه كريم فلا يحب بخيلا ، فإذا عاب إنسانا قال هو
 بخيل . هذا : والرئبال مهموز - وقد سمع مخففا ؛ والجمع : الرأيل والريابل - على
 الهمز وتركه - قال بعضهم : يجوز فيه ترك الهمز ، وأنشد لجرير :

رَيَابِيلُ الْبِلَادِ يَخْفَنُ مِنِّي وَحَيَّةُ أُرَيْحَاءَ لِي اسْتِجَابَا^(١)
 ومثله لأبى حية النخري .

ويلقى كما وكنا يدا فى قتالنا رَيَابِيلَ مَا فِينَا كَهَامٌ وَلَا نِكْسُ
 ويقال فلان يترأبل : أى يغير على الناس ويفعل فعل الأسد .

(١) أُرَيْحَاءُ ؛ بيت المقدس .

وَالْجَرَاحَاتُ عِنْدَهُ نِعَمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَيِّئِهِ بِسُؤَالٍ^(١)
ذَا السَّرَاجُ الْمُنِيرُ هَذَا النِّقْ السَّجِيْبُ هَذَا بَقِيَّةُ الْأُبْدَالِ^(٢)

(١) النعمات : جمع نعمة ، وهى هنا الصوت ؛ والسبب : العطاء : يقول : عادته أن يعطى بغير سؤال فإن سبقت عطاءه نعمة من سائل بلغ ذلك منه مبلغ الجراحة من المجروح أسفا على أن عطاءه تأخر حتى أتى يطلبه ؛ يعنى أنه يشق عليه نعمة السائل قبل الإعطاء ؛ ويحكي أن الحسن بن طى عليهما السلام أتاه مال من معاوية ، فقسمه فلم يبق إلا خمسمائة دينار ، فأراد أن يقوم بها من مجلسه ، فالتفت وإذا أعرابى قد جاء على ناقة له ، فقال الحسن لعلامه : ادفع إليه هذه الدنانير وقل له إنك أتيت ولم يبق عندنا سواها فأخذها الأعرابى وقال له : يا ابن بنت رسول الله ! والله ما أتيتك إلا قاصدا ، فإذا أعلمك بحالى ؟ فقال له : إنا أناس نعطي قبل السؤال شحا على مارجاه السائل لنا ، ثم أنشد :

نحن أناس جنابنا خضيل يسرع فيه الرجاء والأمل
نبذل قبل السؤال نائلنا شحاً على مارجاه من يسأل

ومثل هذا المعنى قول مروان بن أبى حفصة يرثى معن بن زائدة :

نوى من كان يحمل كل ثقل ويسبق فيض راحته السؤال

وقال الخطيب التبريزى : المعنى : يلتذ بنعمات السائل كما يلتذ الجراح^(١) وقد روى اليازجى هذا البيت هكذا :

والجراحات عنده نِعَمَاتٌ سُبِقَتْ قَبْلَ سَيِّئِهِ بِسُؤَالٍ

وشرحه هكذا : يجوز فى « نعمات » كسر العين على الاتباع ، وفتحها للتخفيف أو على أنها جمع نعم ، فتكون جمع الجمع ؛ وبسؤال : متعلقة بسبقت . يريد : أن عادته سبق عطاءه للسؤال ، فإذا سبق السؤال عطاءه ؛ كان ذلك مؤلماً له كالجراحة عند المجروح

(٢) جعله سراجاً منيراً لأنه برأيه يهتدى فى مشكلات الخطوب ودجنات الأمور . أو علمه يهتدى إلى ما أشكل من السائل ، والجيب : ما انفتح من القميص على النحر ، والنقى الجيب : عبارة عن الظاهر من العيب ؛ أى أن ثوبه لا يشتمل على دنس

(١) لعل الإمام التبريزى يريد كما يلتذ بالجراحات التى تصيبه فى الوغى : أى أنه كريم شجاع .

- فَخُذَا مَاءَ رَجُلِهِ وَأَنْضَعَا فِي الْمُدْنِ تَأْمِنَ بَوَاقِ الزَّلْزَالِ^(١)
وَأَمْسَحَا ثَوْبَهُ الْبَقِيرَ عَلَى دَا ثِكْمَا تُشْفِيَا مِنَ الْإِعْلَالِ^(٢)
مَالِنَا مِنْ نَوَالِهِ الشَّرْقِ وَالْفَرْ
بَ وَمِنْ خَوْفِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ^(٣)
قَابِضَا كَفَّهُ الْيَمِينَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَلَوْ شَاءَ حَازَهَا بِالشَّمَالِ^(٤)
نَفْسُهُ جَيْشُهُ وَتَدْبِيرُهُ النَّصْرُ ، وَأَخْلَظُهُ الطُّبَى وَالْعَوَالِي^(٥)
وَلَهُ فِي جَهَا جِهَةِ الْمَالِ ضَرْبٌ وَقَعَهُ فِي جَهَا جِهَةِ الْأَبْطَالِ^(٦)

والأبدال : العباد الزهاد ، سموا بذلك لأنهم أبدال من الأنبياء في إجابة دعواتهم ونصحهم للخلق ، وقيل لأنه إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر .

(١) النضج : الرش . والبواقي : جمع باقية ، وهى الداهية . والزلال - بفتح الزاى - الاسم ، وبكسر ها : المصدر . يقول - مخاطباً صاحبه - : رشا الماء الذى يسيل من رجليه إذا توضع على المدائن تصير آمنة من الزلزال ببركة صلاحه .

(٢) البقير : قميص يشق بلا كمين ، وهو بيان للثوب . والإعلال : مصدر أعله الله إذا أصابه بعله ، وهى المرض . يقول : واستشفيا بثوبه تبركا به حتى تشفيا مما بكما من الإعلال

(٣) مائنا : حال مضمرة العامل ، أى هو موصوف بما ذكر حالة كونه قد ملأ الأرض من عطائه وملأ القلوب من خوفه .

(٤) يقول : إنه زاهد فى الدنيا لحقارتها ولو شاء ضمها إليه كلها فملكها .

(٥) الطي : جمع ظبة . حد السيف . والعوالى : الرماح . يقول : نفسه لشجاعته وقوته تقوم مقام الجيش ، وتديره بإصابته فى الرأى يكفل له النصر ، وهيئته إذا نظر تقوم مقام السيوف والرماح .

(٦) قال الواحدى : يعنى أنه يفرق ماله بالعطاء فإذا فى المال أنى أعداءه فضرِبَ جهاجمه وأغار على أموالهم ، كما يقال هو مفيد ومتلاف ، فوقع ضربه فى رءوس أمواله يكون فى الحقيقة فى رءوس الأبطال ، لأنه لو لم يفرق ماله ما عاد إلى قتالهم واستباحة أموالهم ، وهذا كقوله :

فَالسَّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاءُ

فَهُؤُوا لِاتَّقَائِهِ الدَّهْرَ فِي يَوْمٍ مَرَّ نَزَالٍ وَلَيْسَ يَوْمَ نَزَالٍ^(١)
 رَجُلٌ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَزْدِ وَطِينُ الْعِبَادِ مِنْ صَلْصَالٍ^(٢)
 قَبَقِيَّاتُ طِينِهِ لَاقَتْ الْمَاءَ ، فَصَارَتْ عَذُوبَةً فِي الزُّلَالِ^(٣)
 وَبَقَايَا وَقَارِهِ عَافَتْ النَّاسَ مِنْ فَصَارَتْ رَكَاةً فِي الْجِبَالِ^(٤)
 لَسْتُ بِمَنْ يَمُرُّهُ حُبُّكَ السَّلَامَ وَأَنْ لَا تَرَى شُهُودَ الْقِتَالِ^(٥)
 ذَاكَ شَيْءٌ كَفَاكَهُ عَيْشُ شَانِيكَ ذَلِيلًا بَوَقْلَهُ الْأَشْكَالِ^(٦)
 وَاغْتِفَارًا لَوْ غَيَّرَ الشَّخْطُ مِنْهُ جُمِلَتْ هَامُهُمْ نِعَالَ النِّعَالِ^(٧)

(١) يقول : هم أبداً يخافونه حتى كأنهم في يوم حرب لشدة خوفهم وليس الوقت يوم حرب ، وقال ابن جني : أي فهم الدهر يتقونه لإعماله رأيه ومضاهه فيهم ، وإن لم يباشروهم بحرب ولا لقاء .

(٢) العنبر الورد : الذي يضرب لونه إلى الحمرة . والصلصال : الطين اليابس الذي يعمل منه الفخار . يقول : إنه لنقاؤه وطهارته خلق من العنبر وسائر الناس خلقوا من طين صلصال ، وشتان ما بينهما .

(٣) للماء الزلال : البارد السائع . يقول : إن الماء إنما استفاد العذوبة منه لأن ما بقي طينته التي خلق منها اجتمع مع الماء فصارت عذبا .

(٤) عاف الشيء : كرهه ، والركاة : الرسوخ والسكون . يقول : وإن ما بقي مما أعطى من الحلم والرزانة كرهه وأنف أن يحل في الناس محل في الجبال فأفادت بذلك ثباتها وركائنها .

(٥) يغره : يخدعه . والسلم : ضد الحرب ، وترى من الرأي ؛ والشهود : مصدر بمعنى الحضور . وتمة المعنى في البيت التالي .

(٦) الإشارة بقوله ذاك : إلى القتال وكفاكه : أغناك عنه ؛ والشاني : هو الشاني - بالهمز - أي البغض ؛ وذليلا : حال ، والأشكال : الأشباه والأمثال . يقول : لا يغرنى ما أراه من محبتك السلم وأنت لا ترى حضور القتال ، فأقول إن ذلك من الجبن وإنما كفاك القتال وأغناك عنه أن من عاداك قد ذل وأن ليس هناك أ كفاء لك يستحقون أن تنازلهم في حرب :

(٧) واغتفار : عطف على فاعل كفاكه . و«من» في منه زائدة : أي لو غيره السخه والهام : الرءوس ، والسكناية في هامهم تعود إلى الأعداء ، دل عليه قوله عيش شانيك

لِجِيَادٍ يَدْخُلْنَ فِي الْحَرْبِ أَعْرَا ۚ وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَمٍ فِي جِلَالٍ ^(١)
وَأَسْتَعَارَ الْحَدِيدُ نَوْنًا وَالْقَى نَوْنَهُ فِي ذَوَائِبِ الْأَطْفَالِ ^(٢)
أَنْتَ طَوْرًا أَمْرٌ مِنْ نَاقِصِ الشَّمِّ وَطَوْرًا أَهْلَى مِنَ السَّلْسَالِ ^(٣)

يقول : وكفائك القتال عفوك وتجاوزك ولو غير السخط ذلك الاعتقار والعفو لدست
ردوسهم بهوافر خيلك حتى تصير هامهم نعالا لنعالها . وقال ابن جني : لو احفظوك
وحملوك على ترك الاعتقار لأهلكهم ، ولقد أحسن في كنياته عن الحفيظة بقوله :
لوغير السخط منه ، ومثله :

ولو ضَرَّ خَلْقًا قَبْلَهُ مَا يَسْرُهُ لَأَثَرَ فِيهِ بِأُسِهِ وَالتَّكْرُهُمُ
كفى عن الضرر باثر فيه .

(١) لجياد : متعلق بمحذوف حال من نعال - في البيت السابق - فيه تضمين ، وقد
عابه عليه قوم . والأعراء : جمع عرى ، وهو الذى لا سرج عليه . يقال فرس عرى
وأفراس أعراء ، والجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة . يقول : إنها تدخل الحرب
أعراء من الجلال ثم تخرج منها وعليها جلال من الدم الذى جف عليها ، كما قال جرير :
وَتُنْكَرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَلْوَانُ خَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسِبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا
(٢) استعار . معطوف على جواب « لو » ، والمراد بالحديد : السيوف . والدوائب
جمع ذؤابة ، الحصلة من الشعر . يقول : إن سيوفه تستعير وتغير فإن لون الدوائب - وهو السواد
ينقل إليها ، وذلك أن الدماء إذا جفت عليها اسودت ، ولونها - وهو البياض - ينتقل
إلى الدوائب فإنها بالروع تشيب الأطفال .

(٣) الطور : التارة ، ونصب على الظرفية ؛ والناقص من السم : الثابت في بدن شاربته
لا يزيله حتى يقتله ؛ والسلسلة : الساء العذب الذى يتسلسل في الحلق يقول : أنت سم
لأعدائك حلولا وليائك ، وهذا المعنى طرقة كثير من الشعراء ، قال أبو دؤاد :

فَهُمْ لِلْمَلَأَيْنِينَ أَنَاةٌ وَعُرَامٌ إِذَا يَرَامُ الْعُرَامُ

وقال أبو نواس :

حَذَّرَ امْرَأَتِي نَصْرَتِ يَدَاهُ عَلَى الْعِدَا
ونقله أبو الشيبى إلى السيف قال :

وَكَالسَيْفِ إِنْ لَا يَنْقُهُ لَانَ مَتْنُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنَتْهُ خَشِنَانِ

إِنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّاسُ سُبَّانٌ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالِي^(١)

وقال وقد دخل على أبي على الأوراجي يوماً فقال له: وددنا يا أبا الطيب لو كنت اليوم معنا ، فقد ركبنا ومعنا كلب لابن ملك ، فطردنا به خليياً ، ولم يكن لنا صقر . فاستحسننا صيده ، فقال : أنا قليل الرغبة في مثل هذا ، فقال أبو على : إنما اشتيت أن تراه فنستحسنه ، فتقول فيه شيئاً من الشعر ، قال : أنا أفعل ، أنتحب أن يكون الآن ، قال : أيمكن مثل هذا ؟ قال : نعم . وقد حكمتك في الوزن والقافية ؛ قال : لا ، بل الأمر فيهما إليك ، فأخذ أبو الطيب درجاً ، وأخذ أبو على درجاً آخر يكتب فيه كتاباً فقطع عليه أبو الطيب الكتاب وقال :

وَمَنْزِلَ لَيْسَ لَنَا بِمَنْزِلٍ وَلَا لِفَيْرِ الْغَادِيَاتِ الْهَاطِلِ^(٢)
نَدَى الْخَزَامَى ذَفِيرِ الْقَرْنَفِلِ مُحَلَّلٍ مَلُوْحَشٍ لَمْ يَحْلَلِ^(٣)

- (١) يقول : أنت الناس فإذا غبت عن موضع غاب عنه الناس .
(٢) ومنزل : أي ورب منزل . والغاديات : السحائب المنتشرة مباهاً ؛ والهاطل : جمع هاطلة وهي السكينة الماء . يقول : رب منزل نزلناه ليس لنا بمنزل على الحقيقة لانا نرتحل عنه وليس بمنزل لشيء غير السحاب الباكرة الماطرة ، يعني روضاً نزلوه . وقد أسلفنا القول على واو «رب» في هذا الشرح
(٣) الندى : الرطب ؛ والخزامي والقرنفل : نباتان طيبان . والأذفر : الذكي الرائحة . والمحلل : الذي يحل كثيراً . وقوله ملوْحَش : أي من الوحش ، فحذف النون لسكونها وسكون اللام . يقول : يحله الوحش دون الناس فهو محلل من الوحش غير محلل من الإنسان . قال الجوهري : مكان محلل : إذا أكثر الناس به العلول ، قال امرؤ القيس :

كَبِيرِ الْقَانَةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْحَلَلِ^(١)

- (١) أراد بقوله «بكر القاناة» درة غير مثقوبة أو لم ير مثلها ، ثم قال غذا هذه الدرة

عَنْ لَنَا فِيهِ مُرَاعِي مُغْزِلٍ مُحَيِّنُ النَّفْسِ بَعِيدُ الْمَوْتِ (١)
أَغْنَاهُ حُسْنُ الْجِيدِ عَنْ لُبْسِ الْحِلْيِ وَعَادَةُ الْعُرَى عَنِ التَّفَضُّلِ (٢)
كَأَنَّهُ مُضَمٌّ نَحْ بِصَنْدَلٍ مُعْتَرِضًا بِمِثْلِ قَرْنِ الْأَيْلِ (٣)

(١) عن : ظهر؛ والمراعى . الذى يرعى مع غيره . يقال : راعت الظبية أختها: أى راعت معها ، والمغزل : الظبية لها ولد والحين : من الحين ، وهو الهلاك ، يقال حينه الله : أى أهلكه والموتل : اللجأ . يقول : ظهر لنا فى هذا الموضع ظبي يرعى مع ظبية مغزل قد حان أجله ، وفاته موضع ينجو إليه من صيدنا لأننا ندركه حينما ذهب :

(٢) الجيد : العنق ، والحلى بضم فكسر وبكسرتين وأصله بتشديد الياء ، مخفف للقفائية . جمع حلى بفتح فسكون مائزين به المرأة من ذهب وفضة وجوهر والتفضل أن تلبس المرأة ثوبا يبتذل فى المنزل ، ومنه قول امرئ القيس :

وَتُضْحَى فَتَيْتُ الْمَسَكِ فَوْقَ فَرَاشِهَا نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَقِ عَنْ تَفَضُّلِ (١)
وفى حديث امرأة أبى حذيفة ، قالت يارسول الله : إن سالم مولى أبى حذيفة يرانى فضلا - أى متبذلة فى ثياب مهنتى - وليس لنا إلا بيت واحد ، فما تأمرنى فى شأنه ؟ فقال أرضعيه خمس رضعات . يقول : أغنى هذا الظبي حسن جيده عن أن يلبس حليا يزين بها وقد تعود العرى فاستغنى بهذا عن اتخاذ اللباس

(٣) ضمخه بالطيب طلاه به والصندل طيب يشبه لونه لون الأطباء ، ومعترضا : حال مضمرة العامل ، أى أصفه بما ذكر فى حال كونه معترضا ، والأيل: الذكر من الأوعال ، وفيه ثلاث لغات أيل وإيل وأيل ، والجمع أيايل ، وربما قالوا فى إيل «إجل» يدلون الياء جيا ، قال أبو النجم :

ماء غير عذب لم يكثر حلول الناس عليه فيسكدره ذلك ، والملة أناة الخلط ، وكل شيء خالط شيئا فقد قاناه ، وبروى البيت بنصب البياض وخفضه ، على حد قولهم : زيد الحسن الوجه . فى البيت آراء كثيرة فى معناه (انظر الزوزنى واللسان مادة قى)
(١) لم تنتطق عن تفضل : أى لم تنتطق بعد تفضل : أى لم تشد وسطها بنطاق بعده لبسها ثوب المهنة ، يريد أنها مخدومة منعمة ، تخدم ولا تخدم .

يَحُولُ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالتَّائُمِلِ فَحَلَّ كَلَابِي وَثَاقَ الْأُحْبِلِ ^(١)
عَنْ أَشْدَقِ مُسَوِّجٍ مُسَلْسَلِ أَقْبَ سَاطِ شَرِسٍ شَمْرَدَلِ ^(٢)
مِنْهَا إِذَا يُشْفَعُ لَهُ لَا يَفْزَلِ مُوجِدِ الْفِقْرَةِ رِخْوِ الْمَفْصِلِ ^(٣)

كَأَن فِي أَذْنَاهِمَنِ الشُّوَلُ مِنْ عَبَسَ الصَّيْفُ قُرُونِ الْأَجَلِ ^(١)
قال أبو عمرو بن العلاء : بعض الأعراب يجعل الباء المشددة جيمًا . ويروى قرون
الإيل ، شبه التني لونه بلون الصندل يقول . اعترض لنا بقرن طويل كقرن الأيل .
(١) الكلاب الذى يسوس الكلاب . والوثاق ما يشد به . والأحبل : جمع حبل .
يقول : إنه لسرعته لا يتمكن الكلب من النظر إليه فلا يستطيع تأمله ، فيحل الكلاب
ما كان يشد به الكلب ويطلقه عليه .

(٢) عن أشدق : متعلق بـ «حل» ، أى حل الأحبل عن كلب أشدق ، والأشدق :
الواسع الشدق . والمسوِّج الذى فى رقبته ساجور ، وهو قلادة الكلب التى فيها مسامير
والسلسل : الذى فى عنقه سلسلة . والأقْب : الضامر ؛ والساطى : الذى يسطو على الصيد
أى يصول ، عليه ، وقال ابن جنى : هو البعيد الأخذ فى الأرض ، والشريس : السبيء
الحلق . والشمردل : القوى السريع الفقى الحسن الحلق ؛ يقول : إنه حل الأحبل عن
كلب بهذه الأوصاف .

(٣) الضمير فى « منها » للكلاب المفهومة من قوله كلابي : أى صاحب كلابي ؛ وقوله
إذا شفع من الثغاء ؛ وهو صوت الشاة ونحوها ؛ ولا يفزل : أى لا يفتر عن الطلب .
وذلك أن الكلب إذا دنا من الطيى وكاد يأخذه : ثغا فى وجهه ففزل الكلب - أى
تحير - ووقف مكانه من صوت الفزال ، وجزم الفعلين - شفع ويفزل - بإذاعلى تضمينها
معنى الشرط ، وهو من التجوزات الخاصة بالشعر . يقول : إن هذا الكلب ، لا يفرق من
صوت الفزال ولا يفتر عنه إذا ثغا ، ثم قال : موجد الفقرة رخو المفصل ، فالموجد :
الموثق القوى ؛ والفقرة : - بكسر الفاء وفتحها - ومثلها الفقارة - بالفتح : واحدة
فقار الظهر ، وهو ما انتضد من عظام الصلب من لدن البكاهل إلى العجب ، والجمع
قمر وقمار ، وقيل فى الجمع : فقرات وفقرات وققرات . يعنى أنه قوى الظهر لين المفاصل
وذلك أسرع لأخذه .

(١) العبسى : - ما يئس على هلب الذنب من البول والبعر

لَهُ إِذَا أُذْبِرَ لَحْظُ الْمُقْبِلِ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ سَجَنَجَلٍ^(١)
يَعْدُو إِذَا أَحْزَنَ عَدُوَّ السَّهْلِ إِذَا تَلَا جَاءَ اللَّدى وَقَدْ تَلَى^(٢)
يُقْبِي جُلُوسَ الْبَدْوَى الْمُصْطَلِي بِأَرْبَعٍ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجْدَلِ^(٣)
فَقَتْلُ الْأَيَادِي رِبْذَاتِ الْأَرْجُلِ آثَارُهَا أَمْنَالُهَا فِي الْجُنْدَلِ^(٤)
يَكَادُ فِي الْوُثْبِ مِنَ التَّفْتَلِ يَجْمَعُ بَيْنَ مَتْنِهِ وَالْكُلْكُلِ^(٥)

(١) السجنجل : المرأة . يقول : إنه يرى ما أدير عنه كما يرى ما أقبل عليه وذلك
سرعة التفاته وشدة تيقظه ، وقد شبه صفاء حدقه بالمرأة ويروى في سجنجل . أى
كان أمامه امرأة ينظر فيها فترى ما خلفه أمامه .

(٢) يعدو : يجرى ، وأحزن : سلك في الحزن : أى الوعر : وأسهل : سلك في
السهل ؛ وتلا : تبع ؛ والدى : الغاية . يقول : إنه يعدو في الحزن من الأرض عدو
الذى هو في السهل لقوة قوائمه ، وإذا تبع سائر الكلاب في طلب صيد بلغ الغاية التى
يريدها ، وقد تقدم الكلاب فصارت خلفه فصار متلوا بعد أن كان تالياً .

(٣) الإقعاء . أن يجلس الكلب على إتيته ، والبدوى إذا اصطلى بالنار استدفاها
— أقمى على أسته ونصب ركبتيه لتصل الحرارة إلى بطنه وصدره وجلس مفعول مطلق
معنوى ، وقوله بأربع مجدولة لم تجدل : أى بأربع قوائم ؛ والحرف : متعلق بـ «يقمى» ،
والمجدولة : المفتولة ، يريد بقوائم محكمة الخلق لم يجدلها أحد ، وإنما هى كذلك خلقه .

(٤) قتل الأيادى : صفة لأربع ، يقال بدفتلاء إذا تباعدت عن الصدر فلم يمسه
عند العدو ، وذكر يديه بلفظ الجمع ، وكذلك الأرجل ، والعرب تفعل مثل ذلك فى
الثنية . هذا : الأيادى أكثر ما تستعملها العرب فى النعم يقولون لفلان عندى يدوأياد
والربذات الحففات السريعات . والجندل الصخر . يقول : إن قوائمه مفتولة سريعة فى
العدو شديدة الوطء لقوتها ، وإذا وطئت الصخر أثرت فيه آثاراً مثل صورتها .
هذا : وقد قالوا : إن الكلب لا يوصف بشغل الوطء ، وإنما جاء هذا فى الخيل والإبل ،
فقله المتن إلى الكلب .

(٥) التفتل : كالانفتال ، والمتن : جانب الظهر عند الصاب ، والكلكل : الصدر .
يقول : لسرعته ولين أعطافه إذا انفتل للوثوب على الصيد يلتوى بعضه على بعض حتى
يكاد يجتمع صدره وظهره فى آن واحد .

وَبَيْنَ أَعْلَاهُ وَبَيْنَ الْأَسْفَلِ شَبِيهُ وَسَمِيَّ الْحَضَارِ بِالْأَلَى^(١)
كَأَنَّهُ مُضْبِرٌّ مِنْ جَرَوَلٍ مُوْتَقٍّ عَلَى رِمَاحٍ ذُبُلٍ^(٢)
ذِي ذَنْبٍ أَجْرَدَ غَيْرَ أَغْزَلٍ يَخُطُّ فِي الْأَرْضِ حِسَابَ الْجُمْلِ^(٣)
كَأَنَّهُ مِنْ جِسْمِهِ بِمَفْزَلٍ
لَوْ كَانَ يُبْلَى السَّوْطَ تَحْرِيكَ بَلَى^(٤)

(١) الوسمى : أول المطر ، والولى : ما يليه . والحضار : العدو الشديد ، مصدر حاضره إذا جراه في الحضر وهو العدو ، وبين أعلاه : خبر مقدم ؛ وشبيه مبتدأ مؤخر ويريد بأعلاه : رأسه ؛ وبأسفله : قوائمه ، كفى بما بينهما عن جسمه ، وشبه تتابع حركته في الوثوب بتتابع المطر بعد المطر . يقول : إن عدوه الثاني في القوة والسرعة كعدوه الأول ، يعني أنه لا يعيا ولا يفتر .

(٢) المضبر : المشدود المحكم الحلق ومثله الموثق ، والجروال الحبر ومنه سمى الخطيئة جرولا كما سموا حجرا وصخرا : يقول كأنه قد خلق من الحجارة لقوته واجتماعه ، وعن بالرماح الذبل قوائمه اللينة .

(٣) الأجرد : القليل الشعر ، وهكذا تكون كلاب الصيد ، والأعزل الذي لا يكون ذنبه على استواء مع قفاره ، وذلك عيب في الكلاب والخيول ، وإذا لم يكن أعزل كان أشد لنته ، ثم قال : إن آثار ذنبه في الأرض كآثار الكاتب إذا كتب حساب الجمل وحساب الجمل معروف . قال السكري : لأنه يحكى حروفا غير حروف الكتابة يعلم بها العشور والثمن والألوف وهو خط قبلى ؛ وذى ذنب : بدل من قوله أشدق .

(٤) يقول : كأن ذنبه منفضل عن جسمه لكثرة تلويح وحركته ، وهو على ذلك لا تبليه كثرة تحريكه إياه ، كما أن السوط يكسر تحريكه ولا يبله هذا التحريك ؛ وقد ذهب ابن جنى إلى أن المعنى أنه - الكلب - من سرعته وحده يكاد يترك جسمه ويتميز عنه ، قال : وقد لاذ في هذا بقول ذى الرمة إلا أنه تجاوزه :

لا يذخران من الأيغالِ باقيةً حتى تسكاد تفرغى عنهما الأهْبُ
وبقول أبي نؤاس :

تراه في الحضر إذا هَامَى بِهِ يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ^(١)

(١) هَامَى بِهِ : زجره والضمير : للكلاب ؛ والإهاب : الجلد .

نَيْلُ الْمَنَى وَحُكْمُ نَفْسِ الرُّسُلِ وَغُفْلَةُ الظُّبَى وَحَتْفُ التَّنْفُلِ ^(١)
 فَأَنْبَرِيَا فُذَيْنِ تَحْتَ الْقَسْطِ قَدْ ضَمِنَ الْآخِرُ قَتْلَ الْأَوَّلِ ^(٢)
 فِي هَبْوَةٍ كَلَاهُمَا لَمْ يَذْهَبْ لَا يَأْتِي تَلِي فِي تَرْكِ أَنْ لَا يَأْتِي تَلِي ^(٣)

فهذان ذكر الإهاب - الجلد - وهو ذكر جميع الجسد ، قال ابن جنى وقوله لو كان يبلى الخ : أى هو كالسوط فى الصلابة والجدل ، فلا يؤثر فيه العدو كما لا يؤثر فى السوط التحريك .

(١) نيل المنى أى به نيل المنى ، أو هو نيل المنى : أى به ينال الصائد مناه ، والذى يرسله على الصيد يدرك به حكم نفسه والعقلة ما يعقل به الشيء من قيد ونحوه ؛ والحنف الهلاك ؛ والتنفل : ولد الثعلب . يقول : إنه يدرك الظبي فيمنعه عن الإفلات ؛ وهو من قول امرئ القيس :

* بَمَنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ *

ثم قال : ويدرك ولد الثعلب فيهلكه .

(٢) فأنبريا : أى الكلب والظبي : أى اعترضنا للناظرين فى عدوهما فذين : أى فردين . يريد أنه لم يكن مع الكلب كلب آخر ولا مع الظبي ظي آخر وعنى بالقسط : الغبار الذى ثار من عدوهما ؛ وعنى بالآخر : الكلب ؛ وبالأول : الظبي ، لأنه كان سابقاً بالعدو فراراً من الكلب . وضممان الكلب شدة حرصه وعدوه خلفه ، فجعل ذلك ضمماناً منه .

(٣) الهبوة : العبرة . ويقال ما ألوت فى كذا وما ائليت وما أليت : أى ما قصرت والذهول : الغفلة عن الشيء ، و « لا » فى « أن لا يأتى » زائدة ، وهى تزداد فى مواضع كثيرة للعلم بها ، كما فى قوله تعالى « لئلا يعلم أهل الكتاب » والتقدير : ليعلم . وقال الراجز : * فى بئر لا حور سرى وماشمر ^(٤) *

(١) من أرجوزة طويلة للعجاج يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر ، وكان عبد الملك بن مروان قد وجهه لقتال أبى فديك الحرورى ، فأوقع به وبأصحابه ، ومطلعها :

قد جبر الدين الأله فَجَبَر وعور الرحمن من ولى العور

إلى أن قال :

مُفْتَحِمًا عَلَى الْمَكَانِ الْأَفْوَلِ
 بِخَالِ طُولِ الْبَحْرِ عَرْضَ الْجُدُولِ^(١)
 حَتَّى إِذَا قِيلَ لَهُ نِلْتَ أَفْعَلِ إِفْتَرَّ عَنْ مَذْرُوبَةٍ كَأَنَّا بَصُلُ^(٢)
 لَا تَعْرِفُ الْعَهْدَ بِصَقْلِ الصَّنِيقِلِ مُرَكَّبَاتٍ فِي الْعَذَابِ الْمُنْزَلِ^(٣)
 كَأَنَّهَا مِنْ سُرْعَةٍ فِي الشَّمَالِ كَأَنَّهَا مِنْ ثِقَلٍ فِي يَذْبُلِ^(٤)

أى فى بئر حور؛ و « لا » زائدة « والخور المهلكة » يقول : كل واحد من الكلب والظبي لم يشتغل عن صاحبه ، فالظبي مجد فى الحرب ، والكلب مجد فى الطلب ولا يقصر الكلب فى ترك القصير ، وإذا لم يقصر فى ترك القصير فقد جد .

(١) مفتحا : حال من ضمير يأتلى ؛ والافتحام : الدخول فى الأمر الشديد ؛ والجدول النهر الصغير . يقول : إن هذا الكلب فى وثوبه وسرعة عدوه لا يبالي بما يستقبله من هول . فهو يقتحم الهول حتى لو استقبله بحر لظنه جدولا ، فوثب إلى الشط الآخر كما يشب إذا قطع عرض الجدول .

(٢) افتتر : كشر : والمذروبة : الأنياب المحددة والأنصل : جمع نصل . يقول : حتى إذا دنا الكلب من الصيد ، وقيل له — بلسان الحال — أدركت فأفعل ما تريد فعله من القبض عليه : كشر عن أنياب محددة كأنها نصال السيوف .

(٣) لما شبه أنيابه بالنصال قال إنها لم تصقل ولا عهد لها بالصقل كالسيوف المصنوعة إذ لم تكن مصقولة خلقة ، وعنى بالعذاب المنزل خطمه^(١) فانه كالعذاب المنزل على الصيد لشدة أخذه وهول ما ينال الصيد منه .

(٤) يذبل : جبل فى الحجاز . يقول : كأن أنيابه مركبة فى ربيع الشمال من خفة

واختار فى الدين الحرورى البطر فى بئر لاحور سرى وما شعر
 بإفكه حتى رأى الصبح جشراً

قوله وعور الرحمن الخ : أى أفسد الله من ولاه الفساد ؛ والحرورى : أراد به أبا فديك الحارجرى . وقوله بإفكه : الباء سببية متعلقة بسرى ؛ والإفك : الكذب ؛ وجشراً الصبح : انقلب وأضاء .

(١) الحطم من كل دابة نحو الكلب والبعير : مقدم أنفها وفمها

كَأَنَّهُا مِنْ سَعَةٍ فِي هَوَجَلٍ كَأَنَّهُ مِنْ عِلْمِهِ بِالْمَقْتَلِ^(١)
 عِلْمٌ بِقِرَاطٍ فِصَادَ الْأَكْحَلِ^(٢)
 فَحَالَ مَا لِلْقَفْزِ لِلتَّجَبُّدِ وَصَارَ مَا فِي جِلْدِهِ فِي الْمِرْجَلِ^(٣)
 فَلَمْ يَضِرْنَا مَعَهُ فَقَدْ الْأَجْدَلِ إِذَا بَقِيَتْ سَالِمًا أَبَا عَلِيٍّ^(٤)
 فَأَلَمَلَكُ اللَّهُ التَّعْزِيزَ ثُمَّ لِي^(٥)

* * *

الكلب وسرعته في العدو ، وكأنها من ثقل الكلب على الصيد مركبة في جبل . جعل الكلب في خفة العدو كالريح ، وفي ثقله على الصيد كالجبل .

(١) و (٢) الهوجل : للفازة ؛ والمقتل : للوضع القوي إذا أصيب قتل صاحبه ؛ والأكحل : عرق في الذراع من عروق الفصاد . يقول : كأن أنيابه من سعة فمه في صحراء ، وكأنه من تميزه وعلمه بمقاتل الصيد من غيرها علم بقراط - وهو الطبيب المعروف - علم التشريح ، فصار يعلم المواضع التي يجوز فصدها كعرق الأكحل ؛ وبعبارة أخرى : لما ذكر أنه عالم بالمقاتل لزم منه أن يكون عالما بغيرها أيضا ، وإلا لم تتميز له فصار في دعواه عالما بتشريح الأعضاء ، وما يترتب على شقها من المنفعة أو الأذى ، ولما تم له ذلك قال كأن بقراط تعلم منه التشريح ، فصار يعلم المواضع التي يجوز فصدها كهذا العرق ، هذا هو المعنى ، وبذا انتفى نقد صاحب بن عباد هذا البيت إذ يقول ليس الأكحل بمقتل لأنه من عروق الفصد ، وهو يصف الكلب بالعالم بالمقتل . . . (٣) حال : انقلب ؛ والقفز : الوثوب . والتجدل : السقوط على الجدالة - أي الأرض - والمرجل : القدر ؛ والمراد بما للقفز : قوائمه ؛ وبما في جلده : لحمه . يقول : إن قوائمه هذا الظبي التي كانت للوثوب صارت للتمرغ في التراب حين أخذه السكب وصار لحمه في القدر .

(٤) و (٥) ضاره الأمر يضره : كضره ومعه : أي مع الكلب . والأجدل : الصقر . يقول : لم يضرنا مع وجود هذا الكلب فقدان الصقر ، لأنه فعل طله فأغنانا عنه . ثم قال - مخاطبا المدوح - : إذا بقيت سالما صدت بك الناس كلهم ، فيكون للملك بعد الله لي بك .

وقال يمدح بدر بن عمار ، وقد فصد لعله ، ففاص الموضع فوق حقه ،
فأضر به ذلك :

أَبْعَدُ نَأَى الْمَلِيحَةِ الْبَخَلُ فِي الْبُعْدِ مَا لَا تُكَلِّفُ الْإِبِلُ^(١)
مَلُولَةٌ مَا يَدُومُ لَيْسَ لَهَا مِنْ مَلَلٍ دَائِمٍ بِهَا مَلَلُ^(٢)

(١) أبعد : تفضيل ؛ والنأى : البعد ؛ و « ما » : نكرة موصوفة بمعنى شيء . يقول :
أبعد ما يكون من بعد المليحة بخلفها ، إذ لا يمكن قطع مسافة البخل كمسافة المكان
البعيد . ثم قال : في البعد أى في جملة البعد وأنواعه ما لا تكلف الإبل قطعه وهو البعد
بالبخل ، لأن الإبل لا تقرب هذا البعد ، وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

لا أظلم النأى قد كانت خلائقهم

من قبل وشك النوى عندى نوى قذفاً

ويقول أيضا :

فراقٌ جرّعتُهُ مِنْ فراقٍ وَفراقٌ جرّعتُهُ مِنْ صُدُودٍ

ويقول البحتري :

على أن هجران الحبيب هو النوى لدى وعرفان المسىء هو العذل

ويقول أيضا :

دنتُ بأناسٍ عن تناءِ زيارَةٍ وَشَطَّ بِلِيلِي عَنْ تَدَانٍ مَزَارُهَا

ويقول إبراهيم بن العباس :

وإن مُقِمَاتٍ بِمَنْعِجِجِ اللَّوَى لِأَقْرَبِ مِنْ مَيِّ وَهَاتِيكَ دَارَهَا

والأصل في هذا قول الثقب العبدى :

أَفَاطِلُ قَبْلِ بَيْنِكَ مَتَّعِينِي وَمَنْعُكِ مَا سَأَلْتُ كَأَنْ تَبِينِي

(٢) ملولة : أى هى ملولة ؛ والتناء فيها : اللبالة ، لأنه يقال : رجل ملول وامرأة
ملول ؛ و « ما » ؛ مفعول به ؛ و « لها » : خبر ليس مقدم ؛ وملل - آخر البيت -
اسمها مؤخر ، ومن ملل : متعلق به . يقول : إنها تمل كل شيء يدوم إلا ملها الدائم ،
فإنها لا تمله ، ولو هى ملته لتركته وعادت إلى الوصل . ومن روى تدوم - بالتاء - كانت
« ما » للنفي : أى ليست تدوم على حال .

كَأَنَّمَا قَدَّهَا إِذَا انْفَقَلَتْ سَكْرَانُ مِنْ خَرِّ طَرْفِهَا نَمِلُ^(١)
يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَضِرِهَا عَجَزُ^(٢) كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِهَا وَجِلُ^(٣)
بِي حَرِّ شَوْقٍ إِلَى تَرَشُّفِهَا يَنْفَعِلُ الصَّبْرُ حِينَ يَتَّصِلُ^(٤)
الشَّغَرُ وَالنَّحْرُ وَالْمُخْلَخِلُ وَالْمَعْصَمُ دَائِي وَالْفَاحِمُ الرَّجِلُ^(٥)
وَمَنْهَمِهِ جُبْتُهُ عَلَى قَدَمِي تَعْجِزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الدَّلِيلُ^(٥)

(١) انفتلت ، تثنت وتمايلت ، وطرفها : لحظها ؛ ورجل ثمل : أخذ منه الشراب .
يقول : إنها تمايل في مشيتها تمايل السكران ، فكأن قَدَّها نظر إلى طرفها فسكر من
خر عينها كما يسكر منه عاشقوها .

(٢) وجل : خائف . يقول : إن عجزها - ردفها - ثقل بكثرة اللحم ، فهو يجذبها
- إذا همت بالنهوض - إلى القعود فكأن عجزها في ارتعاده واضطرابه - لكثرة لحمه -
خائف من فراقها ، والخائف يوصف بالارتعاد ، وكذلك العجز إذا كثر لحمه ،
كما قال :

* إذا ماست رأيت لها ارتجاجا *

أما تفسير ابن جني المصراع الثاني بقوله : أى كان عجزها وجل من فراقها فهو
متساقط متجدد قد ذهبته منته وتماسكه : فهو بعيد .

(٣) إلى ترشفها : أى إلى ترشف فمها ؛ أى مص ريقها . يقول : إذا اتصل بي ذلك
الشوق انفصل الصبر : أى أن صبره يفارقه إذا اتصل به ذلك الشوق ؛ وقد طابق بين
الاتصال والاتصال .

(٤) الشجر : مقدم الأسنان ؛ والنحر : أعلى الصدر ؛ والمخلخل : موضع الخلخال
من الساق ؛ والمعصم : موضع السوار من اليد ؛ والفاحم : الشديد السواد ، يريد به
الشعر ؛ والرجل - بفتح فكسر وفتحين - الذى بين السبط والجعد . يقول : إنه
يجب هذه الأشياء وهذه المواضع من بدنها ، وهى داؤه .

(٥) ومهمه : أى ورب مهمه - أى فلاة - وجبته : قطعتة . والعرامس : النوق
الصلاب الشديدة ، واحدها عرمس . والدلل : اللذلة بالعمل للروضة بالسير - جمع
نول - يستوى فيه الذكر والمؤنث . يصف شدة سيره وأنه يجوب الفلاة - التى تعجز
عنها النوق الصلاب التى اعتادت السير - على قدمه .

بِصَارِي مُرْتَدٍ بِمَخْبَرَتِي مُجْتَزِي ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلٌ ^(١)
إِذَا صَدِيقٌ نَكِرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُعَيِّنِي فِي فِرَاقِهِ الْحَيْلُ ^(٢)
فِي سَعَةِ الْخَافِقَيْنِ مُضْطَرَبٌ ، وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُنْهَابٍ بَدَلٌ ^(٣)

(١) الصارم : السيف ؛ ومرتد : أى متقلد ، خبر مبتدأ محذوف : وكذلك مجتزىء ومشتمل : أى أنا مرتد بصاري مجتزىء - أى مكثف - بمخبرتي - أى معرفتي - مشتمل بالظلام . يقول : جبت هذا المهمة وأنا متقلد بسيفي مكثف بعلمي وخبرتي فلم أحتج إلى دليل يهديني للطريق ، مشتمل بثوب الظلام كما يشتمل الرجل بثوب أو كساء .

(٢) نكر الشيء وأنكره : استغربه ، وصديق : فاعل لفعل محذوف يقدر من لازم ما بعده : أى إذا تغير صديق على ونحو ذلك . وأعياء الأمر : أعجزه ، ويقال عى بأمره وعي : إذا لم يهتد لوجهه ، والإدغام أكثر ، ويقال في الجمع عيوا - مخففا - وعيوا أيضاً - بالتشديد - وأعياني الأمر ، قال عمرو بن حسان من بني الحارث ابن همام :

فَإِنَّ الْكَثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا ، وَلَمْ أَقْتِرْ لَدُنَّ أَنِّي غُلَامٌ ^(١)

يقول : إذا تغير صديق وحال عن مودته وأنكرت عليه أحراله لم تعجزني الحيلة في فراقه ، أى فارقه ولم أقم عليه .

(٣) الخافقان : قطرا الهواء ، وهما المشرق والمغرب . والمضطرب موضع الاضطراب ، وهو الذهاب والهابى . يقول : الأرض واسعة والبلاد كثيرة ، فإذا لم يطب لى موضع تحولت إلى غيره ولم أقيد نفسي بمكان بعينه . وهذا معنى مطروق ، قال القائل :

إِذَا تَنَكَّرَ خِلٌ فَاتَّخِذْ بَدَلًا فَالْأَرْضُ مِنْ تَرْبَةِ النَّاسِ مِنْ رَجُلٍ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

فَإِذَا مَا تَنَكَّرْتُ لِي بِلَادٍ أَوْ صَدِيقٌ فَإِنِّي بِالْخِيَارِ

وَقَالَ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْعَدَلِ :

إِذَا وَطَنٌ رَابِي فَكُلْ بِلَادَ وَطَنٍ

(١) يقول : كنت متوسطاً لم أفقر فقراً شديداً ، ولا أمكنى جمع المال الكثير

وبروي « أعاني » أى أذلني وأخضعني .

وَفِي أُغْتَبَارِ الْأَمِيرِ بَذْرِ بْنِ عَمَّا رِ عَنِ الشُّفْلِ بِالْوَرَى شُفْلٌ^(١)
أَصْبَحَ مَالٌ كَالَهُ لِذَوَى الْحَاجَةِ لَا يُبْتَدَى وَلَا يُسَلَّ^(٢)

وما أجل قول بشار بن برد فيما يتصل بهذا المعنى .

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي على سواد^(١)
(١) الاعتبار : الزيارة يقال أنا فلان معتمرا : أي زائرا ، قال أعشى باهلة :

وجاشت النفس لما جاء فلهم وراكب جاء من تثليث معتمر^(٢)
ويقال : اعتمر الأمر : أي أمه وقصده . قال العجاج يمدح عمر بن عبيد الله
ابن معمر القرشي :

لقد سما ابن معمر حين اعتمر مغزى بميدا من بعيد وضبر
تَقْضَى البازي إذا البازي كسر^(٣)

يقول : قصدي إياه يشغلني عن قصد غيره لأنني صبيت رجائي عليه وعلقت آمالي به ،
ويروى اعتاد - بالبدال - ومعناه الاعتماد بالسير إليه وتطبيق الرجاء به .

(٢) كاله : صفة مال ؛ ولذوى الحاجات : خبر أصبح ؛ ويسل : أي يسأل
- حذفت الهمزة ، ونقلت حركتها إلى السين - يقول : إن المال المبدول مثل ماله قد
صار ملكا للعفاة يأخذونه متى شاءوا : فلا هو يبتدئهم بالعطا ، ولا هم يسألونه ، لأنه
مالهم - لا ماله - ويروى : أصبح مالا - بالنصب - : أي أصبح للناس نافعا كما أصبح
ماله نافعا لذوى الحاجات ، أي أنه ينفعهم بنفسه وماله ، فهو لهم مال ، وكما أن ماله
يؤخذ بلا إذن : كذلك لا يستأذن في الدخول عليه ، فكل من ورد عليه أخذ ماله
بلا ابتداء ولا مسألة من الوارد .

(١) يقول : إذا لم يقدرني أهل بلدة أو لم أعرفهم فارقتهم مصاحبا للبازي الذي
هو أبكر الطيور مشتتلا على بقية من الليل غير منتظر لإسفار الصبح .

(٢) قال الأصمعي : معتمر : أي زائر ؛ وقال أبو عبيدة : هو متعمم بالعمامة ،
وتسمى العمارة .

(٣) يقول : ارتفع قدره حين غزا موحنا بعيداً من الشام ، وجمع لذلك جيشا ،
وضير - أي جمع قوائمه - ليثب ؛ وكسر الطائر : ضم جناحيه حتى ينقض
يريد الوقوع .

هَانَ عَلَى قَلْبِهِ الزَّمَانُ فَمَا بَيِّنُ فِيهِ غَمٌّ وَلَا جَذَلٌ^(١)
يَكَادُ مِنْ طَاعَةِ الْحَمَامِ لَهُ يَقْتُلُ مَنْ مَادَنَاهُ لَهُ أَجَلٌ^(٢)
يَكَادُ مِنْ صِحَّةِ الْقَرْيَمَةِ مَا يَنْفَعُ قَبْلَ الْفِعَالِ يَنْفَعِلُ^(٣)
تُعْرِفُ فِي عَيْنِهِ حَقَائِقُهُ كَأَنَّهُ بِالذِّكَاةِ مُكْتَحِلٌ^(٤)
أَشْفَقُ عِنْدَ انْقَادِ فِكْرَتِهِ عَلَيْهِ مِنْهَا أَخَافُ بِشْتَمَلٍ^(٥)

(١) الجذل : السرور . يقول : لرجعان له ورحابة صدره يستخف بطوارق الدهر وحدثان الأيام علما منه أنها لا تبقى على غم ولا سرور ، ومن ثم لا يكون لها أثر فيه فلا يبطر لدى السرور ، ولا يجزع عند الحزن .

(٢) الحمام : الموت . ودنا : قرب . والأجل : منتهى الحياة . يقول : إن للوئ طائع أمره ، فلو شاء أن يقتل من لم يتم أجله لساعده الموت على ذلك على الرغم من أن فيه تمرداً على المقدور وخرقاً له .

(٣) « ما » : اسم موصول ، اسم يكاد ؛ والتجويد : ينطق به قبل : متعلق بـينفعل . يقول : لصحة تقديره ونفاذ عزمته يكاد فعله يسابقه ، فما يفعله ينفع قبل فعله ، وبعبارة أخرى : إنه لسداد رأيه وصحة عزمه تكاد أفعاله تسبق وجودها ، لأنه لا يعزم على شيء إلا بعد التروى فيه والقطع بقضائه ، ولعل هذا ينظر إلى قول القائل :

سَدِ كَتَّ بِهِ الْأَقْدَارُ حَتَّى إِنَّهَا لَتَكَادُ تَفْجُؤُهُ بِمَا لَمْ يُقَدَّرْ
« سدكت به : لزمته »

(٤) يقول : إن حقائق الحاصل والمعانى التي طبعه الله عليها تعرف بالنظر إلى عينه فكأن ذكاه وفطنته وحدة ذهنه قد اكتحلت بها عينه ، فهي ظاهرة فيها ظهور الكحل ؛ وبعبارة بعض الشراح : إن حقائق ما طبع عليه - من حدة الذهن وذكاء النفس - تعرف من نظرة عينه حتى كأن عينه مكتحلة بالذكاء ، فهو ظاهر فيها ظهور الكحل .
(٥) الإشفاق : الخوف ، والظرف والحرفان متعلقة بأشفق ؛ وأخاف : بدل من أشفق . وأخاف يشتمل : أى أخاف أن يشتمل ، لحذف « أن » ورفع الفعل . يقول : إذا اضطربت فكرته واحتد ذهنه عند التروى أشفقت عليه أن يشتمل بنار فكرته هذه لشدة انقادها وذكاء حديثها فيصير ناراً متوقدة ، كما قال ابن الرومي :

أَخْشَى عَلَيْكَ اضْطِرَامَ الذَّهْنِ لَا حَذَرًا

أَعْرَهُ أَعْدَاؤُهُ إِذَا سَلِمُوا بِالْهَرَبِ اسْتَكْبَرُوا الَّذِي قَمَلُوا^(١)
يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سَابِغَةٍ أَرْبُعَهَا قَبْلَ طَرْفِهَا تَصِلُ^(٢)
جَرْدَاءَ مِلءِ الْحَزَامِ مُجْفَرَةٍ تَكُونُ مِثْلَى عَسِيْبِهَا الْخُصَلُ^(٣)
إِنْ أَذْبَرْتَ قُلْتَ لَا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلْتَ قُلْتَ مَا لَهَا كَفْلُ^(٤)
وَالطَّنُّ شَرَزُ وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ كَأَنَّهَا فِي فَوْادِهَا وَهَلُ^(٥)

(١) أى هو أغر؛ والأغر؛ السيد الكريم، وأعداؤه؛ مبتدأ؛ خبره؛ ما بعده .
يقول : هو سيد شريف ، وأعداؤه إذا سلموا من القتل بهرهم من بين يديه :
أعظموا فعلهم واستكبروه ، لأن الحرب من بين يديه شجاعة لهم . وقوله إذا سلموا
بالهرب : إشارة إلى أنهم لا يمكن أن يسلموا مع الثبات .

(٢) أقبلته وجهى : حولته إليه وجعلته قبالة ، والسابغة : الفرس تسبح في
جريها ؛ وأربعها : أى قوائمها الأربع ، يقول : يستقبلهم بوجه كل فرس تسبق قوائمها
طرفها : أى تضع قوائمها وراء منتهى بصرها ؛ وهذا من قول أبى نواس :
* يسبقُ طرفَ العين في التهايه *

« أى فى شدة عدوه » . قال ابن جنى : أسرف فى المبالغة حتى خرج إلى ما يستحيل
وقوعه لأن القوائم إذا وصلت قبل الطرف فقد وصف النظر بالضعف .

(٣) الجرداء : القليلة الشعر ، والمجفرة : الواسعة الجبين ؛ والجفرة : سعتها ؛
والعسيب : عظم الذنب ؛ والخصل : جمع الخصلة من الشعر . يقول : إنها تملأ الحزام
بسعة جنبها وعظم بطنها وإن شعر ذنبها أطول من عسيبها ، ويستحب فى الخيل قصر
العسيب وطول شعره .

(٤) التليل : العنق ؛ والكفل : الردف ، ويستحب فهما الإشراف . يقول :
إنها مشرفة الكفل عريضة الصدر ، فإذا أدبرت منع إشراف كفلها من رؤية عنقها ؛
وإذا أقبلت منع اتساع صدرها من رؤية كفلها ؛ وعبارة الواحدى : من حيث تأملتها
وجدتها مشرفة عند إقبالها بعنقها وعند إدبارها ببعجزها ، كما قال على ابن جلة :

تحسبهُ أقمَدَ فى استقباله حتى إذا استدبرتهُ قلت أكبُ

يريد : هذه الفرس من حيث تأملتها رأيتهما حسنة فى إقبالها وإدبارها .

(٥) والطنن شزر : جملة حالية : أى يقبلهم وجه كل سابغة فى هذه الحالة ؛
الطنن الشزر : ما كان عن يمين وشمال ؛ وذلك أشد الطعن ، وواجفة : مضطربة

قَدْ صَبَّغَتْ خَدَّهَا الدَّمَاءُ كَمَا يَصْبُغُ خَدَّ الْخُرَيْدَةِ الْخَلْجَلُ^(١)
وَالْخَلِيلُ تَبْكِي جُلُودَهَا عَرَقًا بِأَذْمَعٍ مَا تَسْحَبُ مُقْلُ^(٢)
سَارَ وَلَا قَفَرَ مِنْ مَوَاكِبِهِ كَأَنَّمَا كُلُّهُ سَبَسَبَ جَبَلُ^(٣)
يَمْنَعُهَا أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرٌ شِدَّةُ مَا قَدْ تَضَايَقَ الْأَسْلُ^(٤)

لشدة الحرب : أى ترى أن الأرض تتحرك كأن فى قلب الأرض وهلا - أى فزعا -
فهى ترعد من الخوف . ولما وصف الأرض بالحركة من الخوف استعار لها قلبا . وعبرة
بعض الشراح : واجفة : أى مضطربة يريد اضطراب الفرسان عليها إقبالا وإدبارا حتى
كأنها تمور بهم .

(١) الضمير فى « خدها » للأرض ؛ والخريدة : الحية ، شبه وجه الأرض
متلطخا بالدماء بخد الجارية الحية إذا خجلت فاحمر لونها ، واستعار للأرض خدًا
لمساكلة ما فى الشطر الثانى .

(٢) السح : السكب ، وللقل : جمع مقلة . وهى عحمة العين التى تجمع البياض
والسواد . يريد أن الخيل - من شدة الطراد وماهى فيه من هول الحرب - قد
عرت ، فجعل العرق مثل الدمع . إلا أنه لم ينزل من عيون ولا جفون ، ولكنه
جار من الجلود .

(٣) سار : يروى بكسر فتونين : اسم فاعل . من السرى ، وبرى بالفتح :
فعلا ماضيا ، والمواكب : الجيوش ؛ والسبسب الفلاة الواسعة . يقول : قد عم القفار
والأماكن الخالية بجيوشه ففلاها حتى لم يبق قفر . وشبه السبسب بالجبل لكثافة
جيوشه وارتفاعها بالخيل والأسلحة والرماح . يعنى أن مواكبه تراكت فى السهول
على خيولها حتى صارت السهول كالجبال .

(٤) الأسل : الرماح ، يقول : إن رماحهم اشتبكت وتضايقت ما بينها حتى
لو أصابهم مطر لم ينفذ إليهم من خلال تلك الرماح لشدة اتصالها واتحامها ؛ وأصل
هذا المعنى لقيس بن الحظيم :

لَوْ أَنَّكَ تُلْقَى حَفْظًا فَوْقَ بَيْضِنَا تَدْحَرُجُ عَنْ ذِي سَامِهِ الْمُتْقَارِبِ
« عَنْ ذِي سَامِهِ : أى على ذى سامه ؛ والهاء فى « سامه » : ترجع إلى البيض ؛
عن البيض المسمى بالذهب ، لأن السام عروق الذهب . يقول قيس : أنهم تراصوا

يَا بَذْرُ يَا بَحْرُ يَا عَمَامَةَ يَا لَيْثَ الشَّرَى يَا حَامُ يَا رَجُلُ^(١)
إِنَّ الْبَنَانَ الَّذِي تُقَلِّبُهُ عِنْدَكَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِّثْلُ^(٢)

في الحرب حتى لو وقع حنظل على رؤوسهم - على إملاسه واستواء أجزائه - لم ينزل إلى الأرض ». ثم قال ابن الرومي :

فلو حصبتهم بالفضاء سحابة لظلت على هاماتهم تندرج
فنزول عن الحنظل إلى البرد ، وبالنسبة في ذلك ثم نزل التنبي عن البرد إلى المطر ، وهو
الطف منه ثم أخذ السري الرفاء هذا المعنى فقال :
تضايق حتى لو جرى الماء فوقه حماء ازدحام البيض أن يقسربا
فتقله من المطر إلى الماء .

(١) ليث الشرى : أسد الشرى ؛ والشرى : مكان يوصف بكثرة الأسود . والحمام : الموت . يقول : أنت بدر في الحسن ، بحر في الجود ، سحاب في كثرة العطاء ، أسد في الشجاعة والبأس ، موت للعدو ، ورجل في الحقيقة ، يعني جمعت هذه الأوصاف وأنت رجل .

(٢) عندك : صلة تقلبه ؛ وفي كل موضع : صلة مثل . يقول إن كفك التي تقلبها وأنت في بلدك وتصرفها في العطايا والهبات قد اشترت ذكرها في كل موضع حتى صارت مثلا في الجود . وروى - نقله - من التقيل أي نقله نحن والناس أجمعون ، والرواية الأولى أجود . هذا : والبنان : الأصابع ، وقيل أطرافها ؛ والبنام : لغة فيها . قال عمر بن أبي ربيعة :

* فقالت وعضت بالبنام فضحتني *

وواحدة البنان : بنانة ، وجمع القلة : بنانات ؛ وربما استعاروا بناء أكثر العدد لأقله ، أنشد سيويه :

قد جعلت حي على الظرار تخمس بنان قاني الأظفار^(١)

(١) قال الشنتمري : الشاهد فيه إضافة الخمس إلى البنان ، وهو اسم يستغرق الجنس على تقدير : خمس من البنان . والظرار : جمع ظرر ، وهي حجارة مستديرة محددة ؛ يقال أرض مظرة : إذا كانت كثيرة الطرار ؛ وروى على الطرار - بطاء غير معجمة -

إِنَّكَ مِنْ مَفْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخَلُوا^(١)
 قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءٍ مَا أُمْتَشَقُوا قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامٍ مَا أَعْتَقَلُوا^(٢)
 أَنْتَ تَقِيضُ اسْمِهِ إِذَا اخْتَلَفْتَ قَوَاضِي الْمَهْنِدِ وَالْقَنَا الذُّبُلُ^(٣)
 أَنْتَ لَعْمَرَى الْبَدْرِ الْمُنِيرُ وَلَكِنَّكَ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى زُحَلُ^(٤)

يريد خمسا من البنان ؛ ويقال بنان غضب ، لأن كل جمع بينه وبين واحد الماء فإنه يوحد ويدكر .

(١) أى بخلوا عند أنفسهم ، إذ لم يفعلوا الواجب عليهم بحكم جودهم حيث لم يهبوا الأعمار . وبعبارة أخرى : إن مقضى جودهم أن لا يبقوا على شيء فإذا أعطوا كل ما يملكون ولم يهبوا أعمارهم لم يبرثوا أنفسهم من البخل .

(٢) امتشق السيف : استله وأسرع الطعن والضرب ؛ واعتقل الرمح : جملة بين ساقه وركابه . يقول : إن لقلوبهم مضاء سيوفهم ، ولقاماتهم طول رماحهم . وقال ابن وكيع — وأنت تعلم مقدار تجنيه على للتنبى وولوعه بالتشهير به وبسرقاه — أخذ هذا من قول عوف بن محم الشيباني :

إِنْ التَّمَانِينَ وَبُلِّغْتَهَا قَدْ أَحوجت سَمِي إِلَى تَرْجَانٍ
 وَبَدَلْتَنِي بِالشُّطَاطِ انْحِنَا . وَكُنْتُ كَالصَّمْدَةِ تَحْتَ السَّنَانِ

(٣) و(٤) قواضب الهند : أى السيوف القواطع ، والذبل : الطوال الصلاب ، وحومة كل شيء : معظمه ؛ والوعى : الحرب . وزحل : من كواكب النجس ، والقمر : سعد يقول : أنت رجل تقيض اسمه في الحرب ، لأن البدر الذى هو اسمك من كواكب السعد والكنك في الحرب نجس على أعدائك . لأنك هلاك لهم .. أو تقول — كما قال بعض الشراح — : إن البدر منير فيهدى به في الأسفار ، وأنت في الحرب تقيض اسمك ، إذ تقتل الناس وتثير القبار بالخيال فتظلم الأرض ، ففعلك في الحرب تقيض فعلك في السلم .

جمع طرة ، وهى عقيمة من مقدم الناصية ، ترسل تحت التاج في صدغ الجارية ، وربما اتخذت من رامك ، وهو ضرب من الطيب ، وهذا أشبه بمعنى البيت . والبنان : جمع بنانة ، وهى الإصبع ؛ والقانىء : الشديد الحرارة من الحصاب .

كِتَبَةٌ لَسْتَ رَبِّهَا نَفْلٌ وَبَلَدَةٌ لَسْتَ حَلَبًا عَطْلٌ^(١)
 قُصِدَتْ مِنْ شَرْقِهَا وَمَغْرِبِهَا
 حَتَّى اشْتَكَنْتَ الرُّكَّابُ وَالسُّبُلُ^(٢)
 لَمْ تَبْقِ إِلَّا قَلِيلَ عَافِيَةٍ قَدْ وَفَدَتْ تَجْتَدِيكَهَا الْعِلَلُ^(٣)
 عَذَرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيكَ أَنَّهُمَا آسِ جَبَانٌ وَمِضْعٌ بَطْلٌ^(٤)

(١) الكتيبة : القطعة من الجيش ؛ وكتيبة : مبتدأ ؛ والحبر : نفل ؛ وكذا في المصراع الثاني ؛ والنفل : النعمة ؛ والحلى : الزينة . والعطل : الذى لاحتلى لها يقول : كل جيش لست صاحبه وأميره هو نفل للعدو ، وكل بلدة لست زيتنها هى عطل لازينة لها .

(٢) شرقها ومغربها : أى الأرض ، وإن لم يجر لها ذكر للعلم به . والركاب : الإبل . يقول : قصدك الناس من شرق الأرض وغربها طمعاً فى عطائك وحرصاً على لقائك حتى اشتكتك الإبل لكثرة ما امتطيت إليك والطرق بكثرة ما وطئت وذلت بالحفاف والحوائر والأقدام ، وقال بعض الشراح : لأنها ضاقت بكثرة القاصدين والسالكين .. وليس بشيء ، وعكوى الإبل كثيرة فى الشعر قل أبو العتاهية :
 إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سباسباً وريمالاً
 وقال البحرى :

تَشْكِي الْوَجِي وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسُ الدَّجَى غُرَيْرِيَّةُ الْأَنْسَابِ مَرَّتْ بِقِيَمِهَا
 «الوجى : الحفا ؛ والمرة : المفازة لانبات فيها ؛ والبقيع : البوضع فيه أصول الشجر من ضروب شق»
 أما اشتكاء الطرق فهو من اختراعات المتنبي .

(٣) قليل عافية : أى عافية قليلة . فهو من إضافة الصفة للموصوف ونجديكها : أى تستوهبك إياها ؛ والعلل : الأمراض . يقول : بذلت كل مالك ولم يبق لك إلا قليل من العافية قد سمت العلل عليك تستوهبه منك ، وهذا كقوله السالف :

وبذلت ما ملكته نفسك كله حتى بذلت لهذِهِ صِحَّاتَهَا

(٤) الآسى : الطبيب ؛ والبضع : حديدة الفاسد ؛ والبطل : الشجاع ؛ ويريد بالمؤمنين : ما ذكره بعد من الآسى والبضع . وقد كان الفصاد فصده وأخطأ فى فصده

مَدَدَتْ فِي رَاحَةِ الطَّيِّبِ يَدًا وَمَا دَرَى كَيْفَ يُقَطِّعُ الْأَمْلُ^(١)
إِنْ يَسْكُنِ الْبَضْعُ ضَرْرًا بَاطِنَهَا فَرُبَّمَا ضَرْرٌ ظَاهِرٌ هَا الْقُبْلُ^(٢)

ونفذت حديدته في يده وأصابه لذلك مرض ، وجعل الطيب والبضع ملومين في ذلك الخطأ الحاصل منهما ، ثم قال عذرهما فيك أن الطيب كان جانا فارتعدت يده هية لك والبضع كان شجاعا - أى حاداً نافذاً - فتولدت العلة من هذين ، ثم ذكر للطيب عذراً آخر في البيت التالي .

(١) يقول : إنما وقع للطيب الخطأ لأن يدك أمل الناس جميعا ، منها يرجون الإحسان والعطاء ، فلم يدر الطيب كيف يقطع الأمل ؛ لانه إنما تعود قطع العروق ، لا قطع الآمال . وقال ابن المعتز فيما يتصل بهذا المعنى للقاسم بن عبيد الله :

يَا فَاصِدًا لِيَدٍ جَلَّتْ أَيْدِيهَا وَنَالَ مِنْهَا الَّذِي يَرْجُوهُ رَاجِيهَا
يَدُ الْغَنِيِّ هِيَ فَارْفَقَ لَا تَرْقُ دَمَهَا فَإِنَّ أَرْزَاقَ طُلَّابِ الْغِنَى فِيهَا
وقال أيضا للخليفة المعتمد :

يَا دَمًا سَالَ مِنْ ذِرَاعِ الْإِمَامِ أَنْتَ أَذْكَى مِنْ عَنَبٍ وَمَدَامِ
قَدْ حَسْبُنَاكَ إِذْ جَرِيتَ إِلَى الطَّلَسِ تَدْمُوعًا مِنْ مَقَاتِي مَسْتَهَامِ
إِنَّمَا غَيْبَ الطَّيِّبُ شَبَابَ الْمَلِكِ ضَمَّ فِي نَفْسٍ مَهْجَةَ الْإِسْلَامِ

(٢) البضع : الفصد ؛ والقبل : جمع قبلة ؛ وهى الاسم من التقييل . وأراد بضر القبيل : كثرة تقييل الناس ظهر كفه حتى أثر فيه وضره . قال الواحدي : وقد أكثر الشعراء من ذكر تقييل اليد ولم يذكر أحد أنها استضررت بالقبل غير أبي الطيب ، وهذا من مبالغاته ، قال ابن الرومي :

فَأَمْدَدْتُ إِلَى يَدَا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بِذَلِ النِّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْيِيلُ
وقال إبراهيم بن العباس للفضل بن سنبل :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ
فَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى وَظَاهَرُهَا لِلْقُبْلِ

وقال أبو الضياء الحمصي :

وَمَا خُلِقَتْ كَفَّاكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ وَمَا فِي عِبَادِ اللَّهِ مِثْلُكَ ثَانٍ

يَشُقُّ فِي عِرْقِهَا الْفِصَادُ وَلَا يَشُقُّ فِي عِرْقِ جُودِهَا الْمَذَلُ^(١)
خَامَرُهُ إِذْ مَدَدَتْهَا جَزَعٌ كَأَنَّهُ مِنْ حَدَافَةِ عَجَلٍ^(٢)
جَازَ حُدُودَ اجْتِهَادِهِ فَأَتَى غَيْرَ اجْتِهَادٍ لِأَمِّهِ الْهَبَلِ^(٣)
أَبْلَغُ مَا يُطْلَبُ النَّجَاحُ بِهِ الطَّنْبُوعُ وَعِنْدَ التَّمَقُّقِ الزَّلَلُ^(٤)
أُرْثَ لَهَا إِنِّهَا بِمَا مَلَكَتْ وَبِالَّذِي قَدْ أُسَلَّتْ تَنْهَمِلُ^(٥)

لتجريد هِنْدِيَّ وإسداء نائلٍ وتقبيل أفواه وأخذِ عنانٍ
وقد ملح من قال :

يَدٌ تَرَاهَا أَبَدًا فَوْقَ يَدٍ وَتَحْتَ فَمٍ
مَا خُلِقَتْ بِنَانِهَا إِلَّا لِسَيْفٍ أَوْ قَلَمٍ

(١) الفصاد : هو الفصد ؛ وأراد بالشق : التأثير والنفاذ . ومن ثم عدها بني ، واستعار لجوده عرقا لما ذكر عرق يده ؛ والمذل : اللام . يقول : إن الفصد يؤثر في يده ، ولكن لا يؤثر اللام في جودها ، أى لا ينجع قول اللاميين فيه . وقد نظر في هذا إلى قول أبي تمام :

خَلَّاقٌ كَالزَّغْفِ الْمَضَاعِفِ لَمْ يَكُنْ لِيُنْقِذَهَا يَوْمًا شَبَابُ اللِّوَامِ
(٢) خامره : خالطه ، والجزع : الفزع وقلة الصبر ؛ والحذافة : مصدر كالحذق ؛ والعجل : للاستعجل . يقول : خامرى الطبيب - حين مددت يدك إليه للفصد - جزع من هيبتك فعجل في الفصد ولم يتأن كأنه عجل من حذقه ، وهو على الحقيقة عجل من خوفه .

(١) جاز الشيء : تعدها ؛ وغير اجتهد : مفعول أتى ؛ والهبل : الشلل . يقول : بالغ في الاجتهاد حتى جاوز حد الاجتهاد ففعل ما هو غير اجتهد لأن الخطأ من زلل المقصرين المتهاونين ، ثم دعا عليه فقال لأمه الشلل .

(٢) التعمق : بلوغ عمق الشيء - وهو أقصاه - يريد به البالغة ومجاوزة الحد . يقول : إن النجاح في الأمور مقرون بما يفعله الإنسان حسب مقتضى طبعه وحين يرسل نفسه على سجيته ، فإذا تكافى وبالغ وتعمق زل فأخطأ .

(٣) ارث لها : رق ؛ وبما بالذى : متعلقان بتهمل . يقول مخاطبا الطبيب - : ارفق

مِثْلَكَ يَا بَدْرُ لَا يَكُونُ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِكَ الدُّوْلُ^(١)

* * *

وقال أيضاً بمدحه :

بِقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمْ أَرْتَحَالًا وَحُسْنُ الصَّبْرِ زَمُوا لَا الْجَمَالَ^(٢)

بهذه اليد فإنها يد تسيل بما ملكته : أى تجود بما لها على العفاة وتسيل بمثل ما أسلته منها أى بالدم الذى تسفكه من الأعداء .

(١) إلا لمثلك : أى إلا لك . يقول : لا يخلق الله مثلك ولا تصلح الدولات إلا لك فى جودك وكرمك وإحسانك إلى الناس ، وصاحب الدولة يجب أن يكون كريماً سخياً لينتفع الناس بدولته .

(٢) زم البعير : خطمه بالزمام ، واسم ليس : ضمير الشأن ، وهم : مبتدأ ، وخبره محذوف : أى ليس الأمر والخبر هم شاءوا . لحذف « شاءوا » لتقدمه فى أول الكلام ، ويجوز أن يكون « هم » : اسم ليس ، إلا أنه استعمل الضمير المنفصل موضع المتصل ضرورة ، والتقدير : بقائى شاء الارتحال ليسوا شاءوا ، ويجوز أن تكون « ليس » هنا حرفاً عاطفياً فلا يكون لها اسم ولا خبر . يقول : لما ارتحلوا عنى ارتحل بقائى ، فكان بقائى شاء ارتحالاً ؛ لاهم شاءوا ذلك ، وكأنهم زمو صبرى للمسير ، لاجتماعهم ، لأنى فقدت الصبر بعدهم ، وإنما ننى الارتحال عنهم لأن ارتحال بقائه أهم وأعظم شأنًا ، فكان ارتحالهم ليس ارتحالاً عند ارتحال بقائه ، ولأنهم ربما يعودون ، والبقاء إذا ارتحل لم يعد ، وكذلك مسير صبره أعظم من مسير الجمال ، فلم يعتد بسير جمالهم مع سير صبره عنه . وعبرة بعض الشراح : لما ارتحل الأحبة ارتحات حياته لأنه غير باق بعدهم ؛ فبقاؤه هو الذى أراد الارتحال ، لاهم . ولما جعل حياته راحة جعل مطيتها حسن الصبر ، لأنه لو صبر لم يكن لرحيل حياته سبب ، وإنما أثبت الرحيل لحياته دونهم بناء على أن الحياة والأحبة شئ واحد ، فليس هناك حياة وأحبة ولا صبر وجمال ، وإنما هم الحياة عينها ، ومطيمهم الصبر نفسه ؛ وقال ابن القطاع : بقاء شاء ؛ أى سبق ارتحالهم ، يقال شاءه : وشاء . إذا سبقه ، ولولا ذلك لمت أسفاً ، وهذا على المبالغة . وقيل المعنى بقائى أراد رحيلهم ، فشاء من الشيئة ، فليبقى مت ولم أره يتأسف ، إذ لم يمت عند رحيلهم .

تَوَاوَا بَفْتَةً فَكَانَ بَيْنَنَا تَهَيَّبَنِي فَفَاجَأَنِي أُغْتِيَالًا^(١)
 فَكَانَ مَسِيرُ عَيْسِهِمْ ذَمِيلًا وَسَبْرُ الدَّمْعِ إِزْرَهُمْ أَنَهْمَالًا^(٢)
 كَانَ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مُنَاخَاةٌ فَلَمَّا تُزْنَ سَالًا^(٣)
 وَحَجَبَتِ النَّوَى الظُّبْيَاتِ عَنِّي فَسَاعَدَتِ الْبَرَاقِعَ وَالْحِجَالَ^(٤)
 لَبِسْنَ الْوَشْيَ لَا مُتَجَمَّلَاتٍ وَلَكِنْ كُنَّ يَصْنُ بِهِ الْجَمَالَ^(٥)

(١) تولوا : أدبروا ؛ والبين : الفراق ؛ وتهيبني : هابني . والاغتيال أخذ الإنسان من حيث لا يدري . يقول : كأن البين هابني ففاجأني باغتياله ، يريد فاغتيالني اغتيال مفاجأة .

(٢) العيس : الكرام من الإبل ؛ ويروي غيرهم ، وهي الإبل التي تحمل الليرة ، والدميل : السير للتوسط والانهمال الانسكاب . يقول : كانت إبلهم تسير الدميل ودمي ينصب في أزرهم انصبابا ، يتوجع ويتحسر . ومثله لابن الرومي :

لهم على العيس إمعان يشطُّ بهم وللدموع على الخدين إمعانٌ

(٣) أناخ البعير : أبركه ؛ وزن : أي نهض للسير ؛ والبيت مبني على ما قبله . يقول : كنت لا أبكي قبل فراقهم ، فكان إبلهم كانت تمسك دمي عن السيلان يروكها فوق جفني ، فلما فارقتني سال دمي ، فكانها ثارت للرحيل من فوق جفني فسال ما كانت تمسك من دموعي . وهو تخيل بديع .

(٤) النوى : البعد والفراق ؛ والحجال : الحدور . يقول : لما ارتحلوا حجبتهم النوى عن عيني ، فساعدت النوى ما كان يحجبهن عني قبل من البراقع والحدور .

(٥) الوشي : الثياب المنقوشة ؛ وحجر به وشى : أي حبر من معدن فيه ذهب ، أنشد ابن الأعرابي لأحيحة بن الجلاح يرثي أبنا له :

وما هـِزْزِيْ مِنْ دَنَائِرِ أَيْلَةٍ بِأَيْدِي الْوُشَاةِ نَاصِعٍ يَتَأَكَلُ
 بِأَحْسَنِ مِنْهُ يَوْمَ أَصْبَحَ غَادِيَا وَنَفْسِي فِيهِ الْحَامُ الْمَجْلُ

« الوشاء الضرابون : يعني ضراب الذهب ؛ ونفسي فيه : رغبني ، والمهززي الهذيار الجديد » والتجمل : الزين . يقول : هن غنيات بحسنهن عن التجمل بلبس الديباج ولكن يلبسنه ليصن به جمالهن عن أعين الناظرين . قيل للصاحب أغرت على أبي الطيب في قولك :

وَصَفَرْنَ الْفَدَائِرَ لَا لِحُسْنٍ وَلَكِنْ خَفْنَ فِي الشَّعْرِ الضَّلَالَةَ^(١)
 بِحِسِّي مَنْ بَرْتُهُ فَلَوْ أَصَارَتْ وَشَاحِي ثَقَبَ لَوْلُوَّةٌ كَلَامًا^(٢)
 وَلَوْلَا أَنَّنِي فِي غَيْرِ نَوْمٍ لَكُنْتُ أَظُنُّنِي مِنِّي خِيَالًا^(٣)

لبسن برود الوشي لا لتجمل
 فقال : نعم ، كما أغار هو في قوله :
 ما بال هذى النجوم حائرة
 على بشار في قوله :

والشمس في كبد السماء كأنها أعمى تحير ما لديه قائد
 (١) التصفير : قتل الذوائب ؛ والفدائر : جمع غديرة ، وهي الخصلة من الشعر .
 يقول : لم ينسجن ذوائبهن طلباً للتحسين ، ولكن خفن أن يضلن فيها لو أرسلنها
 لأنها تغشاهن كالليل : قال ابن جني : قد وصفت الشعراء الشعر بالكثرة ، ولكن لم
 تفرط في ذلك مثل المتنبي ، قال ابن المعتز :

دعت خلاخيلها ذوائبها فجئن من قرنها إلى القدم
 (٢) بحسبي : أي أمدى بحسبي ؛ وبرته : هزلته ؛ والوشاح : شبه قلادة تشده
 المرأة بين العاق والكشح يقول : أمدى بحسبي التي هزلته حتى لو جعلت وشاحي
 ثقب لؤلؤة لوسعن حتى يدور على إذا شئت أن أدبره ، يصف دقته ونحوه ، ومثل
 هذا يقول الآخر :

قد كان لي فيما مضى خاتم والآن لو شئت تَمَنَّقْتُه
 (٣) يقول : لولا أنني يقظان لكنت أظن نفسي خيالا ، يعني أنه كالخيال في الدقة ،
 إلا أن الخيال لا يرى في اليقظة ، فقوله أظنني : أي أظن نفسي وقوله مني : متعلق
 بخيالا : أي خيالا مني ، كما تقول : جاءني خيال من المحبوب قال الواحدى : قوله مني :
 أي من دقي ، ويعد أن يقال من نفسي ، لأنه قال أظنني ، ومعناه أظن نفسي ، ولا
 يقال أظن نفسي خيالا من نفسي . هذا : والعرب تقول ظننتني وخلقني وعلمتني ، ولم
 يرو عنهم ضربتي ، لأن الفعل لما كان يتعدى إلى مفعولين اتسعوا في أحدهما لقوة
 تعديته . وقد جاءت عدمتي شاذة في قول جرير العود :

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ وَفَاحَتْ عَنَبْرًا وَرَنْتَ غَزَالًا^(١)
 وَجَارَتْ فِي الْحُكُومَةِ نَمَّ أُبْدَتْ
 لَنَا مِنْ حُسْنِ قَامَتِهَا أَعْدَالًا^(٢)
 كَأَنَّ الْحَزْنَ مَشْفُوفٌ بِقَلْبِي
 فَسَاءَةً هَجَرَهَا يَجِدُ الْوَصَالَ^(٣)

لقد كان لي في ضرتين عذمتني وما أنا لاقٍ منهما مُتَزَحِّزُحُ
 (١) الخوط : الفصن الناعم : ورنـت : نظرت ؛ والنصوبات في البيت أسماء وضعت
 موضع الحال . كأنه قال : بدت مشرقة ، ومالت مثنية ، وفاحت طيبا ، ورنـت مليعة ؛
 أو تقول للعنى : بدت مشبهة قمرًا في حسنـها ، ومالت مشبهة غصن بان في ثنـيها ، وفاحت
 مشبهة عنبراً في طيب رائحتها ، ورنـت مشبهة غزالا في سواد مقلتها . وهذا يسمى
 التدييج في الشعر ، ومثله :

سَفَرْنَ بُدُورًا وَانْتَبَهْنَ أَهْلَةً وَمِسْنُ غُصُونًا وَالتَفَتْنَ جَاذِرًا
 (٢) جار عن الطريق : مال ؛ وكثر استعماله في الظلم لأنه جور عن الحق . يقول :
 هي في حكمها جائرة ، ولكن قد هـا معتدل لاجور فيه .
 (٣) يقول : كأن الحزن يشق قلبي ، وإنما يجد الوصال إذا هجرتني ، يعني كلما
 هجرتني واصل الحزن قلبي وعلق به . هذا : وقوله « مشغوف » روى بالعين المهملة ،
 وبالعين المعجمة ؛ وقد قرئ قوله تعالى « قد شغفها حباً » بالعين وبالنون ، فمن قرأها
 بالعين فعناء تيمها ، ومن قرأها بالنون يعني أصاب شغاف قلبها أو غشى الحب قلبها ؛
 وشغاف القلب وشغفه : غلافه . قال قيس بن الخطيم :

إِنِّي لِأَهْوَاكِ غَيْرَ ذِي كَذِبٍ قَدْ شَفَّ مِنِّْي الْأَحْشَاءُ وَالشَّغَفُ
 أما الشغف : فهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها ، كما أن البعير إذا هني
 بالقطران يجد له لذة مع حرقة .
 قال امرؤ القيس :

لَتَقْتَلَنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فَوَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي
 « يعني أحرقت فوادها بحبي كما أحرق الطالـي هذه المهـنوءة ففوادها طائر من لذة
 الهناء ، لأن المهـنوءة تجد للهـناء لذة مع حرقة » :

كَذَا الدُّنْيَا عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي صُرُوفٌ لَمْ يُدْمِنْ عَلَيْهِ حَالًا^(١)
 أَشَدُّ الْغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَتَقَنَّ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالًا^(٢)
 أَلِفْتُ تَرَخْلِي وَجَعَلْتُ أَرْضِي قَتُودِي وَالْفَرِيرِي الْجَلَالًا^(٣)
 فَمَا حَاوَلْتُ فِي أَرْضٍ مُقَامًا وَلَا أَرْمَعْتُ عَنْ أَرْضٍ زَوَالًا^(٤)
 عَلَى قَلْقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَمَحِّي أَوْجْهَهَا جَنُوبًا أَوْ شِمَالًا^(٥)

(١) كذا: خبر مقدم عن «الدنيا» وصرُوف: خبر عن محذوف: أى هى صروف؛ والصرُوف: الأحداث: يقول: إن الدنيا كانت على من كان قبلى كما أراها الآن: أى كما هى على الآن، ثم بين ذلك فقال: هى صروف لا تدوم على حاله واحدة (٢) فى سرور: خبر «أشد» والجملة بعده: نعت سرور. يقول: إن السرور الذى يتقن صاحبه الانتقال عنه هو عندى أشد الغم لأنه يترقب وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور.

(٣) قنودى: جمع قند، وهو خشب الرحل، والفريرى: المنسوب إلى غرير، فحل من الإبل كان فى الجاهلية تنسب إليه كرام الإبل والجلال: كالجليل—أى العظيم— كما يقال: طوال، وطويل. يقول: تعودت الارتحال حتى ألفتها، وصارت الرحال أرضا لى، لأنى أبدأ على الرحال، فهى لى كالأرض للمقيم.

(٤) اللقام: مصدر ميمى، بمعنى الإقامة. وأزمع الأمر: وأزمع عليه: مضى فيه؛ وثبت عليه عزمه؛ وقال الكسائى: يقال أزمعت الأمر، ولا يقال أزمعت عليه. قال الأعشى:

أَزْمَعْتُ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارًا وَشَطَطْتُ عَلَى ذِي هَوًى أَنْ تَزَارَا

وقال الفراء: أزمعته وأزمعت عليه: بمعنى، مثل أجمعته وأجمعت عليه. يقول: ما طلبت الإقامة فى أرض لأنى أبدأ على سفر، ولا عزمى على الرحيل عنها. لأنى الرحيل إنما يكون بعد الإقامة، ولا إقامة لى حتى أرحل.

وقال ابن جنى: المعنى إذا كان ظهره — أى البعير — كالوطن لى فأنا — وبين بيت البلاد — كالمواطن فى داره.

(٥) على قلق: القلق الاضطراب؛ والجار والمجرور: فى موضع الحال من التاء فى ألفت؛ وبروى على قلق — بكسر اللام — أى بعير قلق. يقول: لا أستقر فى مقام

إِلَى الْبَدْرِ بْنِ عَمَّارٍ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ الْهَلَالَا^(١)
وَلَمْ يَنْظُمْ لِنَقْصٍ كَانَ فِيهِ وَلَمْ يَزَلِ الْأَمِيرَ وَلَنْ يَزَالَ
بِلَا مِثْلٍ وَإِنْ أَبْصَرْتَ فِيهِ لِكُلِّ مُعْتَبِرٍ حَسَنٍ مِثَالَا^(٢)
حُسَامٌ لِابْنِ رَائِقِ الْمُرْجِي حُسَامُ الْمُتَّقِي أَيَّامَ صَلَا^(٣)
سِنَانٍ فِي قَنَاءِ بَنِي مَعْدٍ بَنِي أَسَدٍ إِذَا دَعَوْا النَّزَالَ^(٤)

كأنى على ظهر الريح : أوجهها مرة إلى جانب الجنوب ومرة إلى جانب الشمال ، فعبّر بالريحين عن الجانبين ، وروى يميناً أو شمالاً ، فتكون بكسر الشين .
(١) غرة الشهر : أراد أول الشهر ؛ وإلى البدر : يروى إلى بدر بن عمار - بدون أل - لأنه علم . ومن روى البدر : أراد بدر السماء ، لا الاسم العلم ، يعنى إلى الرجل الذى هو كالبدر ، ثم نسبته إلى أبيه ، لأنه ليس بدرأ على الحقيقة ، وإن أشبهه : ألا ترى أنه قال لم يكن فى غرة الشهر الهلال ، ولا بدر إلا وكان هلالاً أولاً ؟ وهذا الذى عناه لم يكن هلالاً قط ، وقد فسر هذا بقوله : ولم يعظم لنقص « البيت » . وترك التنوين من « عمار » ضرورة لسكونه وسكون اللام واللام فى قوله « لنقص » فى البيت التالى - بمعنى بعد كما فى قوله :

* لطول اجتماع لم نبت ليلة معا *

(٢) يقول : هو منقطع النظير لا مثل له ، وإن رأيت فيه من الصفات ما يمثل لك كل ماغاب عنك من المحاسن ، وذلك كالشجاعة مثلاً والجود والحسن ، فإن هذه الصفات فيه تمثل لك الأسد والغيث والبدر ، ولكن هذه مع كونه يشبهها فى بعض صفاته لاشيء منها يشبهه فى جميع صفاته . يعنى أنه لم يجتمع فى أحد ما اجتمع فيه وإن كانت أشباهه متفرقة فى أشياء كثيرة : فكفه كالبحر ، وقلبه وعضده كالأسد ، ووجهه كالبدر .
(٣) حسام : أى هو حسام : سيف قاطع ؛ وحسام - الثانى - بدل من ابن رائق . يقول : هو حسام لأبى بكر بن رائق ؛ الذى كان حساماً للبتقى لله الخليفة العباسى حين صال به على بنى البريدى ، وقد كان التقي حاربهم به فى خير ليس هذا موضعه .
(٤) بنو معد : هم العرب ، لأن نسبهم ينتهى إلى معد بن عدنان . وبني أسد : بدل من قوله بنى معد ، وهم رهط الممدوح . قال الواحدى : يقول إن الممدوح سنان فى قنأ العرب الذين هم بنو معد ؛ ثم خصص بعض التخصيص وأبدل من بنى معد : بنى أسد فكانه قال : هو سنان قنأ بنى أسد عند الحرب ؛ والنزال : منازلة الأقران -

أَعَزُّ مُغَالِبٍ كَفًّا وَسَيْفًا وَمَقْدِرَةٌ وَنَحْمِيَّةٌ وَالْأَلَا^(١)
وَأَشْرَفُ فَأَخِيرِ نَفْسًا وَقَوْمًا وَأَكْرَمُ مُنْتَمِرٍ عَمَّا وَخَالًا^(٢)
يَكُونُ أَحَقُّ إِثْنَاءٍ عَلَيْهِ عَلَى الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا مُحَالًا^(٣)

بعض إلى بعض - من الخيل عند شدة القتال . يقول : هو رئيسهم وصدرهم الذى به
قاتلون ، وفى مثل هذا المعنى يقول النامى - وقد قصر عنه للتنبي - :

إِذَا فَاحَرَتْ بِالْمَكْرُمَاتِ قَبِيلَةٌ فَتَغْلِبُ أَبْنَاءَ الْعَمَلَى بِكَ تَغْلِبُ
قَنَاءَ مِنَ الْعَلِيَاءِ أَنْتَ سِنَانُهَا وَتِلْكَ أَنَا يَبِيبُ إِلَيْكَ وَأَكْمَبُ

وقال بعض الشراح : بنى أسد : بدل من قناء ، ثم قال : جعل بنى أسد - وهم رهط
المدوح - قناء - أى رحا - لبنى معد ، وجعل المدوح سناناً لهذه القناء : يعنى أن
المدوح عزة لقومه ، وهم عزة لسائر العرب . وروى بعض الشراح بنى أسد : بنى أسد -
على أنه جمع أسد - وقال : يعنى أن بنى معد هم بنو أسود : أى شجعان ؛ وقال ابن جنى :
يجوز أن يكون بنى أسد : منادى مضافاً : يعنى أن بنى معد إذا نازلوا الأعداء ، قالوا
يا بنى أسد ، فيقوم لهم قولهم فى الغناء والدفع عنهم مقام سنان مركب فى قناتهم ، لأنهم
إذا دعواهم أغنوا عنهم .

(١) أراد بالعرز - ههنا - الغلبة والامتناع ؛ ومقدرة - بتثليث الدال - أى قدرة :
وحماية . بمعنى حماية أى حماية الجار والحليف ومن يحق الذود عنه ؛ ويجوز أن تكون بمعنى
الحمية : أى الأنفة وعزة النفس . ونصب المنصوبات الخمس على التمييز . يقول . هو أعز
من يغالب الأقران كفاً ، لأن يده فوق كل يد ، وسيفه أغلب السيوف ، وقدرته فوق
قدرة الناس ، وحمايته لمن يحق عليه الذود عنه زائدة على حماية غيره ، وآله وأصحابه
أغلب وأعز به من آل غيره .

(٢) منتم : منسوب . يقول : هو شريف حسيب إذا اتهمى كان له الشرف
هن أبيه وأمه .

(٣) الإثناء : مصدر أثنى عليه . يقول : إن المدح الذى يستعظم للدنيا وأهلها حتى
يكون لإفراطه محالاً عليها إذا أطلق عليه كان حقاً ، لاستحقاقه غاية الثناء . وبعبارة
أخرى : إن أحق ما يصدق عليه من صفات المدح لو مدحت به الدنيا وأهلها لكان
النسبة إليهم محالاً . يعنى أن الناس كلهم لا يستحقون أدنى ما يستحقه من الثناء .

وَيَبْقَى ضَعْفٌ مَا قَدْ قِيلَ فِيهِ إِذَا لَمْ يَتْرِكْ أَحَدٌ مَقَالاً^(١)
 فَيَا أَبْنَ الطَّاعِنِينَ تَكُلُّ لَدُنْ
 مَوَاضِعَ يَشْتَكِي الْبَطْلُ الشَّمَالاً^(٢)
 وَيَا أَبْنَ الضَّارِبِينَ بِكُلِّ غَضَبٍ مِنْ الْعَرَبِ الْأَسَافِلِ وَالْقِلَالِ^(٣)
 أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غَوَوْا بِذِمِّي وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْمُضَالاً^(٤)
 وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرَّةً مَرِيضٍ يَجِدُ مُرّاً بِهِ الْمَاءُ الزُّلَالاً^(٥)

(١) ضعف الشيء : أن يزداد عليه مثله ؛ ويترك : يفتعل ، من الترك . يقول : إذا مدحه الناس غاية ما قدرُوا عليه حتى لم يترك أحد مقالا : بقى ضعف ما قالوه من المحاسن يعني للمداح والثني لا يبلغ في مدحه ما يستحقه ، كما قالت الخنساء .

وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكَ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فِيكَ أَفْضَلُ
 وقال أبو نواس :

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا هَلِيكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَأُنْفَى وَفَوْقَ الَّذِي نُؤْنِي

(٢) بكل لدن : أى بكل رمح لين للهز ، ومواضع : منصوب على الظرفية ، مضاف إلى الجملة بعده . يقول : يا ابن الطاعنين بكل رمح صدور الأبطال ؛ وهذا ينظر إلى قول البحترى .

وَأَتْبَعْتَهَا أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحَقْدُ

(٣) العضب : السيف القاطع ؛ والقلال : جمع قلة ، أعلى الشيء والمراد هنا : الرءوس يقول . يا ابن الضاربين بكل سيف رءوس العرب وأرجلها قال ابن جني . وذلك لأنهم إذا ضربوا الفارس في قلة رأسه نزل السيف إلى أسفل جسده ، وقيل أراد بالأسافل اللثام ، وبالقلال : السكرام ؛ أى ابن الذين يضربون الشريف والدنيء فلا تتركون أحداً ، أو لا يهابون أحداً .

(٤) المتشاعرون : الذين يدعون الشمر وليسوا من أهله . وغرى بالشيء : أولع به ، والداء المضال : الذي لا دواء له يقول : إنه داء لهم يستقيمون به حسداً ، ولذا لا يمكن أن يحمده .

(٥) الزلال : العذب الصافي الذي يزل في الحلق . وهذا مثل ضربه . يقول : مثله يبعث كمثل المريض مع الماء الزلال يجده مرارة فمه ، كذلك هؤلاء إنما يذمونني

وَقَالُوا هَلْ يُبَلِّغُكَ الثَّرِيَا فَقُلْتُ نَعَمْ إِذَا شِئْتُ أُسْتَفَالَا^(١)
هُوَ الْمُنَى الْمَذَاكِي وَالْأَعَادِي وَبَيْضَ الْهِنْدِ وَالشَّمْرَ الطَّوَالَا^(٢)
وَقَائِدَهَا مُسَوِّمَةً خَفَافًا عَلَى حَيٍّ تُصَبِّحُهُ نَقَالَا^(٣)
جَوَائِلَ بِالْقُسِيِّ مُتَقَفَاتٍ كَأَنَّ عَلَى عَوَامِلِهَا الذَّبَالَا^(٤)

لنقصانهم وغبائهم وعدم إدراكهم فضلى وشعوى ، فالتقص فيهم لا فى ولوصحت حواسهم لعرفوا فضلى ؛ قال حكيم : النفس الكريمة ترى الأشياء حسنة .

(١) يقول إن الحساد قالوا الى حسداله على ولى عليه : هل برفعك المدوح الى الثريا ؛ إنكارا لأن يبلغنى بخدمته منزلة رفيعة ، فقلت : نعم يبلغنيها إذا أردت أن انحط عن منزلى : أى أنه رفعه الى ما فوق الثريا فإن استقل وانحط رجع الى موضع الثريا وإلا فهو أعلى منها درجة بخدمة المدوح . وهذا تخيل بديع . هذا : وسميت المجموعة المعروفة من الكواكب بالثريا ؛ قيل لغزارة نوبها ، وقيل لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها ، فكانت كثيرة العدد بالإضافة الى ضيق الحبل ، ولا يتكلم بالثريا إلا مصغرة ، وهو تصغير على جهة التكثير ، ويقال إن خلال أنجم الثريا الظاهرة كواكب خفية كثيرة العدد ، وقد ظن العطوى الشاعر كواكب الثريا ستة فقال :

خَامِلٌ إِنِّى لِلثَّرِيَا لِحَاسِدٍ وَإِنِّى عَلَى رِيبِ الزَّمَانِ لَوَاجِدٍ

أَجْمَعُ مِنْهَا شَمْلَهَا وَهِيَ سِتَّةٌ وَأَفْقِدُ مَنْ أَحْبَبْتَهُ وَهُوَ وَاحِدٌ

(٢) المذاكى : الخيل السنة ، وهى التى أى عليها بعد قروحها سنة . وببيض الهند : السيوف . والسمر : الرماح . يقول : هو الذى ينفى هذه الأشياء بكثرة الحروب ؛ وعبارة العكبرى : هو مفنى الخيل والأعداى بالطراد فى الحروب ، وقيل بالهبة والسيوف والرماح بالضرب والطعن ، ويجوز بالهبة .

(٣) قائدها : معطوف على المعنى ؛ والضمير : للمذاكى : والسومة : العملة . يقول : وهو قائد الخيل خفافا فى الركض نقالا على الحى الذى تحمل بساحته صباحا للغارة ، أى نقالا على الأعادى .

(٤) جوائل : بدل من مسومة ، وهى جمع جائلة : أى مترددة ، وجوائل بالقى ، أى تجول بأرماح فرسانها ، والقى : جمع القنا . ومتقفات : أى مقومات بالتقاف ، وهو الحديد الذى يسوى به الرمح . والعوامل : مايل الأسنة والذبال : جمع ذبالة ، وهى الفتيلة التى فى السراج . شبه أسنتها فى اللمعان بالفتائل .

إِذَا وَصَّيْتُ بِأَيْدِيهَا صُخُورًا يَفْنَى لَوَطْءُ أَرْجُلَيْهَا رَمَالًا^(١)
جَوَابُ مُسَائِلِي آلِهِ نَظِيرُ وَلَا لَكَ فِي سُؤَالِكَ لَا أَلَا^(٢)
لَقَدْ أَمِنْتُ بِكَ الْإِعْدَامَ نَفْسُ تَعْدُ رَجَاءَهَا إِيَّاكَ مَالًا^(٣)
وَقَدْ وَجِلْتُ قُلُوبُ مِنْكَ حَتَّى غَدَّتْ أَوْجَالُهَا فِيهَا وَجَالًا^(٤)

(١) يفنى : يعدم ويرجعن ؛ و يروى : يقين . يقول : إذا وطئت هذه الخيل الصخور بأيديها وأرجلها تفتتت من شدة وطأتها فصارت رمالا ، كما قال ابن المهز :

* كَانَ حَصَى الصَّيَّانِ مِنْ وَقْعِهَا رَمْلُ *

(٢) جواب : مبتدأ ؛ خبره : عجز البيت ، وقوله آله نظير : في محل نصب حكاية السؤال . يقول : إذا سألتى سائل فقال : هل لهذا المدوح نظير ؟ فجوابه : لا ، ولا لك أيضاً نظير في هذا السؤال ، لأن أحداً لا يجهل هذا غيرك ، فأنت في جهلك به بلا نظير . وأراد « لا » و « لا لك » فأخر المظوف عليه ضرورة ، كما قال الأحوص :

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ^(١)

وكرر النفي بقوله « ألا لا » إشارة إلى أن جهل هذا السائل يوجب إعادة الجواب عليه

(٣) الإعدام : الإقتار والفقر . يقول : كل نفس ترجو عطاءك وتعد هذا الرجاء مالا لها تأمن الفقر لأنك تبلغها آمالها ألبنة .

(٤) وجالا : جمع وجل - بكسر الجيم - أى خائف يقول : خافتك قلوب الأعداء حتى خاف خوفهم ووجلّت أوجالهم ، وهذا كقولهم : جن جنونه ، قال :

جُنُونُكَ كَجُنُونِ وَلَسْتُ بِوَاحِدٍ طَلَبِيًّا يَدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونِ

(١) بعده :

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْكَ فَخَبَرُونِي هُنَا مِنْ ذَاكَ تَكْرَهُهُ الْكَرَامُ
وَلَيْسَ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِأَسٍ إِذَا هُوَ لَمْ يَخَالِطِ الْحَرَامُ
وَالنَّخْلَةُ : كناية جميلة عن المرأة ؛ وكفى بالهناء عن الرفث .

سُرُورُكَ أَنْ تَسْرَهُ النَّاسَ طَرًّا تُعَلِّمُهُمْ عَلَيْكَ بِهِ الدَّلَالَ^(١)
 إِذَا سَأَلُوا شَكَرْتَهُمْ عَلَيْهِ وَإِنْ سَكَتُوا سَأَلْتَهُمُ الشُّوْالَ^(٢)
 وَأَسْعَدُ مَنْ رَأَيْنَا مُسْتَمِيعٌ يُنِيلُ الْمُسْتَمَاعَ بِأَنْ يَنَالَ^(٣)
 يُفَارِقُ سَهْمَكَ الرَّجُلَ التَّلَاقَ فَرَّاقَ الْقَوْسِ مَا لَاقَى الرَّجَالَ^(٤)
 فَمَا تَقِفُ السَّهَامُ عَلَى قَرَارٍ كَانَ الرَّيْشَ يَطْلُبُ النَّصَالَ^(٥)

(١) يقول : إنما يحصل لك السرور والفرح بأن تسر جميع الناس :
 وإذا كان هناك واحد لم تسره لم يحصل لك السرور ، فأنت تعلمهم الدلال عليك بهذا ،
 لأنه لو قال أحد الناس أنا غير مسرور اجتهدت حتى تسره وترضيه . فهم يدلون عليك ،
 إذ عرفوا منك هذا .

(٢) يقول : أنت لكرمك تحب العطاء ، فإذا سألوك شكرتهم على السؤال وعدتة
 منة عليك لحبك العطاء ، وإن هم سكتوا سألتهم أن يسألوك حتى لا يفوتك
 لذة العطاء .

(٣) الاستراحة : طلب العطاء ؛ والسباحة ، الجود . يقول أسعد الناس سائل يعطى
 مسئوله بأن ينال منه شيئاً ، يعنى أن مسئوله يفرح بأخذ عطائه حتى كأنه ينيله شيئاً .
 والحاصل أن أسعد الناس من أخذ من معط يرى أن الأخذ منه عطاء له فبراء حقا عليه
 ويسر بذلك . قال البحرى :

فَيَكُونُ أَوَّلَ سَنَةٍ مَأْتُورَةً

أَنْ يَقْبَلَ الْمَمْدُوحُ رِفْدَ الْمَادِحِ

(٤) « ما » نافية ، والجملة بعدها : حال من ضمير السهم محذوفا ، والتقدير فراقه
 للقوس وهو ملاقى الرجال . يقول : إن سهمه يفارق الرجل الذى يلاقيه نافذاً منه ،
 وفيه نفس القوة التى فارق بها القوس حين لم يلاق أحداً بعد : أى إذا رمى رجلاً بسهم
 خرج منه بعد النفاذ فيه وفيه قوة كقوته حين خرج عن كبد القوس يصفه بشدة نزع القوس
 وقوة الرمي وانطلاق السهم ؛ ويجوز أن تكون « ما » ظرفاً ، كأنه قال : يكون الأمر
 كذلك مدة ملاقاته الرجال ، كما تقول : لا أكلك ماطر طائر .

(٥) النصال ، جمع نصل ، الحديد التى تكون فى السهم . يقول : إن سهامك إذا
 رميتها لاتقف عن مسيرها ، فكان ريشها يطالب نصالها ليدركها ففى تنضى أبداً ، لأن
 الريش لا يدرك النصل ، لتقدم النصل عليه .

سَبَقْتَ السَّابِقِينَ فَمَا تُجَارَى وَجَاوَزْتَ الْعُلُوَّ فَمَا تُعَالَى ^(١)
وَأَقْسِمُ لَوْ صَلَحْتَ يَمِينَ شَيْءٍ لَمَا صَلَحَ الْعِبَادُ لَهُ شَيْئاً ^(٢)
أَقْلَبُ مِنْكَ طَرَفِي فِي سَمَاءٍ وَإِنْ طَلَعْتَ كَوَاكِبَهَا خِصَالاً ^(٣)
وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَنْشَأَ وَقَدْ أُعْطِيتَ فِي الْمُهْدِ الْكَمَالَ ^(٤)

* *

وهذا من قول ليلى الأخيلية :

وَمَا أَنْ رَأَيْتَ الْخَلِيلَ قُبْلًا تَبَارَى بِالْخُدُودِ شِبا الْعَوَالِي
نَسِيتَ وَصَالَهُ وَصَدَدْتَ عَنْهُ كَمَا صَدَّ الْأَرْبُ عَنْ الظَّلَالِ ^(١)

فقل المعنى من الخيل والحدود والعوالى : إلى السهام والريش والنصال .

(١) جاره : جرى معه ؛ وعلاه : غلبه في العلو . يقول : سبقت الذين سبقوا في مراحل الساعى واللكارم حتى شأوتهم فليس يجاريك أحد ، وعلوت حتى جاوزت العلو المألوف فليس يعاليك أحد ، إذ لا يبلغ أحد مبلغك . ويجوز أن يكون معنى السابقين : الأولين : أى الذى غبروا ومضوا .

(٢) يفضله على جميع الناس ، ويقول : إنه لو كان يمين شىء ماصلح الناس كلهم أن يكونوا شمالاً لذلك الشىء ، وفى مثل هذا المعنى يقول أبو النجم :

لو كان خلقُ الله جنباً واحداً وكنت فى جنبٍ لكنت زائداً
نباهةً ونائلاً ووالداً

(٣) يقول أنت فى علو قدرك سماء وإن كانت كواكب تلك السماء خصالاً ، جعله كالنساء ، وخصاله فى الشهرة والحسن نجومها ، كما قال البحتري :

وبلوتُ منك خلائقاً محمودةً لو كُنَّ فى فلكٍ لَكُنَّ نجوماً

(٤) وأعجب : عطف على أقلب - فى البيت السابق - وتنشأ : أصله تنشأ - بالهمز - فلينه للوزن ، وأراد أن تنشأ ، خذف « أن » . يقول : أنت قد ولدت كاملاً ، فكيف استطعت أن تزداد بعد الكمال ؟

(١) قالت ليلى هذين البيتين فى فائض بن عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل ؛ وقد مر شرحهما .

وخرج بدر بن عمار إلى أسد ، فهرب الأسد منه ، وكلّنه قد خرج قبله إلى أسد آخر ، فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع . وثقل ، فوثب إلى كفل فرسه ، فأعجله عن استلال سيفه ، فضر به بالسوط ، ودار به الجيش ، فقال أبو الطيب :

فِي الْخُلْدِ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلًا مَطَرُهُ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مُحُولًا^(١)
يَا نَظْرَهُ نَفَتِ الرِّقَادَ وَغَادَرَتْ فِي حَدِّ قَلْبِي مَا حَيَّيْتُ فُلُولًا^(٢)
كَانَتْ مِنَ الْكَحْلَاءِ سُؤْلِي إِنَّمَا أَجَلِي تَمَثَّلَ فِي فُؤَادِي سُؤْلًا^(٣)

(١) أن عزم : أى لأجل أن عزم . والخليط : الذى يغالطك ويماشرك ، والمراد به الحبيب ؛ والخليط أيضا : القوم الذين أمرهم واحد ؛ قال الشاعر :

إِنْ خَلِيطَ أَجْدُوا الْبَيْنَ فَانْجَرِدُوا وَأَخْلَفُوكَ عِدَى الْأَمْرِ الَّذِى وَعَدُوا
وجمع الخليلط : خلطاء وخلط ، قال وعلة الجرمى فى جمعه على خلط :

سَائِلَ مَجَاوِرَ جَرَمٍ هَلْ جَنَيْتَ لَهُمْ حَرْبًا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَسِيرَةِ الْخُلْدِ
يقول : إن فى خده - لأن عزم الحبيب فراقاً - مطرا - يعنى الدمع - تزيد الحدود به محولا - جدبا - ومحول الحدود : شحوبها وتحدد لهما وفهاب نضرتها والطر من شأنه أن تذهب به البلاد ويخضر العشب ، أما الدمع فهو مطر صنيعه على الضد من هذا وفيه نظر إلى قول بعضهم :

لَوْ نَبَتِ الْعُشْبُ مِنْ دُمُوعٍ لَكَانَ فِي خَدِّي الرِّيحُ

(٢) نفت : أذهبت . وغادرت : تركت . والفلول : الثلوم : أى ما يلحق حد السيف من كثرة الضرب . يقول : إن نظرتة إلى الحبيب لدى الفراق ذهبت بنومه وأورثته السهاد وذهبت بحدة قلبه ، يعنى أثرت فى لبه ، وعبارة بعض الشراح : وترك قلبه كالسيف للفلول لا يقوى على مقاومة النوايب واتقائها ، ويجوز أن يكون المراد بالنظرة : النظرة الأولى التى نظرها الحبيب وسببت له العشق والهام .

(٣) الضمير فى «كانت» : للنظرة ، والكحلاء : السوداء الجفون خلقة . والسؤل ما يطلبه الإنسان ويتمناه ، وهو خبر «كانت» ومن الكحلاء : متعلق بسؤل ؛ ولين السؤل - فى آخر البيت - للفاية . يقول : كانت هذه النظرة مرادى ومطلوبى من

أَجِدُ الْجَفَاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرُوءَةً وَالصَّبْرَ إِلَّا فِي نَوَاكِ جَمِيلًا^(١)
وَأَرَى تَدْلُكَ الْكَثِيرَ مُحِبًّا وَأَرَى قَلِيلَ تَدْلُلٍ تَمْلُولًا^(٢)
تَشْكُو رَوَادِفَكَ الْمَطِيَّةَ فَوْقَهَا
شَكْوَى الَّتِي وَجَدْتَ هَوَاكَ دَخِيلًا^(٣)
وَيُعِيرُنِي جَذْبُ الزَّمَامِ لِقَلْبِهَا فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَالِبٍ تَقْبِيلًا^(٤)

هذه المرأة السكحاء . ولكنها كانت في الحقيقة أجلى تصور مرادا في قلبي ، يعني أن نظرته إليها حال التوديع ذهبت بنفسه وأنت عليه .

(١) الجفاء : الإعراض ، وقد ضمنه معنى النبو والامتناع ، ولذلك وصله بعلی . والنوى : البعد . يقول : إني أجد إعراضى عن النساء مروءة إلا عنك ، والصبر على نازلة جميلا إلا على بعدك ، كما قال البحترى :

مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ إِلَّا عِنْدَ فُرْقَةٍ مَنْ بَيْنَهُ صِرْتُ بَيْنَ الْبَثِّ وَالْحَزَنِ
(٢) يقول : إني آمل دلال غيرك وإن قل ، وأحب دلالك وإن كثر ، كما قال جرير :
إِنْ كَانَ شَأْنُكُمْ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ حَسَنُ دَلَالِكِ يَا أَمِيمَ جَمِيلُ
(٣) الروادف : الكفل ومما حوله ، جمع رادفة ، لأنها تردف الإنسان : أى تكون خلفه ، كالرديف الذى يكون خلف الراكب . يقول : تشكو المطية تقلد روادفك فوقها شكوى النفس التى وجدت هواك مداخلها ، يعنى العاشق لها ، يعنى نفسه .
(٤) يقول - مخاطباً حبيته - : يحملنى على الغيرة جذبك زمامها إليك لأنها تقلب فيها إليك كأنها قبلة ، كما قال مسلم بن الوليد :

وَالْعَيْسُ عَاطِفَةُ الرُّؤُوسِ كَأَنَّمَا يَطْلُبُنَّ مِرْثُ مُحَمَّدٍ فِي الْأَحْلُسِ
هذا ، والغيرة : الحمية والأثفة ، لعلها من غار التهار : إذا اشتد حره ، يقال : غار الرجل على امرأته ، والمرأة على بعلها تغار غيرة وغيرا وغاراً وغياراً ؛ قال أبو ذؤيب يصف قدوداً :

لَمْ يَنْشِجْ^١ بِالنَّشِيلِ كَأَنَّهَا ضَرَارُ حِرْمِيَّ تَفَاحَشَ غَارَهَا^(٢)

(١) نشل اللحم من القدر : انتزعه منها وهو النشيل ، والنسبة إلى الحرم حرمى وهو من العدول الذى يأتى على غير قياس . قال المبرد : يقال امرأة حرمية وحرمية

حَدَقُ الْحَسَانَ مِنَ الْغَوَائِي هِجْنِي لِي يَوْمَ الْفِرَاقِ صَبَابَةٌ وَغَلِيلًا^(١)
 حَدَقُ يُذِمُّ مِنَ الْغَوَائِلِ غَيْرَهَا بَذْرُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ إِسْمَاعِيلًا^(٢)
 الْفَارِجُ الْكَرْبَ الْعِظَامَ بِمِثْلِهَا وَالْقَارِكُ الْمَلِكُ الْعَزِيزَ ذَلِيلًا^(٣)

وأغار الرجل أهله : تزوج عليها فغارت ، والعرب تقول أغير من الحمى : أى أنها تلازم المحموم ملازمة الفيور لبعليها . هذا : والغم أكثر ما يستعمل بغير الميم مع الإضافة ، فإذا أضيف قلت فوقك وفالك وفيك ، إلا أنه قد جاء بالميم مضافا عن العرب ، قال :

كلحوت لا يكفيه شيء يلهمه يصبح عطشان وفي البحر فيه

(١) الحدق : جمع حدقة ، وهى سواد العين الأعظم ، وواحدة الحسان : حسناء . والغوائى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن التجميل . والصبابة : رقة الشوق . والغليل : حرارة العطش ، والمراد به هنا : لاجع الوجد .

(٢) حدق : خبر عن محذوف ، يرجع إلى حدق - الأولى - ويذم : يبحر ويعطى القدماء ؛ وغيرها : يحوز فيه النصب على الاستثناء ، أو الحال ، والجر على التبعية . وبذر ابن عمار . فاعل يذم . يقول ، إنه يبحر من كل ما يقتل إلا من أهداق الحسان ، فإنه لا يستطيع الإجارة منها ، كما قال .

وَقَى الْأَمِيرُ هَوَى الْعِيُونِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بِيَّاسِهِ وَسَخَائِهِ
 وقد تجاوز هذا فى مدح عضد الدولة بأمن بلاده فى قوله .

فَلَوْ طُرِحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا لَمَا خَافَتْ مِنَ الْحَدَقِ الْحَسَانَ

(٣) يقول : إنه يفرج الكرب العظيم عن أوليائه بإزال مثلها بأعدائه ، يعنى أنه يقتل أعداءه ليدفعهم عن أوليائه ويفقرهم لينقى أوليائه فيزيل عنهم الفقر . ويقال فرج عنه يفرج وأفرج يفرج وفرج يفرج تفرجاً : إذا أزال عنه الغم وكشفه ، والكريب وما بعده بالنصب بإعمال اسم الفاعل ، وروى بالحذف تشبيهاً بالحسن الوجه .

وأصله من قومهم ، وحرمة البيت وحرمة البيت : قالوا إن أهل الحرم - وهم قريش - أول من اتخذ الضرائر . شبه غليظة القدور بصنوب الضرائر

مَحَكْ إِذَا مَطَلَ الْفَرِيمُ بِدَيْنِهِ جَعَلَ الْحَسَامَ بِمَا أَرَادَ كَفِيلًا^(١)
نَطَقُ إِذَا حَطَّ الْكَلَامُ لثَامَهُ أَعْطَى بِمَنْطِقِهِ الْقُلُوبَ عُقُولًا^(٢)
أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلًا^(٣)

(١) المحك : اللجوج . والمحك اللجاج عند الغضب والمساومة ونحوها ، وقد محك يحكك ومحك محكا ومحكا فهو ماحك ومحك وتماحك البيعان والحصان تلاحا ، قال الفرزدق يهجو جريرا :

يا ابن المراغة والهجاء إِذَا التَقْتُ أَعْنَاقَهُ وَتَمَاحَكَ الْخَصْمَانِ
مَاضِرًا تَلَبَّ وَائِلًا أَهْجَوْتَهُمَا أَمْ بُلْتُ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ^(١)
يقول . إنه يلج في تقاضى ماله على الناس من حق الطاعة والخضوع ولا يتوانى في ذلك ؛ فإذا مطلوه بهذا الدين جعل سيفه كفيلا له بقضائه ، يعنى إذا لم يخضعوا له طوعا أخضعهم قهرا .

(٢) النطق - كالنطق - اللسان البليغ ؛ والضمير في « لثامه » . للممدوح ، قال الواحدى . وكانت العرب تتلثم بعمائمها ، فإذا أرادوا أن يتكلموا كشفوا اللثام عن عن أفواههم . يقول : إذا وضع الكلام لثامه عن فمه عند النطق أفاد منطق قلوب السامعين عقولا ، يعنى أنه يتكلم بالحكمة وبما يستفاد منه العقل .

(٣) قال ابن فورجه : يعنى أن الزمان سخا - جاد - به على وكان بخيلا به ، فلما أعداه سخاؤه أسعدنى الزمان بضمى إليه وهدايتى نحوه ، والصراع الأول من قول ابن الحياط .

لَمَسْتُ بِكَفِّ كَفِّهِ أَبْغَى الْغِنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدَى
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُو الْغِنَى أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي
وقال أبو تمام :

عَلِمَنِي جُودُكَ السَّمَاحَ فَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئًا لَدَى مِنْ صِلَتِكَ
وقال أيضا :

لَسْتُ بِمَحْبِي مُصَافِحًا بِسَلَامٍ إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ أَتَلَفْتُ مَالِي

(١) المراغة : الأتان التى لا تمتنع من الفحول ، وبذلك لقب الأخطل أم جرير فسماه ابن المراغة : أى يتمرغ عليها الرجال .

وَكَأَنَّ بَرْقًا فِي مُتُونِ عَمَامَةٍ هِنْدِيَّةٍ فِي كَفِّهِ مَسْلُولاً^(١)
وَتَحُلُّ قَائِمُهُ يَسِيلُ مَوَاهِباً لَوْ كُنَّ سَيْلاً مَا وَجَدَنَّ مَسِيلاً^(٢)

وأبو الطيب نقل المعنى إلى الزمان ، والصراع الثاني من قول أبي تمام :

هِنَهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمَثَلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمَثَلِهِ لِبَخِيلٌ

وقال ابن جني : للمعنى تعلم الزمان من سخائه فسخا به وأخرجه من العدم إلى الوجود ولولا سخاؤه الذي استفاده منه لبخل به على أهل الدنيا واستبقاه لنفسه ، فإن قيل : السخاء لا يكون إلا في الوجود ، وهذا معدوم فالجواب : أن الزمان كأنه علم ما يكون فيه من السخاء إذا وجد ، فكأنه استفاد منه ما تصور كونه فيه بعد وجوده . ولولا ما تصور من السخاء لبقى أبداً بخيلاً ، والشيء إذا تحقق كونه لا محالة أجرى عليه في حالة عدمه كثير من الأوصاف التي يستحقها بعد وجوده قال ابن فورجه : هذا تأويل فاسد وغرض بعيد ، والسخاء بغير الوجود لا يوصف بالعدوى ، ثم فسر البيت بما أسلفنا . هذا والسخاء الجود ، يقال سخا يسخو سخاء وسخوا وسخى يسخى سخاء وسخوة قال الجوهري وقول عمرو بن كلثوم

مشعشة كأن الحُصَّ فيها إذا ما الماء خالطها سخينا^(١)

أي جدنا بأموالنا ، قال وقول من قال سخينا من السخونة نصب على الحال فليس بشيء .

(١) جعل اسم «كأن» نكرة ؛ وخبرها معرفة ضرورة . والتون جمع متن ، وهو الظهر . والغامة السحابة . والهندي السيف المصنوع من حديد الهند ، وفي كفه ومسلولاً حالان . وقد عكس التشبيه في هذا البيت ، لأن الأصل أن يشبه السيف بالبرق ، وهنا شبه البرق بالسيف فقال كأن برقاً في ظهور الغمام سيفه إذا سلّه في يده ، مبالغة في بريقه ولعانه .

(٢) محل قائمه أي قبضه هو يد المدوح ؛ ومواهبا تميز . يقول : إن كفه تسيل نعماً وهبات لو كانت مطراً لما وجدت موضعاً تسيل فيه لسكرتها ولعله ينظر في هذا إلى قول أبي تمام :

(١) شمع الشراب مزجه بالماء ؛ والحص الورس ، نبات له نوار أحمر . يشبه الزعفران ، يقول اسقني الخمر بمزوجة بالماء كأنها من شدة حررتها بعد امتزاجها بالماء ألقي فيها نور هذا النبات الأحمر ، وإذا شربناها وسكرنا جدنا بمالنا .

رَقَّتْ مَضَارِبُهُ فَهِنَّ كَأَنَّهَا

يُمْدِنَ مِنْ عِشْقِ الرِّقَابِ نَحُولًا^(١)
 أُمَقَّرَ اللَّيْثُ الْهَزَبُ بِسَوْطِهِ لِمَنْ أَدْخَرَتْ الصَّارِمَ الْمَصْفُولًا^(٢)
 وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُ بَلِيَّةٌ نُضِدَتْ بِهَا هَامُ الرِّفَاقِ تُلُولًا^(٣)
 وَرَدُّ إِذَا وَرَدَ الْبَحِيرَةُ شَارِبًا وَرَدَ الْفَرَاتِ زَيْبُهُ وَالنَّيْلًا^(٤)
 مُتَخَضَّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَا يَسُ^(٥) فِي غِيْلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيْلًا

أفاد من العليا كنوزاً لو أنها صَوَامِتَ مَالٍ مَا دَرَى أَيْنَ تَجْمَلُ

(١) مضاربه - جمع - مضرب - حد السيف الذي يضرب به الرقاب ؛ ويبدن : يظهرن . أراد : أن سيوفه تلازم الرقاب فوصفها بالعشق لأنه أدعى الأشياء إلى الزوم والرقبة . يقول : إن سيوفه رقيقة ماضية ، فكأنما هي - لرقبتها - تبدى نحولاً من عشقها الرقاب ، كما ينحل العاشق من جراء العشق ؛ وعبارة بعض الشراح : يصف هذا السيف بالرقبة والمضاء . يقول : إن مضاربه لكثرة ملازمتها للرقاب صارت عاشقة لها فأثر فيها هذا العشق نحولاً ، فرقتها من ذلك النحول .

(٢) غفره : مرغه في التراب . والهزبر : الشديد . والصارم : السيف القاطع . وكان بدر بن عمار - كما أسلفنا - هاج أسداً عن بقرة قد اقترسها فوثب على كفل فرسه وأحمله عن سل السيف فضربه بسوطه ، ودار الجيش به فقتله . يقول : إذا كفت تصرع الأسد بالسوط - وهو أشد الحيوان بأساً - فلن خبأت سيفك ؟

(٣) نضدت : جمع بعضها فوق بعض ؛ والهام : الرؤوس . والرفاق : جمع رفقته : الجماعة في السفر . وتلولا : حال : أى مماثلاً للتلول ، جمع تل : الجبل الصغير . يقول : إن هذا الأسد كان بلية وقعت على أهل هذا النهر ، فقد عصفت بالمسافرين وأكثر القتل منهم حتى ترك رؤوسهم كالتلول المجتمعة من التراب .

(٤) الورد : الذي يضرب لونه إلى الحمرة ، وكذلك الأسد . والمراد بالبحيرة : بحيرة طبرية ؛ والزئير : صوت الأسد . يقول : إذا زار في طبرية بلغ زئيره العراق ومصر ، وقد جانس بين ورد وورد .

(٥) الغيل : الأجمة - الغابة - واللبدة : الشعر المجتمع على كتف الأسد . يقول : إنه لكثرة ما قتل من الفوارس قد تلطخ بدمائهم ، ثم قال : وهو من غيله من الشجر

مَا قُوِيَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا ظُنْتُا تَحْتَ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولاً^(١)

كأنه في غيل آخر من لبدتيه لكثافة ما طى كنفه من الشعر. وكثرته. شبه لبدتيه بالغابة.

(١) الفريق : الجماعة ، وهو أكثر من الفرقة ؛ وحلولا - أى حالين نازلين - حال من « الفريق » ؛ وتحت الدجى : في موضع الحال من نائب « ظننا » . يقول : ما استقبلت عين هذا الأسد في الظلام إلا ظنت نارا أوقدت لجماعة نزلوا موضعا ؛ وهو معلوم أن عين الأسد وعين السور وعين الحية تترأى في ظلمة الليل بارقة هذا : وقد قلنا إن « حلولا » حال من الفريق ، وهو معلوم أن الحال من المضاف إليه قليل ضعيف وإن كان قد جاء في شعر العرب القدامى ، كقول النابغة الجعدي من قصيدة يصف فرسا :

كَأَنَّ حَوَامِيَهُ مُدْبِرًا خَضِبْنَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَخْضِبُ
حِجَارَةَ غَيْلٍ بِرَضْرَاضَةٍ كَسِينِ طِلَاءٍ مِنَ الطُّحْلِيبِ^(١)
وكقول زيد الفوارس :

عَوِذُ وَبُهْثَةٌ حَاشِدُونَ عَلَيْهِمْ حَلَقُ الْحَدِيدِ مُضَاعَفًا يَتَلَهَّبُ^(٢)
وقول تأبط شراً :

سَلَبْتُ سِلَاحِي بِأَسَاءٍ وَشَتَمْتَنِي . فَيَا خَيْرَ مَسْلُوبٍ وَيَا شَرَّ سَالِبٍ^(٣)

(١) الحوامى : جمع حامية ، ما عن يمين الحافر وشماله ؛ وتخضب بدل من « تكن » والفيل : الماء الجارى على وجه الأرض ؛ والرضراضة : الأرض الصلبة شبه حوافر الفرس بحجارة مقيمة في ماء قليل وذلك أصلب لها . والنون من « كسين » للحجارة ؛ والطلاء كل ما يطلى به ، والطحلب ، خضرة تملو الماء المزمن ؛ ومدبراً حال من الماء في « حواميه » وهو محل الشاهد .

(٢) عوذ وبهثة . اسماء رجلين ، وحلق الحديد الدروع ، مضاعفاً حال من « الحديد » وهو الشاهد وجائز أن يجعل « يتلهب » في موضع الحال ، ومضاعفاً ، حال من المضمَر في « يتلهب » . ويتلهب حال من الحلق ويتلهب أى يشعل استعير المعان الدرع .

(٣) والشاهد هو مجيء بأساء حالا من المضاف إليه ، وهو الياء من « سلاحى » وجائز أن يكون حالا من مفعول « سلبت » المحذوف ، والتقدير سلبتني بأساء سلاحى

فِي وَحْدَةِ الرَّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ

لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَ^(١)

يَطَّأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقًا مِنْ تَيْبِهِ ؛ فَكَأَنَّهُ آسٌ يَجُسُّ عَلَيْهِ^(٢)

وَيَرُدُّ غُرَّتَهُ إِلَى يَافُوخِهِ حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلًا^(٣)

وَتَظْنُهُ مِمَّا يَزْجُرُ نَفْسَهُ عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولًا^(٤)

فَقَصَرَتْ خَافَتُهُ أَنْخَطَى فَكَأَنَّمَا

رَكِبَ الْكَمِيُّ جَوَادَهُ مَشْغُولًا^(٥)

(١) يقول : هو في غيلة منفرد انفراد الرهبان في متعبداتهم ، غير أنه لا يعرف

حراما ولا حلالا . والأسد إذا كان قويا هزبراً لم يسكن معه في غيلة غيره من الأسود .

(٢) الثرى وى البرى : التراب ، والتية : الزهو والمعب . والآسى : الطبيب

والأسد لمزته في نفسه وقوته لا يسرع الشئ لأنه لا يخاف شيئا ، وقد شبهه في لين

مشيه بالطبيب الذى يجس العليل - المريض - فإنه يرفق به ولا يجعل .

(٣) العفرة : الشعر المجتمع على قفاه . واليافوخ : الرأس . والإكليل : التاج .

يقول : ويرد ذلك الشعر إلى هامته حتى مجتمع عليها فيصير ذلك لرأسه كالإكليل ،

وإنما يفعل ذلك إذا غضب واغتاظ يجمع قوته في أعلى بدنه .

(٤) نفسه : فاعل « تظنه » وزجر الأسد : ردد زئيره . ومشغولا : مفعول ثان

للظن ؛ وعنها : صلة مشغولا يقول : إن نفسه تظنه مشغولا عنها لكثرة ما يزجر من

شدة غضبه وغظه . ووقع في بعض الروايات : نفسه - بالنصب - أى يزجر لنفسه ؛

والرواية الأولى أصح .

(٥) القصر - هنا - ضد التطويل : والخافة : مصدر مضاف إلى المفعول ؛ والخطى :

جمع خطوه ، وهى مسافة ما بين القدمين ، والكمى : البطل المستتر في سلاحه ؛

والمشكول : للمقيد بالشكال . قال الواحدى : وذو الحافر إذا رأى الأسد وقف وخج^(١)

وبال . يقول : كأن الشجاع ركب فرسه بشكاله^(٢) فلا يخطو ولا يتحرك خوفا منه ،

قال : هذا تفسير الناس لهذا البيت ، قال : وقال ابن فورجه : المعنى لما خاف منك الأسد

تقاصرت خطاه هية ونازعته نفسه إليك جراءة فخلط إقداما بإحجام ، فكأنه فارس

(١) فج : باعد ما بين رجله ليقول (٢) الشكال الحبل الذى تشد به قوائم الدابة

أَلْتَقَى فَرَيْسَتَهُ وَبَرَبَرَهُ دُونَهَا ، وَقَرُبْتَ قُرْبًا خَالَهُ تَطْفِيلًا^(١)
فَتَشَابَهُ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ ، وَتَخَالَفًا فِي بَذَلِكِ الْمَأْكُولِ^(٢)
أَسَدٌ يَرَى عُضْوِيهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا
مَتْنًا أَزَلَ وَسَاعِدًا مَقْتُولًا^(٣)
فِي سَرَجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمْرَةٍ يَأْبَى تَفَرُّدَهَا لَهَا التَّمْثِيلَ^(٤)
نِيَالَةَ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَا تُعْطَى مَكَانَ الْجَلَامِيَا مَا نِيَلَا^(٥)

كَمْ رَكِبَ فَرَسَهُ مَشْكُولًا ، فَهُوَ يَهْجُوهُ لِلْإِقْدَامِ بِجُرْأَةٍ ، وَالْفَرَسُ يَحْجُمُ عَجْزًا عَمَّا يَسُومُهُ
لِمَكَانِ شِكَاكِهِ .

(١) الفريسة : صيد الأسد ، وهو ما يفترسه . يريد البقرة التي هاجه عنها .
والبربرة : الصياح والبربرة - في الأصل - كلام المغضب استعارها لجريرة الأسد .
وخاله : ظنه . والتطفيل : الدخول على الآكلين من غير دعوة . قال الليث : التطفيل
سن كلام أهل العراق . يقولون : هو يتطفل في الأعراس . يقول : لما قصدته ألقى
الفريسة وزجر دونها ، يعنى ذودا عنها ، لأنه ظن أنك تتطفل على صيده لتأكل منه .
(٢) الخلقان : الطبعان . يريد خلق الأسد وخلق المدوح ، والضمير من «إقدامه»
للأسد . يقول : تشابهتا في الجرأة والإقدام وتخالفتا في أن الأسد شحيح بطعامه
وأنت جواد باذل له ، كما قال البحري .

شَارَكَتَهُ فِي الْبَأْسِ ثُمَّ فَضَّلَتْهُ بِالْجُودِ مُحَقَّقًا بِذَلِكَ زَعِيمًا
(٣) يريد بعضويه ما ذكره بعد من المتن والساعد ، والمتن : جانب الصلب ؛
والأزل : الأرسح - أى القليل لحم العجز والفخذين - وامرأة زلاء : لا عجيبة لها ؛
والسمع الأزل : الذئب الأرسح يتولد بين الذئب والضبع ، وهى صفة لازمة له
كما يقال الضبع العرجاء والمفتول الندمج الشديد كأنه قتل أى لوى - يقول : إن هذا
الأسد يرى قوته وشجاعته فيك فمتنه ممسوح وساعده مفتول فقد أشبهه منك
هذان العضوان .

(٤) ظامئة الفصوص : يعنى فرسا دقيقة المفاصل ليست برهلة رخوة . يقال خيل
ظماء الفصوص . والطمرة : الوثابة . يقول : قربت منه وأنت راكب في سرج فرس
بهذه الصفة وتفردها بالكمال يأبى أن يكون لها نظير فلا تمثل بغيرها من الخيل .
(٥) نيالة : فعالة من النيل ؛ والطلبات : جمع طلبة - بفتح فكسر - الحاجة

تَنْذَى سَوَالِفَهَا إِذَا اسْتَحْضَرْتَهَا وَيُظَنَّ عَقْدُ عَنَانِهَا مَحْلُولًا^(١)
مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ
حَتَّى حَسِبْتَ الْقَرْضَ مِنْهُ الطُّولًا^(٢)
وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ
يَبْنِي إِلَى مَا فِي الْخَضِيضِ سَبِيلًا^(٣)

والشيء المطلوب . ومكان لجامها : كناية عن رأسها ؛ وما نيل : نفى . يقول : إن هذه الفرس تدرك ما تطلبه لشدة حضرها - جريها - وهى طويلة العنق مشرفة الرأس لولا أنها تحط رأسها للجام مانيل رأسها ؛ وقال الخطيب التبريزي : هذه الفرس إذا طلبت عدوا أو وحشا نالته ، وهى مع هذا عزيزة النفس تدل للراكب ما قدر عليها . وفيه نظر إلى قول زهير :

وَمُلْجَمُنَا مَا إِنْ يَنْأَلُ قَذَالَهُ وَلَا قَدَمَاهُ الْأَرْضَ إِلَّا أَنْأَمِلَهُ

(١) السوالف : جمع سالفة ، وهى صفحة العنق . واستحضرتها : من الحضرة ، وهو الركض . والعنان : سير اللجام . يقول : إذا ركضتها جدت حتى يعرق عنقها وما حوله ، وإذا جذبت عنانها طاوعت ولان عنقها حتى تظن العنان محلول العقد ، لأنها لا تجاذبك العنان لمطاوعتها ، وقال الواحدى : يجوز أن يكون هذا وصفا لطول العنق ؛ يعنى أنها إذا رفعت رأسها استرخى العنان وطال ، لأنه على قدر طول عنقها ، فيصير العنان كأنه محلول . وقال بعض الشراح : إنما تدير عنقها ورأسها كيف شئت ، وتغلب فارسها فلا يقدر على رد رأسها بالعنان ، فكأن عقد العنان محلول غير مشدود ، لأنه لو كان مشدودا قدر الفارس على ضبطها ، قال الواحدى : وما أبعد هذا إذ فسر بغير المراد .

(٢) الزور : وسط الصدر حيث تلتقى عظامه ، عاد إلى وصف الأسد فيقول : ما زال هذا الأسد حين لقيك يجمع قوى نفسه فى صدره حتى صار عرضه فى قفله طوله وكذلك يفعل الأسد إذا أراد الوثوب على الصيد .

(٣) يدق . يكسر ، والحجارة والحجارة والأحجار : جمع حجر ، وهو الصخرة ؛ والخضيض : قرار الأرض عند سفح الجبل ، وقيل هو فى أسفله ؛ وكتب يحيى بن يعمر عن يزيد بن المهلب إلى الحجاج : إنا لقينا العدو ففعلنا واضطررناهم إلى عرعرة الجبل ونحن بحضيضه ، وقال عمر عبدالعزيز : أجملوا فى الطلب ، فلو أن رزق أحدكم فى

وَكَاثُهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ فَأَذْنَى لَا يُبْعِرُ أَلْخَطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلًا^(١)
 أَنْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدُّنْيَةِ تَارِكٌ فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا^(٢)
 وَالْعَارُ مَضَاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلًا^(٣)
 سَبَقَ التَّقَاءُ كُهُ يَوْثَبَةُ هَاجِمٍ
 لَوْ لَمْ تُصَادِمُهُ بَلَّازَكَ مِيلًا^(٤)

عرعره جبل أو حضيض أرض لأناه قبل أن يموت ؛ وعرعره الجبل : أعلاه . يقول :
 إنه لفضبه يضرب الأرض بصدرة فيدق الحجر كأنه يريد أن يحفر الأرض ويتخذ
 سبيلا إلى قرارها .

(١) ادنى : اقبل ، من الدنو : أى اقرب . يقول : كأن هذا الأسد غرته عينه
 ولم تصدقه النظر إليك ولو صدقته لما دنا منك هية لك ، ولكنه مغرور ، ظن الخطب
 الجليل - وهو مقاتلتك - غير جليل .

(٢) الأنف والأنفة : الاستنكاف ، قال ابن جني : من عادته - أى المتنبي - أن
 يعترض ما هو فيه بمثل يضربه إذا كان مسدداً لما هو فيه ، كقول الآخر :

وقد أدركتني والحوادث جحّة أسنة قوم لضعافٍ ولا عُزل

فالحوادث جمة : جملة اعترض بها بين الفاعل وفعله ، وهو تسديد لما هو فيه . يقول : إن الكريم
 يأنف من الدنيا فلا يهرب ، بل يقدم على العدد الكثير حتى كأنه قليل في عينه : قال
 العكبري : وهذا عذر للأسد . يقول : لم يهرب الأسد وأنفته جعلت في عينه العدد
 الكثير قليلاً حتى كأنه في عينه قليل . وقال اليازجي يقول : إن أنفة الكريم في أن يغاب
 بالجن تحمله على تعريض نفسه للهلكة حتى يصير العدد الكثير في عينه قليلاً ، يشير
 إلى ثبات المدح وإقدامه على الأسد خوفاً من عار الهزيمة .

(٣) مضاض : مؤلم موجه ؛ والحنف : الهلاك . يقول : إن العار موجه فمن خافه
 لم يخف الهلاك ، وهذا كقولهم من أنف من الدنيا لم يحجم عن الدنيا وهذا البيت مثل
 الذي قبله في الاعتراض كما قال ابن جني .

(٤) المصادمة مفاعلة من الصدم وهو الصك ، والليل من الأرض : قدر منتهى مد
 النظر ، وقيل مسافة من الأرض متراخية ليس لها حد معلوم ، والجمع : أميال وميول ،
 يقول : أنه أعجلك من التفاتك له فوثب على ردف فرسك وثبة لولا مصادمتك له عند
 وثبته هذه لتجاوزك مسافة ميل من شدتها .

خَذَلْتَهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحْتَهُ

فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيدَ^(١)

بَصَتْ مَنِيتَهُ يَدَيْهِ وَعُنُقَهُ فَكَأَنَّمَا صَادَفَتْهُ مَغْلُولًا^(٢)

سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ فَتَجَايَهَرُوا مِنْكَ أَمْسٍ مَهُولًا^(٣)

وَأَمَرُ مَا فَرَّ مِنْهُ فَرَارُهُ ، وَكَفَّتْ لَهُ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلًا^(٤)

(١) خذله : خانه ولم ينصره ، وكافحه استقبله في الحرب بوجهه . والاستنصار طلب النصرة والتجديد : مصدر جدله إذا طرحه على الجدالة . وهى الأرض : أى صرعه ، يقول : خاتته قوته حين قاتلته : أى ضعفت فلم تسعفه فطلب نصرته من التسليم إليك . الانقياد وترك الخصومة . وانطرح أمامك على الأرض ، فكأنه رأى النصر في ذلك ، وهذا من التهمك .

(٢) مغلولا : أى مقيدا بالغل ، وهو القيد . يقول : إن منيته حانت على يدك فقبضت على يده وعنقه لا يستطيع وثوبا ولا فرارا ، فكأنك لقيته مقيدا . قال الواحدى : أساء أبو الطيب في هذا حين لم يجعل أثرا للممدوح ولا غناء في قتل الأسد وقال كأنه كان مغلول اليد والعنق بقبض المنية عليه ، وقد أساء الواحدى في نسبة الإساءة إلى التنبي ، لأن المعنى بديع — كما ترى — ولا غبار عليه .

(٣) الهرولة : الاضطراب في العدو ؛ ومهولا : يريد خائفا مذعورا . وأراد بابن عمته : أسداً كان قد هرب منه بعد ذلك ؛ ولم يرد تحقيق النسب ، إنما أراد أسداً آخر من جنسه . يقول : لما سمع بقتل الأسد الأول هرب ونجا برأسه خائفا منك .

(٤) مما فر منه : أى من الهلاك ؛ وكفّته : خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده . يقول : إن فراره من الهلاك أمر من الهلاك ، لما فيه من الذل والنيقصة وعدم موته قتيلا مثل القتل ، لأنه إنما سلم بالهرب ، والهرب : مثل القتل لدى الشجاع ، بل أمر به والمقتول بالسيف خير من المقتول بالذم والعار ، وهذا من قول أبي تمام :

أَلْفُوا الْمَنَايَا فَالْقَتِيلُ لَدَيْهِمْ مَنْ لَمْ يُحِلَّ الْعَيْشَ وَهُوَ قَتِيلٌ
وَلَهُ أَيْضًا :

لَوْ لَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذَنْ

لَمَاتَ إِذَا لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ

تَلَفُ الَّذِي اتَّخَذَ الْجَرَاءَةَ خُلَّةً

وَعَظَ الَّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلًا^(١)

لَوْ كَانَ عَلَيْكَ بِالْإِلَهِ مُقَسِّمًا فِي النَّاسِ مَا بَعَثَ إِلَهُهُ رَسُولًا^(٢)

لَوْ كَانَ لَفُظُكَ فِيهِمْ مَا أُنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالْتَوَزَّاةَ وَالْإِنْجِيلَ

لَوْ كَانَ مَا تُعْطِيهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُعْطِيَهُمْ لَمْ يَغْرِفُوا التَّأْمِيلَ^(٣)

(١) الخلّة : الخليل ، يستوى فيه الذكر والمؤنث ، وكذلك الواحد والجمع ، لأنه في الأصل مصدر قولك خليل بين الخلّة والخلوة . وقال أوفى بن مطر المازني :

أَلَا أَبْلَغًا خُلَّتِي جَابِرًا بَأَنَّ خَلِيلَكَ لَمْ يُقْتَلْ

تَخَطَّاتِ النَّبْلُ أَحْشَاءَهُ وَأَخْرَى يَوْمِي فَلَمْ يَعْبَلْ^(١)

ومثله قول الحماسي :

أَلَا أَبْلَغًا خُلَّتِي رَاشِدًا وَصِنَوِي قَدِيمًا إِذَا مَا تَصَلَّ^(٢)

يقول : إن تلف الأسد الذي اجترأ عليك فهلك وعظ الأسد الذي فر منك ، ووجب إليه الفرار .

(٢) يقول : لو عرف الناس ربهم معرفتك به لم يبعث الله تعالى رسولا يدعوم إليه ويعلمهم دينه ، وقد أفرط في هذا البيت والذي بعده وتجاوز الحد

(٣) يقول : لو وصل عطاؤك إلى الناس قبل إعطائك إياهم لكانوا لا يعرفون الأمل ، لأن الوجود لا يؤمل : أي فكانوا يستغنون بما نالوا منك ، لأنك تعطى فوق الأمل فلا يحتاجون إلى تأميل بعد ذلك ، وقد أخذ ابن نباتة السعدي هذا المعنى فقال :

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَوْمَلَهُ تَرَكَتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ

هذا وقد أسكن الياء من الفعل المنصوب - وهو تعطيهم الثانية - ضرورة قال

(١) تقدم شرحهما .

(٢) يقول : أبلغا ابن عمي راشدا صديق من عهد قديم ، إذا وصلت إليه ؛ وبعده :

بَأَنَّ الدَّقِيقَ يَهِيحُ الْجَلِيلَ وَأَنَّ الْعَزِيزَ إِذَا شَاءَ ذَلَّ

فَلَقَدْ عُرِفْتَ ، وَمَا عُرِفْتَ حَقِيقَةً ،

وَلَقَدْ جُهَلْتَ ، وَمَا جُهَلْتَ مُخَوَّلًا^(١)

نَطَقْتَ بِسُوءِ دُودِكَ الْحَمَامُ تَفَنِّيًا ، وَبِمَا تُجَشِّمُهَا الْجِيَادُ صَهِيلًا^(٢)

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِي نَافِذًا فِيهَا وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ فَحُولًا^(٣)

وقال وقد نظر إلى جانبه خلمة مطوية فسأل عنها ف قيل هي خلع الولاية ، وكان أبو الطيب عند وصولها عليلًا :

أَرَى مُحَلَّلًا مَطْوَاةً حِسَانًا عَدَانِي أَنْ أَرَاكَ بِهَا أَعْتِلَالِي^(٤)

العكبري : وهذا كثير إذا كان في حرفي العلة - الواو والياء - ومثله بيت الكتاب - كتاب سيويه - :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِي نِسَاءٍ يَتَمَاطِينَ الْوَرِقِ^(١)

(١) حقيقة منصوبة على التمييز ؛ وخولا : مفعول لأجله ؛ وحقيقة الشيء ما ثبت من أمره ؛ والحامل : الساقط الذي لا نباهة له ولا شهرة . يقول : إن الناس عرفوك بما ظهر من سخافتك وجودك ، ولكنهم لم يعرفوك حق معرفتك ، لأنهم لا يبلغون كنه قدرك ، وإذا لم يعرفوك حق المعرفة فقد جهلوك ، فليس جهلهم إياك لأنك حامل الذكر :

(٢) السؤدد : السيادة والرفعة . وتجشمت الأمر : تكلفته على مشقة . يقول : قد بلغت من الشهرة ما عرفه ما لا يعقل فضلا عن العاقل ؛ فالحمم إذا غنت فأعما تنطق بسيادتك ، والحيل إذا صهلت فأعما تنطق بغزواتك التي تكلفها إياها ، والبيع تنعيم وتأكيد للبيت السابق .

(٣) نافذا وفحولا : منصوبا بما على أنها حجازية ، والنفاذ جواز الشيء والخلوص ومنه نفذ ينفذ نفاذًا ونفوذًا ، ورجل نافذ في أمره ونفوذ ونفاذ : ماض في جميع أمره وأمره نافذ : أي مطاع ، ونفذ السهم الرمية ونفذ فيها ينفذها نفذا ونفاذًا : خالط جوفها ثم خرج طرفه من الشق الآخر وسأثره فيه ، ونفذ الكتاب إلى فلان نفاذًا ونفوذًا . يقول : ليس كل من رام الرفعة والمعالى يبالغها ، ولا كل الرجال بأبطال شعبان ، وإنما ذلك مما يخص الله به من يشاء من عباده .

(٤) عداني : منعي ؛ واعتلالي : فاعل عداني ؛ وأراك بها : أي أراك وهي عليك

منظر السيرة
جهر حجة

(٨) يصف إبلا بسرعة السير والقرق المكان المستوى أو الذي لا حجارة فيه .

وَهَبَكَ طَوْنَتَهَا وَخَرَجَتْ عَنْهَا أَتَطْوِي مَا عَلَيْكَ مِنَ الْجَمَالِ ^(١)
لَقَدْ ظَلَّتْ أَوَاخِرُهَا الْأَعَالِي مَعَ الْأُولَى بِجِسْمِكَ فِي قِتَالِ ^(٢)
تَلَا حِظُّكَ الْعُمُيُونَ وَأَنْتَ فِيهَا كَأَنَّ عَلَيْكَ أَفْعِدَةَ الرِّجَالِ ^(٣)
مَتَى أَحْصَيْتُ فَضْلَكَ فِي كَلَامٍ ؛ فَقَدْ أَحْصَيْتُ حَبَابَ الرَّمَالِ ^(٤)
وَأَنْتَ لَهَا النَّهَائِيَةُ فِي الْكَمَالِ ^(٥) وَإِنْ بِهَا ، وَإِنْ بِهِ لَنَقْصَا

* * *

ومعك ، كما يقال خرج بثيابه ؛ وإنما قال هذا : لأنه رأى الخلع مطوية إلى جانبه ولم يره فيها لأنه كان ذلك اليوم الذي لبس فيه الخلعة عيلا .

(١) يقول : افرض أنك طويتها ولم تلبسها . أتقدر أن تزيل جمالك ؟ يعني أنه إنما يتجمل بجماله لا بثيابه ، فإذا طوى ثيابه بقي عليه من الجمال مالا يطوى ولا يزول .

(٢) يصفه حين كانت الخلع عليه : يريد بأعلى الثياب : ما ظهر منها للأعين . يقول أقامت أعلى ثيابك تحسد الذي يلي جسمك منها لأنه ينال من مس بدنك ما لا تناله فيبينهما قتال لذلك .

(٣) فيها : أى فى الحلل : أى إن العميون تنظر إليك نظر الحبة والسرور وأنت فى هذه الحلل كأنك فى قلوب أصحاب العميون ، وهى لباس عليك ، مكان تلك الحلل وقال ابن جنى : قوله كأن عليك الخ : أى فهم يحبونك كما يحب الإنسان فؤاده ؛ وقال ابن فورجه : يعنى استحسان القلوب لها وتعلقها به وبها من ناحية الاستحسان . وقال غيرهما : أى يديمون النظر إليك ، فإن العين تبع القلب تنظر إلى حيث يميل القلب إليه فالعميون إنما تنظر إليك لأن القلوب تحبك - كما قال ابن جنى - أو تستحسن الخلع - كما قال ابن فورجه .

(٤) يقول : فضائلك لا تحصى وإن قلت إنى أحصيتها فكأننى أقول إننى أحصى الرمل ، وهذا مالا تقبله العقول ، لأنه عيال .

(٥) الضمير فى « بها » : للخلع . وفى « به » : للكلام . يقول : إن هذه الخلع لا تزال ناقصة الجمال فى نفسها ، كما أن كلامى لا يزال ناقصا إذ لم يستوف فضلك ؛ وإنما تبلغ نهاية الكمال فى الحسن بلبسك إياها لأنها تتجمل بك .

وقال فيه أيضاً :

عَذَلْتُ مُنَادِمَةَ الْأَمِيرِ عَوَازِلِي

فِي شُرْبِهَا وَكَفْتُ جَبَابَ السَّائِلِ ^(١)

مَطَرْتُ سَحَابُ يَدَيْكَ رِيَّ جَوَانِحِي

وَحَلَلْتُ شُكْرَكَ وَأَصْطِنَاعُكَ حَامِلِي ^(٢)

فَمَتْنِي أَقَوْمُ بِشُكْرِ مَا أَوْلَيْتَنِي وَالْقَوْلُ فَيْكَ عُلوُّ قَدْرِ الْقَائِلِ ^(٣)

* * *

(١) العذل الملام ، وكفيته الأمر أغنيته عنه ، وأول مفعولى كفت محذوف أى كفتنى . يقول : من لامننى على شرب الخمر لامته منادمتى للأمير ، لأن منادمته شرف ، وليس للعاذل أن يعذل على ما يورث الشرف ، وأغنتنى جواب سائل يسأل فيقول : لم تشرب الخمر ، هذا : ويقال نادم فلانا منادمة ونداما : جالسه على الشراب فهو نديمه وندمانه ، قال النعمان بن فضالة العدوى ، ويقال للنعمان بن عدى ، وكان عمر قد استعمله على ميسان :

فَإِنْ كُنْتُ نِدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي ، وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْفَرِ الْمُتَشَلِّمِ
لِلْأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُ تَنَادُّمُنَا فِي الْجَوْسِقِ التَّهْدِمِ
وَجَمْعُ النَّدِيمِ : نِدَامٌ وَنِدْمَاءٌ ، وَجَمْعُ النَّدِمَانِ : نِدَامِي ، وَالْمَرْأَةُ نِدْمَانَةٌ ، وَالنِّسْوَةُ
نِدَامِي ، وَيُقَالُ : الْمُنَادِمَةُ مَقْلُوبَةٌ مِنَ الْمَدَامَةِ ، لِأَنَّهُ يَدْمَنُ شَرْبَ الشَّرَابِ مَعَ نَدِيمِهِ ،
لِأَنَّ الْقَلْبَ فِي كَلَامِهِمْ كَثِيرٌ كَالْقَسَى مِنَ الْقَوُوسِ ، وَجَذِبَ وَجِيذٌ وَمَا أَطْيِيهِ وَأَيْطِيهِ ؛
وَحَزَنَ اللَّحْمَ وَحَزَنَ .

(٢) الجوانح الأضلاع التى تحت الترائب : وهى مما يلي الصدر . والاصطناع المروءة
والإحسان . يقول : أروانى سحاب جودك ، أى أغنائى جودك . فعملت شكرك على
هذا الإحسان ، وإحسانك حلفتى - لأنه كفاى المؤنة - وتحمل أنقالى .

(٣) أوليتنى ، أعطيتنى . ويعنى بالقائل : نفسه . ومتى سؤال عن الزمان ، كأنه قال -
منكرآ - أى زمان أقوم بشكر ما أعطيتنى ؟ أى لا أقوم به ، لأنى كلما أنيت عليك
وشكرتك حصلت على نعمة لك جديدة ، وهو أن ذلك يكسبنى علواً ورفعة : أى أن
شكرك يرفع قدرى .

وقال يمدحه :

بَذَرْتُ فَتًى لَوْ كَانَ مِنْ سُؤَالِهِ يَوْمًا تَوَفَّرَ حَظُّهُ مِنْ مَالِهِ ^(١)
تَتَحَيَّرُ الْأَفْعَالُ فِي أَفْعَالِهِ ، وَيَقِلُّ مَا يَأْتِيهِ فِي إِقْبَالِهِ ^(٢)
قَمَرًا نَرَى وَسَحَابَتَيْنِ بِمَوْضِع مِنْ وَجْهِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ^(٣)
سَفَكَ الدَّمَاءَ بِجُودِهِ لَا بَأْسِهِ كَرَّمَا لَأَنَّ الطَّيْرَ بَغِضُ عِيَالِهِ ^(٤)

(١) كان بدر بن عمار قد تاب من الشراب مرة بعد أخرى ، ثم رآه أبو الطيب يشرب ؛ فقال ارتجلا :

* يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي نَدِمَاؤُهُ *

إلى أن قال :

وَالصَّدُقُ مِنْ شِيمِ الْكِرَامِ فَقُلْ لَنَا أَمِنَ الشَّرَابُ تَتُوبُ أَمْ مِنْ تَرَكِهِ ^(١)
فقال بدر : بل من تركه : فقال أبو الطيب هذه الآيات .
يقول : إن حظ سؤاله من ماله أكثر من حظهِ هو منه ، فلو كان من سؤال نفسه لكان حظهُ من ماله أوفر .

(٢) يقول : إن أفعال الناس تتحير فيما يفعله لقصورها عنه وإرباء ما يفعله على فعلهم وما يفعله مع ذلك قليل في جانب دولته لاقتضاها الزيادة على ما فعل .
(٣) فسر المصراع الأول بالمصراع الثاني . قال ابن جني : أي إن يمينه تسع العطاء ، وشماله الدماء ؛ قال ابن فورجه : الرجل لا يقاتل بشماله والفعل يكون لليمين في كل شيء ؛ وإنما يكون عمل الشمال كالعانة لليمين ، وإنما يريد أن يديه جميعا كالسحابتين عطاء وسح دماء .

(٤) يقول : إنه سفك دماء الأعداء ليرزق الطير من لحومهم ، لأن الطير لما عودها من إطعامها لحوم الأعداء صارت عيالاً له ، فالباعث له على قتلهم هو الجود ، وهذا كقولهِ :

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَقَى إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذَّنَابِ

وقد زاد بذكر الجود والعيال على ما قاله الشعراء من إطعام الطير لحوم الأعداء

(١) انظر قافية الكاف .

إِنْ يُغْنِ مَا يَجْوِي فَقَدْ أَتَى بِهِ ذِكْرًا يَزُولُ الدَّهْرُ قَبْلَ زَوَالِهِ^(١)

سأله حاجة فقضاها له ، فنهض فقال :
قَدْ أَتَيْتُ بِالْحَاجَةِ مَقْضِيَةً وَعِثْتُ فِي الْجَلْسَةِ تَطْوِيلَهَا^(٢)
أَنْتَ الَّذِي طَوَّلُ بَقَاءَ لَهُ خَيْرٌ لِنَفْسِي مِنْ بَقَائِي لَهَا

وقال يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي :
لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ أَقْفَرْتَ أَنْتِ وَهَنْ مِنْكَ أَوَاهِلُ^(٣)

وقال ابن جني : أبلغ من هذا في المدح أنه ينحر ويذبح ليا كل الطير مما يجده من اللحم ، فسكانه سفك الدماء بجوده لا يباينه .

(١) قال ابن جني : لو قال دون زواله لكان أحسن ، وكان مثل قول الآخر :

بقلبي غرام لست أبلغ وصفه على أنه ما كان فهو شديد
تمر به الأيام تسحب ذيلها فتبلى به الأيام وهو جديد

قال : وله أن يحتج عنه فيقال : إن الأيام بعض الدهر ، وليست هذه الأيام جميعه ؛ وقد يجوز أن يذهب بعض الدهر ويبقى بعضه فيبقى الغرام بحاله مع بقاء الحب ، فقال إن الغرام باق بقلبي فإذا ما زال زال معه الذكر ، وقول أبي الطيب بقي الذكر له إنما يصح ببقاء الناس ، فإذا زال الناس والدهر عدم الذكر .

(٢) أبت : رجعت . وعثت : كرهت . يقول : لم أطول في جلوسى عنده لأنى رجعت وقد قضيت حاجتى .

(٣) أقفرت : خلوت ورحل عنك أهوك . وأواهل : عامرة ذوات أهل . يقول : مخاطباً منازل الأجابة - : قد تمثل خيالك في قلوب المحبين فكانت لك فيها منازل ، غير أنك قد أقفرت من أهلك ، أما القلوب فما برحت أهلة بك ، لأن مثالك لا يزالها . وعبرة الواحدى : لم تدرس منازلك في القلوب وإن أقفرت أنت ، يعنى تجدد ذكرها في قلبه . وهذا من قول أبي تمام :

وقفت وأحشائي منازلٌ للأسى به وهو قفر قد تعفت منازلها

يَعْلَمَنَّ ذَاكَ وَمَا عَلِمْتَ وَإِنَّمَا أَوْلَاكُمَا بِبُكَايَ عَلَيْهِ الْعَاقِلُ^(١)
وَأَنَا الَّذِي أَجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرَفُهُ فَمَنْ الْمُطَالِبُ وَالْقَتِيلُ الْعَاقِلُ^(٢)

ومثله للبحرئى :

* عَفَّتِ الدِّيارُ وما عَفَّتْ أَحْشاؤُهُ *

وقال ابن المعتز :

بَوْسًا لِدَهْرٍ غَيْرَتِكَ صُرُوفُهُ لَمْ يَمْنَحْ مِنْ قَلْبِي الْهُوَى وَمَحَا
قال ابن جنى : بيت المتنبي أجمع من بيت أبى تمام ، لأنه ذكر منازل الحزن شخص ،
والمتنبي ذكر المنازل فعم ، ولقد أحسن ابن المعتز إذ جمع المعنى فى كلمتين .

(١) قوله يبكى عليه : يروى يبكى عليه ، أى أولا كما بأن يبكى عليه ؛ فحذف الجار
ثم حذف «أن» ، وأولا كما : أى أحقها ، مبتدأ ، خبره : العاقل . وذلك : خطاب
للمنازل . يقول : إن القلوب التى هى منازل لديار الأحبة تعلم أن الأحبة قد رحلوا
وتركوها خالية ، أما الديار فلا تعلم ذلك والذى يعلم - وهو القلوب - هو الأولى بأن
يبكى عليه لعلها بما ألم به . وعبارة الواحدى : إن منازل التى فى القلب تعلم إقفارك وخلوك
من الأحبة وأنت لا تعلمين ، والأحق منك بالبكاء عليه هو العاقل ، يعنى القلب ، أى
أن قلبى أحق بأن يبكى عليه منك لأنك جماد لا تعلمين ما حل بك ، أما هو فعليم به ،
وقال ابن جنى . أى إن منازل الحزن بقلبى تعلم ما يمر بها من ألم الهوى وأنت
تجهلين ذلك .

(٢) اجتلب : افتعل من الجلب ، والمنية : الموت ، والطرف : النظر ؛ قال اللغويون
الطرف اسم جامع للبصر . لا يثنى ولا يجمع ، لأنه فى الأصل مصدر فيكون واحداً ، ويكون
جماعة ، قال تعالى « لا يرتد إليهم طرفهم » يقول : إن طرفى هو الذى جلب المنية إلى
بالنظر ، فمن أطالب بدمى وأنا الذى قتلت نفسى ؟ وهذا كما يقول قيس بن ذريح :
وما كنتُ أخشى أن تكونَ منيتى بكفى إلا أن ما حانَ حائِنُ^(١)

(١) قبله :

وإنى لمن دمعَ عينيَّ بالبكا حذاراً لما قد كانَ أو هو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة فراقٍ حبيبٍ لم بين وهو بأن
وفى الأغاني :

* بكفيك إلا أن من حانَ حائِنُ *

« والحائن المالك »

تَخْلُو الدِّيارُ مِنَ الظُّبَاءِ وَعِنْدَهُ
اللَّاءُ أَفْتَكُهَا الْجَبَانَ بِمُهْجَتِي
الرَّامِيَاتُ لَنَا وَهْنٌ نَوَافِرُ
كَافَأْنَا عَنْ شِبْهِنَ مِنَ الْمَهَا
مِنْ كُلِّ تَابِعَةٍ خَيَالٌ خَاذِلٌ^(١)
وَأَحَبُّهَا قُرْبًا إِلَى الْبَاخِلِ^(٢)
وَالْخَاتِلَاتُ لَنَا وَهْنٌ غَوَافِلُ^(٣)
فَلَمَنْ فِي غَيْرِ التُّرَابِ حَبَائِلُ^(٤) -

ويقول دعبل :

لَا تَعْجِبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ
لَا تَأْخُذَا بِظُلَامَتِي أَحَدًا
ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَا

(١) الضمير في « وعنده » للذي اجتلب - في البيت السابق - يعنى نفسه . والظباء
أى الجبابب الشبهات بالفرزان . والتابعة : التى تتبع أمها فى المرعى . أراد : الصغيرة
السن من الظباء ؛ وظبية خاذل وخذول : وهى التى تتخلف فى المرعى عن صواحبها . يقول :
تخلو الديار من حسانها ، وتفارقها وخيال من أهواء لا يفارقتى . وقال الواحدى :
تخلو الديار من النساء الحسان وعندى من كل صغيرة منهم خيال يأتينى كأنه
تأخر عنهن .

(٢) اللاء : أى اللواتى ، نعت للظباء ، أو بدل « من كل تابعة » ؛ وأفتكها :
مبتدا ؛ والجبان : خبره ؛ وبمهجتي : صلة « أفتكها » ؛ وكان الوجه تقديم « بمهجتي »
على « الجبان » ولكنها الضرورة ؛ وقال الخطيب التبريزى : الباء من قوله « بمهجتي »
متصلة فى المعنى بأفتكها ، إلا أنه لا يمكن تعلقها به ، لأنه قد أخبر عنه بقوله : الجبان ،
ومحال أن يغير عن الاسم وقد بقيت منه بقية ، فلما امتنع ذلك علق الباء بمحذوف دل
عليه أفتكها ، فكانه أضمرا بعد ذكر الجبان فتسكت بمهجتي ؛ ويريد بالجبان : النافرة
من الرجال ، لأنها تخافهم . يقول : إن أفتك هؤلاء الظباء بمهجتي هى النفور التى أنا
مفرم بها . والبخيلة منهم بالوصل هى أحبهن إلى قربا .

(٣) الراميات : أى هن الراميات ، ولك أن تجرها على التبعية ، ومثلها الخاتلات .
والختل : أخذ الصيد من حيث لا يدرى . يقول ترميننا بسهام لحاظهن وهن
عنا نافرات غير مقبلات علينا ، وكذلك يختلننا — يصدتنا — بحسنهن غير
عالمات بذلك .

(٤) المها : بقر الوحش ، تشبه الحسان بها لحسن عيونها . والجبالل : جمع جباله
الشرك ينصب للصيد ، يقول : هؤلاء يشبهن بقر الوحش فى سواد حدقهن وسعة عيونهن

مِنْ طَاعِنِي تُغَرِّ الرُّجَالِ جَاذِرٌ وَمِنْ الرُّمَاحِ دِمَالِجٌ وَخَلَاخِلُ^(١)
وَلِذَا أَسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُمُومِ جُفُونُهَا مِنْ أَنَّهَا عَمَلُ السُّيُوفِ عَوَامِلُ^(٢)
كَمْ وَقْفَةٌ سَجَرَتِكَ شَوْقًا بَعْدَمَا
غَرَى الرَّقِيبُ بِنَا وَلَجَّ الْعَاذِلُ^(٣)

ونحن نصيد بقر الوحش ، فجازيننا عنهم وأخذن بئارهن في صيدنا شبهن فصدنا
بجبال نصبتها في غير التراب ، يعني بأعينهن .

(١) الثغر : جمع ثغرة ، وهى ثغرة البحر التى بين الترقوتين ، والجاذر ، جمع
جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ؛ والراد بالجاذر : النساء والدمالج : جمع دملج
وهو حلى يلبس فى العضد . والخلاخل : جمع خلخل ، لفة فى خلخال . وجاذر
وخلاخل : مبتدآن ، خبرهما : الجار والمجرور قبلهما . يقول : إنهن يفعلن بحسنهن
ما يفعل الطاعن بالرمح : أى يقتلن بهواهن ، وحليهن تفعل ما تفعل الرماح ، وعبرة
ابن جنى والواحدى : نساء مثل الجاذر بحليهن يفعل ما يفعل الطاعن بالرمح ، كما قال
الآخر :

هَلْ يَفْلِيَنِي وَاحِدَ أَقَاتِلِهِ رِيمٌ عَلَى لَبَّاتِهِ سِلَاسِلُهُ
* سِلَاحُهُ يَوْمَ الْوَعْدِ مَكَاكِيلُهُ *

وقال صريع الغواني .

بَارَزَتْهُ وَسِلَاحُهُ خَلَّخَالُهُ حَتَّى فَضَضَتْ بِكَفِّي الْخَلَاخِلَا

(٢) يقول : إنما سميت أغطية العموم جفوناً لأنها تتضمن أحداقاً تعمل ما تعمله
السُّيُوفُ فسميت أغطيتها باسم غطاء السيف ، وهو الجفن ؛ ومن أنها : بيان لذا ،
والضمير - من قوله أنها - للعموم . وعمل مفعول مطلق وعوامل : خبر أن .

(٣) سجرتك : ملأتك ، ومنه : « والبحر المسجور » ويموز أن تكون بمعنى الهبتك
ويروى شجرت : أى حبستك عن الكلام ، ويقال ما شجرك عنه : أى ما صرفك :
من قولهم شجرتك الدابة : إذا أصبت شجرها - والشجر ما بين اللحيين - باللعاب لتكفها ،
ويروى سحرتك أى جعلتك مسحوراً بالشوق أو أنها أصابت سحرك : أى رمتك .
وغرى به : أولع ؛ واللجاج : التمدادى فى المباحكة . يقول - مخاطباً نفسه - : كم وقفة لك
مع الحبيبة تركتك على هذه الحال ؟ وتام الكلام فى البيت التالى .

دُونَ التَّمَانِي نَاحِلِينَ كَشَكَلْتِي نَصَبِ أَدَقِّهَمَا وَمَمَّ الشَّاكِلُ^(١)
 إِنْعَمَ وَلَدٌ فَلِلْأُمُورِ أَوَاخِرُ أَبْدَأُ إِذَا كَانَتْ لَهْنُ الْوَاثِلُ^(٢)
 مَا دُمْتَ مِنْ أَرْبِ الْحَسَنِ فَإِنَّمَا رَوْقُ الشَّبَابِ عَلَيْكَ ظِلُّ زَائِلُ^(٣)
 لِلْهُوِ آوَنَةُ تَمُرُّ كَأَنَّهَا قُبْلُ يَزُودُهَا حَبِيبُ رَاحِلُ^(٤)
 جَحَّ الزَّمَانُ فَمَا لَذِيذُ خَالِصٍ مِمَّا يَشُوبُ وَلَا سُرُورُ كَامِلُ^(٥)
 حَتَّى أَبُو الْفَضْلِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رُوِيَ يَتُّهُ الْمُنَى وَهِيَ الْمَقَامُ الْهَائِلُ^(٦)

(١) ناحلين : حال محذوف بعد وقفة : أى كم وقفة وقفناها ناحلين ؟ والشاكل : الذى يشكل الكتاب . أى يعجمه . يقول : كم وقفنا ناحلين دون التعانق ؟ أى دنا بعضنا من بعض ولم تتعانق خشية الرقيب والعاذل على الرغم مما نحن فيه من شدة الشوق . ثم شبههما واقفين متدائنين ناحلين كشكلتي نصب - أى ففتحيتن - قد دقق الكاتب رسمهما وضم بينهما فقرب إحداها من الأخرى ، وهذا منقول من قول الآخر :

إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي نَوْمِي تَعَانَقْنِي كَمَا تَعَانِقُ لَامُ الْكَاتِبِ الْأَلْفَا
 ومثله لأبي إسحق الفارسي :

ضَمَمْتُهَا ضَمَّةً عُدْنَاهَا جَسَدًا فَلَوْ رَأَتْهَا عُيُونٌ مَا خَشِينَاهَا
 (٢) يقول : تمتع بالنعمة واللذة ما بقي لك شبابك فله آخر من حيث كان له أول ؛ أنه يفنى ولا يبقى .

(٣) الأرب : الحاجة ؛ وروق الشباب وريقه : أوله وأفضله . وقوله مادمت : لما مصدره زمانية ، والظرف المتأول منها سلة « انعم » . يقول ؛ انعم ولد مادام للحسان أرب فيك : يعنى مادمت شابا ، فإن روق الشباب ظل يزول ولا يبقى .

(٤) آونة : جمع أوان كزمان وأزمة ؛ والقبل : جمع قبله . يقول : للهو ساعات سريعة المرور كنزويد الحبيب الراحل من عندك قبلا ؛ فهى لذيدة ولكنها لا تقضاء كذلك ساعات اللهو وأوقات السرور .

(٥) و (٦) جمع الفرس : غلب فارسه ، وجمع الرجل : ركب هواه . فلا يمكن رده قال الشاعر :

خَلَفْتُ عِذَارِي جَاحِمًا لَا يَرُدُّنِي

عَنِ الْبَيْضِ أَمْثَالِ الدَّمَى زَجَرُ زَاجِرٍ

مَمْطُورَةٌ طُرُقِي إِلَيْهَا دُونَهَا مِنْ جُودِهِ فِي كُلِّ فَجٍّ وَابِلٍ^(١)
مَحْجُوبَةٌ بِسَرَادِقٍ مِنْ هَيْبَةٍ تَنْثِي الْأَرْمَةَ وَالْمَطِيَّ ذَوَامِلٍ^(٢)

وجمعت المرأة تجمع جماها من زوجها : خرجت من بيته إلى أهلها قبل أن يطلقها ومثله طمحت طمacha ، قال :

إِذَا رَأَيْتَنِي ذَاتُ ضِفْنٍ حَفَّتِ وَجَمَعَتْ مِنْ زَوْجِهَا وَأَنْتِ
وجع إليه : أسرع ، وقوله تعالى « لولوا إليه وهم يجمعون » قال الزجاج : أي يسرعون إسراعاً لا يرد وجوهم شيء ؛ ومن هذا قيل : فرس جموح ، قال الأزهرى : فرس جموح له معنيان أحدهما يوضع موضع العيب ؛ وذلك إذا كان من عادته ركوب الرأس لا يثنيه راحبه ، وهذا من الجماح الذى يرد منه بالعيب ؛ والمعنى الثانى أن يكون سريعاً نشيطاً مرحاً ، وليس هذا بعيب يرد منه ، ومصدره الجموح . و « ما » من قوله « مما يشوب » نكرة موصوفة بمعنى شيء . ويشوب : يغلط . وأبو الفضل : كنية للممدوح ؛ ولنى : جمع منية ، ما تتمناه ؛ والهائل : المهبوب الخوف . يقول : جمع الزمان — أى قهر وغلب — فما تخلص لذة من أذى يشوبها حتى إن هذا الممدوح رؤيته منى كل أحد ، ولكنها مع ذلك مقام هائل مهوب ، فلم تخلص هذه المنية من شائب ينقصها ، قال ابن جنى : هذا خروج — تخلص — ماروى أغرب منه

(١) مَمْطُورَةٌ : خبر مقدم عن طرقى ؛ وإليها : صلة طرقى ؛ ودونها : خبر مقدم عن وابل : والفج : الطريق الواسع بين جبلين ؛ والوابل : المطر الغزير : يقول : إن طرقى إلى رؤية الممدوح مَمْطُورَةٌ بآثار إحسانه ، يعنى أنه يصل إلى إحسانه قبل وصوله إليه ، ودون الوصول إلى رؤيته — أى بينى وبينها — وابل من جوده قد ملأ كل فج ، فالضمير فى « بها ، ودونها » لرؤيته ، وروى « إليه ودونه » والضمير : للممدوح .

(٢) الأزمة : جمع زمام ، ما تقاد به الدابة وذوامل : سرعات . يقول : إن رؤيته محبوبة بما يفشاها من الهابة التى ترد الأبصار عن النظر إليه ، حتى لو أن مطياً أسرع فى سيرها واعترضتها هذه الهبة : لارتدت عن مسيرها ولم تقدم إشفاقاً من الإقدام ؛ قال الواحدى : وهذا إلى المعباء أقرب منه إلى المدح ، وقد عدل ابن جنى عن ظاهر الكلام فقال : كأن على الطرق إليه سرادقا يمنع من العدول عنه إلى غيره ، والناس أبداً ينخون نحوه . هذا : والسرادق — وجمعه سرادقات — هو كل ما أحاط بشيء ، نحو الشقة فى المضرب . أو الحائط المشترك على شيء ، أو الحباء ؛ قال فى الصحاح : السرادق

لِلشَّمْسِ فِيهِ وَلِلرَّيَّاحِ وَلِلسَّحَابِ وَلِلْبَحَارِ وَالْأَسْوَدِ شَمَائِلُ^(١)
 وَلَدَيْنِهِ مَلْعَقَيَانِ وَالْأَدَبِ الْمُفَا دِ وَمَلْحِيَاةٍ وَمَلَمَّاتٍ مَنَاهِلُ^(٢)
 لَوْ لَمْ يَهَبْ لَجَبُّ الْوُفُودِ حَوَالَهُ
 لَسَرَى إِلَيْهِ قَطَا الْفَلَاةِ النَّاهِلُ^(٣)

الذى عند فوق صحن الدار ، وكل بيت من كرسف - أى قطن - فهو سراق
 قال رؤبة :

يَا حَكَمُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ أَنْتَ الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ الْحَمُودُ
 سُرَادِقُ الْمَجْدِ عَلَيْكَ تَمْدُودُ

وقال سلامة بن جندل : يذكر قتل كسرى للنعمان بن المنذر :

هُوَ الْمُدْخِلُ النُّعْمَانَ بَيْتًا سَمَاوَهُ صَدُورُ الْفَيُولِ بَعْدَ بَيْتِ مُسَرْدَقِ

(١) الشمايل : الخلائق والطبائع : جمع شمال . يقول : فيه إضاءة الشمس ومنفعتها
 وبهاؤها ؛ وجود السحاب والبحار وبأس الأسود ، وتصرف الرياح في أحياء البلاد وسوق
 الأمطار : يريد عموم نفعه وعموم تصرفه وإسراعه في المطاء .

(٢) ملعقيان يريد من العقيان . حذف النون لالتقاء الساكنين ، وخصت النون
 بالحذف لمناسبتها حروف العلة بالفتحة ؛ ومثله: ملحية وملمات ؛ والعقيان : الذهب . والناهل
 الموارد . يقول : إن الناس يردون منه على هذه الأشياء كما يردون مناهل الماء ، ومن
 الحياة : أى لأوليائه ؛ ومن المات : أى لأعدائه ، وقد زاد على أبى تمام في قوله :

تَرْبِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
 لأنه ذكر الموت والحياة .

(٣) اللجب . الضميج ؛ والوفود ؛ الذين يقدون عليه يطلبون العطاء ؛ وحواله ؛
 كحواله وحواليه ؛ والقطا ؛ الطائر المعروف ، والفلاة ؛ الصحراء ؛ والناهل . الوارد على
 منهل الماء ؛ قال ابن جني ؛ يعنى لولم يخف القطا أصوات الوفود يبابه لسرى إليه ليشرب
 منه ، وقال ابن فورجه ؛ يعنى أن القطا يراه ماء معيناً فيهم يوروده ويشفق من لجب
 وفوده على عادة الطير ؛ قال الواحدي بعد أن ساق كلامهما ؛ المعنى أنه لعموم نفعه تهم
 الطير بالورود غليه لتتفع غلتها . ليس أنه ماء يشرب منه أو تراه الطير ماء كما
 ذكر الشيخان .

يَدْرِي بِمَا يَكُ قَبْلَ تَنْظِيرِهِ لَهُ مِنْ ذِهْنِهِ وَيُجِيبُ قَبْلَ تَسَائِلِهِ^(١)
وَتَرَاهُ مُعْتَرِضًا لَهَا وَمُوَلِّيًّا أَحْدَاقَنَا وَتَحَارُّ حِينِ يُقَابِلُ^(٢)
كَلِمَاتُهُ قُصْبٌ وَهُنَّ فَوَاصِلٌ كُلُّ الضَّرَائِبِ تَحْتَمِنُ مَفَاصِلُ^(٣)
هَزَمَتْ مَكَارِمُهُ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا حَتَّى كَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ قَنَابِلُ^(٤)
وَقَتْلَنَ دَفْرًا وَالدَّهْمِ فَمَا تَرَى أُمُّ الدَّهْمِ وَأُمُّ دَفْرِ هَابِلِ^(٥)

(١) أراد قبل « أن » في الموضعين حذف « أن » فارتفع الفعل . ومن ذهنه : صلة يدرى . يقول : هو - لذكائه وحدة ذهنه - يدرى ما تطلب قبل أن تظهره له ويجيب قبل أن تسائل .

(٢) أحداقنا : فاعل تراه ؛ ومعتراضاً : حال . يقول : تراه عيوننا إذا اعترض لها أو تولى ؛ يعنى أن الأبصار إذا واجهته تحيرت ولم تستوف النظر إليه من الهية ، وإنما تراه في حال اعتراضه وتولييه لا نحرافه عنها حينئذ .

(٣) القضب جمع قضيب ، وهو السيف . وفواصل : قواطع ؛ والضرائب جمع ضريبة . وهى المضروب بالسيف . والمفاصل : جمع مفصل ، ملتقى العظمين . يقول : كلاته سيوف قواطع أيها أصابت فصلت ، فكأن كل موضع تقع عليه مفصل : يعنى أنها تفصل بين الحق والباطل كما يفصل السيف إذا وقع على المفاصل .

(٤) القنابل : جمع قنبلة ، الطائفة من الخيل : أى الجماعة من الجيش . يقول : إن مكارمه غلبت مكارم الناس حتى كأنها جيوش : يعنى أنه يغلب كل جيش . كذلك مكارمه غلبت أيضاً مكارم غيره : وقنابل : يروى قبائل .

(٥) يقال للداهية : أم دفر . وأم الدهيم ؛ والدفر - فى الأصل - النتن ، ثم سميت به الداهية لخبثها ، ومن هنا يقال للدنيا : أم دفر . والدهيم ؛ - فى الأصل - اسم ناقة كانت لعمر بن الريان بن الدهلى ، خرج بنوه فى طلب إبل لهم ، فلقمهم كشيء بن زهير فغضب أعناقهم ، ثم حمل رؤسهم فى جوالق وعلقه فى عنق الدهيم هذه ، ثم إخلاها فى الإبل فراح على أبيهم عمرو ، فقال لما رأى الجوالق : أظن بنى صادوا بيض نعام ثم أهوى بيده فأدخلها فى الجوالق ، فإذا رأس ، فلما رآه قال : آخر البر على القلوص . نذهبت مثلاً ، فقيل : أشأم من الدهيم ، وأطلقت على الداهية ، والهابل : الثاقل ، وهى التى فقدت ولدها . يريد أن يقول : إن مكارمه أفنت الدواهى والشدائد حتى فقدت فكأن أمها صارت ثاكلاً ، ومن ثم لا تعرف الخطوب والبأساء والشدائد ، لأن مكارمه

عَلَامَةُ الْعُلَمَاءِ وَاللَّجُّ الَّذِي لَا يَنْتَهِي وَلِكُلِّ لَجٍّ سَاحِلٌ^(١)
لَوْ طَلَبَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ وَلَدَ النِّسَاءِ وَمَا لِهِنَّ قَوَائِلُ^(٢)
لَوْ بَانَ بِالْكَرَمِ الْجَنِينُ بَيَانَهُ لَدَرْتُ بِهِ ذَكَرُ أُمِّ أُنْتَى الْحَامِلِ^(٣)
لِيُزِدَ بَنُو الْحَسَنِ الشَّرَافُ تَوَاضُعًا هَيْهَاتَ تُكْتَمُ فِي الظَّلَامِ مَشَاعِلُ^(٤)

عصفت بها . هذا : وقد اضطربت كلمة الشراح في إعراب البيت ، ولعل الأوجه أن يقال إن أم الدهيم نائب فاعل « ترى » أى أن أم الدهيم لا ترى بعد ذلك ، ثم ابتداء وقال : وأم دفر هابل . وقال ابن جنى : فما ترى أراد لما تريان فاكتفى بضمير الواحد من الاثنين ، وقال : صدر البيت يتم به الكلام وأم الدهيم : ابتداء ، وهابل خبر لأم دفر وأم الدهيم ، وتقديره أم الدهيم هابل ، وأم دفر كذلك ؛ ويجوز أن يكون اكتفى بضمير الواحد ، كما قال الآخر :

لَمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلٌّ يَهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُ^(١)

فلم يقل تنهلان لا كتفائه بأحد الضميرين .

(١) اللج : معظم الماء . يقول : هو علامة العلماء الذى يرجعون إليه في مسائلهم ، وهو في جوده لج ليس له منتهى ، وكل لج له منتهى ينتهى إليه إلا هذا .
(٢) مثله : نعت لمصدر محذوف : أى طيباً مثل طيب مولده وطهارته ؛ والقوایل : جمع قابلة ، وهى التى تشارف المرأة عند الولادة . يقول : إنه خرج من بطن أمه طيباً طاهراً ، فلو ولدت النساء أولادهن كما ولدته أمه لما احتجن إلى القوایل في تلك الحال :
(٣) الجنين : الولد في بطن أمه ؛ وبَيَانُهُ : مفعول مطلق : أى كِبْيَانُهُ ؛ وضمير « به » : للجنين ، والحامل : فاعل درت . وقوله ذكر أم أنتى : أراد أذكر هو أم أنتى فحذف همزة الاستفهام لدلالة « أم » عليها ووصل همزة « أنتى » بعد نقل حركتها إلى الميم . يقول : لو بان الجنين بيانه بالكرم - أى كما بان كرمه حين كان جنيناً - لما القاس على الحامل الذكر بالأنتى : يعنى أنه حين كان جنيناً كان ظاهر الكرم يعرف أنه مولود كريم ، فلو بان حال كل جنين بيان كرمه لعرف الذكر من الأنثى .
(٤) المشاعل : جمع مشعل ، وهو ما يضرم فيه النار ليهتدى به في الأسفار وغيرها

(١) زحلوقة زل : أى زلق ؛ وزحلوقة - بالقاف - تروى زحلوقة - بالفاء - وهما لغتان ، وهى آثار تزج الصبيان من فوق إلى أسفل .

سَتَرُوا النَّدَى سَتَرِ الْغُرَابِ سِفَادَهُ قَبَدَا وَهَلْ يَخْفَى الرَّبَابُ الْهَاطِلُ^(١)
 جَفَخَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ شِيمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَغَرُّ دَلَائِلُ^(٢)
 مُنْشَاهِي وَرَعِ الثُّفُوسِ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ عَفُ الْإِزَارِ حُلَا حِلُ^(٣)
 يَا أَفْخَرُ فَإِنَّ النَّاسَ فِيكَ ثَلَاثَةٌ مُسْتَعْظِمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلُ^(٤)

قال الواحدى : يأمرهم أن يزيدوا تواضعاً ، فإن فضائلهم لا تخفى بالتواضع . وقد ضرب لذلك المثل بكتمان المشاعل في الظلام ، فإنها لا تخفى ، ومضى كان الظلام أشد كانت المشاعل أظهر ؛ كذلك : متى كان تواضعهم أكثر كانت فضائلهم أكثر . وقال اتبريزى : كان لهذا المدوح نسب في ولد الحسن بن على عليهما السلام ، فأمرهم بالتواضع ، لأنهم كلما ازدادوا في التواضع ظهر شرفهم ، وإن أخفوا نسبهم لا يفتكم ، كما أن المشاعل لا تنكتم في الظلام .

(١) السفاد : نزو الذكر على الأنثى . والرباب : غيم يتعلق بأسافل السحاب إذا كثر ماؤه . يقول : إنهم يكتمون معروفهم كما يكتتم الغراب سفاده . ثم ذلك لا يفتكم ، كما لا يخفى السحاب الهاطل .

(٢) جفخت : غفرت وتكبرت ؛ وشيم : فاعل جفخت ؛ وهم : متعلق بجفخت ، وجملة وهم لا يجفخون بها : معترضة ؛ والشيم : جمع شيمة ، وهي الخلق والطبيعة ؛ والحسب : ما يعد من مآثر الآباء ؛ والأغر السيد الكريم . يقول : إن لهم شياً كريماً تدل على مالهم من الحسب الشريف ، وهذه الشيم تفخر بهم وهم لا يفخرون بها لعدم عن الزهو والخيلاء .

(٣) منشاهى : كأنه منصوب على الحال من ضمير « يجفخون » ؛ والورع التقوى وعف الإزار وعفيفه : منزّه عن الفحشاء ؛ والحلاجل : السيد العظيم . يقول : هم سواء في التقوى والورع ، وكل من كبيرهم وصغيرهم عفيف ذو سيادة وعظمة .

(٤) يا اغر : يريد : يا هذا اغر ؛ لحذف اللنادى : ويجوز أن تكون « يا » للتنبيه كقوله تعالى « ألا يا اسجدوا لله الذى يخرج الحبء » كأنه قال « ألا اسجدوا » وكقول ذى الرمة :

ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى ولا زال مُنْهَلًا بِحَرَائِكِ الْقَطْرِ

ويروى : فانغر ، ثم قال : إن الناس فيك ثلاثة أقسام : إما مستعظم يستعظمك . لما رى من عظمتك ، أو حاسد يحسدك على فضلك ، أو جاهل جهل قدرك .

وَلَقَدْ هَمَمْتُ فَمَا تَبَالَى بَعْدَمَا عَرَفُوا : أَيْحَمْدُ أَمْ يَذُمُّ الْقَائِلُ^(١)
 أَتُنِي عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءُ لَقُلْتُ لِي قَصَّرْتُ فَأَلْإِمْسَاكُ عَنِّي نَائِلُ^(٢)
 لَا تَجَسَّرُ الْفُصْحَاءُ تُنْشِدُ هَهُنَا بَيْتًا وَلَكِنِّي الْهَزْبُ الْبَاسِلُ^(٣)
 مَا نَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ شِعْرِي وَلَا سَمِعَتْ سِحْرِي بَابِلُ^(٤)
 وَإِذَا أَتَيْتَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ^(٥)

(١) يقول : بعد أن ظهر علوك وعرفه الناس لا تكثرت لذم الحامد لأنه لا ينقص من قدرك ، ولا لحد الحامد لأنه لا يزيدك علواً : فقوله بعد ما عرفوا : أى بعد الذى عرفوه - فالضمير للناس ، والعائد إلى «ما» محذوف :

(٢) النائل : العطاء . يقول : إمساكك عن إسكاتى نائل منك عندى بعد ما عرفت تقصيرى . وبعبارة أخرى : إني قصرت في الثناء عليك ، فكان حقك أن تؤاخذنى بهذا التقصير ، ولكنك أمسكت عني تسكراً وتفضلاً فعددت ذلك عطاء منك لو لم تتجاوزته لكفاني .

(٣) تنشد : أى أن تنشد ، خذف « أن » فرفع الفعل ، والهزبر : الأسد والباسل الشديد . يقول : لهيبك وعلوك بالشعر وتميزك جيده من رديته لا يجرؤ الشعراء على أن ينشدوا بين يديك ، ولكنى - لجودة شعري واقتدارى - أجرؤ على ذلك . قال الواحدى : وقول أبى نصر بن نباتة في هذا المعنى أحسن وأجود حيث يقول :

وَيُلْمُهَا عِنْدَ الشُّرَاقِ هَيْبَةٌ لَوْ سَابَقَتْ قَضَبَ الْعِظَامِ فَضَائِلُ

نَفَضَتْ عَلَى مَنْ الْقَبُولِ حُجَّةً قَامَتْ بِضَنْبَعِي فِي الْمَقَامِ الْهَائِلِ

(٤) بابل : هى المدينة المشهورة ، وإليها ينسب الشعر ، وفيها نزل الملكان اللذان كانا يعلمان الناس السحر بها - كما جاء في القرآن الكريم - . يقول . ما نال شعراء الجاهلية جميعاً شعري ولا سمع أهل بابل بمثل سحري في الشعر .

(٥) يقول : إذا ذمى ناقص كان ذمه دليل كمالى وفضلى . لأن الناقص لا يحب الكامل الفاضل ، لما بينهما من التفاضل ، قال أبو تمام :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءُ فَضْلُ ابْنِ يَوْسُفَ

وَذُو النُّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مَوْلَعُ

مَنْ لِي بِفَهْمِ أَهْلٍ عَصْرٍ يَدْعِي أَنْ يَحْسُبَ الْهِنْدِيُّ فِيهِمْ بَاقِلٌ^(٣)
وَأَمَّا وَحَقُّكَ وَهُوَ غَايَةُ مُقْسِمٍ لَلْحَقِّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ الْبَاطِلُ^(١)
الطَّيِّبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طَيْبُهُ وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْفَاسِلُ^(٢)

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى من قول مروان بن أبي حنيفة :

ما ضرني حسدُ اللثامِ ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير
وأصل هذا المعنى من قول الطرماح :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنْفِي بَغِيضٍ إِلَى كُلِّ امْرَأَةٍ غَيْرِ طَائِلِ
وَأَنْفِي شَقِيٌّ بِاللثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

(١) أهيل : تصغير أهل ، صغره تحقيراً لهم . وفاعل يدعى : يعود على أهيل ، لأن لفظ « أهل » واحد ؛ ولك أن تقول إن فاعل يدعى : باقل . وباقل : رجل من العرب كان يوصف بالعي ، وفيه جرى المثل : أعياء من باقل . يقال إنه كان اشترى طيباً بأحد عشر درهما ، فقيل له بكم اشتريته ؟ فعي عن الجواب بلسانه ، ففتح يديه ، وفرق أصابعهما وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهما . فأقلت الطي . يقول : من يكفل لي بفهم أهل عصر يدعون أن « باقلا » يعلم حساب الهند مع سوء علمه بالحساب ؟ يعني أنهم جهال لا يعرفون الجاهل من العالم ، ولا الناقص من الفاضل ؛ أو تقول : من لي باهل عصر لا يفرقون بين العالم والجاهل حتى لو ادعى « باقل » بينهم معرفة الحساب لم يجد فيهم من يكذب دعواه ؟ قال ابن جني ناقداً : « وباقل » هذا لم يؤت من سوء حسابه ، وإنما أتى من سوء عبارته ، فلو هو قال أن يفهم الخطباء فيهم « باقلا » أو نحو هذا لكان أسوغ قال الواحدى - ردأ عليه - : وليس كما قال فإن « باقل » كما أتى من البيان أتى من البنان فإنه لو أتى من سبائته وإيهامه دائرة ومن خنصره عقدة لم يفلت منه الطي ، نصح قول أبي الطيب في نسبته إلى جهل الحساب .

(٢) مقسم : يروى بكسر السين - طى أنه اسم فاعل - وبفتحها - على أنه مصدر يسمى بمعنى القسم .

(٣) تقديم البيت : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت الفاسل له إذا اغتسلت فالطيب : مبتدأ ؛ وأنت : مبتدأ ثان ؛ وطيبه : خبر أنت ؛ والجملة : خبر الطيب ؛ ومثله الشطر الثاني ؛ وروى ابن جني ، والماء أنت - ينصب الماء - قال : وتقديره وتغسل أنت الماء ، دل على هذا المضمرة قوله الفاسل . يقول : إذا أصابك الطيب فانت طيب

مَا دَارَ فِي الْحَنَكِ اللِّسَانُ وَقَلَبْتَ
قَلَمًا بِأَحْسَنَ مِنْ نَنَّاكَ أَنَا مِلْ^(١)

وقال يهجو قوما توعده :

أَمَاتَكُمْ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمْ الْجَهْلُ
وَجَرَّكُمْ مِنْ خِصَّةِ بَكْمِ النَّمْلِ^(٢)
وَلَيْدَ أَبِي الطَّيِّبِ الْكَلْبِ مَالَكُمْ
فَطَفَنُمْ إِلَى الدَّعْوَى وَمَالَكُمْ عَقْلُ^(٣)

له وإذا اغتسلت بالماء فأنت الغاسل له . يعنى أنت أطيب من الطيب وأطهر من الماء
كما قال الآخر :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حَسَنُ وَجْهِكَ زَيْنًا
وَتَزِيدُنْ أَطْيَبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا أَنْ تَمْسِيَهُ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا

(١) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أوسى . يقال فلان حسن النثا
وقبيح النثا ، ومنه نثا الحديث والخبر نشوا حدث به وأظهره وأشاعه . وروى نثاك
يقول : ما دار اللسان في الحنك وما قلبت أنا مل قلمًا بأحسن من أخبارك ؛ كأنه يقول :
ما قيل ولا كتب أحسن من مدحك وذكر أوصافك .

(٢) يقول : أما تم الجهل قبل أن تموتوا : أى أنتم موتى من جهلكم وإن كنتم
أحياء ؛ وليس لكم وزن ولا قدر ، ولحفة وزنكم تستطيع النمل أن تحرككم ، والسفيه
الأحمق الخفيف العقل يوصف بخفة الوزن ، كما أن الحليم الرزين يوصف ثقل الوزن .
(٣) وليد تصغير ولد ، وهو يقع على الواحد والجماعة ، الذكور والإناث والمراد

هنا الجماعة وهو منصوب ، لأنه نداء مضاف ؛ والكلب : نعت أبى الطيب ؛ والدعوى :
الادعاء فى النسب ، وهو أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه . يقول : يا أولاد هذا الرجل
الحسيس أنتم لا عقل لكم تعقلون به شيئاً ، فكيف فطعتم للانتساب إلى من لستم منه
فى شيء ؛ أى إلى غير أبيكم .

وَلَوْ ضَرَبْتُمْ مَنَجْنِيْقِي وَأَهْلَكْتُمْ
قَوِيَّ لَهَدَّتْكُمْ فَكَيْفَ وَلَا أَصْلُ^(١)
وَلَوْ كُنْتُمْ مِمَّنْ يُدَبِّرُ أَمْرَهُ
لَمَا كُنْتُمْ نَسْلَ الَّذِي مَالَهُ نَسْلُ^(٢)

(١) المنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة. قال صاحب اللسان: المنجنيق - بفتح الميم وكسرها - والمنجوق: دخيل أعجمي معرب، وأصلها بالفارسية: من جى نيك: أى ما أجودنى، وهى مؤنثة، قال زفر بن الحارث:

لَقَدْ تَرَكْتَنِي مَنَجْنِيْقُ ابْنِ بَحْدَلٍ أَحِيدُ عَنِ الْمُصْفُورِ حِينَ يَطِيرُ
وتقديرها منفعل، لقولهم: كنا نجحق مرة ونرشق أخرى. قال الفراء: والجمع منجنيقات، وقال سيديويه: هى فنعيل، الميم من نفس الكلمة أصلية، لقولهم فى الجمع مجانيق وفى التصغير مجنيق، ولأنها لو كانت زائدة والنون زائدة لاجتمعت زائدتان فى أول الاسم، وهذا لا يكون فى الأسماء ولا الصفات التى ليست على الأفعال للزيدة ولو جعلت النون من نفس الحرف صار الاسم رباعيا، والزيادات لا تلحق بينات الأربعة أولا إلا الأسماء الجارية على أفعالها نحو مدرج، ومنهم من قال: إن الميم والنون زائدتان، لقولهم جنق مجنق: إذا رمى، والتثني يريد بالمنجنيق هنا: هجاءه. ورفع « أصل » على إعمال « لا » عمل « ليس ». على حد قول الحماسي:

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحٍ^(١)
يقول: لو ضربتكم بهجائى وأصلكم قوى لكسرتكم وأهلكتكم فكيف ولا أصل لكم يعرف؟

(٢) يقول: لو كنتم عقلاء لما انتسبتم إلى من يعرف أنه لا نسل له ولا عقب: أى فقد ظهرت دعواكم بهذا الانتساب وأنكم كذابون فيما تدعون. بهجو قوما يزعمون أنهم شرفاء.

(١) من أبيات لسعد بن مالك تراها فى الحماسة، وقد تقدم شرحها وأولها:
يَا يُوُسَّ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهُطَ فَاسْتَرَاوَا

وقال : وقد جعل أبو محمد بن طنج يضرب بكه البخور ، ويقول سَوْقًا إِلَى
أبي الطيب :

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ فِي الْفَعَالِ وَأَفْصَحَ النَّاسِ فِي الْمَقَالِ (١)
إِنْ قُلْتَ فِي ذَا الْبُخُورِ سَوْقًا فَهَكَذَا قُلْتَ فِي النَّوَالِ (٢)

* * *

وقال وقد بلغه أن إسحاق بن كيطنج يتهده وهو ببلاد الروم ، وكان
أبو الطيب بدمشق (*) :

أَنَا فِي كَلَامِ الْجَاهِلِ ابْنِ كَيْفَلَنْجٍ يَجُوبُ حُزُونًا يَبِينُنَا وَسُؤْلًا (٣)
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ابْنِ صَفْرَاءَ حَائِلٌ
وَبَيْنِي سِوَى رُنْحِي لَكَانَ طَوِيلًا (٤)

(١) قال الليث : الفعّال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه ، وقال ابن
الأعرابي : الفعّال فعل الواحد خاصة في الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعّال وفلان
ليثم الفعّال ، قال : والفعّال - بكسر الفاء - إذا كان الفعل بين الاثنين .

(٢) البخور - بفتح الباء - قال البكري : والعامّة تضمها ، وقلت - ههنا - بمعنى
أشرت ، ويقال قال بكه : أى أشار ، وقال برأسه نعم : أى أشار ، والنوال : العطاء .
يقول : إن أشرت في هذا البخور أن يساق إلى سوقا فهكذا قلت وفعلت في العطاء .

* كان من خبر هذا الرجل أنه لما قدم أبو الطيب من الرملة يريد إنطاكية مر به
وهو في طرابلس - وكان محافظاً على الطريق - فسأله أن يمدحه فلم يفعل ، فاعتاقه
عن سفره ثلاثة أيام ، فلما فارقه هجاء بالقصيدة التي مطلعها :

لَهْوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ عَرْضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ

وستمر بك في قافية الميم ، وهي من عيون قصائده .

(٣) يجوب الأرض : يقطعها . والحزن : الغليظ من الأرض . يقول : أنا في وعيده
من مسافة بعيدة .

(٤) صفراء : اسم أمه ، وقيل صفراء : كناية عن الاست ، والعرب تسب بالنسبة
الرجل إلى الاست ، كما قال :

* بَأَنَّ بَنِي أَسْتَهَا نَذَرُوا دُمِي *

وَأَسْحَقُ مَأْمُونٌ عَلَى مَنْ أَهَانَهُ وَلَكِنْ تَسَلَّى بِالْبُكَاءِ قَلِيلًا^(١)
وَلَيْسَ جَمِيلًا عَرَضُهُ فَيَصُونُهُ وَلَيْسَ جَمِيلًا أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا^(٢)
وَيَكْذِبُ مَا أَذَلَّتْهُ بِهِجَانِهِ لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْهَجَاءِ ذَلِيلًا^(٣)

* * *

وقال يمدح أبا العشائر:

لَا تَحْسَبُوا رَبِّكُمْ وَلَا طَلَلَهُ أَوَّلَ حَيٍّ فِرَاقِكُمْ قَتَلَهُ^(٤)

يقول: إنه على البعد بوعدنى، ولو لم يحل بينى وبينه إلا رعى لكان ما بينى وبينه طويلا بعيداً لأنه لا يتمكن من الوصول إلى ولا يستطيع الإقدام على لجينه.

(١) يقول: إنه غير مخوف على من يهينه ولا يكثر له، وقصاراه إذا مسه الهوان أن يبكى، ولا يلجأ فى الجزاء إلى غير البكاء فيتعزى به عن الإهانة.

(٢) يقول: إن عرضه ليس جميلا حتى يستحق أن يهان، لأنه إنما يهان الجليل، وعرضه لا يحمل أن يحمل.

(٣) يقول: هو كاذب فى دعواه أنى أذلتته بهجائى، فهو ذليل حقير من قبل هجائى إياه، فقله ما أذلتته بهجانه: كلام مسنأف، و«ما»: نافية.

(٤) الربع: المنزل؛ والطلل: ما شخص من آثار الديار. جعل كون الأجابة فى الربع حياة له وارتحالهم عنه قتلا، لأن الأمكنة إنما تحيا بالعمارة والسكان، فإذا خلت من العمار فهى ميتة، وفى الحديث «من أحيأ مواتا فهو أحق به» الموات: الأرض التى لم تزرع ولم تعمر، ولا جرى عليها ملك أحد، وإحيأوها: مباشرة عمارتها. يقول رحلتم: فخر بربكم وعفا طلكم، ولكنهما ليسا أول حى قتل من جراء فراقكم ثم بين ذلك فيما يلى. هذا: وحسب الشيء يحسب: أى ظنه، بفتح السين وكسرها، فى المصارع، قال فى التهذيب: والكسر أجود اللغتين، وقال الجوهري: ويقال أحسبه - بالكسر - وهو شاذ، لأن كل فعل كان ماضيه مكسورا فإن مستقبله يأتى مفتوح العين، - نحو علم يعلم - إلا أربعة أحرف جاءت نواذر: حسب يحسب. ويبس يبیس وبس يبیس، ونعم نعم، فإنها جاءت من السالم بالكسر والفتح ومن المقتل ما جاء ماضيه ومستقبله جميعا بالكسر: ومضى يمشى، ووفق يوفق، ووثق يثق، وورع يورع، وورم يرم، وورث يرث، وورى الزند يرى، وولى يلى.

قَدْ تَلَفَتْ قَبْلَهُ النَّفُوسُ بِكُمْ وَأَكْثَرَتْ فِي هَوَاكُمْ الْعَذَلَةَ^(١)
 خَلَا وَفِيهِ أَهْلٌ وَأَوْحَشْنَا وَفِيهِ صِرْمٌ مُرَوِّحٌ لِإِبْلِهِ^(٢)
 لَوْ سَارَ ذَاكَ الْحَبِيبُ عَنْ فَلَكَ مَا رَضِيَ الشَّمْسَ بَرْجُهُ بَدَلَهُ^(٣)
 أَحِبُّهُ وَالْهَوَى وَأَذْوَرُهُ وَكُلُّ حُبٍّ صَبَابَةٌ وَوَلَهُ^(٤)
 يَنْصُرُهَا الْغَيْثُ وَفِي ظَامِنَةٍ إِلَى سِوَاهُ وَسُحْبَهَا هَطْلَةٌ^(٥)

(١) العذلة : جمع عاذل . يقول : قد تلفت نفوس العشاق قبل الربع بسبيكم أو بهواكم أو بفراقكم ، وأكثر العاذلون - اللاتمون - عذلم في هواكم لما رأوا من تهالكهم فيكم .

(٢) الصرم : الجماعة من البيوت بمن فيها ، وجمعه أصرام . والروح : الذى يروح إليه من المرعى . يقول : إن الربع موحش خال وإن كان فيه ناس ونعم لا رتحال أحبابنا عنه : يعنى أنه وإن كان قد حله ناس بعدهم بعد فى حق كالحالى الموحش لى ، فكانه قفر لا أحد فيه ؛ وإن كان عامراً بأهليه .

(٣) الضمير فى « برجه » : للحبيب . ورضى : بمعنى اختار وأحب ، فلذلك عداه بغير حرف الجر . يقول : لو سار هذا الحبيب الجليل عن فلك من أفلاك السماء لما اختار هذا الفلك الذى كان فيه أن تحله الشمس بدلا منه ، لأنها لا تنفى غناؤه ، إذ لا تعادله فى المحاسن .

(٤) لك أن تجعل « والهوى » غطفاً على الضمير المنصو ، قوله « أحبه » فيكون من قبيل قوله :

وإِنِّي لِأَعِشُّ مِنْ عِشْقِكُمْ نَحْوِي وَكُلُّ فِتْنٍ نَاحِلٌ
 ولك أن تجعله قسما ، كقول البحترى :

* أما وهواك حِلْفَةٌ ذِي اجْتِهَادٍ *

والأدور : جمع دار ؛ والصباية : رقة الشوق ؛ والولة : ذهاب العقل ؛ أى أحبه وأحب كل ما يرتبط به ، ثم قال : إن الحب صباية تملك قلب العاشق ووله : أى فهو يجعل كل شيء للحبيب .

(٥) ينصرها : أى الأدور ؛ والمطل : الكثير السكب . يقول : يسقيها السحاب وعطشها إنما هو إلى غير المطر ، وهو الحبيب الذى سار عنها وكان ينزل بها ويقال نصر الغيث الأرض نصراً : أغاثها وسقاها وأنبتها ؛ قال الشاعر :

وَاحْرَبَا مِنْكَ يَا جَدَايْتَهَا مُقِيمَةً فَأَعْلَمِي وَسُرَّحَلَهُ (١)
لَوْ خُلِطَ الْمِسْكُ وَالْعَبِيرُ بِهَا وَلَسْتَ فِيهَا تَخْلُتُهَا تَفْلَهُ (٢)
أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا السَّابَّاحِ وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهُ (٣)
وَلِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حِيلَهُ (٤)

من كان أخطأه الربيعُ فإِنَّمَا نُصِرَ الحجازُ بِبَيْتِ عبد الواحد
ونصرت البلاد : إذا مطرت ، فهي منصوره : أى محطورة ؛ ونصر القوم :
إذا غشوا .

(١) الحرب - بالتحريك - فى الأصل نهب مال الإنسان وتركه لاشئ له ، والمراد
هنا : الهلاك . يقول الواقع فى الهلاك : واحربا والجداية : ولد ، الظبي . ومقيمة : حال
من الضمير فى « منك » . وفاعلى : معترضة . يقول : واحربا منك ياظبية هذه الدار
أقت أو رحلت : لأنك إن أقت منعنا عنك الصد ، وإن رحلت حال بيننا وبينك النأى
- البعد فانت تهجرين عند الإقامة وتفارقين عند الرحيل ، فقربك وبعدك سيان فى هلاكي
(٢) العبير : أخلاط تجمع من طيب ؛ والضمير فى « بها » للأدور . والتفلة :
المنقنة الريح . يقول : إِنَّمَا كَانَتْ دِيَارُكَ تَطِيبُ بِكَ فَإِذَا خَلْتَ مِنْكَ لَمْ يَطْبُلِ رِيَاهَا وَكَانَتْ
عِنْدِي تَفْلَةً ، ولو خلطوا ترابها بالمسك والعبير ، كما قال :

وكيف التذاذى بالأصائل والضحى
إذا لم يعد ذاك النسيم الذى هباً
(٣) النجل : الولد : ونجله أبوه : ولده . يقول : أنا ابن الذى بعضه - أى ولده -
يفوق أبا الباحث عن نسي ، أى أنا فوق أب الذى يبحث عن نسي ، وقوله والنجل الخ :
أراد به أن يبين أن المراد ببعضه الولد .

(٤) نافرت فلانا فنفرته : أى فاخرته ففخرته ؛ وأصل ذلك أن الرجلين من العرب كانا
يحتكمان فى الجاهلية إلى من عرف بالرياسة والفضل و"صدق فيقولان له : أى نفرينا
أفضل ؟ فإذا فضل أحدهما على الآخر فالغلوب مغفور والغالب نافر ، قال الأعشى :

بان الذى فيه تماريتما واعترف المنفور للنافر (١)

(١) يروى : قد قلت شمري فمضى فيكما واعترف ... الخ
وهو للأعشى يمدح عامر بن الطفيل ويحمل على علقمة بن علاثة وكانا قد تنافرا
إلى هرم بن سنان المري ؛ والمنفور ؛ المغلوب ؛ والنافر ؛ الغالب .

فَفَخْرًا لِعَضْبِ أَرْوَحُ مُشْتَمِلَةً وَسَمْهَرِيَّ أَرْوَحُ مُمْتَقِلَةً^(١)
وَلِيَفْخَرَ الْفَخْرُ إِذْ غَدَوْتُ بِهِ مُرْتَدِيًا خَيْرَهُ وَمُنْتَمِلَةً^(٢)
أَنَا الَّذِي بَيْنَ الْإِلَهِ بِهِ السَّاقِدَارَ وَالزَّرْهَ حَيْثُمَا جَمَلَهُ^(٣)
جَوْهَرَةً يَفْرَحُ الْكِرَامُ بِهَا وَغُصَّةً لَا تُسِفُّهَا السِّفْلَةُ^(٤)

وَقُلْتُ: أفرغوا وأفنوا. يقول: إنما يذكر الأجداد للقوم الباحثين والمفاخرين من غلبوه بالفخر ولم يجد خيلة فافتخر بالآباء؛ معنى إنما يحتاج إلى الفخر بمجوده من لا فضيلة له في نفسه.

(١) العضب: السيف القاطع؛ واللام الداخلة عليه زائدة لبيان الفاعلية وفخرا؛ مفعول مطلق نائب عن فاعله. أي ليفخر فخرا؛ ومشتمله؛ أراد مشتملا به. والاشتمال أن يتقلد السيف فتكون حمائله على منكبه كالثوب الذي يشتمل به. والسهمري: الرمح واعتقل الرمح؛ جملة بين ساقه وركابه. يقول: إن سيفي ورمحي يفتخران بي، لا أنا بهما.

(٢) خيره؛ أي أفضله، يروي «خبره» أي زينته وجماله. يقول: لبست الفخر فصار رداء على منكبي، ونعلا تحت قدمي، فخدير به إذن أن يفخر بي.

(٣) يقول: بي بين الله أقدار الناس في الفضل، لأنني أصف كل أحد بما فيه؛ أو لأن من أكرمني وأحسن إلي: دل ذلك على مروءته، وميله إلى ذوى الفضل، ومن استخف بي، ولم يكثر لي؛ دل ذلك على خسة قدره ولؤم نخبته كما قال البحرى:

وإن مقامى حيثُ حَيِّمْتُ مَحْنَةً تَدُلُّ عَلَى فَهْمِ الْكِرَامِ الْأَجَاوِدِ
وقوله والرء حينما جعله: أي حينما جعل نفسه؛ فمن صان نفسه، ورفع قدرها؛ رفع الناس كذلك قدره، ومن تعرض للمهوان أهين، كما قال:

إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من أكرمه
وقدما قيل:

وأكرم نفسي إن أهنتها رَفَّقَ لَمْ تَكْرُمْ عَلَى أَحَدٍ بِعَدِي
ويجوز أن يكون المعنى، والرء حينما جعله الله: أي لا يستطيع أحد أن يتقدم منزلته التي وضعه الله بها.

(٤) جوهرة: أي أنا جوهرة؛ والقصة: ما ينص به الإنسان فلا يسفه والسفلة - بكسر الفاء - كهيئة - بسكونها وكسر السين - أسافل الناس وغوغاؤهم والسقاط منهم

إِنَّ الْكَذَّابَ الَّذِي أَكَادُ بِهِ أَهْوَنُ عِنْدِي مِنَ الَّذِي يَقْلَهُ ^(١)
فَلَا مُبَالَ وَلَا مُدَارِجَ وَلَا ^(٢) وَإِنْ وَلَا عَاجِزَ وَلَا تُكَلَّهُ ^(٣)
وَدَارِعَ سِفْتَهُ فَخَرَّ لَتَى فِي الْمُلْتَقَى وَالْعَجَاجِ وَالْمَعْجَلَةِ

يقول : أنا زينة الناس إذ أنوه بمنافعهم ، وأشد بذكر محاسنهم ؛ فأنا جوهرة يفرح بها ، وشجى في حلق الشام لا يقدر على إساغى ، لأنى أقول فيهم ما أدلم به وأكشف عن نقائصهم .

(١) الكذاب : البكذب : يقال : كذب يكذب كذباً وكذباً وكذاباً وكذاباً ، ورجل كاذب ، وكذاب ، وتكذاب وكذوب ، وكذوبة ، وكذبة - مثال همزة - وكذبان ، وكذبان ، وكذبان ؛ ومكذبان ومكذبانة وكذبان ، وكذب وكذب قال جريرة بن الأسيح :

فإذا سمعت بأننى قد بفتكم بوصال غانية فقل كذباً وبك
والكذب : جمع كاذب ، مثل راح وركع ، قال أبو دواد الرواسي :

متى يقل تنفع الأقوام قولته إذا اضمحل حديث الكذب الولعه ^(١)
أليس أقربهم خيراً وأبعدهم شراً وأسمحهم كفالين منقصة
لا يحسد الناس فضل الله عندهم إذا تشوه نفوس الحسد الجشعة
والكذب : جمع كذوب ، مثل صبور وصبر ، ومنه قرأ بعضهم قوله تعالى « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب » فجعله نعتاً للألسنة ، وأكاد به : أقصد به على وجه الكيد . يعرض بقوم وشوا به إلى أبى العشار . يقول : ذلك الكذب أهون عندي من راويه وناقله : أى لا أكثر ثله ولا لمن رواه .

(٢) مبال : خبر عن محذوف : أى فلا أنا مبال ؛ والمداحي : الذى يسائر العداوة : والوانى : المقصر ؛ وتكلة : بمعنى وكلة ، وهو الذى يكل أمره إلى غيره . ينفي عن نفسه هذه الصفات ، يقول : فلا أنا مبال بأعدائى ولا مداح لهم ، ولا أنا مقصر فى أمرى ، وفيما يجب على مراعاته وحفظه ، ولا عاجز عن مكافأة المسىء ، ولا ضعيف أكل أمرى إلى غيرى ،

(٣) الدارع : لابس الدرع . وسفته : ضربته بالسيف ؛ واللقى : الشيء المطروح ؛

(١) الولة : جمع وال ، مثل كاتب وكتبة ، والوالع : الكاذب .

(٢٥٠ — المتنبي)

وَسَامِعِ رُعْتَهُ بِقَافِيَةٍ بِحَارُ فِيهَا الْمُنْفَعُ الْقَوْلَةُ (١)
وَرُبَّمَا أَشْهَدُ الطَّعَامَ مَعِيَ
مَنْ لَا يُسَاوِي أُلْخَبَزَ الَّذِي أَكَلَهُ (٢)

والمعاج : الغبار : والعجلة : يجوز أن يراد بها الاستعجال الذي يكون من الضارب والطاعن في الضرب والطعن ، ويجوز أن تكون بمعنى الشكل - من قولهم ناقة هجول : إذا فقدت ولدها - قال علماء اللغة : والهجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها التكلى لمجبتها في جيئها وذهاها جزعا ، قالت لحنساء .

فما هجولٌ على بَوٍّ تَطِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانِ إِعْلَانٌ وَإِسْرَارٌ (١)
وجوز أن يكون بمعنى الطين ، قيل في قوله تعالى « خلق الإنسان من عجل » أي من طين ؛ وقال الشاعر :

وَالنَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الْعِمَاءُ مَبْتُهُ وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْمَجْلِ

يقول : رب دارع ضربته بالسيف فتركته مطروحا كالشيء الملقى وقت التقائنا .
(١) رعته : أعجبتة أو أرهتته . والقافية هنا : القصيدة ؛ والنفع : الذي يهذب القول ويختاره ، واقولة الجيد القول . يقول : إنه بيده السامع بالقافية الجيدة يرتفع لها ويتعير في حسنها الشاعر المجيد :

(٢) أشهد : بمعنى أحضر ، والطعام : مفعول ثان مقدم ؛ و « من » مفعول أول ، وأشهد يروى يشهد : ويروى أشهد - مضارع شهد ، فتكون « معي » بحذف واو الحال أي ومعى : وقد تحذف : كما تقول مررت بزيد على يده باز . ويريد بذلك الرجل الذي وشى به ، وكان يقال له المسعودي ، كان المتنبي قد وصله بأبي العشائر فصار نديما له ، ثم تناوله عند أبي العشائر :

(١) بعده :

ترتع ما رتعت حتى إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبار
يوما بأوجد مني يوم فارقت صخرٌ وللعيش إحلا وإمرا
وترتع ما رتعت : يروى ترقع ما غفلت ، والبو : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلده أمه يحشى تبنا وهي لا تراه ، ويدنى منها فقصمه وترأه فتدر فتدر عليه اللبن .

وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأَعْرِفُهُ وَالْدُرُّ دُرٌّ بِرَغْمٍ مِّنْ جَهْلِهِ^(١)
 مُسْتَحْيِيًّا مِّنْ أَبِي الْعَشَائِرِ أَنْ أَسْحَبَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ حُلَّةً^(٢)
 أَسْحَبَهَا عِنْدَهُ لَدَى مَلِكٍ ثِيَابُهُ مِنْ جَلِيْسِهِ وَجِلَّةً^(٣)
 وَبَيْضُ غِلْمَانِهِ كَنَائِلِهِ أَوَّلُ مُحْمُولٍ سِنِيهِ الْحَمَلَةِ^(٤)
 مَالِي لَا أُمْدَحُ الْخَسَنِينَ وَلَا أَبْذُلُ مِثْلَ الْوَدِّ الَّذِي بَذَلَهُ^(٥)
 أَأَخَفْتُ الْمَنِينَ عِنْدَهُ خَبْرًا أَمْ بَلَغَ الْكَيْدْبَانَ مَا أُمَلَّهُ^(٦)

(١) لعل هذا ينظر إلى قول جميل :

إذا ما رأوني طالما من ثنيةٍ يقولون من هذا وقد عرفوني

(٢) اللحل : الثياب : ومستحيا : أى إنما أفعل ما ذكرت مستحيا : فهو حال ،
 العامل فيها مقدر . يقول : إنما أقت مع الأعداء فى بلد لآنى أستحي من أبى العشائر أن
 ألبس خلعة فى غير بلده .

(٣) وجلة : خائفة . يقول : إن ثيابه لا تحب أن تفارقه لتسرفها به فهى تخاف أن
 تخلعها على جلسيه .

(٤) النائل : العطاء : وكذلك السيب . يقول : إن غلماناه البيض كعطائهما فى أنه
 يهبهم - أى غلمانهم - أى أنه يهب غلماناه كما يهب أمواله ، فيكون أول ما يحمله إليك من
 العطاء ، أولئك الذين يحملون ذلك العطاء - وهم الغلمان -

(٥) ويروى : أبذل ماود مثل ما بذله : أى من الود ، خذف النون . وهذا
 كالمعاقبة مع نفسه ، والإقرار بالتقصير فى مدحه ، ومعارضته بمثل الود الذى يبذله .

(٦) الكيدبان : الكذاب - وقد وفينا القول على هذه السادة قريبا - يقول :
 أ كذبتنى عيني فيما أدت إلى من محاسنه ، أم وجد الكاذب فرصة فقير ما بيننا ؟ ويجوز
 أن يريد بالعين : الرقيب ، وأنت : جريا على اللفظ . يقول : هل أخفى الرقيب عنده
 خبراً من أخبارى فى حبى إياه ومبلى إليه ؟ وقال بعض الشراح : يقول . هل أخفت
 عنه عليه أثراً من آثار خدمتى فجحدها على . أم أعار الكاذب سمعه فبلغ عنده ما يأمله
 من الوشاية بى ؟ وهذا استفهام إنكار . أى ليس الأمر على ما ذكر ؛ وإذن : لا أقصر
 فى حقه ولا ألو جهداً فى مدحه . هذا : ويقال أمل خيره يأمله أملا ، وكذا أمله تأميلا
 أى رحله .

أَمْ لَيْسَ ضَرَابَ كُلِّ جُحْمَةٍ مَنخُوعٍ سَاعَةَ الْوَغَى زِعَالَهُ^(١)
وَصَاحِبَ الْجُودِ مَا يُفَارِقُهُ لَوْ كَانَ لِلْجُودِ مَنَطِقٌ عَذَلَهُ^(٢)
وَرَأَيْتَ الْهَوَلَ لَا يُفْتَرُهُ لَوْ كَانَ لِلْهَوْلِ مَحْزَمٌ هَزَلَهُ^(٣)
وَفَارِسَ الْأَحْمَرِ الْمَكْلَلِ فِي طَيِّبِ الْمَشْرِعِ الْقَنَاءِ قَبْلَهُ^(٤)

(١) منخوة: أى ذات نخوة - أى عظمة وكبر - والراس يوصف بالكبر ، يقال فى رأسه نخوة والزعة : النسيط ، والزعة أيضا . البطرة الأشرة . يقول . أليس المدوح ضراب كل رأس متكبر بطريوم الوغى والقتال ؟

(٢) عذله : أى لاهه على إسرافه وكثرة عطاياه .

(٣) الهول : الأمر العظيم الشديد ؛ ولا يفتره : أى لا يفتره الهول وإن كثركوبه إياه . والمهزم : ما يقع عليه الهزام من الدابة . لما جعله راكباً والهول مركوباً أجراه مجرى المركوب من الدواب : أى أنه جهده بالركوب حتى لو كان له محزم لظهر عليه الهزال ، وإنما خص المهزم لأن الدابة إذا هزلت اتسع حزامها لما لحقها من الضمور .
(٤) قال الواحدى : أراد بالأحمر : فرسه الذى ركبه فى وقته بأنطاكية ؛ والمككل الحاد الساضى فى الأمر ؛ يقال حمل فكلل : أى مضى قدما . ولم يحزم ، أنشد الأصمعى :

حَسَمَ عِرْقَ الدَّاءِ عَنْهُ فَقَضَبُ تَكْلِيلَةَ اللَّيْثِ إِذَا اللَّيْثُ وَثَبَ

قال الأصمعى : وقد يكون كلل بمعنى جبن ؛ يقال حمل فما كلل : أى فما كذب وما جبن كأنه من الأضداد ، وأنشد أبو زيد لجهم بن سبل :

وَلَا أَكْلَلُ عَنْ حَرْبٍ مُجْلِحَةٍ وَلَا أَخْذَرُ لِلْمَلِيقِينَ بِالسَّلَمِ

ويقال إن الأسد يهلك ويكلل ، وإن النمر يكلل ولا يهلك ، والمككل : الذى يحمل فلا يرجع حتى يقع بقرنه ، والمهلك : يحمل على قرنه ثم يحجم فيرجع . ويقال انكل الرجل انكلالا : أى تبسم ، وانكلت المرأة تنكل انكلالا : إذا ابتسمت قال الأعشى :

وَيَنْكَلُ عَنْ غُرَّةٍ عَذَابُ كَأَنَّهَا جَى أَقْحَوَانِ نَبْتُهُ مَتْنَعِمِ

وقال عمر بن أبى ربيعة :

وَتَنْكَلُ عَنْ عَذَابِ شَقِيَّتِ نَبَاتِهِ لَهُ أَشْرُ كَالْأَقْحَوَانِ الْمَوْرِ

ومن روى « المككل » - فى البيت - بفتح اللام : أراد للتوج . ويجوز فى « المشرع »

لَمَّا رَأَتْ وَجْهَهُ خَيُّوهُمْ أَقْسَمَ بِاللَّهِ لَا رَأَتْ كَقَوْلِهِ (١)
فَأَكْبَرُوا قَوْلَهُ وَأَصْفَرَهُ أَكْبَرُ مِنْ فَضْلِهِ الَّذِي قَوْلَهُ (٢)
الْقَاطِعُ الْوَاصِلُ الْكَمِيلُ فَلَا
بِفَضٍّ جَمِيلٍ عَنِ بَفَضِهِ شَفَلَةٍ (٣)

النصب على أنه نعت للفارس ، والخفض على أنه نعت للأحمر : يعنى الذى أشرع الأعداء نحوه رماحهم .

(١) الضمير من « وجهه » : للفارس ، وضمير « أقسم » . للممدوح . ويقول . لما راب حيولهم وجه فرسه فى حومة الوعى أقسم بالله لا ارتد عنهم ولا رأوا كفهله حتى يأتى عليهم قتلا . ولعل هذا المعنى من قول الآخر .

حتى يظنوه إنساناً بغير قفاً وأنه راكب طريقاً بلا كفل

(٢) يقال أ كبرت الشيء إذا استكبرته ، وأصفره . يروى بفتح الراء على أنه فعل ماض أى استكبروا فعله واستصغره هو ، وتم الكلام هنا ثم استأنف فقال . أ كبر من فعله الذى فعله . أى هو أ كبر من فعله وهذا هو تفسير ابن جنى . قال العروضى على هذا التفسير لا يكون مدحاً ، لأن من المعلوم أن كل فاعل أ كبر من فعله ، والخالق تعالى ذكره فوق المخلوقين ، وقالوا إن خيراً من الخير فاعله ، وإن شراً من الشر فاعله ولكن معنى البيت . إن الناس استكبروا فعله واستصغره هو ، فكان استصغاره لما فعل أحسن من فعله : كما تقول أعطاني فلان كذا وكذا واستقله ، فكان استقلاله لذلك أحسن من إعطائه قال العروضى : ثم العجب أنه غلط فى صناعة هو إمامها المقدم فيها ، وذلك أن « الذى » يصلح أن يكون بمعنى « من » وبمعنى « ما » . تقول رأيت الذى دخل ، ورأيت الذى فعلت ، وكان يجب أن يذهب فى هذا إلى « ما » فذهب إلى « من » ففسد المعنى ؛ ولك أن تقول : أ كبر من فعله الذى فعله : أى أن الذى فعل هذا الفعل هو أ كبر منه : أى أنه إنما استصغره بالنسبة إلى عظم قدره . وروى الخوارزمى : وأصفره بضم الراء - على أنه مبتدأ مخبر عنه بما بعده : أى وأصفر فعله أ كبر بما استعظموه .

(٣) القاطع : يروى : القائل ، والقاتل . والكيل : بمعنى الكامل ؛

أنشد سيبويه :

على أننى بعد ما قد مضى ثلاثون للهجر حولاً كيلا

فَوَاهِبٌ وَالرَّمَّاحُ تَشْجُرُهُ ، وَطَاعِينٌ وَالْهَبَاتُ مُتَّصِلَةٌ^(١)
وَكُلَّمَا آمَنَ الْبِلَادَ سَرَى وَكُلَّمَا خِيفَ مَنَزِلُ نَزَلَهُ^(٢)

يَذْكُرُنِيكَ حَنِينَ الْمَجُولِ وَنُوحَ الْحَمَامَةِ تَدْعُو هَدِيلًا^(١)
وَكُل - بفتح العين وضمها - يَكُل - بالضم - في مضارعهما : وكل - بكسر
العين - يَكُل - بالفتح - لا غير . قال الجوهري : والكسر أردؤها . يقول : يقطع
ويصل كما يشاء . ولا يشغله فعل جميل عن فعل جميل آخر . وقد فسر البيت فيما يلي
(١) تشجروه : تنفذ فيه وتخالطه . ومنه قول شريح بن أوفى العبسي :

يَذْكُرُنِي حَامِيمَ وَالرَّمْحَ شَاجِرًا فَهَلَا تَلَا حَامِيمَ قَبْلَ التَّقْدُمِ^(٢)
يقول : لا تمنعه الحرب عن الجود ولا الجود عن الطمان .
(٢) يقول : كلما آمن بلاده من مهاجمة الأعداء سرى في طلب الغزو والفتح ،
وكلما خيف مكان نزله فدفع عنه المخافة وآمنه .

(١) يقول : لم أنس عهدك طي بعده ، فكما حنت مجول - وهي الفاقة ولدها من
الإبل وغيرها - أو ناحت حمامة ، رقت نفسي فذكرتك ؛ والهديل هنا صوت الحمامة
ونصبه طي للصدر ، والعامل فيه يدعو ، لأنه بمنزلة تهدل . ويجوز أن يكون الهديل
الفرخ الذي يزعم الاعراب أن جارحاً صاده في سفينة نوح فالحمام يبكي عليه ، كما
قال طرفة :

• كداعى هديل لا يُجَابُ ولا يُمَلِّ •

فالهديل هنا الفرخ ، لأن الحمام تدعو نائحة عليه فلا يجيبها ولا تمل دعاءه .
(٢) قبله :

وَأَشْمَتْ قَسْوَامَ بآيَاتِ رَبِّهِ قَلِيلِ الْأَذَى فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ مُسْلِمِ
شَكَكَتْ لَهُ بِالرَّمْحِ جِيبَ قَيْصِهِ نَحْرَ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَابِعًا عَلِيًّا وَمَنْ لَا يَقْبِيعُ الْحَقُّ يَظْلِمُ
يَذْكُرُنِي حَامِيمَ [البيت]

قال شريح هذه الأبيات يوم الجمل حين أمر أبو طلحة محمد بن طلحة أن يبرز للقتال
فكان من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان كلما حمل عليه رجل قال نشدتك
نحامي - لما فيها من آية « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » حتى حمل

وَكَلَّمَا جَاهِرَ الْقَدُوَّ ضَعَى أَمَكْنَ حَتَّى كَأَنَّهُ حَتَلَهُ^(١)
يَحْتَقِرُ الْبَيْضَ وَاللَّدَانَ إِذَا سَنَّ عَلَيَوِ الدَّلَاصَ أَوْ نَشَلَهُ^(٢)
قَدْ هَذَبَتْ فَهْمَهُ الْفَقَاهَةَ لِي وَهَذَبَتْ شِعْرِي الْفَصَاحَةَ لَهُ^(٣)

(١) الحنل : الأخذ خدعة ؛ أى على بقتة . يقول : كلما حارب أعداءه جهاراً تمكن منهم وظفر بهم حتى كأنه خادعهم وأناهم بقتة ؛ وضمير « أمكن » للعدو ؛ أى أمكنه من نفسه .

(٢) البيض - بكسر الباء - السيف ، وزوى بفتح الباء : جمع بيضة ، وهى الخوذة التى تجمل على الرأس . واللدان : الرماح اللينة ، جمع لدن . وسن عليه درعه : إذا صب الدرع على نفسه بأن لبسها . والدلاص : الدرع اللينة للمساء . وتثل الدرع : ألقاها عنه : قال ابن جني : وذكر الدرع بقوله ثله ضرورة أو يكون ذهب إلى البدن يقول : إنه يحتقر السيف والرماح - دارعا كان أو حاسراً - وسن بالسيف للمهمل - يروى بالشين المعجمة ، وكلتاها بمعنى صب ، يقال سن عليه الماء : أى صبه ، وسن عليه الدرع يسنها سناً : كذلك إذا صبا عليها ، قال الجوهري : سفت الماء على وجهي : أى أرسلته إرسالاً من غير تفريق ، فإذا فرقته بالصب قلت « بالشين » ويقال شن عليهم الفارة : إذا فرقها .

(٣) الفقاهة : الفهم والمقنعة والعلم : بقه الرجل يلقبه فقاهة . يقول : إن فقاهة للمدح هذبت فهمه لى ، فهو يفهم شعري ويعرف جيده ، وفصاحي هذبت شعري له ، فانا آتية به فصيحاً لا غاب فيه .

عليه المبسبى هذا ، فقتله ، ثم قال هذه الأبيات : يقول ورب أشعث من أثر العبادة كثير القيام والعمل بآيات ربه ، أو القيام في الليل بتلاوتها قليل الأذى . وروى الكرى أى النوم ، وروى القذى وهو ما يتساقط في العين فيغمضها ، كنى بقلته عن قلة النوم فيها ترى العين : أى في رأى العين ، شككت : أى خرقت له بالرمح جيب : أى طوق قميصه كناية عن طعنه به في صدره ومن خلفه حتى نفذ من صدره فسقط مطروحاً على يديه ووجهه وعبر بالقم مبالغة في التشكيل ، ولأنه أول ما يلقى الأرض من الوجه ، وكذلك بلا سبب ، غير أنه ليس تابعاً لملى بن أبي طالب ، وهكذا حال كل من لم يتبع الحق يذكرني حاميه ، والحال أن رعى قد اختلط بأضلاعه ؛ وقد كان من حقه أن يذكرنيها قبل ذلك .

فَصِرْتُ كَالسَّيْفِ حَامِداً يَدَهُ لَا يَحْمَدُ السَّيْفُ كُلُّ مَنْ حَمَلَهُ^(١)

واستأذن كافوراً في المسير إلى الرملة ليخلص مالا كتب له به ، وإنما أراد أن يعرف ما عند كافور في مسيره ؛ فقال : لا والله لا نكلفك المسير ، نحن نبعث في خلاصه ونكفيك ، فقال أبو الطيب :

أَتَحْفِى لَا تُكَلِّفَنِ مَسِيرًا إِلَى بَلَدٍ أُحَاوِلُ فِيهِ مَالًا
وَأَنْتَ مُكَلِّفِي أَنْبَى مَكَانًا ، وَأَبْعَدَ شُقَّةً وَأَشَدَّ حَالًا^(٢)
إِذَا سِرْنَا عَلَى الْفُسْطَاطِ يَوْمًا فَلَقَّنِي الْفَوَارِسَ وَالرَّجَالَ^(٣)

(١) يقول : أنا أحمد حمد السيف إياه ، والسيف لا يحمد كل حامل له . وكذلك أنا : لا أحمد كل يد .

(٢) وأنت مكلفي : حال : وأنبي : تفضل - من قولهم نبا به المكان : إذا لم يوافق ، ونا السيف : كل عن الضريبة ؛ والشقة : السافة . يقول : تمنعني من المسير خوفا على أن ينبو بي المكان الذي أنا قاصده وتتعبني مشقة السفر وأنت تسكلفني من الإقامة عندك بما هو أنبي بي وأطول تعباً وأشدَّ حالا من السفر البعيد .

(٣) الفسطاط ، مدينة مصر قديماً . وأراد بلقي اجعلهم يلقونني : أي اجتمع خلفي ليردوني إليك . يريد إذا سرت عنك لم تقدر على ردِّي إليك . هذا : والرجال . الرحالة قال تعالى « فرجالاً أو ركبانا » يقال رجل الرجل رجلاً فهو راجل ورجل ورجل ورجيل ورجل ورجل ورجلان : إذا لم يكن له ظهر في سفر يركبه وشاهد رجلاً :

على إذا لاقيت ليلي بخلاوة أن ازدادَ بيت الله رجلاً حافياً
والجمع رجال ورجالة ورجال ورجالي ورجالي ورجلاني ورجلاني ورجلة ورجلة ورجلة ورجلة وأرجلة وأرجل وأرجل ؛ قال أبو ذؤيب :

أهمَّ بنيه صيفهم وشتاؤهم وقالوا تعدَّ واغزُ وشط الأرجل^(١)
قال ابن بري : الأرجل هنا جمع أرجال ، وأرجال جمع راجل - مثل صاحب

(١) يقول : أهمهم نفقة صيفهم وشتائهم ، وقالوا لأبيهم تعد أي انصرف عنا وحارب وسط الرحالة . وقال الجوهرى : أرجل هنا جمع رجل ، خلاف المرأة .

لِتَعْلَمَ قَدَرَ مَنْ فَأَرَقْتَ مِنِّي وَأَنْتَ رُمْتَ مِنْ ضَيْبِي مُحَالًا^(١)
وقال يمدح أباشجاع فاتسكا^(*) وكان قد قدم من الفيوم إلى مصر فوصل أبا الطيب
وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار :

وأصحاب وأصحاب - إلا أنه حذف الياء من الأراجيل ، لضرورة الشعر قال أبو
المنذر المذلي :

يا صغُرُ واردَ ماءٍ قد تَسَابَعَهُ سَوْمُ الأَرَاجِيلِ حَتَّى مَآوِهِ طَحِلَ^(١)
والرجلان بمعنى إرجل ، جمعه رجل ورجال - مثل عجلان وعجلى وعجال -
ويقال رجل ورجالى : مثل عجل وعجالى ؛ وامرأة رجلى : مثل عجلى ؛ ونسوة رجال
مثل عجال ، ورجالى مثل عجالى . أما الرجل خلاف المرأة فجمعه رجال ؛ ورجالات .
جمع الجمع . قال الجوهري في جمع الرجل : أراجل ، واستشهد بيوت أبي ذؤيب المتقدم
ويقال للمرأة « رجلة » قال الشاعر :

كلُّ جَارِ ظِلٍ مُقْتَبِطًا غَيْرَ جِيرَانِ بَنَى جَبَلَهُ

خَسِرُوا جَيْبَ فِتَانِهِمْ لَمْ يَبَالُوا حَرَمَةَ الرَّجُلَةِ^(٢)

(١) منى : تجريد . يريد أنه بطل شجاع لا يقبل الضيم - الظلم - وإن فوارسه
ورجالاته لا يقدر على رده إليه .

* قال ابن خلكان : هو « فاتك » الكبير المعروف بالهجنون ، كان روميا أخذ
صغيراً من بلاد الروم بقرب موضع يعرف بذي الكلاع ، وهو ممن أخذه الأخشيذ من
سيده بالرملة كرهاً بلا من وأعتقه ، فكان حراً عنده في عدة المالك ، وكان كريم
النفس ، بعيد الهمة ، شجاعاً كثير الإقدام ، ولذلك قيل له « الهجنون » ، وكان رفيق
الأستاذ كافور في خدمة الأخشيذ ، فلما مات مخدميهما وقرر كافور في خدمة ابن
الأخشيذ أنف « فاتك » من الإقامة بمصر كيلا يكون كافور أعلى رتبة منه ويحتاج
أن يركب في خدمته ، وكانت الفيوم وأعمالها إقطاعاً له فانتقل إليها - وهي بلاد وبيد
كثيرة الوخم - فاعتل بها جسمه وأحوجته العلة إلى دخول مصر للمعالجة ، فدخلها وبه
الفتنى ، وكان أبو الطيب يسمع بكرم « فاتك » وشجاعته ، إلا أنه لا يقدر على قصد

(١) سوم الأراجيل : أى حر الأرجالة ؛ وماء طحل : كدر .

(٢) عنى بحيب فتانهم : هنها .

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تَسْعِدِ الْحَالُ^(١)

خدمته خوفاً من كافور ، و « فانتك » يسأل عنه ويراسله بالسلام ثم التقيا في الصحراء مصادفة وجرى بينهما مفاوضات فلما رجع « فانتك » إلى داره حمل إلى أبي الطيب هدية قيمتها ألف دينار ، ثم أتبعها بهدايا بعدها ، فاستأذن « اللثني » الأستاذ كافور في مدحه فأذن له ، فمدحه في التاسع من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة بهذه القصيدة . انتهى ولعل في هذه القصة ما يفسر به قول اللثني :

فَأَمْسَكَ لَا يَطَّالُ لَهُ فِيرَعَى [البيت]

كأنه يقول لا يباح له أن يقصد خدمة غير كافور بمصر ، ولا كافور يرضيه ، ولا يطلق سراحه فيرحل عن مصر .

(١) الإسعاد : الإغاة : يقول - مخاطباً نفسه - : ليس عندك من الخيل والمال ما تهديه إلى المدوح جزاء له على إحسانه إليك فليسمعك النطق : أى فامدحه ، وجازه بالثناء عليه إن لم تمنك الحال : أى على مجازاته بالمال ؛ وفي مثل هذا اللفظ يقول يزيد اللهلي :

إِنْ يُعْجِزِ الدَّهْرُ كُنْتُ عَنْ جَزَائِكُمْ فَإِنِّي بِالْهَوَى وَالشُّكْرِ مَجْتَهِدٌ

قال المكي : « وهذا من الابتداء الذي يكرهه السامع بأن يقول للمدوح : لا خيل عندك تهديها ولا مال . وهو أول ما يقول له وقال في إعراب « لا خيل » نصب الخيل بلا لأنها تنصب النكرات بغير تنوين ، وقال سيويو والخليل : يجوز أن ترفع النكرات بالتنوين » وأنشد العجاج :

تَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَحْشَ الطُّبُخُ بَنِي الْجَحِيمِ حِينَ لَا مُسْتَمَرِّخٌ^(١)

وما ارتفع بعدها عند بعض النحاة على الابتداء ، وفي قراءة من قرأ : « فلا رفت ولا فسوق ولا جدال في الحج » برفع الثلاثة أنه على الابتداء ، والخبر في « الحج » وقرأ بعضهم برفع « الرفت . والفسوق ، ونصب ، الجدال » ، وهو كقول أمية بن أبي الصلت .

فَلَا لَعُو وَلَا تَأْنِيَمَ فِيهَا وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمْ مُقِيمٌ^(٢)

(١) يريد بالطبخ : لللائكة اللوكلين بالعباد ، وحش النار بالحطب : أوقدها ، ومنه حش الحرب يحشها حشاً : إذا أسعرها وهيجهها تشبها بإسعار النار .

(٢) قالوا في قوله تعالى « لا لعو فيها ولا تأنيم » أن تأنيم يجوز أن يكون مصدراً

وَأَجْزِ الْأُمِّ—بِرَ الَّذِي نَعَمَاهُ فَاجِئَةً
بِمَعِيرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ^(١)

يُؤْخَرُونَ بِنَصَبِ الْأَوَّلِينَ وَرَفَعَ الثَّالِثَ وَهُوَ كَيْتُ أَبِي الطَّيِّبِ وَمِثْلُهُ :
هَذَا لَعْمَرُ كُلِّ الصَّفَارِ بَعِينِهِ لَا أُمَّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ^(١)
وهذا محمول على الموضع ، لأن موضع الأول رفع بالابتداء ، ويكون «لا» بمعنى «ما»
فَكَأَنَّكَ قُلْتَ : مَا رَجُلٌ وَلَا غِلَامٌ فِي الدَّارِ .
(١) يقول : وأجزه بالمدح والثناء عليه والشكر له فإن إنعامه يأتي فجأة من غير
تقدم سؤال وانتظار ، وغره من الناس اقتصر على القول دون الفعل ، قال المهلب :
وَكَمْ لَكَ نَائِلًا لَمْ أَحْتَسِبْهُ كَمَا يُلْقَى مَفَاجَأَةً حَبِيبُ

والنعمى والنعماء والنعمة : المال واليد والصنعة ، وما أنعم الله به عليك والخفض
والدعة : ضد البأساء والبؤس ، والنعمى إذا كانت على فعل : قصرت وإذا كانت على
فعله : مدت .

قال ابن سيدة : ولم أسمع به ، قال : ويجوز أن يكون اسماً كما ذهب سيويه في
التثنية والتثمين .

(١) هو لرجل من مذحج يقال له هني بن أحمد الكنانى ، وكان هني هذا ممن
يرأى أمه ويخدمها ، وكانت مع ذلك تؤثر أخا له عليه يقال له جندب فقال :

هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ أَنْ إِذَا اسْتَفْنَيْتُمْ وَأَمِنْتُمْ فَأَنَا الْبَعِيدُ الْأَجْنَبُ
وَإِذَا السَّكَائِبُ بِالشَّدَائِدِ مَرَّةً حَجَرْتُكُمْ فَأَنَا الْحَبِيبُ الْأَقْرَبُ
وَلِجُنْدَبٍ سَهْلُ الْبِلَادِ وَعَذْبُهَا وَلِيَ الْمَلَاخُ وَحَزَنُهَا الْمُجْدِبُ
وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً أَدْعَى لَهَا وَإِذَا يَحْسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ
عَجَبًا لِتِلْكَ قَضِيَّةٍ وَإِقَامَتِي فَيْكُمُ عَلَى تِلْكَ الْقَضِيَّةِ أَعْجَبُ
هَذَا لَعْمَرُ كُلِّ الصَّفَارِ [البيت]

الحيس هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن ، و«هجبا» بـوى عجب .

قَرَّبَمَا جَزَى الْإِحْسَانَ مُؤْلِيَهُ خَرِيدَةً مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مِكَسَالٌ^(١)
وَأِنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِي
ظُهُورَ جَزَى قَلِي فِيهِنَّ تَضْهِالٌ^(٢)

(١) الخريدة الجارية الحية . والمكسال ، من النساء : الفاترة القليلة التصرف ؛
وخريدة : فاعل جزى ؛ والإحسان : مفعول ثانٍ مقدم ؛ ومؤليه - أى معطيه - مفعول
أول . يقول : ربما حازت بالإحسان من بولي - يعطى - الإحسان امرأة عاجزة عن
كل شيء ؛ يعنى إن لم تمكن المكافأة فعلا فهى ممكنة قولاً كالمكافأة من هذه المكسال ،
يحث نفسه على الجزاء وترك التقصير فيما يمكن ، ثم ضرب لهذا مثلاً فيما يلى : هذا :
والجزاء المكافأة على الشيء جزاء به ، وعليه جزاء ، وجزاء مجازاة - قال الجوهري
جزيته بما صنع جزاء وجزايتيه : بمعنى ، ويقال جزايتيه لجزايتيه : أى غلبته وقوله تعالى
« لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » : يعنى يوم القيامة لا تقضى فيه نفس عن نفس شيئاً .
يقال جزيت فلاناً حقه : أى قضيته . وفى الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لا بى
بردة بن نيار حين ضحى بالجدعة « تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك » أى تقضى
قال الأصمى : هذا مأخوذ من قولك قد جزى عنى هذا الأمر ولا همز فيه ، قال ومعناه
لا تقضى عن أحد بعدك ويقال جزت عنك شاة : أى قضت ، وبنو تميم يقولون أجزأت
عنك شاة - بالهمز - أى قضت ، وقيل فى قوله تعالى « لا تجزى نفس عن نفس
شيئاً » : لا تقضى .

(٢) الشكل - بالضم - جمع شكل ، وهو الحبل تشد به قوائم الدابة ؛ وبالفتح :
مصدر شكل الدابة إذا شدها بالشكال ، والظهور جمع ظهر ، والتضاهى بمعنى الصمىل
أخرجه مخرج تسيار ونحوه : ضرب لنفسه للثل فى عجزه عن المكافأة بالفعل والاجترأ
عنه بالقول ، بفرس أحكم شكاه فمجز عن الجرى لكنه يسهل . يقول : إن لم يكن
عندى الفعل فعندى مكافأة بالقول يعنى إن لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافور
فإنى أمدحك إلى أوان ذلك كما أن الجواد إذا شكل عن الحركة سهل شوقاً إليها ، وقال
المروى : إن كانت حالى ضيقة عن مكافأتك فعلا جازيتك قولاً وجعل التضاهى مثلاً لثنائه
على المدوح : وكان « فانتك » هذا يسر خلافاً للأسود - كافور - وينطوى على بغضه
ومعاداته ، وكان أبو الطيب يحبه ويميل إليه ، ولكن لا يمكنه إظهار ذلك خوفاً
من كافور

وَمَا شَكَرْتُ لَأَنَّ الْمَالَ فَرَحَنِي سَيِّئَانِ عِنْدِي إِكْثَارٌ وَإِقْلَالٌ^(١)
 لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحًا أَنْ يُجَادَ لَنَا، وَأَنْتَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بُخَالٌ^(٢)
 فَكُنْتُ مَنِيْبَتَ رَوْضِ الْحَزَنِ بَاكِرَةً
 غَيْثٌ بِغَيْرِ سَبَاحِ الْأَرْضِ هَطَالٌ^(٣)
 غَيْثٌ يَبْسُيْنُ لِلنُّظَارِ مَوْفِعُهُ أَنْ الْغُيُوثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَالٌ^(٤)
 لَا يَذْرُكُ الْمَحْدُ إِلَّا سَيِّدُ فِطْنٍ لِمَا يَشْقُ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالٌ^(٥)
 لَا وَارِثُ جِهَاتٍ يُمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ وَلَا كُسُوبٌ بِغَيْرِ السَّيْفِ سَثَالٌ^(٦)

(١) سيان : مثنى « سى » بمعنى مثل ، والإكثار : الغنى ، والإقلال : الفقر : يقول
 ليس شكريك عن فرح بما أهديته إلى ، لأن الغنى والفقر عندي سواء لقلة مبالاة بالدنيا
 قال ابن جني : ما رأيت أبا الطيب أشكر لأحد منه لغاتك . وكان يقول حمل إلى ما قيمته
 ألف دينار في وقت واحد .

(٢) بخال : جمع باخل . يقول : إنما أشكر لأنى رأيت من القبيح أن يجادل بالبر
 والنعمة وأنا بخيل بقضاء الحق ساكت عن الشكر والحمد : وقوله : « وأنتا » يجوز فيه
 فتح الهمزة على العطف ، وكسرها على الحال .

(٣) الحزن : خلاف السهل . والسباح : جمع سبعة ، وهى الأرض لا تنبت لأنها
 ذات نز وملح ، وهطال : ساكب . يقول : لما وصل إلى بره ونعمته كنت كمنبت روض
 الحزن جاده بالبكرة غيث هطال فأفاده ، نضرة وذكاء . يعنى أن مطر بره لم يصادف
 منى سبعة لا تنبت ، وخص روض الحزن لأنها أنضر لبعدها عن الغبار والثر والضعف
 والمعنى أن بره صادف منى من يعرف حقه ويذيع شكره .

(٤) يقول : إن وقع إحسانه منى يبين للناظرين أن غيره من الحسينين يخطئون
 مواقع الإحسان لأنهم لا يقلدونه من يستأله ويقوم بشكره . ولك أن تبقى الغيوث على
 معناها الحقيقي : يعنى أن المدح أحكم من الغيوث لأنه يضع إحسانه فى موضعه أما هى
 فإنها تمطر التربة الصالحة والرديئة .

(٥) لما يشق : أى لما يصعب ، متعلق بقعال والسادات : جمع سادة ، جمع سيد .
 (٦) وارث : صفة أخرى لسيد ، وسثال : طلاب ؛ وبغير السيف : صلة . سثال ،
 يقول : لا يدرك الهد إلا سيد لم يرث أباه مالا - والمدح لم يرث أباه لأنه كان جواداً فلم

قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَأَفْهَمَهُ (١)
تَذَرِي الْقَنَاءُ إِذَا أَهْتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ
كَفَاتِكَ وَدُخُولُ الْكَافِ مَنْقَصَةٌ كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ (٢)

خلف مالا - ويمينه تجهل ماوهب لكثرتي ، وليس هو كدوبا ولا مثالا بغير السيف
أى لا يطلب حاجته إلا بالسيف لما فيه من المشقة والمخاطرة بالروح

(١) الضمير في « له » للسيد ؛ والجملة : نعت آخر له : أى قال الزمان له - بلسان
حاله - إن المال لا يبقى على مالكه ، ففهم هذه المقالة عنه وفرق ماله في سبيل المجد .
وعبارة الواحدى : وقوله إن الزمان الخ : كلام مستأنف ؛ وعذال : مبالغة ، من العذل
وهو اللوم . يقول : إن الزمان يلوم على البخل لأن البخل يفوت على نفسه كسب
المحمدة والذكر باستبقاء ماله يساق . وقال ابن جني : أكرم الناس من تعب في جمع
الأموال بالسيف ثم يهبها بعد ؛ وقال التبريزي : من رأى المسكين وموتهم عن الأموال
وتخليتها للأعداء فقد أراه الزمان فيهم العبر فكانه حذره عن الإمساك ، والزمان لم يقل
قولا حقيقة ، وإنما رأى تصاريفه فاتعظ فكان كمن قال له .

(٢) القنأة : الرمح والبيت في صفة السيد أيضا . يقول : يعلم الرمح في يده أنه سيشتق
به خيل وأبطال إذ قد عوده ذلك .

(٣) فأنك : هو اسم الممدوح ، وأراد بالكاف : كاف التشبيه الداخلة على « فأنك »
والمنقصة : النقص . يقول : لا يدرك المجد إلا سيد صفاته هذه التي ذكرت ، ثم استدرك
فقال : دخول الكاف عليه تنقص من قدره في الظاهر ، لأنه يوم أن له شبيهها ، وإنما
هو كالشمس إذا شبت بها أحدا ، والشمس لا شبيه لها وهذه الكاف هي التي يقال لها
كاف الاستقصاء ، ذكرها أهل العربية ، ومثلوا لها بقولهم : من الحروف ما لا يقبل
الحركة كالألف . وقال ابن جني : إذا قيل كفأنك ودخول الكاف منقصة جعل له
شبيه ، فاتقص بذلك ، وإنما قولى كالشمس - وإن كانت لا شبيه لها والكاف زائدة -
كقول رؤبة :

* لَوَاحِقُ الْأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَلَقِ (١) *

(١) من أرجوزة لرؤبة أولها

* وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْخَتَرِ *

راجعها في أراجيز العرب للبكري ، وفي خزانة الأدب للبغدادى ؛ ولواحق
الأقرب ؛ خماس البطون قد لحقت بطونها بظهورها ، والملقى : الطول ؛

الْقَائِدِ الْأَسَدَ غَذَّتْهَا بَرَائِنُهُ بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاهُ وَفَى أَشْبَالُ^(١)
الْقَاتِلِ السَّيْفِ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ وَالسَّيُوفِ كَالنَّاسِ آجَالُ^(٢)
تَغْيِيرُ عَنْهُ عَلَى الْفَارَاتِ هَيْبَتُهُ وَمَالُهُ بِأَقَاصِي الْأَرْضِ أَهْمَالُ^(٣)

أى فيها مقى ، وهو الطول ، ولا يقال فيها كالطول إلا على زيادة الكاف وقد أنكر الواحدى كلام ابن جنى هذا وقال : لم يعرف ابن جنى وجه دخول الكاف في كفاتك ، فقال الكاف ههنا زائدة ، وإعما معناه وتقديره : فأتك أى هذا المدوح فأتك ، مع أن جميع البيت مبنى على هذه الكاف ، فكيف يقاء إنها زائدة ؟ وعبرة الإمام التبريزى : لا يدرك المجد إلا رجل صفاته هذه التى ذكرت ، ثم شبه بفاتك ثم استدرك ذلك بقوله : ودخول الكاف منقصة : أى كاف التشبيه الداخلة على « فأتك » : أى أن دخول الكاف عليه ينقص من قدره ، لأنه يوم أن له شبيها ، وليس له شبيه ، فهو كالشمس ، يشبه بها الشيء المستحسن على الظاهر ، وليس لها مثل .

(١) البرائن من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان ؛ وبمثلها صلة غذته . والأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد . يقول : الذى يقود إلى الحرب رجلا ثم أسود تغدوم برائنه - يعنى سيوفه وسلاحه فهن له كالبرائن . - رجال مثلهم من الأعداء أى أنه بغضهم الأبطال وجعلهم كالأشبال له لأنه يقوم بتغديتهم ، قال الشراح : بشير إلى غلمانهم الذين رباهم وضراهم بأسلاب أعدائهم منذ كانوا أشبالا إلى أن صاروا أسدا . (٢) به صلة القاتل ؛ والسيوف خبر مقدم عن آجال . وقوله كما للناس : فما مصدرية وللناس : خبر عن محذوف ، والتقدير : للسيوف آجال كما للناس آجال . يقول : لجودة ضربه يقتل المقتول ويقتل ما يقتله به وهو السيف . يريد أنه يكسره في جسمه . فجعل ذلك قولا للسيف ، ثم قال : وإن للسيوف آجالا كما أن للناس آجالا .

(٣) وماله : يريد نعمه ؛ والأهمال : جمع همل ، وهى الإبل بلا راع . قال الجوهري الحمل - بالتحريك - الإبل بلا راع : مثل النفس ؛ إلا أن الحمل يكون ليلا ونهاراً ، والنفس لا يكون إلا ليلا ، يقال إبل همل وهاملة وهمال وهوامل ، وتركها هملا أى سدى إذا أرسلتها ترعى ليلا بلا راع . وفى المثل : اختلط المرعى بالحمل . والمرعى الذى له راع يقول : إن هيبته تمنع الإغارة ، على ماله فكأنها تغير على الفارة وماله مهمل لا راعى له بأقاصى الأرض لا يغار عليه لهيبته . ويجوز أن يكون المعنى : أن القوم يغيرون على الأموال فيحملونها إليه هبة له ، فكان هيبته تغير على غارة غيره ، ثم قال : وماله بأقاصى الأرض أهمال لا يغار عليها . وحمة المعنى أنه - لجلالة قدره ونباهة شأنه وعظمه فى النفوس - تنهيه الفرسان فى غاراتها فلا تقدم على مقاتلة أهماله .

لَهُ مِنَ الْوَحْشِ مَا اخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ

عَازِرٌ وَهَنِيْقٌ وَخَنَسَاءٌ وَذَيَالٌ^(١)

تُمْنِي الضَّيُوفَ مُشَاهَةً بِمَقْوَرِهِ كَانَ أَوْقَاتَهَا فِي الطَّيْبِ آصَالٌ^(٢)

لَوْ أَشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا خَرَادِلٌ مِنْهُ فِي الشَّيْزَى وَأَوْصَالٌ^(٣)

(١) العير : حمار الوحش ، وهو بدل تفصيل من « ما » ؛ والهيق : الظليم - ذكر النعام - والخنساء : البقرة الوحشية ، سميت بذلك لخنس أنفها - والخنس قريب : من الفطس ، وهو قصر الأنف ولزوقه بالوجه . والذبال : الثور الوحشى لأنه يجر ذبه كالذيل . يقول : يقدر على صيد ما يختاره من الوحش لحذقه واقتداره ، وجعل الاختيار للأُسنة مجازاً ، لأنه يطلب الصيد بها ، فكأنها هى التى تختار . وعبارة العكبرى : يعنى أنه كان ملازم الحروب فى الفلوات ، وكان يتقوت بلحوم الوحش ، وكان عارفا بصيدها ، فما اختاره منها لا يفوت رغبته ولا يسبق أسننه .

(٢) مشاهة : أى تعطى ما تشتهيه ، وإنما يقال فى هذا المعنى أشباه - بالالف - تقول تشتهت المرأة على زوجها فأشهاها : أى أنالها شهواتها ، ولكن التنبي استعمل « فعل » فى موضع « أفعل » والعقوة : الساحة . والآصال : جمع أصل : جمع أصيل ، آخر النهار ، وهو مستطاب لدى العرب لغروب الشمس وانقطاع الحر وهبوب النسيم . يقول : إن أضيافه يعطون ما يشتهون إذا نزلوا بداره فتطيب أوقاتهم عنده كأنها آصال ؛ وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

أَيَّامُنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ وَاللَّيَالَى كُلُّهَا أَسْحَارُ

(٣) القارى : المضيف ، وقاريها : يعنى الممدوح ، والخرادل القطع - كأنها مقصورة فمن قولهم : لحم خراديل : أى مقطع - وهو من الجمع الذى لا واحد لها والقدال فيه : لفة . وقال كعب بن زهير :

يَفْدُو قَيْلَحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا لَحْمٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلٌ^(١)

(١) من قصيدة « بانت سعاد » التى مدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أسدا . يقول : يذهب هذا الأسد أول النهار يتطلب صيدا لولديه فيطعمهما لحما . والعيش هنا : القوت ؛ ولحم معفور : أى ملقى فى العفر - بفتحيتين - وهو التراب ؛ وخراديل : مقطع .

لَا يَعْرِفُ الرُّزْءَ فِي مَالِهِ وَلَا وَلَدٍ إِلَّا إِذَا حَفَرَ الْأُضْيَافَ تَرَحَّالٌ^(١)
يُرْوَى صَدَى الْأَرْضِ مِنْ فَضْلَاتٍ مَا شَرِبُوا
تَحْضُ اللَّقَاحَ وَصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالٌ^(٢)
تَقْرَى صَوَارِمُهُ السَّاعَاتِ غَبِطَ دَمٍ
كَأَنَّمَا السَّاعُ نَزَالٌ وَقُفَّالٌ^(٣)

والأوصال : جمع وصل ، وهو العضو ؛ والشيزى : خشب أسود تعمل منه الجفان -
القصاع - يقول : لو اشتئت أضيافه لحمه لما بخل به عليهم ولأتام وشيكا ، قطع من لحمه
حرصاً منه على مسرتهم . قال العكبرى : وهذا من الإفراط الذى يحجر فيه بما لا يكون
إشارة إلى اسنيفاء الغاية فيما يمكن .

(١) الرزء : المصيبة وحفره واحتفره : دفعه من خلفه يحفره حفراً ، قال الراجز :
تَرِيحَ بَعْدَ النَّفْسِ الْمَحْفُوزِ إِرَاحَةً الْجَدَايَةِ النَّفُوزِ^(١)
يقول : إن المصيبة عنده فى المال والولد هى ارتحال الأضياف من داره أى أنه يناله
من ذلك ما ينال من يرزأ فى ماله وولده .

(٢) الصدى : العطش . وكان الوجه أن يقول فضلات - بفتح الصاد - ولكنه
سكنها للضرورة . والمحض من اللبن : الخالص الذى لم يشب بماء ؛ واللحاق : جمع
لقحة ؛ وهى الناقة الحلوب ؛ ومحض اللقاح : فاعل يروى . وأراد صافى اللون : الحمر
والسلسال : الذى يسهل جريه فى الحلق . يقول : إنه يكثر لهم من اللبن والحمر فيفضل
عنهم ما يروى الأرض من سؤر أقداحهم الذى يراق ، وقال ابن جنى : إذا انصرف
أضيافه أراق بقايا ما شربوه ولم يدخره لغيرهم . لأنه يلتقى كل وارد بقرى جديد من
اللبن والحمر . وعبارة ابن الأقلبي : يروى عطش الأرض بفضلات ما يسقيه أضيافه من
اللبن والحمر وما يتابع لهم من الأظاف والبر ، فيفضل عنهم من ذلك ما يقوم للأرض
مقام السقى . وما يحل لها محل المطر ، وهذا التفسير وما ذهبنا إليه قريب من قريب ،
وهو أوجه مما ذهب إليه ابن جنى .

(٣) تقرى : تضيف ؛ وصوارمه : سيوفه ؛ والغبط والعبيط : الطرى من الدم ،
والساع : جمع ساعة . ونزال وقفال : الاضياف - منهم من ينزل ، ومنهم من يرحل .

(١) يريد بالنفس المحفوظ : النفس الشديد المتتابع كأنه يحفز : أى يدفع والجداية :
الظبية ؛ ونفز الظبي : جمع قوائمه ثم وثب .

تَجْرِي النُّفُوسُ حَوَالِيَهُ مُحَلِّطَةً مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ^(١)
لَا يَحْرِمُ الْبُعْدُ أَهْلَ الْبُعْدِ نَائِلَهُ وَغَيْرُ عَاجِزَةٍ عَنْهُ الْأَطْفَالُ^(٢)
أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ خُبَّةٌ وَالْبَيْضُ هَادِيَةٌ وَالشَّمْرُ ضَلَالٌ^(٣)

قال الواحدى : كل ساعة تأتى عليه يحدد فيها ذبحها ، كأن الساعات تزال ينزلون عليه ؛
وقال : رجوعا من سفر : يعنى أنه لا يطعم أضيافه اللحم القرب ، بل يحدد لهم الدجج
والنحر كل ساعة فيجربى دما عبيطا ؛ وقال ابن جنى : يقول هو كل ساعة يريق دما
طريا من أعدائه ، فكأنه يقرى الساعات ، وكأنها قوم ينزلون عليه . فجعل ابن جنى
الدم العبيط من الأعداء .

(١) أراد بالنفوس : الدماء قال السموهلى بن عادياء .

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلُ^(١)
وأغنام : جمع غنم ؛ وآبال : جمع إبل . يقول : تجرى الدماء حوله مختلطة دماء
الأعداء بدماء الدبابح للأضياف ، كما قال البحرى :

مَا انْفَكَّ مُنْتَضِعًا سَتْفَى وَغَى وَقَرَى عَلَى الْكُوَاهِلِ تَدْمَى وَالْعَرَاقِبِ
(٢) نائله : عطاء . والأطفال : تصغير أطفال يصف عموم بره ، وأن القريب
والبعيد فيه سواء ، حتى الأطفال التى لا تقدر على النهوض إليه والتعرض لمعرفه ،
فبره يصل إلى كل أحد .

(٣) الأقران جمع قرن ، وهم الأكفاء فى الحرب . والبيض : السيوف . والظبة :
حد السيف . وهادية - من هدى اللازم - أى مهتدية . والسمر : الرماح . يقول :
إذا التقى الجيشان جيشه وجيش عدوه ، وتدانى الفريقان فأصبحت السيوف هادية -
لأنها تمضى قدما على استواء - والرماح ضالة لأنها تذهب يمينا وشمالا فى الطعن ، وهو
الطعن الشزر . فهو أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ سَيْفًا فى أقرانه . وقال العسكبرى : أراد أن القوم
إذا دنا بعضهم من بعض تجادلوا بالسيوف ، فكأن الرماح ضالة فى الرجال ، فقصرمت
الرماح وضلت عن مقاصدها ، وضاق المجال عن التطاعن بها ، وصار الامر إلى المجادلة

(١) من آياته التى يقول فى مطلعها :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَذْنُسْ مِنَ اللَّوْمِ عَرْضُهُ فَكُلُّ رِءَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ
والظبة : جمع ظبة ؛ حد السيف والسنان والنصل والخنجر ، وما أحبه ذلك .

يُرِيكَ نَجَبَهُ أَضْمَافَ مَنْظَرِهِ بَيْنَ الرَّجَالِ وَفِيهَا الْمَاءُ وَالْآلُ^(١)
وَقَدْ يُلْقِيهِ الْمَجْنُونُ حَاسِدَهُ إِذَا اخْتَلَطَنَ وَبَغَضَ الْعَقْلُ عُقَالَ^(٢)
يَرِي بِهَا الْجَيْشَ لَا بُدَّ لَهُ لَهَا مِنْ شَقِّهِ وَلَوْ أَنَّ الْجَيْشَ أَجْبَالَ^(٣)

بالسيوف فصارت السيوف هادية مبصرة ، والرماح ضالة مقصرة ، حينئذ يكون أمضى الفريقين .

(١) الآل : السراب . يقول : إذا اخترته رأيته يربى أضمافا على ما أراك منظره . ثم قال : وفي الرجال الماء والآل : يعنى فى الرجال من هو كالماء أى رجل على حق الرجال وفيهم من هو كالآل : أى يشبه الرجال بصورته ، وليس عنده ما عندهم من المعانى ، كالآل ، يشبه الماء وليس بماء .

(٢) اختلطن : أى البيض والسمر . والعقال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها يمنعها من اللنى . يقول : إذا اختلطت السيوف والرماح لدى الحرب لقبه حاسده بالمجنون حسدا له على فرط شجاعته التى تشبه الجنون ، والعقل ليس فى كل وقت محموداً ، لأنه فى مثل هذه الحال يمنع من الإقدام ، فيكون لصاحبه كالعقال قال ابن جنى : ولم يفضل الجنون على العقل بأحسن من هذا ، وقال العكبرى : كان « فانتك » يلقب بالمجنون ، ففسره أبو الطيب تفسيراً أذهب قبحه وحسن عند النكر له أن يتلقب بمثله . وقد نظر فى لفظ البيت إلى قول أبى تمام :

رَأَى بَيْنَ حَيْطَانَا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا أَوْلَيْكَ عُقَالَاتُهُ لَا مَعْلَقَهُ^(١)
وفى معناه إلى قول الكلابى :

أَلَا أَيُّهَا الْمُغْتَابُ عِرْصِي تَعْمِينِي تَسْمِينِي الْمَجْنُونُ فِي الْجِدِّ وَاللَّعْبِ
أَنَا الرَّجُلَ الْمَجْنُونُ وَالرَّجُلُ الَّذِي بِهِ تُتَقَى يَوْمَ الْوَعْدِ غِرَّةُ الْحَرْبِ

(٣) يقول : يرى الجيش الذى يناصبه بالبيض - السيوف - ولا بد له وتلك السيوف من شق ذلك الجيش ، ولو كان فى القوة والثبات كالجبال ، فالضمير فى « بها »

(١) عقالاته : قيوده . وقبل البيت :

إِذَا مَارَقْتُ بِالْقَدْرِ حَاوِلَ غَدْرَةٍ فَذَاكَ حَرِيٌّ أَنْ تُثِمَّ حِلَالُهُ
فَإِنْ بَاشَرَ الْأَمْحَارَ فَالْبَيْضَ وَالْقَنَا قَرَاهُ وَأَحْوَاضَ الْمَنَاسِيَا مِنْهَا

إِذَا الْعِدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمْ حِلْمٌ وَرِثَالٌ^(١)
يُرْوَعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرَفُهُ أَبَدًا
مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَفْتَالٌ^(٢)
أَنَالَهُ الشَّرَفَ الْأَعْلَى تَقَدُّمُهُ فَمَا الَّذِي يَتَوَقَّى مَا أَنَّى نَالُوا^(٣)
إِذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حَلِيقَتُهُ مُهَنْدٌ وَأَصْمُ الْكُفْبِ عَسَالٌ^(٤)

البيض ، قال بعض الشراح : الضمير للخيل ، وقوله : لا بد بالرفع على إعمال « لا » عمل « ليس »

(١) نشبت : علفت ؛ والمخالب ، للسبع والطير : بمنزلة الظفر للانسان ، أثبت له المخالب على إضمار تشبيهه بالأسد والحلم : الأناة والعقل . والريثال : الأسد . قال الواحدى : هذا كأنه عذر للذى يلقيه بالمجنون من أعدائه ، لأنهم يرونه كالأسد فى الشجاعة والأسد لا يوصف بالحلم . كذلك هذا المدوح : يبعد عنه الحلم إذا قاتل الأعداء . يقول : هو أسد على أعدائه إذا أنشبت فيه مخالبه زايله الحلم . لأن الحلم والأسد لا يجتمعان ، وقال ابن القطاع : إذا أنشب مخالبه فى قوم ذهب عنهم التدبير والشجاعة .
(٢) يروعهم : يفرعهم ؛ ومنه : تجريد ؛ وصروف الدهر : حدثاته ؛ والاعتبال الإهلاك على غفلة . يقول : هذا المدوح دهر يقول الأعداء ، إلا أنه يغولهم جهاراً ، أما الدهر فإنه يقتال بصروفه ولا يؤذن بخطوبه ، وجعله كالدهر تعظيماً لشأنه ، ثم بالغ وفضله على الدهر .

(٣) « ما » : خبر مقدم عن « الذى » ؛ ونالوا : الضمير للمدى ؛ والجملة صلة « الذى » يقول : هو بجرأته وإقدامه واقتحامه الحروب والمهلك نال الشرف الأعلى ، فما الذى نال أعداؤه بإحجامهم وتوقيهم ما يأتبه من المخاوف والأهوال ؟

(٤) المهند : السيف الهندى القاطع . وأصم الكعب : الرمح ؛ والأصم : الصلب ؛ والكعب : الناشز بين أنبوي الرمح . والعسال : المهتز المضطرب . يقول : إذا تزينت للوك بالتيجان ونحوها زين هو بالسيف والرمح . يعنى أنه احتاز الرياسة مقابلة بنفسه واستحقها بشجاعته وإقدامه . هذا . و« حليته » تروى بالنصب على أنه خبر كان ، و« مهند » اسمها ، وهو وإن كان نكرة إلا أنه عطف عليه ، فكأنه أراد وصفه ، فقربه من المجرفة ، وتروى « حليته » ، بالرفع ، فتكون مبتدأ . خبرها ما بعدها . والجملة خبر كان ، واسمها ضمير الشأن أو ضمير المدوح .

أَبُو شُجَاعٍ أَبُو الشُّجْعَانِ قَاطِبَةٌ هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنَ التَّهْجَاءِ أَهْوَالٌ (١)
تَمَلَّكَ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لِفَتْخِيرٍ فِي الْحَمْدِ حَالٌ وَلَا مِمْ وَلَا دَالٌ (٢)
عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَايِيلُ مُضَاعَفَةٌ وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ الْمَآذِي سِرْبَالٌ (٣)
وَكَيْفَ اسْتَرُمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ وَقَدْ غَمَرَتْ نَوَالًا أَيُّهَا النَّالُ (٤)
لَطَفْتَ رَأْيِكَ فِي بَرِّى وَتَكَرَّمَتِي إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعُلَيَاءِ يَحْتَالُ (٥)
حَتَّى غَدَوْتَ وَلِلْأَخْبَارِ تَجْوَالُ وَلِلْكَوَاكِبِ فِي كَفْنِكَ آمَالُ (٦)

(١) أبو شجاع . كنية المدوح ، وهو خبر عن هذوف . أى هو أبو شجاع وأبو الشجمان . بدل وقاطبة . جميعا ، والمهول . ما أخف وأفزع وهو خبر آخر ونمته . غذته وربته أو نسب إليها ، يقال . نساء جد كريم ونمته إلى فلان . والتهجاء . الحرب يقول . هو أبو شجاع كنية ، وهو أبو الشجمان كلهم حقيقة لأنهم كلهم دونه ، وهو هول عند الحرب في أعين الأعداء . ونمته أهوال الحرب لأنه نشأ فيها فصارت له كالغذاء ، أو قد صار ينسب إليها ويعرف بها .

(٢) يقول : إن الحمد كله له وليس لغيره جزء منه . يعنى أنه الممدوح في أفعاله وأقواله وليس محمد دونه أحد .

(٣) السربال : الثوب ؛ والمآذى : الدرع اللينة . يقول : يكفيه في الحرب سربال واحد من الدرع ، أما الحمد فعليه منه سراييل كثيرة : يعنى أنه يتوقى الدم بأكثر مما يتوقى الحرب .

(٤) أوليت : أعطيت ؛ والنوال : العطاء ، وهو تمييز . والنال : للرجل الكثير النوال ، وهذا كما يقال : كبش صاف : أى كثير الصوف ، ويوم طنان : أى كثير الطين ويوم راح : كثير الريح ؛ ورجل خاف : كثير الخوف . يقول : أستطيع أن أستر إحسانك وقد غرقنى فيه : أى هو أشهر من أن يستتر .

(٥) يقول : توصلت إلى إكرامى بالبر والإحسان بلطف وتديير ورأى تحصيلاً لثنائى عليك ؛ وكذلك الكريم : يحتال على تحصيل ما يفيد شرفاً وذكراً ، يشير إلى ما وصله به «فانك» وأنه كان وسيلة لاستئذان كافور في مدحه ، لأن أبا الطيب لم يكن يحسر أن يمدحه ابتداء خوفاً من كافور .

(٦) غدوت - هنا - تامة ، والتجوال : مصدر بمعنى الجولان . يقول : لم تزا

وَقَدْ اطَّالَ ثَنَائِي طُولُ لَا يَسِيْدُ اِنْ الشَّاءَ حَتَّى التَّنْبَالِ تَنْبَالٌ^(١)
 اِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ اَنْ تَخْتَالَ فِي بَشْرِ
 فَاِنْ قَدَّرَكَ فِي الْاَقْدَارِ يَخْتَالَ^(٢)
 كَاَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا اِلَّا وَاَنْتَ حَتَّى الْمِفْضَالِ مِفْضَالٌ^(٣)
 وَلَا تُمَدِّدْ صَوَانَا لِمُهْجَتِهَا اِلَّا وَاَنْتَ لَهَا فِي الرُّوْعِ بَذَالٌ^(٤)
 وَلَا التَّمَشُّقَةُ سَادَ النَّاسِ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْاِقْدَامُ قَتَالٌ^(٥)

تختال على العلياء حتى غدت والأخبار تهول في الآفاق بحسن ذكرك والثناء عليك ،
 وصار لكل أحد أمل في كفيك حتى السكواكب تأملك .

(١) التنبال : القصير ، وجمعه تنابل وتنبالة ، لما جعل الثناء لباساً للمدح : عبر
 عن طول معانيه بطول المدح وعن قصرها بقصره . يقول : إنما طال ثنائي لطول
 ما يتضمنه من وصف مناقب المدح . وعبرة الواحدى يقول : مدح العريف يشرف
 الشعر ، ومدح اللئيم يؤدي إلى لؤم الشعر ، يعنى أن شعري قد شرف بشرف هذا
 المدح . وزاد على ذلك العكبري فقال : أى قد طال لسانى بالثناء ، وفتح لى باب
 المدح والإطراء ، جلالة قدر من مدحته ، وكثرة فضائل من وصفته ، وإنما أنا فى
 ذلك ذاكر لما عاينت والثناء إنما يقصر عن القصير الحال ، الراغب عن الكرم والإفضال

(٢) اختال الرجل : أدركه الزهو والعجب فشى الخيلاء . تختال وقوله أن تختال
 أى عن أن تختال تخذف . يقول : إن كنت لكرمك وتواضعك وفضلك ترفع عن
 عن الكبر والعجب بين الناس ، فإن قدرك تختال ويزهى بين أقدار الناس ، لأنك
 أعظم قدراً من كل أحد .

(٣) المفضال : الكثير الفضل . يقول : لما جبلت عليه من الكرم وعلو الهمة
 كانت نفسك كأنها لا ترضاك صاحباً لها حتى تفضل كل مفضل وتربى عليهم .

(٤) المهجة : دم القلب . والروع : الفزع . والبذال : مبالغة من البذل ، ضد
 الصيانة . يقول : وكأن نفسك لا تمدك قائماً بحق صيانتها حتى تبذلها وتهودبها فى
 الروع فتقتحم المهالك ، وتعرض لمواجهة الحروب والتألف .

(٥) يقول : لولا أن فى السيادة مشقة لصار الناس كلهم سادة ، ثم بين المشقة التى
 ، السيادة ، فقال : من جاد افتقر ، ومن أقدم على الحرب قتل ، ولا سيادة دون

وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ مَا كُلُّ مَا شِئَ بِالرَّحْلِ شِمْلَالُ^(١)
 إِنَّا لَنِي زَمَنُ تَرْكُ الْقَيْحِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ^(٢)
 ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُ الْثَانِي وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَفَضُولُ الْقَيْشِ أَشْقَالُ^(٣)

الجود والشجاعة . والبيت مفرع على البيتين السابقين - كما لا يخفى - وهو من قول منصور النمرى :

الجودُ أحسنُ مسأيا بنى مطرٍ مِنْ أَنْ تَبُرَّ كُمُوهُ كَفُّ مُسْتَلَبِ
 مَا أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّ الْجودَ مَكْسَبَةٌ لِلْمَجْدِ لَكِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّسَبِ

(١) الطاقة : اسم - من أطاقه : إذا قدر عليه - والشملال : الناقة القوية الخفيفة المتى السريعة . يعتذر عمن لم يسد من الناس . يقول كل إنسان يجرى في السيادة على على قدر طاقته ، فليس كل أحد أهلا للاضطلام بأعباء السيادة حتى يستطيع أن يسود . ويبلغ مبلغ المدوح ، كما أنه ليس كل ناقة مشت بالرحل شملالا .
 (٢) يقول : من يتجنب معك القبح ولا يعاملك به في هذا الزمان فقد أحسن إليك وفعل جميلا ، اكثرة من يعاملك بالقبيح ، وقد أخذ هذا المعنى أبو فراس فقال .

وصرنا نرى أن التاركَ مُحْسِنٌ وَأَنْ خَلِيلًا لَا يَضُرُّ وَصُولُ
 وقال العكبري : وهذا من قول الحكيم « من لم يقدر على فعل الفضائل فلتسكن فضائله ترك الرذائل » .

(٣) يقول : إذا ذكر الإنسان بعد موته كان ذلك حياة ثانية له ، و احتاج إليه في دنياه قدر القوت ، وما فضل عن القوت فهو شغل له لا حفل به ولا غناء فيه ، كما قال سالم بن وابصة :

غَنَى النَّفْسُ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ الْغَنَى فَقَرَا
 قال ابن جني : مثله ما يحكى عن بعض ولد عمر بن عبد العزيز أنه رأى يستقي ماء فقيل له : بعد الخلافة ؟ فقال إنما فقدنا الفضول ..

تم - بحون الله - الجزء الثالث ؛ ويليه إن شاء الله - الجزء الرابع

٣	أركائب الأحباب إن الأدمع . . . اليرما
١٢	الحزن يفلق والتجمل يردع . . . طيع
٢١	بأبي من وددته فافترقنا . . . اجتماع

قافية الفاء

٢٢	موقع الخيل من نذاك طفيف . . . ألوف
٢٣	أهون بطول الثواء والتلف . . . يا أبا دلف
٢٥	لجنة أم غادة رفع السجف . . . شنف
٣٥	به وبمثله شق الصفوف . . . الختوف
٢٥	ومنتسب عندي إلى من أحبه . . . حفيف
٣٦	أعددت للغادرين أسيافا . . . آنافا

قافية القاف

٢٩	أيدري الدمع أى دم أراقا . . . شاقا
٤٨	لمينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي . . . وما يقي
٦٥	تذكرت ما بين العذيب وبارق . . . السوابق
٧٣	أرق على أرق ومثلى يأرق . . . تترقق
٨١	أى محل أرتقى . . . أتمقى
٨٢	هو البين حتى ما تأتى الخزائق . . . أطارق
٩٠	وجدت اللدامة غلاية . . . أشواقه
١١	وذات غدائر لا عيب فيها . . . للعناق
٩١	سقانى الحمر قولك لى بحقى . . . بمذق

صفحة

مطلع القصيدة .

٩٢

ما الدروج الحضر والحدائق ... العوائق

٩٨

قالوا لنا مات إسحاق فقلت لهم ... الحمق

١٠١

أتراها لكثرة العشاق ... في المآق

١١١

لام أناس أبا العشائر في ... والورق

قافية الكاف

١١٣

رب نجيع بسيف الدولة انسفكا ... ملكا

١١٣

إن هذا الشعر في الشعر ملك ... فلك

١١٥

أما ترى ما أراه أيها الملك ... حبك

١١٥

بكيت ياربسع حتى كدت أبكيكا ... مغانيكا

١٢٠

تهنا بصور أم نهننها بكا ... لك

١٢١

لم تر من نادمت إلا كا ... ذاكا

١٢٢

يا أيها الملك الذي ندماؤه ... لا ملكه

١٢٢

قد بلغت الذي أردت من البر ... عليك

١٢٢

لئن كان أحسن في وصفها ... لك

١٢٣

فدى لك من يقصر عن مداكا ... فداكا

قافية اللام

١٣٦

رويدك أيها الملك الجليل ... تنيل

١٤٠

نعد المشرفة والعوالي ... قتال

١٥٢

إلام طماعية العاذل ... للعاقل

١٦٣

أعلى الممالك ما يبني على الأسل ... كالتقبل

١٧٠

بنا نك فوق الرمل ما بك في الرمل ... يلى

١٧٩

لا الحلم جاد به ولا بمثاله ... وزياه

١٩٠

يؤمم ذا السيف آماله ... أفضاله

١٩١

أيقده في الحيمة العذل ... يشمل

١٩٨

أجاب دمي وما الداعي سوى طلل ... والأبل

٢١٢

أقل أنل إن صن أحمل على سل أعد ... صل

صفحة

مطلع القصيدة :

٢١٣	عش ابق اسم سد قد جد مرانه رف اسرئل .
٢١٣	شديد البعد من شرب الشمول ... النخيل
٢١٤	أتيت بمنطق العرب الأصيل ... قيلي
٢١٥	لقيت العفاه بأمالها ... بأجالها
٢١٦	وصفت لنا ولم نره سلاحا ... التزال
٢١٧	ليالى بعد الظاهنين شكول ... طويل
٢٣٢	إن كنت عن خير الأنام سائلا ... فضاللا
٢٣٢	دروع ملك الروم هذى الرسائل ... ويشاغل
٢٤٢	إن يكن صبر ذى الرزية فضلا ... الأجلا
٢٥٤	ذى المعالي فليعلون من تعالى ... فللا
٢٦٧	مالنا كلنا جو يارسول ... للتبول
٢٧٩	لا تحسن الوفرة حتى ترى ... القتال
٢٨٠	عجب قياى ما لذلکم النصل ... القتل
٢٨٢	أحيا وأيسر ما قاسيت ماقتلا ... عدلا
٢٩٠	قد شغل الناس كثرة الأمل ... شغل
٢٩١	قفا تريا ودق فهانا الهائل ... قائل
٢٩٥	أحببت برك إذ أردت رجلا ... قليلا
٢٩٦	عزب أسى من داؤه الحدق النجل ... قبل
٣٠٩	صلة المجرى وهجر الوصال .. الهلال
٣١٧	ومنزل ليس لنا بمنزل ... المطل
٣٢٥	أبعد نأى اللبحة البخل ... الإبل
٣٣٧	بقاى شاء ليس هم ارتحالا ... الجمالا
٣٤٩	فى الحد إن عزم الخليط رجلا ... محولا
٣٦٢	أرى حلا مطواة حسنا ... اعتلالى
٣٤٦	عذلت منادمة الأمير عواذلى ... السائل
٣٦٥	بدر فنى لو كان من سؤاله ... ماله
٣٦٦	قد أبت بالحاجة مقضية .. تطويلها

مطلع القصيدة :

صفحة

٣٦٦

لك يا منازل في القلوب منازل ... أو اهل

٣٧٨

أمانكم من قبل موتكم الجهل ... النمل

٣٨٠

يا أكرم الناس في الفعال ... اللقال

٣٨٠

أنا في كلام الجاهل ابن كيف لا ... وسهولا

٣٨١

لا تحسبوا ربكم ولا طلقه ... قتله

٣٩٢

أخلف لا تكلفى مسيراً ... مالا

٣٩٤

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... الحال